تفريغ العقيدة الواسطية للشيخ
محمد بن أمان بن علي الجامي
رحمه الله

قال الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله : إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له و اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً{70} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً{71}سورة الأحزاب }.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً{1}سورة النساء } .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ{102}سورة آل عمران }. أما بعد

فإننا نفتتح في هذه الليلة المباركة إن شاء الله ليلة الجمعة الموافق الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول لعام ألف وأربع مئة و إحدى عشر ، نفتتح درساً في العقيدة الإسلامية على منهج الأنبياء عليهم السلام الذين سار على منهجهم سلفنا الصالح .

وهذا الدرس درس العقيدة يحسن بنا أن نمهد له تمهيداً أو نقدم له مقدمة في معنى العقيدة لغة واصطلاحاً ، ثم الهدف من دراسة هذه العقيدة . مادة العقيدة تسمى توحيداً وتسمى عقيدة ، والعقيدة لها معنى لغوي ومعنى اصطلاحي ، والذي اصطلح

عليه المسلمون الأولون بعد أن عُرِفت هذه المادة منفصلة ومستقلة بينما كانت تُدرس في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ . أريد أن أقول أن سلفنا الصالح ليست لديهم كتباً تسمى كتب العقيدة أو كتب التوحيد ، بل كانوا يأخذون توحيدهم وعقيدتهم من كتاب الله مشروحاً بسنة رسوله ﷺ ، ولكن السلف الذين حضروا زمن الأهواء وزمن الفتن بعد أن نشاء علم الكلام اضطروا اضطراراً أن يُؤلفوا كتباً في التوحيد وفي العقيدة وهي عبارة عن الدفاع ضد هجوم علماء الكلام من الفلاسفة وعلماء المنطق اليونانيين ، عُرِفت العقيدة بعد ذلك باسم العقيدة مادة مستقلة تسمى العقيدة وتسمى التوحيد . وعلم العقيدة من أشرف العلوم ؛ لأن شرف العلم من شرف المعلوم ؛ لأنه يتعلق بالذات العلية والصفات الإلهية والنبوات وأمور المعاد .

وأما المعنى اللغوي ، العقيدة : مأخوذة من العقد وهو الربط والتوثيق ، يُستعمَل العقد أول ما يُستعمل في الأمور الحسية كعقد الحبال والخيوط ثم استُعمِل في الأمور المعنوية كعقد النكاح وعقد البيع وعقود العهود وغير ذلك ، والعقد كما قلنا ضد الحَل .

و المعنى الاصطلاحي أُخِذ من المعنى اللغوي بمعنى إن العقيدة هي التسليم الجازم الذي لا يتطرق إليه شك في المطالب الإلهية وفي النبوات وفي الأمور الغيبية . (المراد بالمطالب الإلهية ما يتعلق بالرب بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويشمل التوحيد العلمي الخبري وتوحيد القصد والطلب والعمل ، كل ذلك من المطالب الإلهية ويدخل في المطالب الإلهية الإيمان بالملائكة ، والمراد بالنبوات الإيمان بنبوة الأنبياء وتصديقهم والإيمان بمعجزاتهم , ثم الأمور الغيبية من البعث بعد الموت وما يتبع ذلك حتى يدخل العباد إحدى الدارين الجنة أو النار أو حتى يدخل بعضهم الجنة وبعضهم النار فالأمور الغيبية تشمل كل هذا ، وهناك جزئيات نتعرض لها أثناء الدرس) .

والتوحيد عندنا يخالف التوحيد عن غيرنا ؛ لأننا ننهج منهج السلف وهو منهج الأنبياء ؛ لذلك نحن نقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

- توحيد الله بأفعال نفسه بأن نعتقد أن الله وحده هو الخالق الرازق المعطي المانع الضار النافع مدبر الأمور من السماء إلى الأرض ، فهذا يسمى توحيد الربوبية .
- أما إفراد الله بأفعال عباده بالدعاء وبالاستغاثة وبالذبح والنذر والخضوع والتذلل والصلاة والصيام وغير ذلك ، فهذا يسمى توحيد العبادة .
- وإفراد الله بأسمائه وصفاته بأن نثبت له جميع صفات الرب ﷻ التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ ، فهذا يسمى توحيد الأسماء والصفات .

ومعنى التوحيد هنا : بأنه لا يشارك الله أحدٌ من خلقه في حقائق صفاته وحقائق أسمائه وأفعاله وإن كان قد يحصل الاشتراك اللفظي بين الخالق وبين المخلوق في بعض الصفات والأسماء كالقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم وغير ذلك ، ولكن الحقائق تختلف . وسيأتي توضيح ذلك في صلب الدرس إن شاء الله .

هكذا قُسِم التوحيد ، ولسائل أن يسأل من أين لنا هذا التقسيم وما دليل هذا التقسيم ؟ الجواب : دليل هذا التقسيم يسمى الاستقراء ، ومعنى الاستقراء : تتبعنا نصوص الكتاب والسنة فوجدناها بالنسبة للمطالب الإلهية تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة : نصوصٌ تدعو العباد بأن يوحدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، والنصوص التي تأتي في هذا المعنى يُؤخذ منها توحيدٌ يسمى توحيد العبادة . ونصوصٌ تُخبر بأن الله وحده خالق كل شئ ومدبر الأمور وهو المعطي المانع والنافع الضار وما كان من هذا القبيل تسمى توحيد الربوبية . وهناك نصوصٌ تصف الله بأنه سميع عليم وأنه سميع بصير وأنه عزيز حكيم وغير ذلك من الأسماء والصفات ، هذا النوع يسمى توحيد الأسماء والصفات . إذن لم نخرج من الكتاب والسنة في تقسيمنا التوحيد إلى ثلاثة أقسام ؛ لذلك لا يرد قول المعترض بأن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام تقسيمٌ جديدٌ لا أصل له

، فالجواب ما سمعتَ إنّ هذا التقسيم تقسيمٌ استقرائي ، والدليل الاستقرائي مُسلَمٌ به عند أهل العلم والمعرفة ، وأكثر من يبحث في هذا النوع من الدليل علماء الأصول .

هكذا يتضح سرُ تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام . إذا عرفتَ معنى التوحيد ومعنى العقيدة . ما هو الهدف من دراسة العقيدة وما هو الهدف من دراسة التوحيد ؟ الهدف من ذلك معرفة العبد ربه وخالقه وولي نعمته ، بم يعرف العبد ربه ؟ هل يراه ؟ فالله ﷻ لا يُرى في هذه الدنيا ، في هذه الدار لا يُرى ، بمعنى إن الرؤيا غير مستحيلة ولكنها غير واقعة (لم تقع ولن تقع) ؛ لأن القوة البشرية لا تثبت أمام تجلي الرب ﷻ في هذه الدار، هكذا أراد الله ؛ لذلك لما طلب موسى ﵇ أن يرى ربه علق الله ﷻ تلك الرؤية على أن ينظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه ولم يتدكدك سوف يراه ، وإن لم يثبت الجبل فعدم ثبات موسى ﵇ من باب أولى ، ولم يثبت الجبل أمام التجلي من هنا تبين لموسى ﵇ (وإن كانت الرؤيا غير مستحيلة وجائزة عقلاً وشرعاً) ولكنها غير واقعة في هذه الدنيا لعارض وذلك العارض ضعف القوة البشرية في هذه الدار واستسلم موسى ﵇ لذلك . وفي الإسراء والمعراج عندما نزل النبي ﷺ وعاد من تلكم الرحلة الطويلة القصيرة (الطويلة من حيث المسافة القصيرة من حيث عودة النبي ﷺ في نفس الليلة إلى مكة) ، فور عودته من الرحلة الطويلة " سُئِل النبي ﷺ : هل رأيت ربك ؟ قال " نورٌ أنى أره حجابه النور" [أخرجه مسلم عن أبي ذر ﵁ برقم (178)] إذن على أصح القولين لم يرَ النبي ﷺ ربه في تلك الليلة بعين رأسه وإن رأه بقلبه ، بل أخبر النبي ﷺ في آخر قصة المسيح الدجال " إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا " [أخرجه ابن ماجه عن أبي أمامه ﵁ برقم (4077) , وأخرجه مسلم بلفظ " تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت " عن عمر بن ثابت عن بعض أصحاب النبي ﷺ برقم (2931)] ، فاعلموا بأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ، (لن) التي يقول فيها بعض علماء اللغة أنها تفيد التأبيد . وأما في الآخرة فيرى العباد ربهم مرتين ، المرة الأولى في عرصات

القيامة ، هذه الرؤية التي يختلف فيها أهل العلم هل خاصة بالمؤمنين أو يراه الكفار والمنافقون ثم يحتجب رب العالمين تأديباً لهم وتوبيخاً لهم وإهانة لهم ؟ هذا رأي ، والرأي الثاني أنهم لن يروه . وأما المرة الثانية في دار الكرامة في الجنة ، تلك رؤية خاصة بأولياء الله بالمؤمنين ، المؤمنون سوف يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر وكما يرون الشمس ليس دونها سحاب ، رؤية حقيقية لا يضامون فيها و لا يتضررون من الزحام ، كلٌ يرفع رأسه من موقعه فيرى ربه من فوقه ، فالله ﷻ يسلم عليهم من فوقهم ، ويتجلى لهم فيخاطبهم { سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ {58}سورة يس}، هكذا في تلك الدار .

وبعد : إذا كنا لا نرَ ربنا في هذه الدار : بم نعرف ربنا ؟ نعرف الله بآياته ومخلوقاته التي تكاد أن تنطق ، الكون برمته آية على وجود الرب ﷻ :

وفي كل شئ له آية

تدل على أنه واحد (لبيد بن أبي ربيعه رضي الله عنه)

قبل أن نؤمن بوحدانيته وعلمه وقدرته فلنؤمن بوجوده ، وجودك أنت دليلٌ على وجود الله ، إذا كنت لا تشك في وجودك – وهل أحدٌ يشك في وجود نفسه ؟! – لا يجوز عقلاً وشرعاً أن يُشَك في وجود الرب ﷻ{ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ{35}سورة الطور}، من أين جئتَ أنت ؟ هل خلقتَ نفسك ؟ مستحيل . هل خُلِقت من غير خالق ؟ مستحيل ، القسمة الثالثة لك خالق ، وهذا الخالق مخالفٌ لك في كل شئ ، خالقٌ قادرٌ على كل شئ بدليل إبداعه لهذا الكون هذا الإبداع على غير مثال سابق ، فهو بديع السماوات والأرض ، وهذا الإبداع دالٌ أول ما يدل على وجود الرب ﷻ ، وثانياً يدل على قدرته الباهرة ، إذن الخالق ليس كالمخلوق ، مخالفٌ للمخلوق في حقيقة ذاته وكُنه ذاته ولكن لا يعلم كيفه إلا هو ، ويخالف المخلوق في قدرته ؛ لأن قدرة المخلوق قدرة حادثة وُجِدت بعد أن لم تكن ، الله الذي منحك هذه القدرة يجب أن تعلم أنه يتصف بقدرة أقوى من قدرتك ؛ لأنه هو الذي منحك هذه

القدرة . إذن هذا الإبداع وهذا الإيجاد وكونه فاطر السماوات والأرض دل على وجود الرب ﷻ وجوداً حقيقياً بحيث لا يجوز عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يُشَك في وجود الرب إلا إذا كان يشكُ في وجود نفسه . فالله موجود لأنك موجود وآية و علامة دالة على وجود الرب ﷻ ثم إنه قادر على كل شئ وخالق كل شئ ، دل ذلك على قدرته الباهرة .

ودل التخصيص على إرادته وعلمه المحيط بكل شئ (معنى التخصيص أن كل شئ وكل فرد على صفة وعلى حالة معينة ، زيد عالم ، وعمرو جاهل ، بكر غني ، وخالد فقير ، وهكذا) هذا التخصيص تخصيص العباد كل بصفة وحاله هذا التخصيص دليل الإرادة ودليل العلم ، علمه محيط بكل شئ ، إذن نستدل بوجودنا وبصفاتنا وبخلق الرب ﷻ وصفته على وجود الرب سبحانه وعلى أنه موصوف بصفات الكمال – وصفات الرب كلها صفات كمال– هكذا نؤمن بالرب .

والمادة التي سوف ندرسها تهدف إلى تعريف العباد ربهم هذا التعريف ، ثم تهدف المادة إلى أن يعرف العباد حق الله على العباد وحق العباد على الله وحقوق رسول الله ﷺ وحقوق الصالحين ؛ لئلا يُخلط بين الحقوق كما هو واقع كثير من الناس . حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا هذا الحق الذي اهتم به ﷺ ذلكم الاهتمام حيث وجّه السؤال إلى صحابي : " يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ هذا السؤال إنما ورد بهذه الصيغة ليثير النبي ﷺ انتباه ذلك الصحابي رضي الله عنه لما يقول ولما يُلقى إليه ، وذلك دليل أهمية هذا الحق . قال الصحابي الله ورسوله أعلم ثم بيّن الرسول ﷺ حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . (هذا حق لازم من ضيّع هذا الحق أو صرف هذا الحق لغير الله فهو ظالم الظلم الأكبر الشرك بالله) ، وهل تدري ما حق العباد على الله ؟ حق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا (ولكنه حق تفضل وإحسان ورحمة من الله ، فالعباد لا يوجبون على الله حقاً " [أخرجه البخاري عن معاذ بن جبل

رضي الله عنه برقم (5968) ومسلم برقم (48)] . هكذا اهتم الرسول ﷺ ووجه هذا السؤال لذلك الصحابي رضي الله عنه . وحقوق الرسول ﷺ أن يُصدَق ولا يُكذَب , ويُطاع ولا يُعصى , لكنه عبدٌ لا يُعبَد (هذه النقطة المهمة فهو عبد الله ورسوله) ، ولا يُعبَد الله إلا بما جاء به رسول الله ﷺ ، وهو عبدٌ حقق مقام العبودية ما لم يحققه غيره ؛ لذلك لا يُعبد ولا يُدعى ولا يُستغاث به ولا يُذبح له ولا يُنذر له ، لا يُتقرب له بأي نوع من أنواع العبادة ، وذلك يتنافى مع هدف رسالته التي تهدف إلى إفراد الله بالعبادة وحده لا أحد يستحق العبادة معه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح ، هذه الحقوق التي يجب أن تُعرَف وتوضع مواضعها ، وأما عباد الله الصالحون وهم أولياء الله وهم جميع المؤمنين لهم حقوق ، ومن حقوق عباد الله الصالحين على بعضهم ألا يؤذي بعضهم بعضاً " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب .. " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (6502)] , إياك أن تؤذي عباد الله ، وعليك أن تحبهم في الله سبحانه وتعالى , وإذا أحببته لله تخبره لأنه من السنة [جاء في حديث رواه أحمد (4 / 130) والبخاري في الأدب المفرد برقم (542) وأبو داوود برقم (5113) والترمذي برقم (2502) وغيرهم عن المقداد بن معدي كرب رضي الله عنه , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (417) , والوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين برقم (3566)] ، ولكن لا تحبهم مع الله . ولعلنا نفرق بين الحب في الله والحب مع الله ، فمحبة أولياء في الله ولأجل الله ولكونهم عباد الله الصالحين العاملين بكتابه وبهدي نبيه ﷺ شعبة من شعب الإيمان ، وأما محبة الصالحين مع الله بحيث تجعلهم شركاء لله ترجوهم كما ترجو رب العالمين وتدعوهم مع الله أو من دون الله وتتقرب إليهم بالقربات ، هذا نوع من أنواع الشرك الأكبر ، فرّق بين المحبتين بينهما بون شاسع , المحبة الأولى عبادة لله وقربة ، والمحبة الثانية شرك بالله .

هذه المعاني من المعاني التي تهدف إليها مادتنا التي نريد أن ندرسها ، إذن التوحيد الذي نريد أن ندرسه والعقيدة التي نريد أن ندرسها هذا موضوعها وهو توحيد الأنبياء وعلى منهج الأنبياء ، وأنبياء الله عليهم السلام توحيدهم واحد ودعوتهم واحدة ، كلهم دعوا إلى إفراد الله بالعبادة . وبعد أن دخل علم الكلام في الميدان وكثرت الأهواء ألّف علماء أهل السنة والجماعة كتباً في هذا التوحيد وفي هذه العقيدة ، ومن الكتب التي أُلِفت في هذه العقيدة رسالة صغيرة تسمى (العقيدة الواسطية) ، هذا الكتيب عبارة عن جواب كتبه شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله جواباً على رسالةٍ وردتُه من أهل واسط في الشام ، يسألون في رسالتهم عن عقيدة أهل السنة والجماعة ؟ فأجاب الشيخ على السؤال بهذا الكتاب ، وهذا شأن أكثر رسائل شيخ الإسلام (الفتوى الحموية جوابٌ لرسالة وردته من حماه ، والرسالة التدمرية كذلك ، وهذه الواسطية) ، ثم إن هذه الرسالة التي نحن بصدد شرحها ، شرحها عالمٌ أزهريٌ سلفيٌ ، عالمٌ تخرج من الأزهر وتخصص في الفلسفة والمنطق ، وكان يعادي شيخ الإسلام عداء كما كان يعادي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإسلام في أول الأمر . كان الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله الذي شرح هذه الرسالة يعادي شيخ الإسلام رحمه الله لما سمع أنه عدو للفلسفة والمنطق ؛ لذلك لما أشار إليه بعض الناس أن يكتب رسالة الدكتوراه رداً على شيخ الإسلام ابن تيميه الذي يعادي المنطق والفلسفة وعلم الكلام . ويقول الشيخ محمد خليل هراس (ينقل عنه الشيخ محمد الجامي)، وكان أستاذناً لنا روى هذه الرواية شخصياً مباشرة يقول جمع ما وقع عليه من كتب شيخ الإسلام في القاهرة ليدرسها ثم يرد على شيخ الإسلام ، فعكف على دراسة هذه الكتب نحو ثلاثة أشهر ، ويقول الشيخ محمد خليل هراس الذي شرح الواسطية بعد أن درس ما تيسر له دراسته من كتب شيخ الإسلام في هذه الفترة تبين له أنه لم يفهم الإسلام بعدُ إلا بعد دراسة هذه الكتب . ذلك العمر الطويل والدراسة بدءِ من المرحلة الابتدائية ثم المتوسطة ثم الثانوية ثم الجامعية إلى أن وصل لدرجة

كتابة رسالة الدكتوراه تبين له أنه لم يفهم الإسلام بالمفهوم الصحيح قبل دراسة هذه الكتب . هكذا هدى الله رجلاً كان يريد محاربة شيخ الإسلام ، وكتب رسالة الدكتوراه تحت عنوان (ابن تيمية السلفي) هذا عنوان رسالته بعد أن منَّ الله عليه بالهداية ، هذا هو محمد خليل هراس الذي شرح العقيدة الواسطية .

العقيدة : ما يعتقده الإنسان في نفسه نحو ربه سبحانه ودينه ونبيه , وما جاء به محمد ﷺ , مأخوذ من العقد وهو الربط , أي الاعتقاد الجازم فيما تعتقده نحو ربك من وحدانيته واستحقاقه للعبادة وعظمته وانفراده بالخلق والرزق واستحقاقه للعبادة وحده , هذا نوع من الإيمان يسمى العقيدة ؛ لأن الإيمان يتألف من ثلاثة أجزاء : الجزء الأول النطق بالشهادتين اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله , هذا يقال له الإيمان القولي , وهو الإقرار . وهناك إيمان آخر وهو الإيمان المسمى الإيمان القلبي وهو الأساس , الذي نحن بصدده الآن هو إيمان القلب , إيمان القلب الذي يُسمى العقيدة . وهناك إيمان ثالث وهو إيمان الأعمال , إيمان يسمى أعمال الجوارح , أي يتألف الإيمان من أعمال الجوارح وأعمال القلب والإقرار باللسان , هذا عند جمهور أهل العلم جمهور السلف , أعمالنا من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد وأمر بالمعروف ونهي عن منكر , هذه كلها هذه الأعمال يُطلق عليها أنها إيمان , وما في القلب إيمان , والإقرار باللسان إيمان , هذه الأشياء تترابط , فمثلاً : القلب يجب أن يُوجد له شاهد يُصِّدقه وإلا دعوى بأنك مؤمن بقلبك لابد من شاهد يصدق هذه الدعوى , إذن إيمان القلب يحتاج إلى من يصدقه , ما الذي يصدقه ؟ أعمال الجوارح , إذا صلُح القلب وآمن وأذعن وعظَّم ربه وراقبه المراقبة الصحيحة انبعثت الأعضاء والجوارح في الأعمال , أي إيمان القلب صحته تملي على الجوارح الأعمال , أما من يدعي الإيمان بالقلب ولا يعمل لا يصلي لا يصوم ولا يعمل أي عمل , إذا قيل له اعمل يقول الإيمان في القلب هذه

دعوى كاذبة , ولو كان قلبك مؤمنا لوجدنا الشاهد على صدق إيمانك ؛ لذلك صدق من قال :

إذا حلّت الهداية قلباً نشطت

في العبادة الأعضاء (البوصيري في البردة)

إذا رأيتَ من نفسك النشاط والاندفاع إلى العمل الصالح والإكثار من ذكر الله تعالى هذا دليل على صحة إيمان القلب , وإذا رأينا إنساناً يدعي الإيمان لا يعمل , مُعرِض عن الأعمال وعن ذكر الله وعن جميع أعمال الجوارح , معرض عن عمل الجوارح وعمل اللسان معاً إلا الكلمة الجوفاء لا إله إلا الله , يقولها لكن لا تأثير , إذا صح إيمان القلب بعث الجوارح , فعملت الجوارح وانطلق اللسان بذكر الله تعالى وصح الإيمان ؛ لأنك جئتَ بجميع عناصر الإيمان من إيمان القلب وإيمان الجوارح وإيمان اللسان . لك أن تقول أيها الطالب : وهل هناك دليل على هذا الترابط وأن هذه الثلاثة كلها إيمان , ما الدليل ؟ هذا الذي ينبغي أن يسأل طالب علم ويسجل ويحفظ ويكون على بصيرة , يقول النبي ﷺ " الإيمان بضع وسبعون شعبة (رواية البخاري) , أعلاها لا إله إلا الله (وكل ما قيل لا إله إلا الله يجب أن تفهم يتبع ذلك محمد رسول الله , هذه قاعدة إذا أُطلِقت لا إله إلا الله في حديث ما , ولم يأتِ ذكر محمد رسول الله , يجب أن تفهم بأنها مقدرة بالقوة , إذ شهادة لا إله إلا الله وحدها لا تفيد حتى تُضيف إليها شهادة أن محمداً رسول الله) , (هذه الكلمة عظيمة عدها النبي ﷺ في هذا الحديث أعلى شعب الإيمان , وعندما جاء يعدد أركان الإسلام , أول ركن ما هو ؟ لا إله إلا الله , إذن هي كلمة التوحيد وكلمة الإيمان وكلمة الإسلام , إذن هذا دليل على أن النطق بالشهادتين من الإيمان) . وأدناها إماطة الأذى عن الطريق (ودل هذا على أن أعمال الجوارح من الإيمان , إماطة الأذى وكف الأذى , العطاء والصدقة والصلاة والزكاة وجميع ما تعمل بجوارحك من الإيمان) . والحياء شعبة من الإيمان (عمل من

أعمال القلوب) " [يأتي تخريج هذا الحديث لا حقاً إن شاء الله] . والعقيدة التي ندرسها من أعمال القلوب تعتقد وحدانية الله , أولاً : وجود الله ﷻ الوجود الحقيقي تستدل على وجود الله ﷻ بوجودك أنت ؛ لأنك ممكن حادث جائز , وُجِدتَ بعد أن لم تكن موجوداً بعد أن كنتَ معدوماً , من الذي أوجدك ؟ هل أوجدتَ نفسك ؟ هل خلقتَ نفسك ؟ مستحيل , هل خُلقتَ من غير خالق ؟ مستحيل , إذن هناك خالقٌ خلقك , والخالق الذي خلقك يجب أن يكون مخالفٌ لك من كل وجه {{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..{11}}, { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ{35}سورة الطور } لا هذا ولا ذاك , لكن لهم خالق لا مثيل له لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله , هذا المبحث يسمى عقيدة وهو إيمان , يجب أن تفهموا نحن ندرس الإيمان . قد يقول قائل خالي القلب بعيد عن العقيدة : مالِ هؤلاء يدرسون طول حياتهم العقيدة , خمسة أشهر تكفي العقيدة – فاقد الشيء لا يعطيه – إذ ليس لديه شيء – فقير– نسأل الله أن يمنَّ عليه بالعطاءِ من عنده سبحانه , هذا مريض يا ليته عرف مرضه وجهله , العقيدة يجب أن تلازمك حتى تلقى ربك , والعجب من هؤلاء لا يقولون لماذا يدرسون كتاب الطهارة وكتاب الصلاة والزكاة دائما وأبدا , لماذا لا يدرسوا سنتين أو ثلاث وخلاص , لم يعترضوا إلا على العقيدة , السبب لمرض في قلوبهم , هذه العقيدة إيمان , الإيمان إنما يثبت إذا صح قلبك من المرض , أما القلب المريض فيكره العقيدة ويكره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , يتضايق من الخير , هذه العقيدة التي ندرسها جزء من أهم أجزاءِ الإيمان كما ذكرنا الآن , إذن فلتُدرس العقيدة على جميع المستويات , حتى العوام لا يُعفون من العقيدة , يجب أن يدرسوا مبادئ العقيدة , خصوصاً الأصول الثلاثة التي ينتقدها المرضى , فيقولون هذا توحيد البُدائيين , زمان الناس كانوا يسألون المصلين في المساجد بعد صلاة الفجر , يقولون للمصلين : من ربك ؟ ما دينك ؟ ما نبيك ؟ يسخرون سخرية مِن هذا , صحيح في السبعينات كان في المنطقة الوسطى بعد

صلاة الفجر يُحضِّرون المصلين تحضيراً مثلما يُحضرون الطلاب في المدارس , بعد ذلك الشيخ يسألهم عن الأصول الثلاثة ؛ لذلك كانت الناس في المنطقة تفهم . العوام والمتعلمون على حد سواء الأصول الثلاثة صارت طبيعة لهم . وبعد المرض اليوم يقولون كوننا دائماً نقول من ربك ما دينك ما نبيك ؟ هذا توحيد الناس البُدائيين , واليوم الناس راحت للأقمار . لا وصلتم القمر ولا تعلمتم التوحيد , ضعتم بين هذا وذاك , دعوا الأقمار وتعلموا التوحيد يا عباد الله , الأقمار قد يصل لها الكافر الصِرف الذي لا يؤمن بالله ورسوله , هذه علوم دنيوية { يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ{7}سورة الروم } , ليس الفرق بيننا وبين الكفار التقدم في الصناعة أو التقدم في العلوم , الفرق بيننا وبينهم الإيمان , بتلك النواحي هم متقدمون علينا بمراحل ولا فضل لهم عند الله في ذلك , لكن في الحياة الدنيا لهم علم . تريدوا أن تُنافسوا الكفار في علومهم وتتركوا الإيمان بالله والإيمان برسوله ﷺ ودينكم الذي شرفكم به , تعلموا التوحيد وتعلموا العقيدة , العقيدة هي الإيمان , إذن موضوع درسنا الإيمان , أي الإيمان ؟ إيمان القلب . ومن إيمان أي نوع ؟ عقيدة الأسماء والصفات , أي أن تثبت لله ﷻ كل ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ [التوحيد لابن خزيمه (1 / 26) , الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي ص (121) , عقيد السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص (13)] , الله سبحانه سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات , وأذِن لنبيه محمداً ﷺ فقط دون غيره من هذه الأمة أن يصفه بصفات وأن يسميه بأسماء , كما أذِن بذلك للأنبياء عليهم السلام من قبله , إثباتك لله ما وصف به نفسه وما سمى به نفسه دون أن تتدخل ودون أن تسأل , لماذا سمى نفسه عليماً لماذا سمى نفسه حليماً وقد سمى بعض عباده حليماً وعليماً ؟ ليس لك أن تسأل هذا السؤال , سمى نفسه عليما فهو عليم , سمى نفسه حليما فهو حليم , أما بعض عباده حليماً عليماً (نعم) , العبد عليم وحليم بالعلم الذي يناسبه وبالحلم

الذي يناسبه , لا كعلم الله ولا كحلم الله ؛ لأن الصفات تتبع الموصوف , إذا كان الله في نفسه وفي ذاته ليس كالخلق , مخالفٌ لخلقه مخالفٌ لما خَلَقَ , إذن يجب أن تكون أسمائه وصفاته مخالفة لأسماء الخلق وصفات الخلق في الحقيقة وإن اتفقت في اللفظ والظاهر , إذن معرفتك لهذه الأسماء والصفات وإيمانك بهذه الأسماء والصفات دون أن تعترض على الله ﷻ وتقول لا يليق به هذا , ومراده بهذا كذا من عند نفسك أو من عند شيخك اعتراض وتدخل في أسماء الله وصفاته , ولكن كما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ وعلى ما كانت عليه القرون المشهود لها " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .. " [يأتي تخريجه], أولئك ما كانوا يتدخلون لا بالتأويل ولا بالتحريف ولا بالتشبيه والتمثيل , سلموا لله . الذي نريد الآن ندرس العقيدة لنُسلِم لله كما سلَّم له الأولون من السابقين الأولين , هذا يسمى إيمانٌ بالأسماء والصفات .

وهناك توحيد آخر إفراد الله تعالى بالعبادة , يسمى توحيد العبادة , ألا يُعبَد معه غيره وألا يُصرَف أي نوع من أنواع العبادة لغيره , يسمى توحيد العبادة وتوحيد الألوهية .

وهناك توحيد لم يكن محل خلاف بين بني آدم قط حتى الكفار يؤمنون بذلك النوع من التوحيد إفراد الله تعالى بخلقه , أبو جهل من أجهل عباد الله يؤمن بأن الله خالق السماوات والأرض ورازق للعباد ومدبر الأمر من السماء إلى الأرض , هذا يسمى توحيد الربوبية . لك أن تسأل إذا كان هو معروفٌ إلى هذه الدرجة وأبو جهل لم يجهله , لماذا ندرسه ؟ لماذا يُذكر في الكتاب والسنة ؟ الجواب : يُدرَس توحيد الربوبية ويُذكر في الكتاب والسنة للاستدلال به على توحيد العبادة من باب الإلزام , كأن يقال إذا كان الله قد انفراد بتوحيد الربوبية , أي إذا آمنتم أنه الخالق الرازق المعطي المانع مدبر الأمور يلزمكم أن تفردوه بالعبادة ؛ مَن هذه صفته هو وحده المستحق للعبادة , أما المخلوق الضعيف الفقير العاجز لا يستحق العبادة , بل القادر على كل شيء , الغني عن كل شيء , الصمد الذي يصمد إليه كل شيء هو وحده الذي يستحق العبادة ,

إذن نستدل بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة . هكذا ندرس العقيدة فيجد الإنسان في نفسه أُنساً بالله عندما يدرس هذه العقيدة , كما يجد من نفسه وحشة أولئك الذين لم يُوفقوا إلى دراسة العقيدة على منهج السلف الصالح , المنهج السليم هو منهج السلف وحده . القول بالسلف والخلف ليس من الانتماءات وليس من التحزب , هذا شيء أثبته الله في كتابه وأثبته رسول الله ﷺ ؛ لأن معنى السلف أيها الشاب كل من سلفك وسبقك بالإيمان وبالخير , في اللغة آباؤك وأجدادك ومشايخك يعتبرون سلفك , إذن سلفنا الصحابة رضي الله عنهم الذين سبقونا بالإيمان وإلى العمل الصالح وإلى فهم ما جاء به رسول الله ﷺ , القرآن سماهم السابقين , السابق والسالف بمعنى واحد {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ.. {100}سورة التوبة }, هؤلاء هم السلف لا تظنوا بأن هذا لقب ابتدعوه في أثناء التحزبات والانتماءات لا , لقب يُؤخذ من كتاب الله , صفة ثابتة لأولئك { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ.. {100}}, إذا أثبتنا السلف هكذا بالكتاب , من أين نأتي بالسلفيين ؟ عندنا سلف وسلفي , السلفي يُؤخذ من القرآن { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ .. {100}} , (بإحسان) دون أن يُغيروا أو يُبدلوا , أخذوا المنهج نفسه مهما بعُد الوقت , وبعد هذا الوقت" حتى يبعث الله تلك الريح الطيبة فتقبض أرواح المؤمنين " [أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه برقم (2137)] الذين هم التابعون , آخر التابعين الطائفة الناجية والفرقة الناجية التي تُقبَض قبيل قيام الساعة حتى تقوم الساعة إلا على شرار الخلق , " لا تقوم الساعة ومن يقول في الأرض الله الله " [أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه برقم (148)] ؛ بل على كافر ابن كافر , وقبل ذلك الذين اتبعوا السابقين الأولين هم السلفيون نسبة إلى السلف , أي الذين اتبعوا من سلفهم ومن سبقهم . بقي أن نعرف الخلف بعد أن عرفنا السلف . من الخلف ؟ كل من جاء بعد من قبله مخالفاً له , ولو لم يخالف يسمى متبع سلفي , لكن إذا خالف

يسمى خَلَفَاً ويسمى خَلْفاً , القرآن سماهم خلْف { فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ .. {59}سورة مريم } , خلْف بالسكون , يقول أهل اللغة خلْف بالسكون لا يُطلق إلا على المخالف تماماً لمن قبله , والخلَف بالفتح قد يُطلق على المخالف وربما أُطلق على الموافق , الغالب على المخالف . إذن هذه التقسيمات كلها تقسيمات لغوية شرعية , ليس لدينا ابتداع أبدا بتوفيق الله تعالى ولا لدينا انتماءات وتحزبات , بمعنى السلفيون هم المتمسكون بالخط والسائرون على الخط وعلى الجادة لم يخرجوا إلى بُنيات الطريق هنا وهناك , وليس لهم إمام إلا محمد رسول الله ﷺ , هذه ميزة السلفيين ليس لهم إمام يعتزون به ويرون وجوب التأسي به وجوب إتباعه وجوب طاعته إلا محمد رسول الله ﷺ , هؤلاء هم الذين يدرسون هذه العقيدة . لك أن تسأل سؤالاً آخر: وهل أولئك الذين وصفتهم بهذه الصفات كلها كانوا يدرسون العقيدة كما ندرس ؟ سؤال له أهمية , والجواب : أولئك كان كتاب عقيدتهم وكتاب توحيدهم وكتاب فقههم هو المصحف ثم السنة التي تفسر المصحف ؛ لأنهم كانوا يعيشون مع المصحف فقط ويفهمون القرآن ويفهمون السنة ويأخذون العقيدة من الكتاب والسنة رأساً , إذن لماذا أُلِفت هذه الكتب التي شغلتنا , ندرسها ونحفظها , لماذا أَلِفت ؟ لماذا لم نكتفِ بما اكتفى به السلف ؟ من عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى أواخر عهد الأمويين كان المسلمون على هذا ؛ لأنه لم تظهر الفتن , لم يدخل المسلمون في علم يسمى علم الكلام , ولم يُترجَم إلى اللغة العربية اصطلاح المنطقيين والفلاسفة وعلماء الكلام , كانوا في سلامة تامة , ولما دخلت هذه العلوم كان أكثر انتشارها في عهد المأمون الذي ترجم هذه العلوم الأجنبية إلى اللغة العربية , كان له غرام شديد بالاطلاع والعلم , طلب أن تُترجَم هذه الكتب فتُرجِمت , فدخلت الفلسفة وعلم الكلام والمنطق في باب العقيدة , وشوش على الناس , اضطر السلف الذين حضروا أيام الفتنة كالإمام أحمد رحمه الله ومن بعده اضطروا أن يُؤلفوا كتباً دفاعية تدافع عن

العقيدة ككتاب ابن خزيمة رحمه الله [وهو كتاب التوحيد] , وما كتبه الإمام أحمد في الرد على الجهمية وغيرهم , وما كتبه بعد ذلك ابن تيميه رحمه الله وغيرهم , وهذه الكتب كلها أُلِفت دفاعاً عن العقيدة لا لتأسيس العقيدة , فالعقيدة موجودة من قبل وإنما للدفاع وتصفية العقيدة ولبيان المصطلحات الجديدة التي دخلت على المسلمين , وشوشت على العلماء وطلاب العلم . لم يُوفق المأمون العباسي كما قال ابن تيميه رحمه الله (لا أظنُ الله غافلاً عما فعل المأمون بعقيدة المسلمين) , هذا الرجل لما اقتنع بعقيدة الاعتزال بتأثير من بطانة السوء أراد أن يحمل العلماء والقضاة جميعاً على هذه العقيدة المنحرفة , منهم من جاء أَجَلُه قبل أن يُمتحن فمات , ومنهم من تظاهر أمامه بالموافقة وقلبه مطمئن بالإيمان , ومنهم من صمد وصارح وصدع بالحق وحُبِسَ وضُرِبَ وعُذِبَ , فأبقى الله ﷻ بجهاده على العقيدة السلفية إلا وهو الإمام أحمد رحمه الله ؛ لذلك أهل زمانه لقبوه بإمام أهل السنة وقامع البدعة [البداية والنهاية لابن كثير 14 / 207 وما بعدها] . من ذلك التأريخ تعرضت العقيدة الإسلامية للفتن والامتحان والتشويش , انتشرت عقيدة الاعتزال ثم تفرعت منها العقيدة الأشعرية والماتوريدية فغزت العالم الإسلامي . تظاهرت الأشعرية بأنها خصم للمعتزلة ؛ لذلك تبعها كثيرٌ من الناس فانتشرت في العالم . اضطُرَ علماء المسلمين من ذلك العصر إلى يومنا هذا لكتابة كتب ورسائل في رد الشبه والدفاع عن العقيدة , هذا سبب تأليف الكتب في العقيدة التي ندرسها , ومن تلكم الكتب كتيب صغير يسمى العقيدة الواسطية , فصار طلاب العلم بعد ذلك يدرسونها . من علماء العصر من شرحوا هذه العقيدة , شرحَها غير واحد , ولعل آخر من أخرج شرح , الدكتور الفوزان (في وقت الشيخ الجامي رحمه الله) , أحث طلاب العلم على اقتناء ذلك الكتاب وهو بالأسلوب العصري المناسب مع سلامة العقيدة .

ترجمة شيخ الإسلام رحمه الله لا حاجة لنا أن نذكرها ؛ لأنه معروف لدى الجميع ، وترجم له غير واحد (وعلى طلاب العلم دراسة تراجم علمائنا وأئمتنا كالأئمة الأربعة وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم من الذين ينهجون منهج السلف حتى يكونوا على بصيرة ، وحتى لا يشوش عليهم بعض المغرضين بأن يقولوا لهم هذه العقيدة التي تدرسونها عقيدة جديدة ، والقائلون أن منهج السلف وهذه العقيدة عقيدة جديدة ، نقول لهم هذه مغالطة ، ما هم عليه هو الجديد . بيان ذلك / العقيدة التي ندرسها هي التي كان عليها الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين بما في ذلك الأئمة الأربعة ، وهذه العقيدة التي يدرسها الخلف وأتباع الخلف التي تسمى العقيدة الأشعرية . متى عُرِفت ؟ عُرِفت في العهد العباسي ، الصحابة رضي الله عنهم وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيون إلى الخليفة السابع (المأمون) ، قبل ذلك ما كانوا يعرفون هذه العقيدة التي تسمى العقيدة الأشعرية ، إذن ما عليه القوم سواء كانوا أشعريين أو ماتوريديين أو معتزلة عقيدة محدَثة لا أصل لها ولا يعرفها سلف هذه الأمة :

كل خير في إتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مطلع رسالته الواسطية :

* " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " / هل البسملة آية في كل سورة ؟

المختار أنها آية مستقلة أُنزِلت للفصل بين السور وللتبرك بالابتداء بها . واتفقوا على أنها جزء آية من سورة النحل ، وعلى تركها في أول سورة براءة ؛ لأنها جُعِلت هي والأنفال كسورة واحدة .

* « بسم » / الباء للاستعانة ، عندما يقول المرء في أي عمل (بسم الله) ، فالباء تدل على الاستعانة . بسم : جار ومجرور ، عندما تقول (بسم الله) يقال الباء حرف جر والاسم مجرور بالباء . بم يتعلق الجار والمجرور ؟ بمحذوف ، هذا المحذوف لك أن تقدره فعلاً ولك أن تقدره اسماً ولك أن تقدره متقدماً ولك أن تقدره متأخراً . نختصر عندما تريد أن تقرأ تقول (بسم الله) يكون تقدير الكلام استعين بالله أو اقرأ مستعيناً باسم الله ، ولك أن تقدر قبل البسملة ولك أن تقدر بعد البسملة ، يكفي هذا المقدار؛ لأن الموضوع موضوع لغوي . واختُلِف في اشتقاق (الاسم) ، هل هو من السِمة أو من السمو ؟ اسم هل هو من السِمة وهي العلامة ؛ لأن الاسم علامة على مسماه ، أو من السمو وهو الارتفاع ؟ يجوز هذا وذاك . ثم هل الاسم والمسمى شئ واحد ؟ هل الاسم عين المسمى أو غير المسمى ؟ أرى تأخير هذا حتى ندخل في صميم الكتاب ؛ لأنه بحث له تعلق ببحث فلسفي قد يشوش على بعض الناس فلنأخره .

* « الله » / اسم (الله) مأخوذ إما من أَلَه يَأَله أو من أَلَه يِالَه ، والإلهية والألوهية بمعنى التعبد ، إذن الإله بمعنى المألوه المعبود ، فلفظة (إله) تطلق على الله خالق السماوات والأرض ، وتطلق على كل ما عُبد ومن عُبِد ؛ لذلك تقول لا إله إلا الله ، أما لفظ (الله) لا يطلق إلا على الله خالق السماوات والأرض . الإلهة كثيرة ، ألهه من الجمادات ، ألهه من الإنس والجن والشمس والقمر ، كل ماعُبِد ما دون الله ومن عُبِد من دون الله فهو إله ، لكن ألهتهم باطله ، ولفظ (الله) لا يطلق إلا على المعبود بحق وهو الله .

* « الرحمن الرحيم » / اسمان من أسماء الله .

الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا :

* « الحمد لله الذي أرسل رسوله .. » / هكذا بدأ الشيخ الإجابة على الرسالة .

* « الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ... » / وهل هناك دين غير هذا الدين ليظهره على الدين كله ؟ ، (الدين) كل ما يتدين به الإنسان ويتذلل له ويتعبد به فهو دين . ما كانت عليه قريش يسمى ديناً فهو دين الجاهلية دين العرب دين المشركين ، وما عليه الهندوك والبوذيون دين (دين أرضي) . وكل ما عدا الماركسيين الشيوعيين ومن عدا العلمانيين كلهم يدينون بدين . التدين بالدين في طبيعة البشر، سواء كان هذا الدين حقاً أو باطلاً إلا من ارتد بعد أن تفسد فطرته ؛ لأن الله ﷻ فطر العباد على التوحيد { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا {30} سورة الروم }، فالإنسان مفطور على التوحيد بمعنى لو أن مولوداً وُلِدَ وتُرِكَ بعيداً عن المؤثرات الخارجية سينشئ على التوحيد لا يعرف شركاً ولا كفراً ولا انحرافاً ولا إلحاداً "كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .." [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (1385) ومسلم برقم (2658)] ، الأصل التوحيد ، كل مولود مفطور على التوحيد ومجبول على توحيد الله ما لم يطرأ بالمؤثرات الخارجية شئ جديد (إلحاد وانحراف وكفر وشرك) ، هذه الملة التي ينادي بها بعض المنحرفين ملة الإلحاد وإنكار وجود الله وإنكار دين الله ملة الانحراف ، قوم أثرت فيهم البيئة التي نشأوا فيها والمؤثرات الخارجية فخرجوا على الطبيعة وإلا لو وجهت سؤالاً إلى بدوي في أعماق البادية لم يتصل بأحد قط إلا بمواشيه ولم تؤثر عليه مؤثرات خارجية لو سألته عن ربه لن يتردد سيقول الله ، ولو ضاعت ناقته لن يتردد ويقول يا رب ، من أين تعلم ؟ من الفطرة . دليل ذلك سؤال النبي ﷺ الجارية العجمية التي كانت ترعى غنم أهلها التي غضب عليها مولاها ذات مرة لسبب من الأسباب ، لطمها ثم ندم على لطمها ؛ لأنه لطمها على وجهها (اللطم في الوجه ممنوع شرعاً) " إذا ضرب أحدكم غلامه فلا يضرب الوجه ولا يقبحه ؛ لأن الله خلق آدم على صورته " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (2559) ومسلم

برقم (2613) , وتقبيح الوجه رواه عبد الرزاق عن أبي هريرة ﵁ أيضا برقم (17952) وأحمد (2 / 251) وصححه ابن حبان برقم (5680)] ، ثم ندم ثم جاء النبي ﷺ يستشيره في عتقها ، فأراد النبي ﷺ أن يعرف إيمانها من كفرها ، فدعاها فحضرت فاختبرها فسألها أين الله ؟ ولم تتردد الجارية الجاهلة التي بقيت على فطرتها في أن تقول في السماء وأشارت بإصبعها إلى السماء . [يأتي تخريج هذا الحديث] ، والأشاعرة الذين يستصعبون هذه الإشارة والإيمان بالعلو ، حكموا على الجارية بأنها مجنونة ، لكن على جنونها قالوا أشارت بيدها ولم تقل في السماء ولأنها أعجمية ، (فلتكن أعجمية لم تقل بلسانها) ولكن هل توافقون بأنها أشارت ؟ يكفي .

أريد أن أقول دليل الفطرة قبل أن يفسد يُدرِك به الإنسان وجود الله سبحانه وتعالى ويُدرِك بأن الله في العلو وأنه يُدعَى من فوق , لا تجد عربياً أو أعجمياً متعلماً أو غير متعلم إلا وهو يقول يا رب , وإذا نزلت نازلة بإنسان يلتفت قلبه إلى العلو قبل أن يرفع يديه , لا يمكن أن يلتفت يُمنة أو يُسرة هذا دليل الفطرة . فدليل الفطرة ودليل العقل والحس وأخذ الميثاق على العباد وهم في صلب آدم , كل ذلك مجتمعاً يشهد بأن الله موجود وأنه في العلو وأنه وحده هو المعبود سبحانه وتعالى . لكن هنا سؤال لو كان دليل العقل ودليل الفطرة وأخذ الميثاق على العباد لو كانت هذه المعاني والأدلة كافيه في أخذ الحجة على العباد لما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب , إذن هذه الأدلة عبارة عن تمهيد للفهم الصحيح العام والمعرفة الصحيحة ولتحقيق التوحيد بعد أن يُرسِل الله الرسل وأنزل الكتب ؛ لذلك يقول { لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً{28}سورة الفتح } .

* « وأشهد أن لا إله إلا الله » / كلمة التوحيد وكلمة الإسلام وكلمة الإيمان ، أصل الدين وأصل الإسلام وأصل الإيمان . ولكن الشأن كل الشأن أن تُفهَم هذه الكلمة ،

كل من ينتسب إلى الإسلام يقول أشهد أن لا إله إلا الله ولكنها لا تمنعهم من دعوة غير الله ومن الاستغاثة بغير الله ومن الذبح لغير الله ؛ بل من السجود لعتبة الشيخ ، قد يجلس في المسجد بعد الصلاة ويذكر الله بلا إله إلا الله مائة مرة ، فإذا خرج يريد أن يودع الشيخ فيسجد على عتبة الشيخ سجودٌ يضع جبهته على العتبة مودعاً الشيخ .
فإذا قلتَ له ، يقول هذه (مش) عبادة هذه محبة الصالحين ، لو كان يفهم معنى لا إله إلا الله لما خضع وتذلل لغير الله ؛ لأن معنى العبادة عند عوام المسلمين الصلاةُ والزكاةُ والصيامُ والحجُ وكفى ، (ولكن حقيقة العبادة غاية الذل مع غاية الحب) [العبودية لابن تيميه ص (44) , مدارج السالكين لابن القيم (1 / 74)]. من تذلل لغير الله كما يتذلل العبد لربه ﷻ وخضع وأحب غير الله كما يُحِبُ الواحدَ ربه فقد عبده (غاية الحب مع غاية الذل) ، كذلك يُعتَّبر السجود من أعظم أنواع العبادة ؛ لأنك في السجود حققت عبودية لا تحققها بغير السجود ، عندما تضع جبهتك أشرف عضو في جسمك تضعه موطأ رجلك على الأرض تذللاً لله ، لاحظ ما يقوله الإنسان في سجوده (سبحان ربي الأعلى) ؛ لئلا يخطر خاطر شيطاني أنما سجد لله لأن الله تحته ، نفياً لهذه التهمة وهذا الوهم شُرِع أن يقول العبد (سبحان ربي الأعلى) ، يقول النبي ﷺ " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد - قرباً معنوياً - فأكثروا من الدعاء فقمن أن يستجاب لكم " [أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (482)] , لأنه حقق العبودية تذللاً لربه ، ومن صرف هذا النوع لغير الله ناقض فعلُه قولَه .
* لا إله إلا اله لها شروط/ لا تكفي الكلمة الجوفاء ، العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والقبول والانقياد ، ولا يكفي المعرفة الجوفاء بدون شروط ، بدون علم وبدون أن تكون على يقين بأنه لا معبود بحق إلا الله وقبل أن تكون صادقاً مع الله ﷻ ودون أن تخلص لله العبادة وتقبل ما دلت عليه هذه الكلمة وتنقاد لمقتضاها ، ولا إله إلا الله كلمة عظيمة يجب أن تُفهَم كما فهمها من قبلنا واعتزوا بها .

* « الحمد » / هو الثناء الجميل , الفرق بين الحمد والشكر : الشكر لا يكون إلا في مقابلة نعمة ، والحمد أعم يكون في مقابلة نعمة وغير نعمة إلا إن الحمد لا يكون إلا باللسان ، والشكر يكون باللسان وبالفعل وبالقلب ، يشكر العبد ربه لنعمه بلسانه ويشكره بقلبه بأن يتذكر نعمه العظيمة عليه ويتواضع له ويعظمه وهذا نوع من الشكر ولا يسمى حمداً ، ويشكره بفعله بأن ينفق مما منَّ الله عليه من علمٍ ومالٍ وصحةٍ وقوةٍ في مرضات الله ، إذا بذل العبد في سبيل الله وفي سبيل مرضاته علمه وقوته وشجاعته ونشاطه وماله شكر الله بأعماله وشكره بلسانه وشكره بقلبه . فباعتبار الآلة فالشكر أعم ؛ لأن الحمد لا يكون إلا باللسان ، وباعتبار المتعلَق الحمد أعم ؛ لأن الحمد في مقابلة نعمة وبغير مقابلة نعمة . (أل) في الحمد للجنس جنس الحمد ، أنواع الحمد لله , وفيها معنى الحصر ، وما يُحمَد به كل محمود وما يُشكَر عليه كل مشكور, كل ذلك في الحقيقة لله ﷻ فالله هو المنعم المتفضل .

* « الذي أرسل رسوله » / الرسول المعهود محمد ﷺ بالهدى ، الرسول من بعثه الله برسالةٍ مستقلة مُؤسِسة ليعمل بها ويدعو إليها , وأما النبي من بعثه الله ليجدد رسالة من قبله ويعمل بكتاب من قبله فليس له كتاب مستقل (فالرسول له كتاب مستقل ورسالة مستقلة ، الرسول مُؤسِس والنبي مُؤيِد ومُؤكِد) , ككثير من أنبياء بني إسرائيل كلهم على شريعة التوراة والإنجيل فمع كثرتهم ليس لهم كتب وإنما يعملون بشريعة التوراة والإنجيل , ورسولنا محمد ﷺ نبي الله ورسوله له رسالة مستقلة عامة شاملة عالمية .

* « بالهدى » / ليهدي الناس , والهداية هنا الهداية العامة التي يملكها رسول الله ﷺ وأتباعه وجميع المصلحين والمجددين يهدون الناس , الهداية التي بمعنى البيان والإرشاد والدلالة { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{52}سورة الشورى } , هنا مؤكدات (إن , ولام التأكيد) وقد هدى الناس ؛ لأنه دعاهم إلى الهدى وبيّن لهم ما ينفعهم وما

يضرهم وما يقربهم إلى وما يبعدهم عن الله – هذا معنى الهداية – وهناك هداية نُفيت عن رسول الله ﷺ تلك الهداية الخاصة التي لا يملكها إلا رب العالمين , الله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء هذه الهداية هي التي نفاها الله عن نبيه وخليله وحبيبه محمد ﷺ . وفي قوله { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ{56}سورة القصص } وذلك في قصة أبي طالب , كان رسول الله ﷺ قد هدى أبا طالب هداه وبيَّن له دين الحق الذي جاء به من عند الله ﷻ , وأبو طالب اعترف أنه عرف دين محمد ﷺ وأنه خير الأديان بهذه الهداية هداه , ولكنه عجز عن هداية قلبه هداية التوفيق والإلهام , وأبو طالب كما يعلم طلاب العلم يعترف أن الدين الذي جاء به محمد ﷺ من خير أديان البرية لهذا يقول :

ولقد علمتُ أن دين محمد من خير

أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني

سمحاً بذك مبيناً

هذا أبو طالب الذي مات على الكفر على ملة عبد المطلب , وقد كان النبي ﷺ مهتماً بإيمانه ؛ لأن الرجل وقف مع النبي ﷺ موقفاً لم يقفه أحد إلا خديجة رضي الله عنها , وكان يؤيده ويستميت في سبيل نصرته ويدافع عنه وكان يحب النبي ﷺ محبة شخصية ذاتية قرابية لا محبة دينية شرعية , انتبهوا لهذه النقطة وهي مهمة , محبة رسول الله ﷺ إن كانت شخصية ذاتية للقرابة أو لكونه عبقرياً (كما يطلق عليه البعض) ولم تقترن مع هذه المحبة المحبة الشرعية فهي لا تجدي وحدها , لا تنفع النفع العام , أبو طالب يحب رسول الله ﷺ ويحترمه ويعظمه ويدافع عنه لقرابته لا لأنه رسول الله , من هنا لم تنفعه هذه المحبة في تخليصه من النار . فمن هنا نعلم أن الإيمان أمرٌ زائدٌ على المعرفة , أبو طالب يعرف أنه رسول الله وأن دينه الحق ولكنه لم يؤمن , لا يلزم من المعرفة الإيمان ؛

لذلك حُكِم على الجهم بن صفوان أنه من أجهل الناس ومن أكفر الناس , الإيمان عند الجهم المعرفة , والكفر الجهل . وهل هناك أجهل بالله من جهم بن صفوان ؟ لا ؛ لأنه لم يثبت لله إلا الوجود الذهني . فالشاهد أبو طالب يعرف صحة دين محمد ﷺ وأنه رسول الله لكنه لم يؤمن خوف المسبة وخوف الملامة واعترف بذلك وأعلن عندما كان رسول الله ﷺ يقول له " يا عم قل لا إله إلا الله محمد رسول الله كلمة أحاج لك بها عند الله فينظر في صناديد قريش المحيطين به فيقولون لا على ملة عبد المطلب , فيعيد النبي ﷺ هذا التلقين ويعيدون المعارضة فيعيد النبي ﷺ ويكررون عليه المعارضة , و أخيراً قال على ملة عبد المطلب فمات " [أخرجه البخاري عن المسيب بن حزن رضي الله عنه برقم (4772) ومسلم برقم (24)] , وحَزِنَ لذلك النبي ﷺ فالله عز وجل خاطبه { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ{56}سورة القصص } , أي الهدايتين ؟ هداية التوفيق والإلهام وهداية القلب , لكنه هداه هداية الإرشاد والتعليم والبيان . فالنبي ﷺ هدى جميع الناس إما مباشرة بالنسبة لمن لحقهم أو بواسطة أصحابه رضي الله عنهم والدعاة الذين من بعده وبالكتاب الذي أُنزِل عليه .

* « ودين الحق » / الإضافة تحتمل أن تكون إضافة بيانية أي بدين هو الحق , أو من باب إضافة الموصوف إلى الصفة أي الدين الموصوف بأنه الحق , والخلاف لفظي .

فدين رسول الله ﷺ هو الحق وحده ولا حق سواه , الأديان السماوية الأولى متفقة معه من عند الله إلا أنها نُسِخت بعد بعثه ﷺ فلا يجوز إتباعها فهي وإن كان الزبور والتوراة والإنجيل من عند الله من كلام الله لكن الله عز وجل يعلم عندما أنزل تلك الكتب أنها رسائل مؤقتة لقوم معينين ولفترة معينة ؛ لذلك ينسخ كل رسالة برسالة . ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يختم الرسالات كلها اختار من بين أهل مكة ومن شعاب مكة طفلاً يتيماً رعاه ورباه تربية خاصة وهيأه لهذا الأمر العظيم وأظهر له إرهاصات عجيبة وحب

إليه الخَلَوة والعزلة وأن يبتعد من حضور مجالس شباب قريش التي لا تليق بالشرف , هكذا رباه وأدبه وأحسن تأديبه وهيأه لهذه الرسالة العامة للإنس والجن , وهكذا ختم الله بمحمد ﷺ وجعله خاتم النبيين , فدينه مُؤيد للرسالات كلها ومهيمن عليها ومتفق معها في الأصول و إن كان الله ﷻ جعل لكل أمة شرعة ومنهاجاً .

* « ليظهره على الدين كله » / ليعلو هذا الدين ويغلب جميع الأديان , بحيث لا يُتبع دينٌ سواه , ومن اتبع دين سواه فهو كافر , ولا يسع أحدٌ بعد بعثة النبي ﷺ عربياً أو أعجمياً , يهودياً أو نصرانياً , أنسياً أو جنياً إلا إتباع محمد ﷺ , هكذا أراد الله ﷻ بالإرادة الشرعية , ومن الناس من أراد الله بالإرادة الشرعية والكونية واتبع , ومنهم من أراد الله منهم بالإرادة الشرعية ولم تسبق في حقه الإرادة الكونية فعصى ولم يتبع , فتجتمع الإرادة الكونية الشرعية في حق المؤمنين المطيعين .

* « وكفى بالله شهيداً » / على صدق رسالته وعلى أحقية دينه , وعباد الله الصالحون شهدوا أيضاً . واستشهد الرسول ﷺ الصحابة ﷺ ليقيم عليهم الحجة في حجة الوداع في آخر خطبة , " قال لهم أنتم مسؤلون عني . فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد بأنك بلغت ونصحت , فقال النبي ﷺ اللهم اشهد ثلاث مرات " [أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه (1218)] يشير إلى الله سبحانه وتعالى إلى الذي فوقه وفوق جميع المخلوقات ثم ينكت الإصبع ليُشهد عليهم ربه ليشهدوا له , ونحن نشهد معهم أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة .

وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا :

* « واشهد أن لا إله إلا الله » / لا : نافية للجنس , إله : اسم لا, والخبر محذوف يجب تقديره كالآتي لا إله بحق إلا الله أو لا إله حق إلا الله ؛ لأن الآلهه كثيرة , أي لا

معبود بحق إلا الله , هذه الكلمة يجب أن يُعرَف معناها , وقد جهل معناها وحرّف معناها علماء الكلام عندما فسروا الكلمة لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا معطي ولا مانع ولا نافع ولا ضار إلا الله , فهو توحيد اتفق عليه أهل الدنيا كلها حتى الكفار , وأشد الناس كفراً الذين عارضوا رسالة محمد ﷺ واستحل دمائهم وأموالهم وحاربهم وحاربوه كفار قريش يؤمنون بأن الله وحده هو الخالق الرازق مدبر الأمور يشهدون بهذا , لكن عارضوه لماذا يجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ لماذا لا يترك لهم الحرية يعبدون خالق السماوات والأرض ويطلبون منه الرزق ويعبدون معه آلهه صغار على وجه الأرض اللات ومناة والعزى وهُبل ؟ لا أنها تخلق أو ترزق أو تنفع أو تضر ولكنها وسائط وشفعاء تقربهم إلى الله زلفى , استغربوا واستبعدوا أن يكون المعبود واحد . أما كون الخالق واحد لم يستبعدوا ولم يستغربوا آمنوا بأن خالق السماوات والأرض هو الخالق وحده وهو الرازق وحده وهو الذي يُرجى في الملِمات , ولكن الآلهة الصغار لابد منها – وسائط – هذا هو دين قريش . وإذا جاء علماء الكلام بعد فترة طويلة فغيروا معنى لا إله إلا الله فقالوا لا خالق إلا الله ارتكبوا خطاءين : الأول تفسير إله بالرب هذا خطأ لغة ؛ لأن إله في اللغة بمعنى مألوه معبود إذن حرفوا اللغة , ومن حيث المعنى الشرعي : التوحيد الذي جاء به رسول الله ﷺ ومن قبله من الرسل عليهم السلام توحيد العبادة , وتوحيد الربوبية معلوم , والعباد مفطورون عليه , ويكون معنى الكلمة على هذا لا معبود بحق إلا الله , ومن يؤمن بأنه لا خالق إلا الله وحده ولكنه يعبد مع الخالق غير الخالق مخلوقاً صالحاً أو طالحاً شجراً أو حجراً جنياً أو أنسياً شمساً أو قمراً أو ملكاً فهو كافر مشرك لا ينفعه إيمانه بأنه لا خالق إلا الله , كيف ينفعه ولم ينفع من قبله ؟! الكفار المتفَق على كفرهم يؤمنون هذا الإيمان ولكن يشركون بالله , وربما موقفهم من الشرك أخف من موقف المنتسبين للإسلام اليوم الذين يقعون في الشرك كثيراً , أولئك في وقت الشدة إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين , وقت الشدة يخلصون له العبادة يعلمون أن

هذه الآلهة المصنوعة اللات والعزى ومناة وهُبل وغيرها لا تنفع لا تنجيهم من الغرق ويدعون خالق السماوات والأرض ويؤمنون أنه يُدعى من فوق ؛ ولكن نأسف مما يقع من المنتسبين للإسلام اليوم إذا ركبوا في الفلك وإذا خافوا الغرق وإذا اشتدت بهم الأمور التجاوا إلى أصحاب القبور وتركوا رب العالمين وهذا شئ مشاهد , يعتقد العاملون في البحر أن في البحر شيخاً خاصاً يحفظ البواخر وعند الخوف من الغرق لا تدعى حتى الآلهة التي في البر يدعى شيخ البحر ! لستُ أدري من زيَّن لهم وجود شيخ في البحر , وماذا يصنع في البحر ؟! يا سبحان الله. وفي البر علمنا إن آلهتهم هي الأضرحة والمشاهد وقبور الصالحين , ليس في البحر شئ من ذلك لكن الشيطان زيِّن لهم .

أخبرني ثقةٌ أنهم خافوا من الغرق في سفينة عادية قديمة التي تعمل بالشُرع , انكسر العمود وسقط في البحر وبقيت السفينة تتقلب وتضطرب فأدخلوا الركاب الجدد في مكان أسفل السفينة ؛ لئلا يصابوا في عقولهم من شدة الخوف , فجعل صاحب السفينة ومن معه ينادون يا شيخ البحر , يقول لم يسمع أحداً يقول يا الله إلا دعوة الشيخ ودعوة الولي ودعوة الصالحين – موقف أسوء من موقف كفار قريش – عندما أقول هذا الكلام أحكي الواقع , ولكن هذا الواقع في جانب معين , وإن كان المتأخرين ليسوا أسوء من كفار قريش من كل وجه ؛ لأن كفار قريش لم يؤمنوا بالرسول وهؤلاء آمنوا بالرسول وبالقرآن بالجملة ويؤمنون بالبعث بعد الموت وإذا ذُكِروا بالله تذكروا ويخافون ويرهبون ويؤمنون بالجنة والنار ويؤمنون بأشياء كثيرة يكفر بها كفار قريش وذلك حتى نكون منصفين , أما في الدعوة والالتجاء فهم أسوء حالاً من كفار قريش , لكن القوم أُتوا من الجهل ؛ لذلك يجب على طلاب العلم أن ينبهوا عوام المسلمين على هذه النقطة وهذه النقطة ليست خاصة بأصحاب البحر , موجودة في البيوت هنا , عندما يمرض الولد وعندما تشتد الأمور بعض الناس كأنه يرى الفرج من طريق الشيخ أقرب , يترك رب العالمين سبحانه ويلجأ إلى الشيخ : يا شيخ ما أتخذناك إلا لهذا اليوم ,

يا شيخ اليوم , اليوم اليوم يا شيخ , يا سيدي يا فلان اليوم , هذا كفر بواح لولا أننا نلتمس لهم الأعذار بالجهل ولولا أننا نلتمس الأعذار بالشبهة , ما هي الشبهة ؟ وجود علماء السوء الذين يزينون للعوام أن دعوة الصالحين والاستغاثة بهم والذبح لهم والنذر لهم ليس من العبادة , ليس شئ من ذلك من العبادة وإنما ذلك من محبة الصالحين , وجود أمثال هؤلاء – لا كثر الله وجودهم بين المسلمين – شبهة قائمة للعوام ؛ لأنهم هم الذين يعيشون بين الناس , وغيرهم قد لا يختلطون بالعوام , وهم الذين يفسرون لهم الدين على هواهم , وهؤلاء لا يتصلون بأهل العلم لذلك نرجو أن يُعذَر هؤلاء , ولكن ليس معنى ذلك أن يُتركوا بل يجب أن يُعلَموا.

* لا إله إلا الله / تحقيق هذه الكلمة بمعرفة معناها الحق وإعرابها وشروطها , من حيث التفسير فخير تفسير لهذه الكلمة في سورة البقرة {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ {256}} , أي لابد أن تجمع بين الكفر والإيمان , إذا أردتَ تحقيق هذه الكلمة فسرها بالقرآن , راجع فتح المجيد في باب تفسير لا إله إلا الله [ص (123)] , حتى في الترتيب , أي تقديم الكفر على الإيمان وتقديم السلب على الإيجاب وتقديم النفي أو النهي على الإثبات , فلابد من الجمع بين الأمرين .

الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع. [تعريف ابن القيم , ذكره في إعلام الموقعين (1 / 50)] حد العبد بصفته عبداً أن يعبد ربه وخالقه وولي نعمته ولا يشرك به شيئا و إن خرج عن هذا الحد بأن عبد معه غيره أو دونه غيره وصرف شيئا من العبادة لغير الله تعالى فلم يكفر بالطاغوت واتبع مُشرِعاً , مَن سموهم بعلماء التشريع الذين يُشرِعون القوانين ويصدرون الأحكام فيجعلون بدل القتل والجلد والقطع أحكاماً أخرى من السجن المؤبد أو مدى الحياة والأعمال الشاقة وغير ذلك من الأحكام التي غيَّرت أحكام الله تعالى , من اتبع رجال القانون الذين

أطلقوا عليهم رجال التشريع في هذه الأحكام في التحليل والتحريم وتغيير الأحكام فقد اتخذه طاغوتاً فيكفر بذلك ؛ لأن هذا نوع من العبادة , ومن ادعى بأنه شيخ أو شيخ طريقة واتبعه في ترك الشريعة وإتباع الحقيقة وقال له الشيخ أن الشريعة قشور لا يقف عندها إلا من لم يصل إلى الله , أما الواصلون إلى الله والعارفون بالله فقد تجاوزوا الشريعة إلى الحقيقة , الحقيقة التي تُعرَف وتُعلَم من العلم الباطن التي تُؤخذ من اللوح المحفوظ مباشرة دون المرور على الرسول ﷺ ، فمن صدق هؤلاء واتبعهم فقد عبد الطاغوت , فهؤلاء طواغيت . إذن لابد من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله معاً , والإيمان بالله وحده دون الكفر بالطاغوت لا يفيد , وهذا معنى قولك أيها الموحد اشهد أن لا إله إلا الله , قدمت النفي على الإثبات , لا معبود بحق إلا الله , لا مشرع ومعبود إلا الله وحده .

* « وحده لا شريك له » / توكيد للا إله إلا الله والتوحيد .

* « إقراراً به » / إقراراً بوجوده , مستدلاً بوجوده سبحانه على وجود نفسه , كما شرحنا فيما مضى .

* « وتوحيداً » / إفراداً له في عبادته سبحانه .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا :

* « وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » / محمد عبد الله , قدم الشيخ كلمة (عبده) تأسياً بكتاب الله تعالى ؛ لأن كتاب الله وصف محمداً ﷺ بالعبودية في أماكن ومقامات عظيمة { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{1} سورة الإسراء } ولم يقل برسوله أو نبيه . {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا{1}سورة الكهف} , فهذا مقام إنزال الكتاب مقام التشريف , ومقام الإسراء والمعراج أعظم معجزة لرسول الله ﷺ بعد القرآن الكريم , في هذا المقام وصفه بالعبودية

مقام عظيم , بشر مثلنا يأكل ويشرب ويسافر إلى بيت المقدس ويُستقبَل هناك من الأنبياء الذين ماتوا قبله يحييهم الله ﷻ ويجمعهم في بيت المقدس فيصلي ويكتسب لقب إمام المرسلين " ثم يُعرَج به إلى حيث لم يصل قبله مخلوق أبداً حتى جبريل عليه السلام الذي كان يفتتح السماوات حيث وقف عند سدرة المنتهى , والنبي ﷺ وصل حيث يسمع صريف الأقلام التي يكتب بها الملائكة مقادير العباد وخاطبه ربه ﷻ مباشرة بينما كان يخاطبه بواسطة جبريل عليه السلام خاطبه هناك بدون مباشرة وأوجب عليه الصلوات ثم عاد إلى مكة " [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (3207) ومسلم برقم (162)] . فقد حقق العبودية لربه على أكمل حال فعبد ربه حق العبادة واستحق هذا اللقب العظيم .

* « عبده ورسوله » / الرسول طالما أنه مُرسَل من عند الله تعالى , فأنت تؤمن بالله , يجب أن تطيع رسول الله ولا تعصه ويجب أن تتبعه ويجب ألا تشق طريقاً إلى الله ﷻ إلا بما جاء به ﷺ .

* « مزيداً » / أي زائداً .

أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: وَهُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ :

* « أما بعد » / من هنا نشرع بالمقصود .

* « فهذا » / هذه الديباجة إذا كانت بعد كتابة هذا الكتاب يكون المشار إليه هذا الكتاب المحسوس الموجود , وإذا كانت كُتِبت قبل كتابة هذا الكتاب يكون المشار إليه ما في ذهنه من المعلومات والعقيدة التي سوف يتحدث عنها .

* « اعتقاد الفرقة الناجية » / أي ما تعتقده الفرقة الناجية في كتاب الله وفي رسل الله

وفي الملائكة وفي اليوم الآخر إلى آخر ما سيأتي .   الفرقة : الطائفة , وهذه العبارة قد تشير إلى قلة عددهم ؛ لأن هذه الفرقة تكثر أحياناً وتقل أحياناً , فكانت كثيرة في عهد الصحابةﷺ وهم السواد الأعظم , وكثيرة حتى في عهد الأمويين وبدأوا يقلون بدء من العهد العباسي إلى يوم الناس هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين , " وما من عام إلا والذي بعده شر منه " [أخرجه البخاري عن أنس ﷺ برقم (7068)] , الفرقة تقل لكنها لا تنعدم ولا تزول , وقد تقل في مكان وتكثر في مكان , وفي قطر من الأقطار تُعد بالعشرات وفي قطر آخر بالمئات وفي آخر بالآلاف , وهم نُزاع القبائل من هنا وهناك , إذا ضمننا هذه الطوائف الضعيفة المستضعَفة المنتشرة في العالم اليوم التي إذا غابت لا أحد يسأل عنها وإذا حضرت لا يُستشهَد بهم – دراويش – إذا جمعنا هؤلاء إلى السواد الأعظم في صدر الإسلام في أيام عز الإسلام هم الذين يُكَّونون السواد الأعظم ؛ (لذلك لا تغتروا اليوم بكثرة الهالكين المخالفين لهذه الفرقة ولا تستوحشوا بقلة السالكين لطريق هذه الفرقة) [هذا الأثر ورد عن الأوزاعي والفضيل بن عياض , الاعتصام للشاطبي (1 /112)] , والطريق مسلوك وواضح لكن مع وضوحه قد يترك هذا الطريق كثير من الناس ويخرجون إلى بُنيات الطريق إلى الأزِقة , يتركون المنهج الواضح " تركتكم على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك " [أخرجه ابن ماجه في المقدمة عن أبي الدرداء ﷺ برقم (5) , حسنة المنذري في الترغيب (1 / 88) وصححه الألباني في تحقيقه للسنة لابن أبي عاصم (1 / 26 , 27)] , ماذا تقول فيمن يترك هذه الأنوار ويستأنس أن يجلس في الظلام ومن يترك الجادة فيأخذ سيارته ويسافر في بنيات الطريق فيترك الشارع المعبَّد ويدخل في الأزِقة الملتوية المسدودة أحياناً ؟! هلاك , لكن الهداية بيد الله تعالى .

* « الناجية » / وصْف الشيخ أنها ناجية يشير إلى قول النبي ﷺ " لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك " [أخرجه البخاري عن المغيرة رضي الله عنه برقم (3640) , وعن معاوية رضي الله عنه برقم (3641) , ومسلم عن ثوبان رضي الله عنه برقم (1920) , وعن جابر رضي الله عنه برقم (1923) , وعن المغيرة رضي الله عنه برقم (1921) , وعن معاوية رضي الله عنه برقم (1037) بألفاظ متقاربة] , قد يحاول جمهور الناس إلحاق الضرر بهم وخذلانهم وتُشَرد الناس من عقيدتهم وتشوه عقيدتهم ويعملون ضدهم ويشيعون الدعايات والإشاعات ضدهم , فكل ذلك لا يضرهم , يثبتون لأن الله تعالى يثبتهم . فالفرقة الناجية هي التي تنجو من الضلال والأهواء في هذه الدنيا ومن سخط الله وغضبه ومن النار في الآخرة .

* المنصورة : التي ينصرها الله من عنده , قد ينصرهم بالكفار والفجار " إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (3062) ومسلم برقم (111)] , فأحياناً يقيض الله لهذا الدين مؤازراً صالحاً قوياً يؤازره , وقد يقيض له فاجراً ينصره , هذا الحديث له قصة في رجل في بعض المواقف والغزوات جعل يُقاتل ببسالة شجاعة ويتقدم , وأَعجَب الصحابة رضي الله عنهم وأخبروا رسول الله ﷺ ما يفعل هذا البطل , فالنبي ﷺ قال كلمة عجيبة ﷺ قال " هو في النار " اندهش الصحابة رضي الله عنهم فتتبعوا فوجدوه ميتاً , فأخبروا رسول الله ﷺ قال هو في النار , يقول الراوي الصحابي رضي الله عنه حتى ارتاب بعض الناس , كيف رسول الله ﷺ مرتين يقول إنه في النار في أول الوقعة وبعد أن قُتِل؟! كانوا يحسبون أنه قُتِل وهو يجاهد ولما تتبعوا فإذا هو جُرِح ولم يصبر واتكأ على سيفه فقتل نفسه , فأُخبِرَ النبي ﷺ بهذا الواقع فقال الله أكبر أشهد أني رسول الله فإذّن يا بلال في الناس بأنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأنَّ هذا في النار . دليل على أنه كفر أو أنه كان كافراً ثم قال ﷺ " إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " ؛ لأنه قاتل وقتل كثير من المشركين . وهذا لولا خشية الإطالة بسرد القصص

أشياء موجودة الآن وملموسة في عالمنا هذا , كيف يُنصَر هذا الدين بالكافر والكفار وهم لا يعلمون , أشياء مشاهدة نشاهدها ونعلمها تصديقاً لكلام رسول الله ﷺ .

فالفرقة الناجية ينصرهم الله ﷻ كيف يشاء .

وسنة الله في نصرة الحق : لابد لظهور الحق ولبقائه بين الناس لابد من رجلين اثنين معاً , داعية فهيم يصدع بالحق ويجهر به لا يداهن ولا ينافق والرجل الثاني المؤازر القوي المدافع للحق وينصر الحق ويؤيد هـ ويتبناه , إذا نظرنا إلى هدي الرسول ﷺ وجدنا إنه كان يقول " من يحميني حتى أبلغ دين الله " [أخرجه أحمد عن جابر رضي الله عنه (3 / 322) وأبو داوود برقم (4719) والترمذي برقم (3093) وابن ماجه برقم (201) والحاكم (2 / 681) وابن حبان برقم (6241) والدارمي برقم (1357), صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (63)] , وكان يعرض نفسه على القبائل .

إذا تتبعنا تأريخ المجددين المصلحين من قيض الله له مؤازراً قوياً هو الذي ظهرت دعوته وتجديده وانتشر الحق بين الناس , ومن لم يقيض الله له ناصراً يكون الحق خافتاً غير ظاهر وغير منتشر بين الناس , الإمام أحمد رحمه الله داعية إمام جهر بالحق وعُذِبَ لأجل الحق ولكن لم يقيض الله له مؤازراً , الدولة تعاديه فدعوته لم تنتشر ولم تظهر, بل عاش السلفيون ضِعافاً منتشرين في زوايا الدنيا حتى جُهِلَ منهج السلف , وكانوا يقولون لمن ينهج منهج السلف أنه حنبلي لا يعرفون أكثر من هذا , وكذلك حصل في تجديد الإمام تقي الدين ابن تيميه رحمه الله وإن كان الحال أحسن من حال الإمام أحمد رحمه الله ؛ لأنه كان بطلاً مجاهداً له شعبية لكثرة جهاده ومشاركته في قتال التتار وإن كان لم يُعذَب كما عُذِب الإمام أحمد ولكن ابن تيميه عُذِبَ بالسجن والإبعاد ولم يُقيَض لتجديده المؤازر القوي فعاشت كتبه بعيدة عن الناس حتى أصبحت تلك الكتب

الكثيرة مكتبة عظيمة تركها , صارت مهجورة لا يجوز طبعها فضلاً أن يُقرأ أو يُنظر فيها , عاشت مهاجرة إلى بلاد الكفر إلى أن ظهر التجديد الثالث الذي قيض الله له رجلاً مؤازراً قوياً يتبنى دعوته واستفاد التجديد الأول والثاني من التجديد الثالث , وها هي الكتب التي ندرسها من آثار إحياء التراث الإسلامي , وطُبِعت في التجديد الثالث أول ما طُبِعت في مكتبة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة , قام على ذلك الشيخ حامد الفقي رحمه الله .

* « إلى قيام الساعة » / أبشروا بخير ؛ لأن هذه الفرقة تبقى منصورة مؤيدة من عند الله ﷻ إلى قيام الساعة . والمراد بقيام الساعة / أي قرب الساعة ؛ لأنه قبل قيام الساعة " يبعث الله ريحاً باردة طيبة تقبض أرواح الموحدين (أرواح الفرقة الناجية) حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق " [سبق تخريجه] , ولكن إلى ذلك الوقت تكثر في مكان وتقل في مكان ومن له اتصال بالعالم اليوم يعلم مواقعها : أين تكثر وأين تقل .

* « أهل السنة والجماعة » / هذه الفرقة تُسمى بهذا الاسم , وقد سرق هذا اللقب بعض أهل الكلام وألصقوه بأنفسهم وهم الأشاعرة , وقد كذبوا ليسوا بصادقين ؛ لأن أهل السنة والجماعة (الفرقة الناجية , الجماعة) التي كانت وبقيت على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء " [أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (145)] , تفصيل الغرباء " الذين يصلحون حين يفسد الناس (وهذه أقل أحوالهم) أو الذين يُصلِحون ما أفسد الناس من أمور الدين " [أخرجه أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه (4 / 74) , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1273)] , الذين يُحيون سنة رسول الله ﷺ حين غربتها ."ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ,قالوا ومن هي يا

رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي (وفي رواية الجماعة) " [أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه (2 / 332) وأبو داوود برقم (4583) والترمذي برقم (2778) وابن ماجه برقم (3991) وغيرهم , ورواه أحمد عن معاوية رضي الله عنه (4 / 102) وأبو داوود برقم (4584) وغيرهم , ورواه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه برقم (3992) وغيره , ورواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما برقم (2779) وغيره , ورواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه (10 / 171) والحاكم (2 / 522) وغيرهم , ورواه ابن أبي عاصم في السنة عن أبي أمامة رضي الله عنه (1 / 25) ورواه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (2 / 467) وغيره , صحح الحديث ابن تيميه في الفتاوى (16 / 461) والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (203 , 204) وغيرهم] , وفي تفسير لهذه الفرقة : هي الجماعة وهي التي اجتمعت على الحق الصريح ودعت للحق وقامت بالحق ونصرت الحق , ونطق بهم الكتاب وبه نطقوا ، الجماعة الأولى جماعة الصحابة رضي الله عنهم , لا يُلبِس عليك بعض الملبسين فيقول نحن الجماعة , نحن اليوم لقينا الجماعة حتى في أوروبا جماعة اسمها جماعة الأوربيين , إذا كنا نغتر بكلمة الجماعة , هل الجماعة الأوربية على الحق ؟ لفظة الجماعة لا تغتروا بها , انظروا ما تحتها على ما اجتمعت ؟ الجماعة الأوربية اجتمعت على مصالحها وإن توسعنا كثير على مصالح العالم , لكن هذه الجماعة على ما اجتمعت ؟ على الانتصار لشيخهم وصاحب الطريقة وصاحب الانتماء على المبايعة على المجهول المعدوم الذي لا وجود له , اجتمعوا على ذلك وتعاونوا على ذلك وبايعوا على ذلك , ماذا يفيد هذا الاجتماع ؟! لا يفيد شيئا. وقد اجتمعت الروافض على إتباع صاحب السرداب المعدوم الذي لم يُخلَق قط , قالوا في السرداب لكنهم أقل غموضاً ؛ لأنهم عينوا لصاحبهم سرداباً معيناً , والقوم هنا لم يعينوا لمن يبايعونه أين هو ؟ في أي مكان ؟ لا وجود له . نحن أصحاب المعاني لسنا أصحاب الألفاظ الجوفاء التي لا تُجدي , انظر إلى المعنى على ما اجتمعت

الجماعة الأولى , اجتمعت على ما جاء به رسول الله ﷺ وعلى النصرة لدين الله تعالى والدعوة إلى الله والتمسك بكتاب الله وبهدي رسول الله ﷺ , الجماعة هي الفرقة الناجية , الحديث يفسر بعضه بعضا (من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي) , بعد هذه التفاصيل الواضحة يغتر شبابنا بهذه الدعايات والانتماءات ويتشوشون ويتطرفون ويعادي بعضهم بعضا على حساب الانتماءات بعد أن كانوا على كلمة واحدة على منهج واحد , يجب على الدعاة التنبيه على هذا الشر وتحذير الشباب ؛ لئلا يفترقوا وليبقوا مع الفرقة الناجية أهل السنة , ولقب أهل السنة ولقب السلف اصطلح عُرِفَ بعد أن انقرض السلف الأول وفي زمن الأهواء من بقي على منهج السلف قيل هذا سلفي وهذا أثري وهذا من أهل السنة والجماعة , هكذا اصطلحوا وهذا الاصطلاح يجب أن يبقى (أهل السنة ، السلف الصالح ، الفرقة الناجية) ليس لهم إمام ينتمون إليه إلا لمحمد ﷺ لا يتعصبون لإمام ولا لمذهب فهو إمامهم وقائدهم ومعلمهم , أما الأئمة الذين جددوا هذه الملة ودعوا إلى إحيائها فهم دعاة إلى الحق ولم يدعوا الناس إلى الانتماء إليهم , لم يوجد من أئمة الهدى من دعا الناس إلى الانتساب إليه .

السنة : الطريقة ، وأهل السنة المتبعون لطريقة الرسول ﷺ ولِما كانت عليه الجماعة الأولى جماعة الصحابة ﷺ وذلك هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت , هذه أصول الإيمان وتسمى أركان الإيمان الستة .

* « الإيمان بالله » / الإيمان لغة : مجرد التصديق , والمعنى اللغوي غالباً يكون أعم من المعنى الاصطلاحي أو المعنى الشرعي , من باب التوضيح الصيام لغة مجرد الإمساك , أمسَك عن الكلام يقال له صائم أمسَك عن الطعام والشراب يقال له صائم , فكل من أمسَك عن شئ يقال له صائم في اللغة , لكن الصيام في الاصطلاح إمساك مخصوص وقت مخصوص عن أشياء مخصوصة في زمن مخصوص , فهو أخص من المعنى اللغوي .

في الشرع والاصطلاح : هو التصديق الخالص أو المختص , وذلك التصديق الذي تشهد له أعمال الجوارح والنطق بالشهادتين , فليس كل من أدعى أنه مُصدِق يُصدَق حتى يُصدِق تصديقه تصديقٌ آخر وهو التصديق العلمي والتصديق القولي ، أي من صدق في تصديقه القلبي وجدتَ آثار ذلك في أعماله , نجد أنه يعمل بجوارحه بكل ما جاء به رسول الله ﷺ سلباً وإيجاباً يعمل المأمور به وينتهي عن المنهي عنه وهذا يصدق تصديقه القلبي صادق , وبدون هذا دعوى التصديق لا تقبل .

بعض الناس إذا أُمِر بالمعروف ونُهي عن المنكر يقول الإيمان هنا أي بالقلب ولا يعمل ولا ينتهي ولا يأتمر , نقول هذه الدعوى ليست صادقة ولو كان قلبك عامراً بالتصديق والإيمان بالله وتعظيم الله تعالى وتعظيم شرع الله ومحبة رسول الله ﷺ ومحبة الدين الإسلامي لبادرت إلى امتثال المأمورات والانتهاء عن المنهيات ؛ لذلك عرفه جمهور العلماء : التصديق بالقلب والعمل بالجوارح والقول باللسان (لا إله إلا الله محمد رسول الله) , ويَعرِف بقلبه ولا يُكذب أي خبر من أخبار الرب سبحانه وتعالى وأخبار رسوله ﷺ ويؤيد هذا التصديق بالأعمال ؛ لذلك صدق من قال :

وإذا حلت الهداية قلباً

نشطت للعبادة الأعضاء

إذا رأيتَ من قلبك النشاط والاندفاع في مرضات الله تعالى ليل نهار نشاطاً غير فاتر وبدون كسل ورأيتَ منك الرغبة والاندفاع احمد ربك قلبك حي وإيمانك سليم , وإن وجدتَ منك الكسل والفتور والبرود مع دعوى الإيمان ومع العلم ومع القراءة , تجد من نفسك خبثاً وانصرافاً وإعراضاً وعدم الرغبة فيما عند الله ﷻ والرغبة في الهوى والملهيات وسماع الأغاني وما إلى ذلك , عالج نفسك فإنك مريض بمرض خطير وخطير جداً , ولا علاج إلا بالرجوع إلى الله والبكاء بين يديه والتضرع إلى الله هنا يأتي

العلاج , ولا طبيب لك هنا إلا بالطب النبوي , يستحب لمعالجة هذه المشكلة – وهي مشكلة عامة – الإكثار من بعض الكتب التي تعالج أمراض القلوب مثل مدارج السالكين وحادي الأرواح وكتيب الفوائد لابن القيم رحمه الله , مع المواظبة على قراءة القرآن ومراجعة أحاديث الترغيب والترهيب , كما تتردد على الأطباء والمستشفيات والصيدليات لعلاج أمراض بدنية يجب أن تردد للمستشفيات التي أشرت إليها لعلاج أمراض القلب . فرأس الإيمان محبة الله , والمحبة الصادقة التي تجعلك دائما تحب ما عند الله وتحب مناجاته والحديث معه , كيف تتحدث مع الله تعالى ؟ تتلو كتاب الله بتدبر خالياً بنفسك , هذا من معاني الإيمان .

وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتِابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ
:

الإيمان بالله : يتألف من معاني كثيرة من التصديق والعمل والقول , ومن الإيمان بالله ﷻ أن تصدق الله إذا وصف نفسه بصفات , تؤمن بهذا الصفات , لا تنفيها لا تقل لا يجوز أن يوصف الرب بكذا , طالما أنه وصف نفسه بصفات في كتابه سواء كانت من الصفات الذاتية كالإرادة والقدرة والعلم والحياة أو من الصفات الفعلية كالاستواء على العرش والمجيء يوم القيامة لفصل القضاء والفرح والغضب , وبما وصفه به رسوله الله ﷺ , أي لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصف به رسوله . فمصدر عقيدتنا الوحي وحده لا شئ غيره , وهذا الوحي ينقسم إلى قسمين : وحي متلو وهو القرآن , ووحي مسموع غير متلو وهو السنة , لا يخرج مصدر العقيدة من

هذا أبداً , لا توجد صفات تثبت لله ﷻ لم يرد ذكرها في الكتاب أو السنة , وهي الصفات التي يسميها علماء الكلام الصفات العقلية , ولا توجد صفات عقلية محضة إلا أن الصفات الواردة في الكتاب والسنة تنقسم إلى قسمين : صفات عقلية وصفات خبرية , الصفات العقلية هي التي يشترك في إثباتها العقل والنقل معاً مع اعتبار أن النقل هو الأصل , فبإمكانك أن تثبت قدرة الله حتى لو يرد ذكرها في الكتاب والسنة , ممكن أن تُدرَك بالدليل الفطري والعقلي , وإذا نظرتَ إلى بديع صنع الله هذا الإبداع على غير مثال سابق يدل على القدرة الباهرة , إذا نظرتَ في هذا الكون وإلى نفسك , هذا الإبداع ثم التخصيص يدل على الإرادة والقدرة والعلم المحيط بكل شئ , هذه الصفات لكون العقل له مجال في إثباتها يقال لها الصفات العقلية , وليس معنى ذلك أنها تثبت بالعقل فقط دون النقل ؛ لأنه لا توجد صفات عقلية محضة , إما خبرية محضة أو صفات عقلية يشترك في إثباتها العقل والنقل ؛ لأن الله سبحانه لم يُقِم الحجة على العباد إلا بإرسال الرسل عليهم السلام وإنزال الكتب , إذن الحجة الدليل النقلي الخبري , أما الصفات الخبرية وتسمى بالسمعية والنقلية (النقلية المنقولة عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ , والسمعية المسموعة عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ) , الصفات الخبرية والسمعية والنقلية كاستواء الله على عرشه ونزول الرب آخر كل ليلة كما يليق به ويخاطب عباده , لولا خبر الله بأنه مستوٍ على عرشه لا أحد يجرؤ أن يقول بأن الله مستوٍ على عرشه . كيف نعلم ؟ لا سبيل ! ولولا خبر رسول الله ﷺ بأن ربنا ينزل آخر كل ليلة كما يليق به لا كنزولنا ما تجرأنا أن نقول بأن الله ينزل (كيف ينزل في ثلث كل بلد , والثلث يختلف باختلاف البلدان وباختلاف القارات , ينزل ربنا كما يليق به في ثلثنا , وفي ثلث أمريكا وفي ثلث كل بلد ينزل كما يليق به ولا يعجزه ذلك , ليس لك أن تقول ذلك هذا نظر قاصر , الذي يريد أن يقيس نزول الرب ﷻ بنزول المخلوق هو الذي يتسأل هذا التساؤل , أما الذي يؤمن بنزول لا نعلم كيفيته ولا كُنهه ليس

كنزول مخلوق ينتقل من سقف إلى تحت السقف حتى يكون المكان الذي كان تحته يكون فوقه , هذا تشبيه النزول بالنزول , نزول الرب ﷻ لا نعلم أبداً كيف هو , كما لا نعلم استوائه كيف هو , إن استصعبت هذا لتستنير بآراء ومفاهيم أئمتنا , ارجع إلى ما قال الإمام مالك رحمه الله عندما قيل له في عهد تابع التابعين في ذلك الوقت الطيب , قال القائل الرحمن على العرش استوى , كيف استوى ؟ قال الإمام مالك : (الاستواء معلوم (من حيث المعنى) , والكيف مجهول , والسؤال عنه بدعة) [أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ص (664), والبيهقي في الأسماء والصفات ص (408) , والدارمي في الرد على الجهمية ص (55) وابن عبد البر في التمهيد (7 / 151) وغيرهم , وصححه الذهبي في العلو ص (141), وقواه الألباني في مختصره للعلو ص (45)] . قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله عن جواب الإمام مالك (جواب عن كل من سُئِل عن كيفية صفة من صفات الله ذاتية كانت أو فعلية) [مجموع الفتاوى 5 / 365] , ولولا إخبار الرسول ﷺ بأن الله يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب , لا سبيل لنا إثبات صفة الفرح , جميع الصفات التي لولا الخبر عن الله وعن رسوله ﷺ لا يستطيع العباد إثباتها بعقولهم تسمى الصفات الخبرية أو الصفات النقلية أو الصفات السمعية , الله أخبرنا أنه بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام استوى على العرش ليس استوى على عرشه كاستواء المخلوق على الكرسي أو الدابة , لا نعلم كيف استوى لكن نعلم استواء هذا المخلوق على كرسيه لأننا نعلم كيفيته وكنهه , ولكن الرب ﷻ إنما نعلمه بآياته الكونية التي نحن منها وبالآئه وبأخباره , إيماننا بالله إيمان تسليم لا إيمان تكييف , فإذا كنا نعجز ونعترف بالعجز عن إدراك حقيقة ذات الرب سبحانه وتعالى يجب أن نعترف بعجزنا عن إدراك حقيقة أسمائه وصفاته , فقد نعلم المعاني كما جاء في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ واللغة العربية , أما الكُنه والكيفية فلا نعلم , عند الإيمان لك أن تجول في مخلوقات الله تعالى بعقلك وفكرك ؛

لتدرك عظمة الله وتؤمن بعظمة الله وقدرته وتزداد محبته وتعظيمه وتقديره , احذر أن تفكر في ذاته , من أراد أن يفكر في ذات الرب كيف هو ؟ يهلك . احذر الهلاك بالتفكير في ذات الله عَزَّ وَجَلَّ , عليك أن تفكر في مخلوقاته في آياته المسموعة والمرئية , حقيقة ذات الله سر كتمه الله عن عباده وصرفهم عنه , أما الرؤية فتقع في عرصات القيامة وفي دار الكرامة , أما في الدنيا لا , منع الله العباد واحتجب عنهم بالنور في هذه الدنيا , طلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولي العزم من الرسل فعجز وعلّقه على شئ وهو استقرار الجبل فلم يستقر الجبل , والإنسان من باب أولى .

والصفات الذاتية : هي الصفات القديمة القائمة بذات الله عَزَّ وَجَلَّ التي لا تتجدد والتي لا تتعلق بالمشيئة كالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والعلو , أما الصفات الفعلية : هي الصفات المتعلقة بالمشيئة كالمجيء يوم القيامة والفرح والغضب وغيرها , والضابط فيها : التي يقال فيها ينزل إذا شاء كيف شاء ويفرح متى شاء ويغضب متى شاء . وفي صفة الكلام تفصيل طويل نؤخره لوقت آخر إن شاء الله .

* « الإيمان بما وصف به نفسه , وبما وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » / قال الإمام أحمد رحمه الله في المحنة (لا يُتجَاوز الكتاب والسنة في الصفات)[المحنة لحنبل ص(68) , ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص (221) , الحموية الكبرى لابن تيمية ص(56) , البداية والنهاية لابن كثير(14 / 393)] , وكررها الإمام أحمد حتى حُفِظت عنه .

* « من غير تحريف » / التحريف : مصدر حرَّف يُحرِف تحريفاً , وتحريفاً الفعل الثلاثي من حَرَفَ كضَرَبَ يَضرِب , أي مال أو أمال , وهذا التضعيف للمبالغة . وتحريف الكلام : هو الخروج بالكلام عن المعنى المتبادر المفهوم من اللفظ بالوضع إلى معنًى آخر

مرجوح لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح أو بتكلف , أو المراد تحريف الألفاظ بالزيادة فيها أوالنقصان منها, أي التحريف راجع للألفاظ .

* « ولا تعطيل » / التعطيل مأخوذ من العَطَل , الذي هو الخلو والفراغ , بئر معطلة , المدرسة معطلة أي لا أحد فيها ولا أحد يذهب إليها . ومعناه بالاصطلاح : نفي صفات الله ﷻ اللائقة به ثم وصفه بغيرها , أو مجرد التعطيل وإن لم يُعَين معنى .
التعطيل يكون للمعاني وإذا حُرِفت الألفاظ أدى ذلك للتعطيل , فإذا قال الرب ﷻ { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى{5}سورة طه } قلنا استوى لا نقول استولى , إذا قلنا استولى حرفنا , وهذا التحريف يؤدي إلى نفي الاستواء الذي بمعنى العلو , ويكون المعنى السلطان والملك والهيمنة كما قالت الأشاعرة , فالسلطان والملك والهيمنة ليس على العرش فقط فسلطان الله وملكه وهيمنته على جميع مخلوقاته , من الذي خص العرش بالملك والسلطان والهيمنة ؟! هذا تحريف أدى لتعطيل صفة الاستواء ؛ لأنهم لايثبتون الاستواء على العرش يزعمون أن في إثباته تشبيه فاخطأوا , من جمع بين قوله { { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى{5}سورة طه}, وبين قوله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11} سورة الشورى }ابتعد عن التشبيه وعن التعطيل معاً وأَثبِت لله سبحانه ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله أمينه على وحيه ﷺ , وانفي بعد ذلك التشبيه والتعطيل . لا تُحرِف فتُعطِل ولا تُشبِه فتُمثِل . النسبة بين التحريف وبين التعطيل العموم والخصوص المطلق , بمعنى : كل تحريف يستلزم التعطيل , من حرّف الكلام حرّف النصوص , تحريف النصوص يؤدي إلى التعطيل أو من حرّف الكلام عن معناه الصحيح وخرج به عن المعنى الصحيح إلى المعنى المرجوح الذي لا يؤدي إليه إلا بتكلف يؤدي ذلك إلى تعطيل المعنى الصحيح , ثم من حرّف فقد عطل ولا يلزم العكس , قد يعطل الإنسان معنًى صحيحاً من غير تحريف كأن يدعي الوَرع والتفويض فيدعي أن

نصوص الصفات لا معنى لها ولا تُفَسر فتراه لم يُحرِف , لم يقل مثلاً في استوى استولى , ولم يقل في جاء ربك جاء أمره أو جاء المَلَك فهذا تحريف وتعطيل في وقت واحد لكن من زعم أن نصوص الصفات لا تُفَسر - فقد لبَّس - فتُفوِّض ويُسمَون الوقفيين أو المفوضة , هؤلاء عطلوا لأنهم لم يثبتوا لله ما أثبت لنفسه ولا ما أثبته له رسوله ﷺ , وقعوا في التعطيل قبل أن يُحرِفوا , إذن المفوضة مُعطِله غير محرفة , والمؤولة من الأشاعرة والماتوردية وأمثالهم محرفون ومعطلون , وأهل التفويض معطلون بدون تحريف . هنا ينبغي التفريق بين التفويضين , تفويض هو منهج السلف وتفويض مذموم الذي يؤدي إلى التعطيل كما قلنا , السلف يفهمون معاني النصوص , يفهمون معنى استوى ومعنى جاء ومعنى نزل , ولكن يفوضون كيفية النزول وكيفية المجيء وكيفية الاستواء , لا يقولون على كيفية كذا , ولا يمثلون لا يقولون نزوله مثل نزولنا أو استوائه مثل استواءنا هذا . إذن يفوضون التكييف والتمثيل ؛ (لأنهم يقولون إن الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات يحذو حذوه) [الحموية الكبرى لابن تيمية ص (59), التدمرية لابن تيمية ص (31)] , وإذا كان إيماننا بالله ﷻ إيمان تسليم وإثبات لا إيمان تكييف , فيجب أن يكون إيماننا بصفات الله أيضاً إيمان تسليم وإثبات لا إيمان تكييف , لا نسأل عن صفات الله بكيف , كيف نزوله ؟ كيف مجيئه لفصل القضاء يوم القيامة ؟ كيف سمعه ؟ لا يجوز , ولا يجوز أن تقول على كيفية كذا وكذا , ولا يجوز أن تُمثِل فتقول علمه كعلمنا وقدرته مثل قدرتنا نزوله مثل نزولنا, كل هذا تشبيه , والمشبه كافر كما سيأتي . هذا التفويض هو الذي عليه سلف هذه الأمة . أما التفويض المذموم الذي معناه التعطيل كأن يقول المفوض : أنا لا أعلم معاني هذه النصوص , لا أدري ما معنى استوى وما معنى نزل وما معنى جاء كل ذلك لا أعلم , أي يتجاهل بدعوى الوَرع , عدم تصديق الرب سبحانه في أخباره وعدم تصديق رسوله ﷺ في أخباره لا يسمى ورعاً , بل الورع

أن تبادر لتصديق خبر الله وخبر رسوله ﷺ ثم تفوض الكيفية والحقيقة والكُنه , فتنزيهنا لرب العالمين لا يؤدي إلى التحريف والتعطيل والنفي .

* « من غير تكييف » / أي لا يقال على كيفية كذا ولا يثبتون لصفات الله كيفية معينة معلومة , بمعنى يجب أن ننزه الله , ولكن هذا التنزيه لا يصل بنا إلى حد التعطيل .
معنى التنزيه على منهج السلف : إثبات صفات الله ﷻ مع نفي مشابهتها لصفات خلقه , وأما التنزيه عند غيرنا فهو معنى التعطيل , إذن فتنزيهنا لا يؤدي إلى التعطيل وإثباتنا لا يؤدي إلى التكييف والتمثيل والتشبيه , فطريقةٌ وسط بين التعطيل والتمثيل والتكييف .
* « ولا تمثيل » / التمثيل أن يقال هي مثل كذا , والتشبيه أن يقال تشبه كذا , والمعنى واحد .

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}:

* « بل يؤمنون بأن الله سبحانه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11}سورة الشورى} » / ليس مثله شئ في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله , حتى الأفعال وإن كانت تتجدد من وقت لآخر لكن ليست كأفعال المخلوق , هذه هي القاعدة عند أهل السنة في تنزيه الله سبحانه , والبحث عن التنزيه هو الذي أوقع علماء الكلام في التعطيل والتحريف , لا تظنوا أن الأشاعرة عندما حرّفوا النصوص وعطلوا الصفات قصدهم الاعتداء على الله أو على صفاته أو على كتاب الله , قصدهم طيب حرفوا ما حرفوا وعطلوا ما عطلوا بحثاً عن التنزيه , ولكنهم لم يُوفقوا في هذا التنزيه .
التنزيه الصحيح يوجد في هذه الآية {ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11}سورة الشورى} أي تثبت ما أثبت لنفسه وما أثبته له رسوله الأمين ﷺ ثم تنفي المشابهة والمماثلة بين صفات الله سبحانه وبين صفات خلقه ؛ لأن صفات الله سبحانه

أحياناً تشترك مع صفات الخلق , أي الله يصف نفسه بصفات فنجده يصف خلقه بصفات كالسمع والبصر , ومن أبرز الصفات العلم فالله موصوف بالعلم والعباد موصوفون بالعلم , ولكن إذا أثبتَّ صفات العباد وقلتَ { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. } لا في ذاته ولا في صفاته , رُدَّ بهذا على المشبهة , {.. وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} رُدَّ بآخر الآية على المعطلة والنفاة والمحرفين . أرادوا أن يُنزِهوا ولم يُوفقوا فوقعوا في التعطيل ، والسر في عدم التوفيق إعراضهم عن الكتاب والسنة بدعوى أن باب العقيدة بابٌ يعتمد على الأدلة العقلية لا الأدلة النقلية , هذا هو الخطأ ترك الكتاب والسنة بدعوى أنها أدلة لفظية خاضعة للنسخ والتخصيص , لكن العمدة في هذا الباب الأدلة العقلية التي لا نسخ فيها ولا تخصيص ولا تقييد , زعموا هذا الزعم والتمسوا الهدى في غير كتاب الله , ومن التمس الهدى بغير كتاب الله أضله الله , من هنا ضل القوم في باب التنزيه , ينبغي أن يكون التنزيه في ضوء قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11}سورة الشورى}. وهذا الاشتراك بين صفات الخالق وبين صفات المخلوق , اشتراك في المعنى العام وفي اللفظ أولاً ثم في مطلق الكل الذي لا وجود له إلا في الذهن , أما إذا خُصِصت الصفة , صفات الله بالله بالإضافة وصفات العبد بالعبد بالإضافة , لا مشاركة بعد ذلك , وإنما يقع الاشتراك بين صفات الله سبحانه وصفات خلقه في المطلق الكلي (المعنى العام) , أي قبل إضافة صفة الله إلى الله وقبل إضافة صفة المخلوق للمخلوق , صفة الله إذا حصل التخصيص فيستحيل أن يشترك مخلوق مع الله سبحانه وتعالى في خصائص صفاته وخصائص علمه المضاف إليه ؛ لأن هذه الإضافة تخصص هذا العام فصار مختصاً بالله لا يشاركه فيه أحد من خلقه , إذا قلتَ علم زيد أضفته إلى زيد صار هذا العلم مختصاً به , فينزه الخالق أن يشارك زيداً في خصائص علمه , بمعنى علم الله سبحانه محيط بجميع المعلومات , فهو قديم قِدم الذات لم يُسبق بجهل أو نسيان أو غفلة – علم كامل – وهل أحد من عباد الله يشارك الله

سبحانه في مثل هذا العلم ؟! {وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً{85 }سورة الإسراء}, نحن موجودون بعد أن لم نكن وعِلمنا علمٌ حادث مسبوق بجهل غير كامل يطرأ عليه النسيان والغفلة والجهل .

ثم قال الشيخ رحمه الله مفرعاً على ما تقدم :

فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ :

* « فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه , ولا يحرفون الكلم عن مواضعه , ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ..» / الفاء هنا , يقال لها فاء الفصيحة , أفصحت عن جواب شرط مقدر كأن تقول : فإذا كان الأمر كذلك لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يُلحِدون في أسماء الله وآياته ولا يميلون بها عن الحق والصواب إلى الباطل والتحريف ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه , هؤلاء الذين يزعمون أن من يثبت الصفات مشبه جهلوا الحقيقة , الإثبات ليس هو التشبيه وليس هو التمثيل وليس هو التكييف , بل أمرٌ زائد عن الإثبات كأن تقول بعد أن تُثبِت سمع الله ﷻ وبصره مثلاً سمعه كسمعنا أو يشبه سمعنا , هذا هو التشبيه , أما إذا قلتَ موصوفٌ بصفة السمع سمعاً يليق به لا كسمعنا , بصراً يليق به لا كبصرنا , علماً يليق به لا كعلمنا . والأشاعرة يثبتون هذه الصفات كما يُثبت أهل السنة من العلم والسمع والبصر وغيرها- هذه الصفات الذاتية - ويسمونها الصفات العقلية ويسمونها صفات المعاني , يثبتون بالأدلة العقلية لا بالأدلة النقلية , ويخالفون أهل السنة في طريقة الإثبات . طريقة أهل السنة في الإثبات الوحي أي الكتاب والسنة , والأشاعرة وإن أثبتوا لكنهم يثبتون بالأدلة العقلية ,

الاعتماد عندهم على الدليل العقلي لا الدليل النقلي , ولو ذكروا الأدلة النقلية أحياناً يقولون من باب الاعتضاد لا من باب الاعتماد عليها ؛ لتعلموا أن موافقتهم أهل السنة والجماعة في إثبات بعض الصفات موافقة غير كاملة موافقة ناقصة ؛ لأن طريقة الإثبات تختلف . فأتباع السلف يعتمدون على الوحي إذ لا يصف الله ﷻ أعلم من الله ولا يصف الله ﷻ من خلقه أعلم من رسول الله وخليله وأمينه على وحيه ﷺ , من تمسك بالكتاب والسنة وسلَّم لله ولرسوله سَلِمَ في عقيدته وفي عبادته وفي جميع سلوكه , ومن اعترض بعقله وعقل شيخه وطريقته يضيع .

أهل السنة لم ينفوا عن الله ﷻ ما وصف به نفسه بدعوى التنزيه كما فعلت الجهمية والمعتزلة , فالمعتزلة نفت جميع صفات الله ﷻ , والأشاعرة في بعض الصفات التي أوّلوا فيها النصوص تأويلاً أدى بها إلى النفي .

* « ولا يحرفون الكلم عن مواضعه » / كما فعلت الأشاعرة والماتوريدية بالنسبة لبعض الصفات , فالجهمية والمعتزلة نفاة , والأشاعرة والماتوريدية مؤولة في بعض الصفات , وإن كان بعض التأويل يؤدي للنفي كما حصل لهم في صفة العلو , والصفات الذاتية العقلية : الأشاعرة لا يحرفون الكلم بل يثبتونها على ظاهرها كما يليق بالله ﷻ كالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والحياة والكلام , ويسمونها صفات المعاني والصفات العقلية والذاتية , أما الخبرية والفعلية كالاستواء والمجيء والنزول فحرفوا فيها الكلم .

* « ولا يُلحدون في أسماء الله وآياته » / الإلحاد هو الميل في الأصل , بمعنى العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق إلى الباطل , وهذا ما فعلته المعتزلة حيث زعموا أن أسماء الله ﷻ أسماء جامدة لا تدل على المعاني ؛ لذلك قالوا سميع بلا سمع وبصير بلا بصر وعليم بلا علم , والإلحاد في آيات الله ﷻ يشمل عقيدة المعتزلة وعقيدة الأشاعرة ؛ لأن التحريف نفسه نوعٌ من الإلحاد .

* « و لا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه » / هذا إجمال لما سبق أن فصَّل ؛ لذلك سمَّينا هذا تفريع .

لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ :

* « فإنه سبحانه لا سميَّ » / لا أحد يساميه ويشبهه ويماثله , وهو تعليلٌ لقوله فيما تقدم عن أهل السنة والجماعة (لا يكيفون ولا يمثلون) ؛ لأنه لا سميَّ له .

* « ولا كُفء له , ولا ند » / لا نظير ولا وزير ولا معين ولا شفيع , والمعنى متقارب { ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11} سورة الشورى} . فالله ﷻ لا سميَّ ولا كفء له ولا ند له : لأنه لا أحد يشبه اسمُه اسمَه , ولا يكافئ اسمُه اسمَه أو صفاتُه صفاتَه , وإنما يُكيف من له ند ونظير , بحيث يقال فلان مثل فلان أو نظيره أو شبيهه . أما كونه لا سميَّ له سبق الكلام عندما فصلنا معنى الاشتراك , وليس معنى لا سميَّ له لا أحد يشاركه مشاركة لفظية في أسمائه وصفاته ؛ لأن الإنسان يسمى سميعاً وعليماً وحليماً , والرب ﷻ يسمى كذلك , فالاشتراك يكون قبل التخصيص , وبعد التخصيص لا اشتراك كما نعلم , وهذا التعطيل يقابله التشبيه , وإن كانت المشبهة في الوقت الحاضر لا توجد طائفة معروفه بأنها مشبهة , ولكن وُجِد عبر التأريخ من شبه الله ﷻ بخلقه فوصفه أنه على صورة شاب على صفة كذا وكذا, وشبه صفاته بصفات خلقه إلا أنا في الوقت الحاضر نركز في مؤلفاتنا وفي دروسنا على المعطلة ؛ لأن المشبهة لا توجد فرقة قائمة بنفسها .

قال ابن القيم رحمه الله (التشبيه الحاصل الآن ليس تشبيه الخالق بالمخلوق , ولكن الواقع تشبيه المخلوق بالخالق) [إغاثة اللهفان (2 / 340 وما بعدها) , الجواب الكافي ص (208)], ويقع ذلك عند المتصوفة وأتباعهم الذين يمنحون مشايخهم صفات الله ﷻ كالقدرة والسمع , الذي ينادي شيخه وهو هنا , وشيخه في

الهند أو في أفريقيا يدعوه ويستغيث به , فشبه شيخه بالله رب العالمين ؛ لأن سمعه محيط بجميع المسموعات يسمعه سواء كان ميتاً أو حياً , بعُد أو قرُب , والغريب أنهم يعتقدون أنه يسمع مريده فقط (الدرويش) الذي يؤمن به - فالموحد (نسأل الله السلامة والعافية) لو سأله لا يسمعه - ولكن إذا ناداه مريده أينما كان يسمعه , فيغيثه وربما المريد أو الدرويش يرى شبح الشيخ أو صورة الشيخ عند الشدة عندما يستغيث به , وقد حصل هذا لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي يعاديه علماء السوء ومشايخ الصوفية , ولكن عند عوام المسلمين له شعبية , ويعادونه لأنه برز وغلبهم في علمهم وفي المكانة ولكن المجتمع كان يحترمه ؛ لأنه ليس كعلمائنا اليوم كأمثالنا علماء المساجد ؛ فهو عا لم في المسجد ومجاهد في الميدان , ويحث الولاة والسلاطين على الجهاد , يسافر بالبريد بين دمشق وبين القاهرة ليحث الناس على الجهاد ثم يجاهد معهم , لا يدعوهم للجهاد ثم يدخل المسجد بل يجاهد . الشاهد شخصٌ مع هذه المحبة والتقدير متأثر بعقيدة المتصوفة حصل له ما حصل فاستغاث بشيخ الإسلام - الذي ينهى عن الاستغاثة - فجاءه شيطانٌ على صورة شيخ الإسلام فوقف عنده فقُضِيت له الحاجة - امتحان من الله - ثم ذكر هذا الشخص لشيخ الإسلام في لقاء حصل بينهما أنه استغاث به فأغاثه في وقت كذا وكذا , فحلف له بالله ﷻ أنه لم يسمعه فضلاً من أن يأتيه , وقال له أن ذلك شيطان تصور بصورتي ولستُ أنا.

والمشبهة الذين تكلم عنهم علماء العقيدة الذين شبهوا الخالق بالمخلوق كالجهمية لا وجود لهم في الوجود الحسي , ولكنهم يوجدون في بطون الكتب التي تحدثت عنهم أنهم فعلوا كذا وكذا وقالوا في حق الله ﷻ كيت وكيت , فلنفهم التشبيه الوقع , فلا يقال في ذاته كفلان أو مثلنا , فإذا كان بذاته لا يُقاس بخلقه , فما يقال في الذات يقال في الصفات .

ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ وَتَعَالَى :

* « ولا يقاس بخلقه » / لا يجوز أن يقاس الخالق بالمخلوق ؛ لأن المخلوق وُجِد بعد أن لم يكن وقدرته حادثة وهو في نفسه حادث , وجميع صفاته حادثه , أما الخالق هو الأول الذي ليس قبله شئ , والآخر الذي ليس بعده شئ ، والظاهر الذي ليس فوقه شئ , والباطن الذي ليس دونه شئ , فالله ﷻ أعلم بنفسه فلو كان في صفاته نقص لما وصف نفسه بها ؛ لذلك لا يجوز اعتقاد بأنه لا يليق بالله كذا وكذا مما وصف به نفسه كما يقول علماء الكلام بكل جرأة , يقولون لا يليق به أن ينزل . إذن من الذي ينزل ؟ قالوا ينزل أمره أو ينزل مَلَك , أمر الله ﷻ نازل في كل لحظة . والملك ينزل من عند مَن ؟ إذا قلتَ ينزل , ينزل من أين ؟ ينزل من فوق طبعاً ؛ لأن النزول لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل , ينزل الملك من فوق مِن عند مَن ؟ من عند نفسه ! الملك ينزل بأمر الله ﷻ من عند الله ﷻ , نزول الملك غير نزول الرب ﷻ , مَلَك مخلوق وإن كنا لا نراه ," وقد رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام مرتين على هيئته الأصلية " [في غار حراء , أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه برقم (4) ومسلم عن عائشة رضي الله عنها برقم (160) , وفي السماء السابعة أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (349) ومسلم برقم (162)] , مخلوق نزوله له كيفية , أما نزول الرب ﷻ لا كيفية له , عندما تقول لا ينزل الرب فلا يليق به النزول , ولكن ينزل أمره أو ينزل ملك , أليس هذا اعتراض منك على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ ؟ خبر رسول الله ﷺ كخبر الله ﷻ " أوتيتُ القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول ما وجدتم في كتاب الله فأحلوه .. " [أخرجه أبو داوود عن المقداد بن معدي كرب رضي الله عنه برقم (4591) والترمذي برقم (2801) وابن ماجه (12) , وصححه الشوكاني في نيل الأوطار(8 / 278) والألباني في صحيح أبي داوود برقم (3848)]؛ لأنه لا ينطق عن

الهوى . من اعترض على رسول الله ﷺ فيما صح عنه فقد اعترض على الله ﷻ , الاعتراض على الله إذا تعمد الإنسان رِدة , وإن كنا نتريث ونتأنى وخصوصاً مع الأشاعرة ولا نتسرع إلى تكفيرهم , وقد شهِدَ من خالطهم ونازلهم وناظرهم أنهم أقرب طوائف علماء الكلام إلى أهل السنة وهو شيخ الإسلام رحمه الله [مجموع الفتاوى 6 / 55] , في علمائنا وأئمتنا قلّ أن تجد إنسان له خبرة في الفِرق والرجال وطوائف بني آدم مثل هذا الشيخ ؛ لأنه ظهر في وقت كانت الطوائف في قوتها كلها وجابههم كلهم وناظرهم ونازلهم ؛ لذلك شهِد للأشاعرة بالرغم من كثرة التحريف عندهم أنهم نسبياً أقرب إلى منهج السلف , خصوصاً في هذا الوقت الأشاعرة الموجودون الآن في كثير من الجامعات الإسلامية خارج هذا البلد كالأزهر الشريف -كما يقولون - وفروعه يدرسون العقيدة الأشعرية , لكنهم يعتقدون جازمين أنها عقيدة أهل السنة والجماعة , لديهم شبهه يجهلون تماماً منهج السلف , يجهلون تماماً العقيدة التي جاء بها رسول الله ﷺ , يحسبون أنها هي تلك التي يحفظونها , إذن لم يتبنوا الحق , ولابد أن تقوم الحجة على من شاقق الرسول بعد أن تبين له الهدى أما قبل ذلك فلا , الأشاعرة من معرفتنا إياهم ومخالطتنا لهم نشهد أنهم يجهلون تماماً العقيدة التي جاء بها رسول الله ﷺ , الشاهد بين أيديكم شارح هذه العقيدة محمد خليل هراس , هذا الرجل عالمٌ أزهريٌ تخرج من كلية الدعوة وأصول الدين فتخصص في المنطق والفلسفة وبرع في الفلسفة , وقيل له يوجد رجل يقال له ابن تيميه عدو الفلسفة والفلاسفة , وأنتَ بصفتك متخصص بهذا العلم , من حق الفلسفة عليك أن ترد على الرجل , يقول الشيخ خليل هراس (هذا بسندٍ عالٍ عنه مباشرة ؛لأنه كان شيخنا وأستاذنا في العقيدة) روى لنا هذه القصة في الفصل الدراسي في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود يقول لا أعلم قبل ذلك ابن تيميه إلا بالسماع ولم اقرأ له شيء , فطاف على المكتبات في القاهرة فجمع ما تيسر له أن يجمع من كتبه ؛ لأن كتب شيخ الإسلام كانت ممنوعة

ومهجورة , أول ما طُبِعت في القاهرة في المكتبة السلفية تحت إشراف الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله رئيس أنصار السنة المحمدية , كانت ممنوعة أن تُطبع وأن تُنشر قبل ذلك , عثر الشيخ خليل هراس على بعض الكتب وعكف على دراستها نحو ثلاثة أشهر , ويقول الشيخ خليل هراس رحمه الله بعد أن انتهيت من دراسة هذه الكتب تبين لي أني لم أفهم الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ قبل هذه اللحظة قبل قراءة هذه الكتب فتاب وأناب , وألّف رسالة بعد أن كان يريد أن يؤلف ضد شيخ الإسلام ألّف رسالة تحت عنوان (ابن تيميه السلفي) , فوزعها علينا فاطلعنا عليها , هذا دليلٌ واضحٌ أن الأزهريين من شيوخهم وتلاميذهم لم يفهموا العقيدة السلفية التي ورثها السلف من رسول الله ﷺ , إذن هم معذورون , محمد خليل هراس بعد أن ظهرت هذه الحقيقة لو تعصب وقال لا, مهما يكن الحال لا أُخالف عقيدة الأزهر , ولا أُخالف الأزهريين , لو قال هذا لا عذر له بعد ذلك , كذلك أيما طالب درس العقيدة الأشعرية ولم يتبن له الحق ولم يشاقق الرسول بعد أن تبين له الهدى لكنه على جهل وفي شبهه فهو معذور , أما إذا تبين له الحق والهدى وقال بعد ذلك لا , لن نخالف عقيدة مشايخنا وعلمائنا من أجل هؤلاء , ذلك لا عذر له . أريد أن أقول نفي الصفات وتحريف الصفات وتأويل الصفات تأويلاً يؤدي إلى نفي ما أثبت الله ﷿ لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ يؤدي إلى الكفر ما لم يُعذَر النافي إما بجهل أو شبهه , الشبهة أن يرى طالب العلم مشايخه يدافعون عن العقيدة الأشعرية , وجود مشايخه شبهه للطالب ؛ لأنه يتأسى بهم . وهذا مقام الكلام فيه طويل وعريض , نكتفي بهذا المقدار من حيث تعداد أعذار الناس بالجهل وبالشبهات , فلا ينبغي أن نتسرع في التكفير لا في باب العقيدة ولا في باب العبادة , وفي باب العبادة أيضاً يوجد مثل هذا , يوجد مسلمون طيبون في نيتهم , ولكن يعبدون غير الله ﷿ ويحسبون تلك محبة الصالحين والتوسل بالصالحين وليست بعبادة , قومٌ من المسلمين الطيبين يأتون من مسافات بعيدة إلى ضريح يطوف

به أهل الأرياف طواف الكعبة , ويوجد علماء يدرسون في مسجد الحسين رضي الله عنه بجوار الضريح , يأتي الريفي فيسأل عن الحكم الشرعي عند مولانا , مولانا يفتي أن ما تفعلونه من محبة الصالحين وليست عبادة , كيف يكفر الريفي الجاهل الذي يسأل الشيخ بعمامته ؟! والشيخ يقول : لا . هذا الطواف وهذه النقود التي ترمونها من محبة الصالحين وليست بعبادة , إذن جمهور الريفيين معذورون , لهم شبهه وجود ذلك الشيخ بعمامته بجوار قبر الحسين وفي مسجد الحسين رضي الله عنه ويفتي بهذه الفتوى شبهه قائمة تمنع تكفير الريفيين , طالما تعرضنا للحسين رضي الله عنه , رأس الحسين ليس بموجود هناك تحت ذلك الضريح , أثبتَ علماء التأريخ الموثوق بهم , ونقل عنهم شيخ الإسلام , إن الحسين رضي الله عنه لما غدر به أهل العراق وقتلوه وطلب أمير بغداد رأسه فأوتي به وجُعِل بين يديه وتشفى منه – وسوف يلقى جزائه عند ربه سبحانه – بعد ذلك أرسله إلى المدينة ورحلّ جميع آل البيت من بغداد إلى المدينة ورحلّ رأسه معهم , ودُفِن رأس الحسين بجوار الحسن بجوار أمهم فاطمة رضي الله عنها , رأس الحسين بالبقيع في المدينة ليس بالقاهرة [للفائدة راجع مجموع الفتاوى (4 / 508 – 509) , قصة خروج الحسين للعراق وقتله رضي الله عنه في البداية والنهاية لابن كثير(11 / 473)] , تلك تكيّة تأكّل بها مشيخة الصوفية في القاهرة , تكيّة للأكل والمعيشة وليس هناك حسين لا رأسه ولا هو , أما الجسم فدُفِن هناك حيث قُتِل بكربلاء والرأس بالمدينة , والشيخ الذي جالس في المسجد ويفتي للناس بأن هذه من محبة الصالحين يجهل لا يدري أين رأس الحسين رضي الله عنه , في الواقع عندما يريد أن يتحدث الإنسان عن واقع المسلمين اليوم في عبادتهم وفي عقيدتهم وفي تصرفاتهم يأسف , ما يدري ماذا يقول ! ليس بإمكانه أن يحولهم تحويلاً , ولكن يتألم من يعرف هذا الواقع , أما شبابنا الصغار الذين نشأوا في هذا الخير ولم يخرجوا من حدود هذا البلد لا يعرفون الشر المستطير هناك , هم على خير ومطمئنون وهادئون , ولكن الذي يعرف أحوال المسلمين في الخارج , كيف يعيشون في عبادتهم وكيف

يتخبطون في عقيدتهم ! يأسف جداً ويتألم كثيراً , ولكن لا يستطيع أن يعملَ شيئا , ولا حول ولا قوة إلا بالله . إذن لا يقاس الله ﷻ بخلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله وقضائه وقدره فهو متفرد بكل ذلك , فعباد الله الذين آمنوا بالله ﷻ دون رؤية ولكن استدلالاً بآياته الكونية وبأسمائه وصفاته . يجب أن يكون أمر الإيمان بصفات الله ﷻ كأمر الإيمان بذاته تعالى , نكرر هذا ويسمع الأشاعرة الذين يؤمنون معنا بذات الله ﷻ دون تكييف أو تمثيل , فإذا جاءوا للصفات ارتبكوا , أثبتوا بعض الصفات وحرّفوا الكلام في البعض الآخر وفرّقوا بين ما جمع الله ﷻ , هذا تناقض تقع فيه الأشاعرة , ونؤكد على الأشاعرة لأنهم جيراننا وبيننا بخلاف غيرهم كالمعتزلة قد يبعدون عنا بعداً , الأشاعرة هم الكثرة الكاثرة في العالم الإسلامي وكنا نتحدث عنهم غيابياً , فقد دخلوا الآن , كنا نُحذِر الطلاب من كتبهم فإذا هي الآن تباع في مكتباتنا , وتُدرس هذه العقيدة في الجامعات خارج هذه البلاد بدعوى أنه مذهب أهل السنة ؛ لأن الأشعرية زيادة على ذلك تسمي نفسها أهل السنة والجماعة أو أنهم من أهل السنة على الأقل , وهذه فِرية بشهادة الخبراء أنهم من أقرب طوائف أهل الكلام لأهل السنة والجماعة وليسوا منهم , قد يكون هذا الكلام ثقيلاً على الذين يدرسون أو درسوا العقيدة الأشعرية أو الذي يُحسِنون بهم الظن أو يتعاطفون معهم . والدليل على أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة : مثلاً صفة علو الرب ﷻ , ما موقف الأشاعرة منها ؟ ما موقفهم من الإشارة الحسية ؟ الإشارة الحسية عندهم لا تجوز, الأشاعرة في كتبهم المقررة في المعاهد الدينية عندهم يقرأ الشباب ويحفظون هذه العبارة (ليس الله فوق العرش ولا تحت العرش ولا عن يمينه ولا عن شماله) . هل هذا إثبات أو نفي لله ﷻ ؟ نفيٌ له , ولو طُلِبَ منك أن تصف معدوماً لن تصفه إلا بهذه الصفة , هو الذي ليس فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا عن شمال . هذا الكلام موجود بحرفه في العقيدة السنوسية التي شرحها إبراهيم البيجوري , ودخل هذا الكتاب في مكتباتنا) , (من لم

يقرأ السنوسية يضرب بمقامع من حديد في قبره , وهذا مذكور في أول حاشية البيجوري في الصفحة الأولى أو الثانية , قيل لهم أولاد المسلمين الذين ماتوا قبل أن تؤلف السنوسية ما مصيرهم ؟ قالوا يكلف الله إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن يدرس أولاد المسلمين الذين ماتوا قبل تأليف السنوسية في الجنة) انظروا إلى هذا التلاعب بالعقيدة , شباب المسلمين في كثير من الأقطار ابتعدوا بُعداً شديداً عن العقيدة , يدرسون شيء آخر غير العقيدة , متن السنوسية ككتاب التوحيد عندنا). فهل هذه العقيدة عقيدة أهل السنة والجماعة ؟ الجواب بالإجماع : لا ؛ لأن أهل السنة والجماعة عندهم العلو صفة ذاتية – ليس فعلية – ثابتة بالكتاب والسنة والفطرة والعقل السليم , ما ثبت بهذه الأدلة من نفاه يكفر إن لم يكن معذوراً بجهل أو شبهه , أكتفي بهذا المثال وإلا هناك أمثلة أخرى لنثبت أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة .

* سؤال : كيف يكونون من أقرب فِرق الكلام من أهل السنة مع هذه العقيدة الفاسدة ؟ هذا القُرب نسبي بالنسبة إلى غيرهم الذين لا يثبتون لله عز وجل صفة واحدة كالمعتزلة ؛ لأن الأشاعرة كما تقدم يثبتون صفات المعاني كالقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والحياة والكلام , وفي الكلام كلام طويل .

صفة العلو كما تقدم صفة ذاتية , لكن من باب العلم الاستواء صفة فعلية (فرقوا بين الاستواء وبين العلو) ؛ لأن الله عز وجل بعد أن خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام اقتضت حكمته أن يخص العرش بالاستواء الذي يليق به , أي قبل ذلك يوصف بالعلو ولا يوصف بالاستواء , فالاستواء صفة فعل كما أن المجيء صفة فعل والنزول صفة فعل , أما العلو فصفة ذاتية بمعنى لم يزل الله عز وجل في علوه قط ولن يزال وحتى في وقت نزوله آخر كل ليلة لم يزل في علوه وفي وقت مجيئه يوم القيامة لم يزل في علوه .

يُستعمَل القياس فيما له مثيل , قياس التمثيل يُعرَف عند الأصوليين بقياس العلة (إلحاق فرع بأصل) , إذا تجدد فرع لا يُعلم له حكم يُنظر في العلة الجامعة بين الفرع المتجدد وبين الأصل الثابت , فيُعطَى الفرع المتجدد حكم الأصل الثابت فيلحق به , فيقال له قياس العلة كإلحاق النبيذ بالخمر , حكم الخمر ثابت وهو التحريم ولما تجدد النبيذ (هذا على اصطلاح الفقهاء , وإلا عند المحدثين "كل مسكر خمر " [أخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (2003)] , النبيذ يتناوله اسم الخمر , تحريم النبيذ عند المحدثين ليس بالقياس بل بالنص , لكن الفقهاء يقولون النبيذ تحريمه بالقياس على الخمر) , إلحاق النبيذ بالخمر في الحرمة لاشتراكهما بالعلة ؛ لأن علة التحريم الإسكار "كل مسكر خمر " سواء كان سائلاً أو جامداً , على الصحيح من أن المحرمات بالإسكار كلها محرمة بالنص , ولكن في اصطلاح الأصوليين والفقهاء يجعلون هذا من باب القياس , وتسمية قياس العلة بقياس التمثيل اصطلاح المناطقة , مثل هذا لا يجوز استعماله في صفات الله ﷻ , أي لا تُلحِق صفة من صفات الله بصفات خلقه , طالما يحاول الإنسان إلحاق صفة من صفات الله ﷻ بصفات خلقه , فإذا ألحق بدعوى مثلاً : لا يُتصور في النزول إلا نزولاً كنزول المخلوق , نزول الله ﷻ كنزول المخلوق , يجعل نزول المخلوق أصلاً ونزول الرب سبحانه فرعاً فيُلحِق نزول الرب ﷻ بنزول المخلوق ؛ لأنه لا يتصور من النزول إلا المعنى الذي يتصوره في المخلوق , إن وقف عند هذا الإلحاق أصبح مشبهاً , شبه صفة الله ﷻ بصفة المخلوق والمشبه كافر كما سيأتي تصريح ذلك في كلام السلف , وإن ألحق هذا الإلحاق ثم زعم أنه لا يجوز هذا التشبيه إذن من باب التنزيه يجب أن ننفي هذه الصفة أو نؤولها , فيقول الذي أخبر عنه النبي ﷺ أنه ينزل ليس هو الله ﷻ وإنما نسبة النزول إلى الله نسبة مجازية وإنما الذي ينزل حقيقة ملك من الملائكة أو أمر من أمور الله ﷻ , فحرّف فعطل ؛ لذلك يقال كل معطل مشبه , أي شبه أولاً ثم عطل ثانياً , كما أن كل مشبه معطل أيضاً ؛ لأنه

إذا أثبت له نزول كنزول المخلوق قد عطل النزول الذي يليق بالله ﷻ , فجمع كل من الفريقين بين التعطيل وبين التشبيه , - افهموا جيداً - كل معطل مشبه ؛ لأنه لم يعطل إلا بعد أن شبَّه ووقر في نفسه أن النزول الحقيقي هو نزول المخلوق وأراد أن يفر من هذا المعنى الذي وقر في قلبه فنفى فجعل النزول نزول أمر أو نزول ملك وبهذا شبَّه ثم عطل , أما المشبه إذا استقر عند الإلحاق إلحاق صفة الخالق بصفة المخلوق وثبت على ذلك أثبت لله ﷻ صفة غير صفته ونفى عن الله ﷻ الصفة اللائقة به , فجمع كل منهما بين التعطيل والتشبيه . ما هي الطريقة السليمة ؟ الطريقة السليمة هي طريقة الكتاب التي درج عليها سلف هذه الأمة : إثبات بلا تشبيه ولا تمثيل وتنزيه بلا تحريف وتعطيل , ذلك يُؤخذ من قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. } هذا قياس التمثيل , وقياس التمثيل هذا مبني على وجود مماثلة بين الفرع والأصل كما مثلنا , والله ﷻ لا يجوز أن يُمثل بشيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أسمائه , إذن قياس التمثيل الذي هو قياس العلة باطل يُوقِع الإنسان في التشبيه والتعطيل معاً كما فهمنا .

ومِثل قياس الشمول بأن تشترك صفة الله ﷻ مع صفة غيره فتندرج في الكلي , ذلك أن يقال مثلاً : كل متجدد مُحدَث (هذه الكُلية) , وكل مُحدَث مخلوق , النتيجة القرآن مخلوق , هذا قياس يسمى قياس الشمول فهو باطل , بهذا حارب المناطقة منهج السلف , وقيض الله ﷻ في القرن السابع من يرد هذه الشبهات ويؤلف مؤلفاً مستقلاً في الرد عليهم , وهو شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في كتابه الرد على المناطقة في مجلد ضخم يعرفه طلاب العلم . ما مدى صحة هذه القاعدة (كل متجدد مُحدَث , وكل مُحدَث مخلوق) ؟ القاعدة باطلة ؛ لأنه ليس كل مُحدَث مخلوقا , بين المحدَث والمخلوق عموم وخصوص , كل مخلوق مُحدَث وليس كل مُحدَث مخلوقا ؛ لأن الله ﷻ أحدث كلامه في وقت دون وقت لا بالخلق ولكن بالتكلم وبالإنزال وبالخطاب , لم يصف كلامه بأنه مخلوق ولكن وصفه بأنه منزل , فهذا التكلم والخطاب والإنزال حدث

في وقت دون وقت , هذا معنى كلام أتباع السلف : الكلام قديم النوع حادث الآحاد [شرح الطحاوية لابن أبي العز ص (137) , لمعة الاعتقاد لابن قدامه , شرح الشيخ الفوزان ص (109)] , كلام الله ﷻ قديم النوع بمعنى لم يزل الله ﷻ متصفاً بصفة الكلام , لم يكن الله ﷻ مُعطَلاً عن صفة الكلام في لحظة من اللحظات الماضية ؛ لأن صفة الكلام باعتبار أصلها صفة ذات ؛ لأن الكلام كمال من الكمالات وعدم الكلام نقص , فالله ﷻ لا يوصف بالنقص أبداً بل دائماً في كمال , وكلام الله ﷻ صفة كمال , إذن لم يزل الله ﷻ متصفاً بصفة الكلام , بمعنى يتكلم متى شاء وكيف شاء , وليس معنى أن صفة الكلام ذاتية قديمة بأن الله ﷻ يتكلم في كل لحظة ليس بلازم , فالله ﷻ خاطب من شاء من أنبيائه عليهم السلام , فمفردات الكلام وقعت في وقت دون وقت , فالكلام الذي خاطب الله ﷻ به موسى ؑ غير الكلام الذي خاطب الله ﷻ به نوحاً ؑ , والكلام الذي خاطب به محمداً ﷺ غير الذي كلم به موسى ؑ وهكذا , ويتكلم الله ﷻ كل ليلة كما يليق به " هل من مستغفر فأغفر له ... " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (1145) ومسلم برقم (168)] , وسيكلم أهل الجنة يوم القيامة بكلام يليق به ويسلم عليهم , إذن كلام الله ﷻ كثير { قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً{109}سورة الكهف } لا نهاية لكلامه ؛ لأنه كمال وكمال الله ﷻ لا نهاية له . فدعوى علماء الكلام طالما هو مُحدَث يوجد في وقت دون وقت قالوا هو مخلوق . هذه مغالطة , الله ﷻ يصف نفسه أنه متكلم {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً{164}سورة النساء } ولم يأتِ في الكتاب والسنة ما يشير أن الكلام مخلوق وإن استدلوا بقوله تعالى { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ... {3}سورة الزخرف} الفعل (جعل) كما يعلمون هم قبلنا ؛ لأنهم أهل لغة (فعلماء الكلام من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة من فطاحلة علماء اللغة) فتلاعبوا باللغة واستغلوا معرفتهم للغة وضعف

غيرهم بها فضحكوا على الناس , ولكن الله ﷻ الذي يدافع عن هذا الدين قيض شيخ الإسلام رحمه الله في القرن السابع الذي تبحر في علوم العربية والعقليات كما تبحر في العلوم الدينية فخطَّأ شيخهم سيبويه في سبعين مسألة في كتابه كتاب النحو , بمعنى إذا رُزِقَ المسلمون والإسلام بداعية متضلع في كل شيء لا توجد فيه نقطة ضعف هذا هو النجاح , هكذا نجحت الدعوة ؛ لأن ذلك الداعية جمع العلوم والفنون (الفنون بالاصطلاح القديم لا الفنون اليوم , المواد تُسمى فيما مضى الفنون فن النحو, فن الصرف , فن الفقه) , فالشاهد هذا الرجل وفقه الله ﷻ وتفنن في جميع العلوم ؛ لذلك رد الشبهة عن هذه العقيدة . فقال لهم عن قوله تعالى { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ... {3}سورة الزخرف }, فعل (جعل) نصب مفعولين (نا : مفعول أول , قرآناً : مفعول ثان) , والفعل (جعل) إذا نصب مفعولين لا يكون بمعنى (خلق) في اللغة , أما إذا نصب مفعولاً واحداً فهو بمعنى الخلق , فإذا نصب مفعولين إما بمعنى الإنزال [الفتاوى لابن تيمية (8 / 28 - 29)] ؛ لذلك لو رجعتم تفسير الشوكاني رحمه الله عند هذه الآية { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ... {3}سورة الزخرف }, أي أنزلناه أو سميناه أو وصفناه [فتح القدير (4/ 747)] , فلا يتقيد بمعنى معين وإنما نفسر حسب السياق , وإما بمعنى صيَّر كقولك صيرتُ الطين إبريقاً , وأما في هذه الآية ليس بمعنى التصيير أيضاً , بل بمعنى الوصف والإنزال , إذن لا توجد آية أو حديث أو أثر يشير إلى أن القرآن مخلوق وكل ما ورد في القرآن يدل أن هذا كلامٌ منزل , فكونه يُوصف بأنه مُحدَث هذا صحيح ولكن الإحداث إنما هو إحداث إنزال وتكلم وخطاب لا إحداث خلق واختراع , فكلام الله ﷻ لا يدخل ولا يندرج في عموم قاعدتهم (كل مُحدَث مخلوق) .

فقياس الأولى هو اللائق بالله ﷻ , هو المثل الأعلى وهو الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد أبداً , كمال الذات والصفات والأسماء والأفعال , ومضمونه (أي

قياس الأولى) أن كل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق لا نقص فيه , فالخالق أولى به من المخلوق , فمثلاً الكلام كمال , فإذا كان الكلام كمال في المخلوق فالخالق ﷻ أولى بالكمال , فإذن الخالق أولى بأن يُوصف بصفة الكلام , المخلوق الذي يتكلم أولى وأفضل من المخلوق الذي لا يتكلم , الذي أعطى المخلوق هذا الكمال فجعله فينطق فهو سبحانه أولى بصفة الكلام من المخلوق ولكن كلامه كما يليق به , فلا نعلم كيفية تكلمه , فلا يلزم من تكلُم الرب ﷻ إثبات مخارج الحروف له , من لسان وشفتين وحنك وغير ذلك ؛ لأنه حتى في المخلوقات لا يلزم من إثبات الكلام إثبات مخارج الحروف ," فالطعام سبَّح " [أخرجه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه برقم (3579)] , والحجر سلَّم على النبي ﷺ " إني لأعلمُ حجراً بمكة كان يُسلِم عليّ " [أخرجه مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه برقم (2277)] , والجوارح والأيدي والأرجل تتكلم يوم القيامة وتشهد . هل هذه الجمادات لها لسان ومخارج حروف ؟ لا , فإذا كان المخلوق تكلم و سُمِعَ الكلام من هذه المخلوقات بدون أن يكون لها لسان ومخارج حروف . كيف يُستصعَب ذلك على رب العالمين ؟! لأنه فعال لما يريد ﷻ , فلا يلزم من صفاته لوازم صفات المخلوقين , من لوازم كلامنا اللسان والشفتين , ومن لوازم سمعنا وجود ما يسمى الأذن , فلا يلزم أن نثبت السمع لله ﷻ إثبات لوازم السمع فينا وكذلك بقية الصفات ؛ لأنه لم يلزم من إثبات ذات الله ﷻ لوازم ذوات المخلوقين , ورد ذكر الذات في السنة في البخاري في " قصة إبراهيم عليه السلام " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (3358) ومسلم (2371)] , و" قصة خبيب رضي الله عنه " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (7402)] , لا يلزم من إثبات الذوات لوازم ذوات المخلوقين من لحم ودم وعظم وعصب , ذواتنا تتكون من هذا , إذا لم يلزم من إثبات الذات لوازم ذوات المخلوقين لا يلزم من إثبات صفات الخالق لوازم صفات المخلوقين , هذا الكلام يقال للذين ينفون الصفات سواء ينفونها كلها كالمعتزلة أو ينفون

بعضها بإسم التأويل كالأشاعرة . صفة الكلام المعتزلة نفوا نفياً صريحاً فالمعتزلة عدو صريح لا يُتعِبك , لكن العدو المتلون الأشاعرة , فيقولون نثبت لله صفة الكلام , لكن كلاماً نفسياً ليس بحرف ولا صوت . وهذا الكلام الذي سماه رب العالمين كلامه , ما رأيكم فيه ؟ ! قالوا لا يليق بالله , قال تعالى {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ .. {6}سورة التوبة } , هل المشركين سمعوا كلام الله ﷻ الذي في نفسه سبحانه الذي ليس بحرف ولا صوت أو سمعوا الكلام المتلو الكلام العربي الذي تلاه النبي ﷺ عليهم , هذا الكلام سماه رب العالمين الذي أنزله أنه كلامه , الأشاعرة قالوا نُطلِق عليه أنه كلامه لكن مجازاً لا حقيقة ؛ لأنه دال على كلام الله الحقيقي الذي ليس بحرف ولا صوت معنىً من المعاني قائم بذات الله لا يليق بالله أن يوصف بكلام لفظي معرب فيه تقديم وتأخير , فتنزيههم تنزيه مصطنع ولو وقفوا عند تنزيه الله ﷻ لنفسه بقوله {{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..}} لَسلِموا واستراحوا وأراحوا ولكنهم أتعبوا أنفسهم ثم أتعبونا معهم بمناقشتهم دائماً حتى استثقل بعض الناس , قالوا ما الذي سلطكم على الأشاعرة ؟ الذي سلطنا على الأشاعرة وجودهم الجماعي في العالم الإسلامي مع ما فيهم من الانحراف في عقيدتهم ؛ لذلك لا ينبغي أن يخلو درس في العقيدة من التنبيه على انحرافاتهم وتحريفاتهم وضلالاتهم . بهذا يثبت أن كلام الله ﷻ أي مفردات كلام الله ﷻ وأن وصْفَ ذلك بالحدوث لا يلزم من ذلك الحدوث الخلق , وهو كلام الله ﷻ ليس بمخلوق .

وكل كمال اتصف به المخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق ؛ هذه العبارة لأنه قد يوجد أحياناً ما يُعتبر كمالاً في المخلوق , ولكنه لا يُعتبر كمالاً في الخالق ويُعتبر نقصاً , وجود الزوجة مع الرجل كمال في الرجل ووجود الأولاد كمال وعدم وجود الزوجة وعدم الولد نقص في الرجل ؛لأنه يُكمِله ولكن هذا الكلام لا يليق بالله ﷻ . والعمى والعور وعدم السمع نقص كذلك , قال النبي ﷺ في قصة المسيح الدجال عندما أخبر "

أنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية " [أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (7123) ومسلم (2932)] " إن ربكم ليس بأعور " [أخرجه البخاري عن أنس ﷺ برقم (7131) ومسلم (2933)] ؛ لأن العور نقص حتى في المخلوق , فالله ﷻ منزه عن كل عيب وعن كل نقص .

فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ. ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُون؛ بِخِلاَفِ الَّذِين يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ:

* « فإنه أعلم بنفسه » / إذا كنتَ تؤمن أنه أعلم بنفسه , إذا وصف نفسه بصفات يجب أن تصدقه في خبره وتصفه بتلك الصفات ولكن تقول كما يليق به , وتجعل نصب عينيك دائما ما جاء عن الشافعي رحمه الله (آمنت بالله وما جاء عن الله على مراد الله , وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله) [الرسالة المدنية لابن تيمية (121) مع الفتوى الحموية] ؛ لأنه أمينه على وحيه . فهو أعلم بنفسه وبغيره , والذين وصفهم ببعض الصفات التي فيها المشاركة , في الجملة على ما تقدم .

* « وأصدق قيلاً » / أي قولاً , قيل وقول مصدران .

* « وأحسن حديثاً من خلقه » / كتاب الله ﷻ القرآن أحسن حديثاً , تترك كلامه وحديثه وتأخذ بكلام غيره , تصف الله ﷻ بما لم يصف به نفسه أو تُحرِف الكلام في حديثه وكلامه , هذا يتنافى مع الإيمان .

* « ثم رسلَه صادقون مصدَّقون » / صادقون فيما أخبروا عن الله ﷻ ، مصدقون لدى المؤمنين , ومن الإيمان بالرسل عليهم السلام تصديقهم في أخبارهم , وصادقون في كل ما يخبرون به عن الله ﷻ , وخصوصاً أفضلهم وخاتمهم وإمام المرسلين محمد ﷺ ,

تصدقه في خبره ولا تعبد الله إلا بما جاء به , أما الرسل عليهم السلام غير محمد ﷺ فعلينا تصديق أخبارهم , أما عبادة الله ﷻ إنما هي بما جاء به محمد رسول الله ﷺ , فالكتب السماوية الأولى قبل القرآن ليست محل عمل وإنما هي محل تصديق , والرسل محل تصديق , ولكن الذي يجب العمل برسالته هو محمد ﷺ , والكتاب الذي يجب أتباعه والعمل به هو القرآن الكريم الذي نسخ تلك الكتب كلها , ولكن ليس معنى ذلك أننا لا نعتقد أن تلك الكتب من عند الله ﷻ , بل نؤمن أنها من عند الله (التوراة والإنجيل والزبور) , ولكنها عبارة عن رسائل مؤقتة بعثها الله إلى بعض عبادة في وقت محدود ؛ لذلك ينسخ بعضها بعضا , إلى أن جاءت الرسالة العامة الشاملة نسخت كل شيء لتبقى ما بقيت الدنيا .

ومن الإيمان بالرسل عليهم السلام أن نعتقد أنهم معصومون عن الكذب على الله ﷻ والإخبار عنه بما يخالف الواقع , وهذه العصمة واجبة , وإن كان الخلاف وقع في هل تقع منهم بعض المخالفات ؟ لا يقولون على الله ﷻ بغير علم , إذا كان الأمر كذلك وجب التعويل والاعتماد في باب الصفات نفياً وإثباتاً على ما قاله الله وقاله رسوله الذي هو أعلم خلقه به , وهذا هو الذي جعل السلف يستميتون في الدفاع عما قاله الله وقال رسوله ﷺ , وفي نفي كلام أهل الكلام المذموم .

ومن القواعد المتبعة في منهج السلف / تقديم النقل على العقل , ولا يجوز معارضة النقل بالعقل . وكما أن من القواعد عدم التفريق بين الكتاب والسنة , أي كما يجب إثبات ما جاء في الكتاب يجب إثبات ما صحت به السنة . ومن قواعدهم رفض التأويل , لا يجوز تأويل نصوص الكتاب بدعوى أن ظاهرها غير مراد . هذه القواعد الثلاث يجب مراعاتها في هذا الباب , وألا يُترَك خبر الله وخبر رسوله ﷺ إلى قول من يفترون الكذب , ويقولون على الله ﷻ بما لا يعلمون من عند أنفسهم , وربما وصفوه

بصفات لم يرد ذكرها في الكتاب ولا في السنة , كأن يقولوا هو علة العلل أو هو العقل الفعال , هذا أسلوب الفلاسفة . هل هذا وصف كمال أو وصف ذم ؟ بأن يصفون الله ﷻ أنه علة الوجود , يعني ليس هو الذي أوجد وإنما علة الوجود , هكذا قالوا على الله ما لا يعلمون , لكن قيض الله ﷻ من يرد هذه الشبه كلها كما أسلفنا .

الكلام قد تكون دلالته قاصرة عاجزة عن المعاني المرادة منه , فقد يريد الإنسان معنى من المعاني فيقصر كلامه ويعجز عن بيان المعاني المرادة لأحد ثلاثة أسباب [ذكر هذه الأسباب شيخ الإسلام في الحموية الكبرى ص (31)] : إما لجهل المتكلم أو لعدم علمه لما يتكلم به أو يتكلم بغير علم . وإما لعدم فصاحته وقدرته على البيان (به عِي , في نفسه كلام ولكنه يعجز عن التعبير عما في نفسه والإفصاح , وليس لديه القدرة على البيان) . وإما لكذبه وغشه فليس بناصح يكذب ويدلس على الناس يريد إرضاء الجمهور بدون أن يكون ناصحاً صادقاً , ونصوص الكتاب والسنة بريئة من هذه الثلاثة , أما بالنسبة لله سبحانه لا ينبغي أن يخطر بالبال شيء من هذه المعاني الثلاثة , وبالنسبة لرسول الله ﷺ وإن كان بشراً ولكن الله ﷻ اجتباه واصطفاه ورباه وأحسن تربيته وأدبه وأحسن تأديبه وهيئه لهذا الأمر العظيم وبرأه من هذه المعاني , علَّمه فأخرجه من الجهل إلى العلم , فأعطاه من الفصاحة والبلاغ ما يؤدي به الرسالة وطبعه على الصدق وحب الخير للعباد ؛ لذلك كلامه أيضاً بريء من هذه المعاني الثلاثة من كل وجه . لذلك لا ينبغي أن يقال لطلاب العلم إذا أردتم أن تتفقهوا ابدأوا بدراسة آراء الناس ؛ لأنكم لا تستطيعون فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ , هذا الكلام خطير, بعض الناس يقولون الذي يريد أن يتفقه يبدأ بكلام الفقهاء ويحذرون الطلاب من دراسة كتب السنة , يقولون هذه فيما بعد , بل بالعكس وكيف يُترك كلام رسولٍ هذه صفاته ؟! ويقال في كلامه قصور, كلامه ليس بالحقيقة . لو قارنت بين عمدة الأحكام وبين زاد المستقنع أيهما أسهل وأوضح ؟ قارن بين كتب الفقه على المذاهب وبين كتب السنة

بدءً من الأربعين النووية حتى تصل للأمهات - لا نسبة - هذا إما كلام الله الميسر وإما كلام رسول الله المفسِر, واضح وأصول . من بدأ يتفقه دَرَسَ الأصول الثلاثة ودَرَسَ عمدة الأحكام وبلوغ المرام والمنتقى , و الأخر بدأ بالزاد والقدوري والمنهاج ومختصر خليل , هؤلاء يهرمون قبل أن يتفقهوا , إنما يحفظون ألفظاً جوفاء , والذين يبدأون بالسُنة في سنتين أو ثلاثة إن انقطعوا للعلم يصبحون فقهاء , ليس في مذهب معين بل في جميع المذاهب ؛ لأنهم درسوا الأصول التي ترجع إليها السنة ؛ لذلك تنفير طلاب العلم الصغار من النظر في السنة وجعْل السنة أمراً صعباً لا يُفهم هذا خلاف الواقع , قارنوا أنتم وجربوا ادرس باباً في الطهارة مثلاً في كتاب من كتب الفقه ثم ادرس هذا الباب في كتاب من كتب السنة ستجد اليسر في كلام رسول الله ﷺ والوضوح . يقال : ينبغي أن تعلم العقيدة بالأدلة العقلية لا بالأدلة النقلية , هذه دعوى شريرة ضد الكتاب والسنة ؛ لذلك لا يجوز أبداً لمن يؤمن بالله ورسوله ﷺ أن يقدم كلام أي أحد على كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ لا في باب العقيدة فقط , بل حتى في باب الأحكام والفقهيات , اعتقاد أن الناس يصلون للحق في أصول الدين وفروعه بدون طريق الله ورسوله ﷺ , وربما يستصعبون الحق في كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ بدعوى أن هذا كلام عظيم ينبغي أن يُبدأ بكلام غيره , هذا تعليل سيء , كلمة حق أُريد بها الباطل , هو كلام عظيم ولكنه سهل ميسور { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ.. {17}سورة القمر} , كيف يُعتقد أنه مُعَقد لا يُفهَم حتى يُبدأ بكلام غيره ؟! بل يجب البُدأة بكلام الله عز وجل , (وكان الصحابة يحفظون عشر آيات من القرآن ويفهمون ما فيها من المعنى والأحكام) [أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبه برقم (29929) , وابن سعد في الطبقات (6 / 172)] , ويقولون حفظنا القرآن وعلمنا ما في القرآن , حفظ القرآن عند سلفنا ليس كحفظ القرآن اليوم , عندنا ألفاظ تكرر دون تدبر وتفهم , كانوا يحفظون ويفهمون ويعملون به ويدعون إليه ؛ لأن القوم ليس لهم كتاب غير كتاب

الله ﷻ , ولما دُوِنت السنة جاءت مفسرة ومفصلة ما أُجمِل في الكتاب , درج سلفنا الصالح وليس لديهم كتاب فقه أو كتاب توحيد أو كتاب عقيدة أو كتاب أصول , الكتاب والسنة هما كل شئ عندهم , يقرأون القرآن فيفهمون فيفقهون فإذا أُجمِلت الأحكام في القرآن فسروا ذلك بالسنة , قال تعالى {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ..{43}سورة البقرة } , وإذا أرادوا أن يعرفوا هذه التفاصيل نظروا في السنة , عرفوا الأموال التي تجب فيها الزكاة والأنصبة والمقدار الذي يخرج وهكذا السنة تفسر القرآن , والكتب التي أُلِفت بعد ذلك حتى عند علمائنا أتباع السلف إنما هي كتب دفاعية , ما أُلِفت إلا للدفاع لما هُوجِمت الشريعة أو هُجم الإسلام بأصوله وفروعه اضطر علماء المسلمين من الأئمة الأربعة وغيرهم أن يُؤلفوا كتباً يدافعون بها عن الإسلام أصولاً وفروعاً , وليست هذه الكتب مقصودة , ولكن مع طول الزمان وتأخُر الوقت عند المتأخرين نُسيَ الكتاب والسنة وتُرِكا , وجُعِلت هذه الكتب هي المقصودة التي في الأصل ليست مقصودة بالتأليف ولكن كانت للدفاع , فليفهم هذا جيداً ليُجعل لكلام الله وكلام رسوله مكانتهما في هذا الباب الخطير وخصوصاً باب العقيدة .

* « بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون » / يشير الشيخ إلى أهل الكلام قاطبة مع تفاوتهم في الضلال وتفاوتهم في القرب , كلهم قالوا على الله ﷻ ما لا يعلمون , يقول الأشعري لا تجوز الإشارة الحسية إلى السماء , وإن أشار إلى السماء معتقداً بأن الله في العلو فهو كافر وإن أشار بدون اعتقاد فهو فاسق , وقالوا إن الإصبع التي تشير إلى السماء يجب قطعها – تورطوا ورطة لا يخرجون منها إلا بالتوبة – مع أن أول من أشار هذه الإشارة محمد ﷺ في أكبر تجمع في حجة الوداع , قال للصحابة رضي الله عنهم :" أنتم مسئولون عني ماذا أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت ونصحت , فجعل النبي ﷺ يقول اللهم اشهد يرفع إصبعه إلى الذي فوقه سبحانه " [سبق تخريجه], بعد أن أشار

هذه الإشارة , كيف يقال لا تجوز الإشارة ويكفر من أشار؟ ! ثم من التناقض عندما يدعو الأشعري الله رب العالمين , يدعو الشيخ ويُؤَمنون ويرفعون أيديهم للسماء , فإلى من رفُعِت الأيدي الآن ؟ فكيف الإشارة الحسية لا تجوز وترفعون أيديكم , فإذا كانت الإصبع تُقطع فلتُقطع الأكف كلها , فالتناقض قاعدة عامة لكل من خالف الكتاب والسنة , كل من ترك المنهج الذي ترك عليه رسول الله ﷻ أصحابه رضي الله عنهم "تركتكم على بيضاء نقية " [سبق تخريجه] , من خرج عن هذا المنهج لابد أن يتناقض , انظروا إلى هذا التناقض بالنسبة بين التكفير بالإشارة وبين رفع الأكف عند الدعاء , فهل هناك تناقض مثل هذا التناقض ؟! قال بعضهم نرفع أيدينا في الدعاء لا لأن الله في العلو , وإنما لأن السماء قبلة الدعاء . في دين من هذا الكلام ؟! هذا الكلام من عند أنفسهم , فإذا أرادوا التخلص قالوا على الله بغير علم ؛ لأنهم يُوقِعون أنفسهم في الحرج , وإذا أرادوا التخلص من الأسئلة المحرجة قالوا على الله ﷻ بغير علم . زيادة على تلك الإشارة رسول الله ﷺ عُرِج به للسماء إلى حيث وصل , إذا قلتم الذي ينزل أمر الله ﷻ , يقال " إن الله ينزل في آخر كل ليلة .." [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (1145) ومسلم (168)] , قالوا الذي ينزل أمره , فهذا الأمر ينزل من عند مَنّ وأمر الله ﷻ ينزل في كل لحظة ؟! قالوا ينزل الملك , فمن الذي أرسل الملك حتى نزل ؟ لا جواب , فعليكم بالتوبة .

وَلِهَذَا قَالَ:{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِين وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ :

* « ولهذا قال { سبحان ربك عما يصفون }» / سبحان اسم مصدر من سبح , الفعل سبح مصدره تسبيحاً , سبح تسبيحاً كما تقول توضأ توضأً , والوضوء اسم مصدر, كذلك سبح تسبيحاً , الذي هو التنزيه والإبعاد عن السوء . سبح الرب نفسه , فالله ﷻ يوصف بالنفس كما يليق به سبحانه { وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ.. {30}سورة آل عمران } , وهو من الصفات التي أنكرها الأشاعرة وتناقضوا فيها فأحياناً يثبتون وأحياناً ينفون , عندما يدرسون في الكتب ينفون ولكن عندما يدعون الله ﷻ يقعون في الإثبات فيتناقضون . وندعو شبابنا لا ينبغي أن تكون فيهم نقطة ضعف في اللغة العربية وفي النحو والبلاغة , حتى إن خصوم هذه الدعوة وخصوم هذا المنهج يتهمونكم بالنقص , ويقولون هؤلاء قوم لا يفرقون بين الفاعل والمفعول , ولا يدرون ماذا تعمل كان وماذا تعمل إن , ينبغي أن تجتهدوا في فروع اللغة العربية ؛ لأن فهم فروع اللغة العربية يساعدكم جداً على فهم الكتاب والسنة , وخصوصاً للذين كان كلامهم الأول غير عربي , على أمثال هؤلاء تعلم اللغة واجب عيني , وإن كان النحاة يُطبِقون على أن تعلم اللغة العربية واجب , وإذا كان فيما مضى العرب يرسلون أولادهم إلى البادية ليتعلموا الفصحى من أهل البادية , فاليوم في هذا الاختلاط بين المسلمين العرب والعجم يجب دراسة اللغة العربية دراسة فاحصة قوية , والأمر ميسور الآن وكتب النحو سُهِلت وأعرِبت , كما خُدِمت كتب اللغة العربية الأخرى , ينبغي أن تبدأوا بصغار الكتب وتتدرجوا فتكونوا على علمٍ تامٍ بفروع اللغة العربية كدراستكم للمصطلح والحديث وغير ذلك .

* رب العزة : إضافة الرب إلى العزة من إضافة الموصوف الذي هو الرب سبحانه إلى صفته وهي العزة , ورب العزة : بدل عن الرب قبله , والله ﷻ يُنزَه عن كل نقص وعيب ومن عدم صفات الكمال , عدم صفات الكمال نقص وعيب يجب أن ينزه الرب ﷻ عن ذلك على أساس لا يُثبت لله إلا ما أثبت لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ , وليس معنى

ذلك أنك تريد أن تصفه بالكمال من عند نفسك , وهذا الكلام يجب أن يُفهم قاعدة (لا يُتجاوز الكتاب والسنة في إثبات الأسماء والصفات) , هذه العبارة حُفِظت من الإمام أحمد رحمه الله أيام الامتحان أمام المعتصم عندما يُمتَحن , فيقال له : ماذا تقول في القرآن ؟ فيقول كلام الله , فيقال له أمخلوق هو ؟ فيقول كلام الله , وفي النهاية يقول (لا يُتجاوز الكتاب والسنة) , كان هذا هو جوابه ويكرر هذا الجواب وهو يُضرَب ويُعذَب أمام المعتصم وأمام الواثق بالله فترة طويلة , لا تظنوا بأن هذه العقيدة وهذا الدين جاءنا بكل سهولة , قد تعب فيه أئمتنا في إثبات العقيدة خصوصاً في عهد العباسيين تعباً ليس بعده تعب , فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خيرا .

* « وسلام على المرسلين » / الرسل عليهم السلام ناصحون , ولا يعجزون عن بيان ما في أنفسهم , فأعطاهم الله التبليغ والبيان والفصاحة والفطانة والإخلاص والسلامة من الآفات التي بين الناس وبين الفهم منهم , فالله ﷻ حفظهم من الآفات الكبيرة والعاهات التي تمنعهم من تبليغ الرسالة , وإن كانوا عُرضة لبعض الأعراض البشرية كالمرض والجوع والعطش والصداع والحمى ؛ لأنهم بشر , أما العاهات المشينة التي تحول بينهم وبين الناس عصمهم الله منها ؛ لأن الله ﷻ حكمة منه اختار من البشر رسلاً , ولو كانوا من الملائكة أو الجن لا يتلاءمون ولا يستفيد منهم البشر ؛ لأن بينهم نفرة ولكن من جنسهم اختار واصطفى وخصهم بالكلام والوحي وصانهم من هذه العيوب فأدوا الأمانة ونصحوا للأمة .

* « والحمد لله رب العالمين » / ثناء من الله ﷻ على نفسه , وأفعال الله ﷻ كلها حميدة , إن قدر خيراً ووفق لفعل الخير فذلك فضل منه يُحمَد عليه , وإن قدر شراً ولم يوفق عبده لفعل الخير وخذله أو أمسك عنه الخير يُحمد على ذلك ؛ لأن ذلك من

عدله , ففعل الله ﷻ يدور بين الفضل والعدل فلا يظلم أحدا وكل فعله لحكمة . العباد قد يُدرِكون هذه الحكمة أو لا يُدرِكون ولا يتوقف إيماننا بعدل الله ﷻ وفضله على معرفة الحِكم , من يريد لا يؤمن بفعل الرب ﷻ وفضله وعدله إلا إذا عرف الحكمة هذا لم يؤمن بالله ﷻ , فالحِكم من أسرار الرب , قد يبين بعض حكمه في بعض أفعاله , فالله ﷻ كما له أسرار في باب الأسماء والصفات ككنه وحقيقة الصفات سر من أسرار الله ﷻ , وفي باب القضاء والقدر له أسرار (القدر سر الله فلا نكشفه) كما قال الإمام علي رضي الله عنه ,أي القدر الزائد على معرفتك على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن , وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطائك لم يكن ليصيبك هذا المقدار واجب , الإيمان به في باب القضاء والقدر من أركان الإيمان , ولكن سر القدر لماذا أفقر فلاناً وأغنى فلاناً , لماذا أحيا وأمات , لماذا فاضل بين العباد في أرزاقهم في علمهم في صحتهم ؟ هذه الأشياء أسرار القدر , فلا ينبغي الخوض في الأسرار بل يجب أن نؤمن أن أفعال الله ﷻ حميدة , لا يفعل إلا لحكمة ولا يقدر إلا لحكمة وهو العليم الحكيم .

* « فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل » / من التعطيل والتحريف والتشبيه والتمثيل .

* « وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب » / لأن رسل الله ﷻ إنما يتكلمون بوحي من الله , لا يقولون على الله من عند أنفسهم إنما يتكلمون بالوحي , كلامهم من عند الله ﷻ من حيث المعنى وإن كانت العبارة عبارتهم .

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ :

* « وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات» / كما تقدم { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. } } , كلمة التوحيد جمعت بين النفي والإثبات (لا إله إلا الله) , بل بين الكفر والإيمان . في صفات الله ﷻ صفات تسمى الصفات الثبوتية وهناك صفات تسمى الصفات السلبية , والصفات السلبية عند أتباع السلف غير السلبية عند الأشاعرة . الصفات السلبية عند أتباع السلف : الصفات الواقعة في سياق النفي أو الاستفهام الإنكاري { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. } } , { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً{65}سورة مريم } , هذه تسمى الصفات السلبية , ما عدا ذلك من إثبات العزة والحكمة والقدرة صفات ثبوتية . والصفات السلبية قد تأتي مفصلة وقد تأتي مجملة وكذلك الصفات الثبوتية . أما الإجمال في النفي أن تنفي عن الله ﷻ كل ما يُضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص مثل { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. } } , جميع النقائص من الولد والوالد والنظير والشريك والصاحبة والمعين والوزير والمثل والند , الغالب في النفي الإجمال . أما التفصيل في النفي أن يُنزه الله ﷻ عن كل واحد من العيوب والنقائص بخصوصه فرداً فرداً , فينزه عن الولد والوالد والجهل والعبث .. , فهذا يسمى التفصيل في النفي .

وليس في الكتاب والسنة نفي محض لا يتضمن كمال ضده (هذه تُعتبر قاعدة) , فإن النفي الصِرف لا مدح فيه , لذلك كلام أهل الكلام المذموم الذين أسرفوا في السلوب , ليس بذي طول ولا بذي قصر ولا بذي دم ولا بذي عرض , فتقشعر القلوب عندما تقرأ مثل هذا الكلام , وذكر الأشعري في مقالات الإسلاميين عنهم مثل هذا الأسلوب [ص (155)], يقول بعض أهل العلم : لو أنك وقفت أمام رجل عظيم وقلتَ له , لستَ بنجار ولا سباك ولا حداد ... , يقول إن في عقلك شئ إما يأمر لك بالطبيب أو يضعك في السجن , فهم كذلك وصفوا الله ﷻ تعالى عن قولهم , فهذه تسمى السلوب المحضة , النفي المحض الذي لا يتضمن كمالاً . أما الصفات السلبية في الكتاب والسنة إنما تأتي ؛ لأنها تتضمن كمال ضدها , نفي الشريك والند لإثبات كمال

عظمته وتفرده بصفات الكمال , لما كان يوصف بالكمال المطلق في كل شيء لم يحتاج إلى شريك ولا ند , ونفي الجهل لإثبات كمال سعة علمه وإحاطته , ونفي العجز لإثبات كمال القدرة , ونفي الظلم لإثبات كمال عدله , ونفي العبث لإثبات كمال حكمته , ونفي السِنه والنوم والموت لإثبات كمال حياته وقيوميته , وهكذا سائر الصفات السلبية في الكتاب والسنة تتضمن كمال ضدها بخلاف السلوب التي عند علماء الكلام . أما الإثبات فالتفصيل فيه أكثر من الإجمال بخلاف النفي , كالسمع والبصر والعلم والقدرة والحياة ؛ لأنه مقصود لذاته , أي إثبات كمال الصفات , والنفي إنما يأتي لإثبات كمال الضد . والإجمال في الإثبات مثل إثبات الكمال المطلق من كل وجه , معنى الكمال المطلق : الكمال الذي لا يُشارك الله عز وجل فيه أحد , وإن كان قد تتفق الأسماء كما تقدم , فيقال للإنسان سميع ويقال للرب عز وجل سميع , ويقال للإنسان بصير عليم , ولكن من حيث الحقيقة لله سبحانه السمع والبصر والعلم الأكمل الذي لا يشاركه فيه أحد , وكذلك جميع الصفات , مجرد الاشتراك في اللفظ في المطلق الكلي قبل إضافة صفة الله لله , وصفة المخلوق للمخلوق , هذه مشاركة ضرورية لا تضر , لكن لا تقع المشاركة في المطلق الكلي , أي كمال الله عز وجل المختص به , فبعد أن أضفتَ هذه الصفات لله فلا شِركة فيها أبداً , فمستحيل أن يُشارك الله عز وجل المخلوق صفته (صفة المخلوق) بعد إضافتها للمخلوق , سمع المخلوق وبصر المخلوق , بعد هذه الإضافة , صارت هذه الصفة مختصة بالعبد تناسب ضعفه وتناسب حدوثه . أصل الصفة قبل إضافة صفة الله إلى الله وإضافة صفة المخلوق إلى المخلوق محل الاشتراك , لكن ذلك المطلق الكلي كما تقدم لا وجود له في الخارج , فلا يوجد سمع قائم بنفسه هكذا ليس سمع وعلم خالق ولا سمع وعلم مخلوق , إنما قد يوجد في الذهن ؛ لأن الذهن قد يتصور حتى المستحيلات لكن في خارج الذهن لا توجد الأشياء إلا مختصة , بعد هذا الاختصاص لا مشاركة بين الخالق والمخلوق , وله المثل العلى سبحانه . أما

التفصيل في الإثبات : المتناول لكل اسم أو صفة وردت في الكتاب والسنة وهي كثيرة لا تُحصى , فإن منها ما اختص الله ﷻ بعلمه كما في الحديث " سبحانك لا نُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك .. " [أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها برقم (468)] , العباد لا يحصون ثناءً على الله ﷻ , وفي حديث دعاء الكرب " أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك (الشاهد من الدعاء) .. " [أخرجه أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه (6 / 246) وابن حبان برقم (2372) , قال الحاكم صحيح على شرط مسلم (1 / 509) , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (199)] , بحيث لا يعلم ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل أو عبد صالح , استأثر الله ﷻ بعلم ذلك .

فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَالِحِينَ :

* « فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون ... » / في باب العقيدة لا اجتهاد ولا قياس ولا استحسان , ولكن إتباع ما جاء به الرسل عليهم السلام , الرسل في هذا الباب متفقون وفي جميع أصول الدين والمطالب الإلهية والنبوات والأمور الغيبية , وإن كان الله ﷻ جعل لكل نبي شِرعة ومنهاجا في المسائل الفرعية التي تقبل الاجتهاد . ما جاءت به الرسل لا عوج فيه ولا انحراف , الصراط المستقيم اجتمعت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم صراط واحد موصل إلى الله ﷻ , مَن انحراف عن هذا الطريق وقع في الضلال والجور إما في اليهودية أو النصرانية بعد نسخهما أوفي الأديان الأرضية أو الوثنية الجديدة , كما قال تعالى { وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ{153}سورة الأنعام } , من حاد عن الصراط المستقيم الذي جاء محمد ﷺ إنما يضل ويتبع بنيات الطريق , والصراط المستقيم صراط الأمة الوسط , والأمة الوسط هي هذه الأمة التي جعلها الله ﷻ وسطاً دون تفريط ولا إفراط ولا غلو ولا تقصير ؛ ولهذا أمرنا الله ﷻ وعلمنا نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم في كل ركعة من الصلاة , أي يُلهِمنا ويوفقنا . والهداية هدايتان : هداية دلالة وبيان , فهذه قد حصلت بإرسال الرسل وإنزال الكتب , والهداية المطلوبة هنا هداية الإلهام والتوفيق التي لا يملكها إلا رب العالمين , ومن يطلب هذا الصراط ويصدق في الطلب ويحاول الإتباع يكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

الجمع بين النفي والإثبات في وصفه تعالى :

وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَد لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ }.

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: { اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }:

* « وقد دخل في هذه الجملة » / من هنا شرع في التفصيل , في ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالأسماء والصفات على الإجمال والتفصيل , وكما تقدم أسماء الله وصفاته توقيفية ليس لأحد أن يسمي الله ويصفه من عند نفسه .

* « ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص » / ابتدأ بسورة الإخلاص ؛ لأنها اشتملت على ما لم يشتمل عليه غيرها مع قصرها , وتسمى سورة الإخلاص لتجريدها عن أوحال الشرك والوثنية , وتسمى صفة الله لاشتمالها على كثير من الصفات والأسماء , " وفي قصة الصحابي ﷺ الذي يقرأ هذه السورة بعد كل سورة في صلاته , وشُكي إلى رسول ﷺ , وقال الصحابي أنه يحبها ؛ لأنها صفة الله " [أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً به برقم (774) عن أنس ﷺ والترمذي (3065) , حسنه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين برقم (3859)] , بهذه القصة رُدَّ على الإمام ابن حزم رحمه الله الذي يرى إنه لم يرد ذكر الصفة في الكتاب والسنة , فيرى المطالب الإلهية يُطلق عليها أسماء الله الحسنى لكن لا يُطلق عليها صفة [درء تعارض العقل والنقل (5 / 249)], وهو رحمه الله لم يطلع على الحديث فيُعتذر له , ولا ينبغي أن يُضلل لمثل هذا الإنكار , مثل هذا الإنكار وإن كان أسلوبه قد يستدعي الشدة عليه كما اشتد هو على غيره , ولكن إذا علمنا أن الرجل يحاول إتباع الكتاب والسنة ويخطئ أحياناً في الاستدلال والاستنتاج وربما ينكر ما في السنة إذا لم يطلع عليه وعرفنا طريقته وطبيعته ينبغي أن نعذره لكثرة ما فيه من الخير والحرص على إتباع الكتاب والسنة , مع ما فيه من بعض التأويلات والتخبطات أحياناً مع الأشاعرة وأحياناً مع الجهمية , كل ذلك حرصاً منه لإتباع السنة , فرقٌ بين من يجتهد ليعمل بالكتاب والسنة ويخطئ كثيراً كابن حزم وبين الذي يُعرِض عن الكتاب والسنة إعراضاً ويرى نصوص الكتاب والسنة غير كافية في هذا الباب , بل يجب إتباع الأدلة العقلية , فرقٌ بين الرجلين الأول يحاول إتباع الحق ولكن يخطئ بعد الاجتهاد , والثاني معرض ؛ لذلك نحن من الذين يلتمسون الأعذار لمثل ابن حزم ومثل النووي وابن حجر والبيهقي وكثيرًا من علماء الحديث الذين يقعون أحياناً بالتأويل , وأكثرهم تأويلا وتصرفاً في هذا الباب ابن حزم , وكلهم

نرى أنه ينبغي أن تُلتمس له الأعذار فلا يُلحقون بالمؤولة محرفة النصوص المعرضين عن الكتاب والسنة , ولكنهم اجتهدوا طلباً للحق فاخطأوا , ولشيخ الإسلام مقام وأي مقام في هذا الباب أشاد بهم وبدعوتهم وبخدمتهم للكتاب والسنة ويرى هؤلاء تُلتمس لهم الأعذار . وللشيخ ابن عثيمين في كتابه (القواعد المثلى) قواعد ينبغي لطلبة العلم الرجوع إلى هذه القواعد ثم ينطلقون للمراجع التي ذكرها الشيخ ابن عثيمين ليعرفوا منهج شيخ الإسلام في علماء المسلمين , كما عليهم أن يقرؤوا (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) , وشيخ الإسلام وإن كان خصومه يتهمونه بالحدة , يقولون يحتد عند النقاش والمناظرة - هذه طبيعة - لكن في الإنصاف وطلب الأعذار قل أن تجد مثله , فهو منصف حتى مع المتصوفة وعلماء الكلام , يخاطب علماء الكلام الذين أعرضوا عن الكتاب والسنة ويرون الاعتماد على الأدلة العقلية (لو كنتُ مكانكم لحكمتُ على نفسي بالكفر لكنكم جُهال) [الرد على البكري ص (259)], فطاحل العلماء يرى أنهم جهال , حقاً إنهم جهال بالنسبة للعلم الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ وإن تبحروا في العقليات وفي علم الكلام والمنطق والفلسفة , هذا علم لا يُخرج المرء من الجهل . على الشباب أن يدرسوا كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله ومن استفاد منهم ليسلكوا مسلكهم , ويخفوا من الحدة إلا الحدة الطبيعية .

* « تعدل ثلث القرآن » / للشيخ إسماعيل الأنصاري تعليق لطيف عند هذه الجملة عند هذه الجملة عليكم أن ترجعوا لذلك التعليق .

(لأن الشيخ شرح الواسطية) .

* « قل » / قل يا محمد جواباً على هؤلاء هو الله أحد الله الصمد .. .

* « الله أحد » / دل عل نفي الشريك في ذاته وحقائق صفاته وهو الواحد في أفعاله , لا أحد يفعل كفعله سبحانه وتعالى . ودلت السورة على تفرده بالعظمة والكمال والمدح

والجلال والكبرياء ؛ لذلك من الكبائر أن يُنافس العبد ربه في العظمة والكبرياء , " وقد أوعده الله ﷻ بالنار من ينازعه في عظمته وكبريائه ؛ لأنها إزاره وردائه كما يليق به" [أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه (2 / 248) وأبو داوود برقم (4084) وابن ماجه برقم (4174) ,صححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (4174) وأصله في مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما برقم (2620)] ؛ لذلك لا يُطلق لفظ أحد في الإثبات إلا على الله , وأما في النفي فلا بأس , وهو أبلغ من واحد , لفظ واحد في الإثبات تطلق على الجميع أما لفظة أحد في الإثبات لا تطلق إلا على الله ﷻ .

* « الصمد » / (فسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالسيد) [البيهقي في الأسماء والصفات ص (58) والطبري في تفسيره (30 / 346)] الذي كمُل في سؤدده والشريف الذي كمُل في شرفه ,(الإنسان قد يكون سيد , لكن ليس له ذلك الكمال فسيادته محدودة ويسمى بالشريف لكن شرفه محدود , وهذه الصفات يتصف فيها بعض العباد , لكن في حدود ضعفه وبدون كمال) , والحليم الذي كمُل في حلمه , والغني الذي كمُل في غناه , (هذه الصفات في المخلوق زائلة وكل ما هو زائل ليس بكامل) , والجبار الذي كمُل في جبروته , والعليم الذي كمُل في علمه (والعباد ناقصون في علمهم , { وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً{85}سورة الإسراء }) , والحكيم الذي كمُل في حكمته (في الحكم والأحكام) , والذي كمُل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله ﷻ , هذه صفته لا تنبغي إلا له , ليس له كفء وليس كمثله شيء. وقد فُسر الصمد : الذي لا جوف له , والذي تصمد إليه الخليقة كلها وتقصده في جميع حاجاتها , وعدم وصف الله بالجوف كمال مختص بالله تعالى , وقد يكون هذا المعنى في غيره تعالى نوع من الكمال , ولكن من كمال الرب ﷻ وُصِفَ بأنه الذي لا

جوف له [فتح القدير للشوكاني (5 / 754)] , ووُصِفَ بأنه الذي تقصده جميع المخلوقات في حاجاتها , فإثبات الأحدية لله ﷻ يتضمن نفي المشاركة مع غيره والمماثلة بينه وبين غيره , وإثبات الصمدية بكل معانيها المتقدمة يتضمن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحسنى والصفات العليا , وهذا هو توحيد الإثبات .

* « لم يلد ولم يولد » / يؤخذ منه توحيد التنزيه , ويؤخذ إجمالاً من قوله {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1}سورة الإخلاص } , أي لم يتفرع عن شيء ولم يتفرع منه شيء , ليس أصلاً لشيء ولا فرع عن شيء.

* « ولم يكن له كفواً أحد » / ليس له مكافئ ومماثل ونظير .

* « الحي » / له كمال الحياة ؛ لأن حياته من لوازم ذاته , فإذا كانت ذاته أزلية أبدية " أنت الأول فليس قبلك شيء , وأنت الآخر فليس بعدك شيء , وأنت الظاهر فليس فوقك شيء , وأنت الباطن فليس دونك شيء " [أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﵁ (2713)] فكذلك حياته كاملة فلم تتجدد ولم تحدث في وقت دون وقت , فالصفات الذاتية كلها أزلية أبدية كاملة ؛ لأنها تتضمنها صفة الحياة من العزة والقدرة والعلم والسمع والبصر وغير ذلك , وهذه الصفات إذا تخلفت في أي موصوف فإن ذلك يدل على نقص في الحياة , والله ﷻ منزه عن ذلك , فالكمال في الحياة يتبعه الكمال في سائر الصفات اللازمة للحي .

* « القيوم » / الذي قام بنفسه , أي استغنى عن غيره ولم يحتج في وجوده وقيامه لغيره , غنًى مطلقاً , فلا يوجد أحد غني الغنى المطلق غير رب العالمين , ولا تشوبه شائبة حاجة أبداً ؛ لأن غناه غنى ذاتي وغنى غيره غنى غير ذاتي , وإنما يعطي من يشاء شيء

من الغنى لكنه غنًى ناقص , وبه قامت الموجودات كلها ؛ لأنه المبدع , والموجودات فقيرة لله ﷻ فقراً ذاتيا , , فالفقر لا يفارقها بالنسبة لله ﷻ , بل ربما كلما يحصل له الغنى المادي من حطام الدنيا يزداد فقراً إلى الله إن كان موفقاً وإن أعرض عن الله هلك , وإن استغنى المخلوق عن مخلوق مثله لكنه لا يستغني عن رب العالمين. والله ﷻ يدبر أمور المخلوقات فضلاً منه لا لحاجة إليهم .

* اسم الحي يتضمن لجميع صفات الكمال الذاتية من العلم والسمع والبصر وغير ذلك .

* اسم القيوم يتضمن لجميع صفات الكمال الفعلية من الاستواء على العرش والمجيء والنزول وغير ذلك .

* « لا تأخذه » / لا تغلبه .

* « سِنة » / السِنة : النعاس وغلبة النوم أو طُروا النوم والنعاس أصلاً , وغلبة النعاس ينافي القيومية ؛ لأنه القائم بنفسه المقيم لغيره

والمقيم على غيره الغني عما سواه , إذ النوم أخو الموت ؛ لذلك أهل الجنة لا ينامون .

* « له ما في السماوات والأرض » / خلقاً وملكاً وسلطاناً وهو المتفرد بذلك , ثم أردف بذلك ما يدل على تمام ملكه فقال ﷻ :

* « من ذا الذي بشفع عنده إلا بإذنه » / الشفاعة كلها له سبحانه , والشفاعة عند الله ﷻ ليست كالشفاعة عند المخلوق , فإذا أردت أن تشفع عند المخلوق لا تستأذن المخلوق المشفوع عنده وقد لا يدري , فتتفق أنت ومن تشفع له ثم تذهب إليه لتؤثر فيه , تؤثر فيه فتجعله شفعاً , المشفوع عنده والشفيع نفعا المشفوع له معاً , هذه الشفاعة عند المخلوق , إذا أردتَ أن تستشفع لأحد تذهب إلى من تظن أن المشفوع عنده يحترم هذا الشفيع إما له غرض فيه أو بينهما مصلحة , فيذهب الشفيع إلى

المشفوع عنده فيشفع عنده فيؤثر فيه فيجعله يشفع ما لا يريد أن يفعل , ومثل هذه الشفاعة ممتنعة عند الله ﷻ . والله ﷻ لا يُشفع عنده إلا بإذن الله ولمن رضي له قولا ؛ لذلك لا تُطلب الشفاعة الآن من الذين تعلم إن لهم الشفاعة كرسول الله ﷺ , وإنما نطلب ممن يملك الشفاعة , فنقول اللهم شفع فينا نبيك محمداً ﷺ , لا يجوز أن نقول الآن اشفع لنا يا رسول الله عند الله , ولما كان ﷺ في الحياة الدنيا يُطلب منه التوسل , أي الدعاء " وطلب الصحابة رضي الله عنهم من الرسول ﷺ في وقت القحط " [يأتي تخريجه] وطلب الأعمى منه الدعاء أن يرد الله ﷻ بصره " [يأتي تخريجه] , شفاعة وتوسل , والمعنى واحد . والعباد يوم القيامة يطلبون من الرسول ﷺ ومن الأنبياء عليهم السلام أن يشفعوا لهم عند الله ﷻ , أي يدعوا لهم , وذلك بعد إذن الله ﷻ , ولا تتم الشفاعة إلا بإذن الله ﷻ لأنه المالك للشفاعة . وعلماء الكلام أنكروا الشفاعة مطلقاً , ونحن نؤمن بوجود الشفاعة وأنها تنفع بإذن الله ﷻ إذا كان المشفوع له ممن يرضى الله قولَه وعملَه وأذِن للشفيع , وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الشفاعة لا ينكرون الشفاعة مطلقاً ولا يبالغون في إثباتها حتى تُطلب من غير الله ﷻ , أما طلب الشفاعة جائز عقلاً أن يقع الطلب بغير إذنه , لكن لا تنفع إلا بإذنه .

ولا يزال كثير من المسلمين الذين تأثروا ببيئات جاهلية وابتعدوا عن هدي الرسول ﷺ لا يزالون يقعون في الشفاعة الشركية , كأن يطلبوا الشفاعة من الصالحين المدفونين , وكأن يهاجروا ويسافروا لقبور الصالحين ليطلبوا منهم الشفاعة , وربما اسأوا الأدب مع أشرف خلق الله محمد ﷺ ويطلبوا منه الشفاعة الآن , يقولون اشفع لنا يا رسول الله , الشفاعة الشفاعة يا رسول الله , هذا الوقت ليس وقت طلب الشفاعة من الرسول ﷺ , وإنما تُطلب الشفاعة من الرسول ﷺ بمعنى التوسل في حياته الدنيوية عندما كان يعيش بين الصحابة رضي الله عنهم كقصة الاستسقاء وقصة الأعمى , وتُطلب الشفاعة من الأنبياء بعد البعث يوم القيامة وهم أحياء يُبدأ طلب الشفاعة من آدم عليه السلام حتى تنتهي للرسول ﷺ

, والرسول ﷺ لا يشفع حتى يستأذن ربه ﷻ استئذانا خاصاً وعظيماً بعد أن يسجد لله ﷻ , فيدعه ربه ساجداً فترة طويلة , ويفتح عليه من المحامد والثناء ما لا يحفظه قبل ذلك وبعد ذلك يقول الله ﷻ يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع [يأتي تخريجه] , هذه هي طريقة الشفاعة . أما ما يفعله عامة المسلمين اليوم متشبهين بالمشركين من تقديم القربات إلى الأضرحة , وخصوصاً أضرحة آل البيت , ومن يُظَن فيهم الصلاح بدعوى أن النذور لهم والذبح عند قبورهم والتوسل لهم التوسل البدعي يؤدي ذلك إلى أن يشفعوا لهم , وهم لا يعلمون أنهم بذلك يُغضِبون رب العالمين ويبتعدون عن الشفاعة وعن النفع , استعجلوا فحُرموا , فعامة المسلمين يقعون في هذا المعنى الآن في كثير من الأقطار, وعلى دعاة الحق تنبيههم ونصحهم وإرشادهم بأن تقديم هذه الأشياء من القربات والنذور والذبائح عبادات لله ﷻ صُرِفت لغير الله , ولا يقول قائل بأن هذا الأسلوب الذي تشير إليه أسلوب يُفرِّق بين المسلمين ونحن لا نريد أن نفرق بين المسلمين , نريد أن يجتمع المسلمين تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله , يستصعب كثير من الناس عندما تبين هذه الشفاعة الشركية وأنها موجودة عند كثير من المنتسبين للإسلام , فيقولون أنتم تجعلون المسلمين كالمشركين , وهذا ديدن أولئك الذين يتعلقون بالعادات والتقاليد الموروثة الذين لا نصيب لهم في العلم النافع , فيجب تعلُم معنى الصنم والوثن (كل ما يُعبد من دون الله من الأضرحة والقبور, الشاهد إذا عُبِدت يطلق عليها صنم ووثن) , ولو أن مسلماً اسمه زيد إذا قرب كبشاً لضريح رجل صالح يعتقد فيه الصلاح , يذبح عنده تقرباً لهذا الضريح أو على من في الضريح أشرك بالله الشرك الأكبر , يستصعب كثير من المسلمين هذا الأسلوب , بل كثير من الدعاة , فيقولون هذا أسلوب يفرق ونحن نريد أن نجمع , لا يجوز أن نغش , مِن الغش أن نقول طالما قلتَ اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا يضرك شيء , ذبحتَ للشيخ استغثتَ بالشيخ ناديتَ شيخاً فقربتَ إليه سجدتَ على عتبة قبره , لا يضركَ شيء ؛

لأنك قلتَ اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله , مَن وقف هذا الموقف وإن كان فيما يبدو له يتحبب إلى الناس ويكسب الشعبية العامة ولكنه غاش , يغش المسلمين ولا يبين لهم حقيقة لا إله إلا الله , ولا إله إلا الله تتنافى مع هذا العمل , أينما وقع هذا العمل بين المسلمين يجب نصح عباد الله ﷻ وإخراجهم من مشابهة المشركين الأولين في تصرفهم , لا يظن ظان أن أولئك المشركين الأولين الذين استباح رسول الله ﷺ دمائهم وأموالهم لم يفعلوا أكثر مما يفعل كثير من المسلمين الذين ينتسبون للإسلام , الآن في كثير من الأقطار لم يصوموا لأصنامهم وأوثانهم لكن إذا أراد أن يسافر يتمتم عند الصنم وعند الوثن , (أنا أريد أن أسافر فكونوا معي ارجع بالسلامة , تبقى في أولادي وتكونوا معي في سفري) , كما يقول العبد الموحد " اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل .. " [أخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (1342)] , يقول لصنمه هذا الكلام , وإذا قال مسلم هذا الكلام , بل أفظع من هذا إذا وقف بعرفه ونادى شيخه في إفريقيا أو آسيا يا سيدي فلان كن معنا , ها نحن هؤلاء وصلنا ببركتكم هنا وسوف نعود إليكم وتكونون معنا في السفر والحضر , أين الله ؟ ! إن لم يكن هذا شرك , فأين الشرك ؟ ! هذا شرك أفظع من شرك الأولين , لا يقع في هذه الوثنية إلا أتباع مشايخ الطرق الذين ربوهم تربية خاصة على الوثنية فلقنوهم بأن شيخاً دائماً مع المريد أينما كان المريد في سفره وحضره , المريد لا يعتمد إلا على الشيخ , المريد لا يجوز أن يستغيث بشيخ شيخه , بل يجب أن يبدأ إذا أراد أن يستغيث يبدأ بشيخه (بشيخنا , وشيخ شيخنا , وشيخنا , والسلسلة القادرية الختمية إلى آخره) , هذا دين المشركين الأولين يتنافى مع ما جاء به الرسول ﷺ . على طلاب العلم ألا يحاولوا أن يكسبوا الشعبية إذا ذهبوا للخارج للدعوة ليتحببوا إلى الناس ويرضوا الناس بسخط الله ﷻ عليهم أن يُرضوا الله ﷻ ولو سخطت الناس جميعاً , هذا الموقف

موقف حرج ؛ لأن كثيراً من المسلمين في كثير من الأقطار يقعون الآن في الشرك في باب الشفاعة والاستغاثة , والله المستعان .

* « وسع كرسيه السماوات والأرض » / الكرسي وسع السماوات والأرض جميعاً , فيدل على واسع علمه وسلطانه , كرسي الرب ﷻ الذي قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما في أثر يُعطى حكم الرفع " أن الكرسي موضع القدمين " [أخرجه عبد الله بن أحمد ص (407) وابن خزيمة في التوحيد ص (107) والطبراني في الكبير برقم (12204) والحاكم في المستدرك (2 / 282) وغيرهم , صححه الألباني موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما في مختصره للعلو (45)] , وهذا الكرسي وسع السماوات والأرض , والصحيح في الكرسي أنه غير العرش , " وأنه في العرش كحلقة ملقاة في فلاة " [أخرجه ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (362) وابن جرير في تفسيره (5 / 399) وغيرهم , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (109)] مع عِظَمه وأنه يسع السماوات والأرض , ولكنه بالنسبة لعرش الرحمن كحلقة ملقاة في فلاة . أما تفسير الكرسي بالعلم فلا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما .

*« ولا يئوده حفظهما » / أي السماوات والأرض , فالله ﷻ لا يثقل عليه شيء مهما عظُم , ليس يثقل عليه فهو الذي خلق كل شئ .

* « العلي » / بذاته فوق جميع المخلوقات , فليس في ذاته شيء من مخلوقاته , ولا في مخلوقاته شئ من ذاته , وليس حالاً في خلقه , وإن قرأت في كتب الأشاعرة التي بدأت تنتشر الآن بأن الله في كل مكان , وأنه في كل شيء , فلتعلم أن من يعتقد أن الله في كل شيء وفي كل مكان لم يعرف ربه , سُئِل ابن المبارك رحمه الله (بم نعرف ربنا ؟ قال نعرفه بأنه مستوٍ على عرشه بائن من خلقه) أو كما قال [أخرجه البخاري في خلق

أفعال العباد ص (8) وعبد الله بن أحمد في السنة (1 / 111) , صححه ابن تيميه في الحموية ص(41) , وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص(84)] فهذا هو العلو الذاتي , إثبات أن الله ﷻ فوق جميع مخلوقاته , والمخلوقات كلها تحته , بائن من جميع خلقه , هذا الاعتقاد إجماع بين سلف هذه الأمة . قال الأوزاعي رحمه الله من كبار أئمة تابعي التابعين وهو من أقران مالك رحمه الله (كنا نقول والتابعون متوافرون إن الله فوق عرشه وأنه موصوف بجميع صفات الكمال الواردة في الكتاب والسنة) أو كما قال [أخرجه الذهبي في العلو ص(129) وابن تيميه في الحموية الكبرى ص (39) , وجوده ابن حجر في الفتح (13 / 417)] , روى إجماع الصحابة والتابعين غير واحد من التابعين وتابعي التابعين على إثبات صفة علو الله على خلقه وأن الله فوق جميع المخلوقات . ولكن لا ينبغي أن نفكر كيف هو ؟ فهذا مزلة القدم ومزلة الفِكر , كيفية ذاته وكيفية أسمائه وصفاته من أسرار الرب ﷻ كما أن للرب ﷻ أسرار في قضائه وقدره , فالخلق عاجزون عن إدراك ذلك , وفي أثر عن أبي بكر الصديق ﵁ (العجز عن الإدراك إدراكُ) [قال الشيخ الجامي رحمه الله في الصفات الإلهية لا نقطع بصحة القصة لأنها بلا سند , نقلاً عن مقدمة ابن خلدون ص (435)] , عجزك عن إدراك حقيقية ذات الله وحقيقة صفاته وأسمائه وحقيقة أفعاله وحقائق القضاء والقدر هو الإدراك ؛ لأنك عرفتَ قدرك ووقفتَ عند قدرك , هو الإيمان فلم تتجاوز , والإيمان بالأمور الغيبية من صفات المؤمنين , وصف المؤمنين { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ..
{3}سورة البقرة } , لا تحاول أن تدرك جميع الأمور وجميع الحقائق بحيث أنك لا تؤمن إلا إذا أدركت وأحطت بكل شيء علماً , هذا مستحيل { وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً{85}سورة الإسراء }, ما سبق هو علو الذات . أما علو القدر : فسره بعض أهل العلم ما يشعره العبد في نفسه من تعظيم الرب ﷻ ومحبته وإجلاله وتقديره , ويسمى علو المكانة (بالتاء , وليس المكان) أو علو المنزلة , فكلها بمعنى واحد . أما

لفظ المكان فلا يُستعمَل في حق الله لا نفياً ولا إثباتاً , لا يقال هو في مكان , ليس في مكان ؛ لأن الكلمة فيها إجمال وإبهام فتحتمل معنًى صحيحاً ومعنًى باطلاً , فلا يستعمل في حق الله ﷻ ويُمسَك عنه , وكذلك لفظة الجهة والتحيز والجسم والعرض , أساليب أتى بها علماء الكلام وابتُلي السلف الذين حضروا زمن الأهواء أن يشتغلوا بهذه الألفاظ ولكنهم فصلوا , قالوا يُستفصَل الذي يُطلِق هذه الكلمة , ماذا يريد بها ؟ ويأتي إن شاء الله مزيد بحث في موضعه . ولله ﷻ علو القهر {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {18} سورة الأنعام } .

* « العظيم » / الموصوف بالعظمة في قلوب أنبيائه وأوليائه , ولا شيء أعظم منه سبحانه .

الجمع بين علوه وقربه وأزليته وأبديته :

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ{ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم } وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوت}

*« وقوله سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن » / هو : ضمير مبتدأ , والضمير من أعرف المعارف بعد لفظ الجلالة , الأول : اسم محلى بأل , والاسم المحلى بأل معرفة , وهو خبر , فالمبتدأ و الخبر معرفة , وفي لغة علماء البلاغة (تعريف طرفي الإسناد يدل على الحصر والقصر) , النسبة ما بين المبتدأ والخبر تسمى الإسناد , وفي هذا المقام من باب قصر الصفة على الموصوف . الأولية بالمعنى الكامل والآخرية والظاهرية والباطنية هذه المعاني الأربعة (الصفات) دلت على الأسماء , وهذه الصفات مختصة بالله ﷻ ، هذا معنى الحصر (حصر هذه المعاني على الموصوف الذي هو الله) , أي لا أحد يُوصف بهذه الصفات ويستحق هذه الأسماء إلا الله ﷻ . و لا أحد يُسمَى

بهذه الأسماء ويستحق معانيها على ما يليق بجلاله وعظمته إلا الله ﷻ , ولا يُثبَت لغيره من ذلك شيء بالمعنى الكامل . واسم الأول : قد فسره النبي ﷺ " أنت الأول فليس قبلك شيء .. " [سبق تخريجه] , فلا أحد يشارك الله ﷻ في هذا المعنى إلى آخر الأسماء كما سيأتي تفسير رسول الله ﷺ " كان الله ولا شيء معه , وكان الله ولا شيء غيره " [رواية (ولم يكن شيء غيره) أخرجها البخاري برقم (3191) , قال ابن حجر في الفتح (6 / 289) : وفي رواية غير البخاري (ولم يكن شيء معه) , وهذه الرواية أخرجها الحاكم وابن حبان عن بريدة ؓ , وأخرج البخاري عن عمران بن حصين ؓ بلفظ (ولم يكن شيء قبله) رقم (4077)] .

دراسة فروع اللغة العربية يساعد الإنسان على فهم مراد الله ﷻ ومراد رسوله ﷺ , أي الفهم العام من النصوص , وإذا قلنا مراد الله ليس معنى ذلك معرفة الحقيقة والكنه في باب الأسماء والصفات , هذا مما استأثر الله بعلمه , ولذلك نحث شبابنا على دراسة النحو والصرف والبلاغة خصوصاً قسم المعاني من البلاغة .

* « الآخر» / [وأنت الآخر فليس بعدك شيء] , كل شيء يفنى ويزول ويبيد إلا الله ﷻ , وإلا ما أراد الله إبقائه من مخلوقاته كالجنة ونعيمها والنار وعذابها , بقاء هذه الأشياء ليس بقاءً ذاتياً , فالبقاء الذاتي لله وحده , أما بقاء الجنة ونعيمها والنار وعذابها وما أراد الله ﷻ إبقائه إبقاءٌ من الله ولو أراد أن يُزيل ويفني لفعل ذلك سبحانه , أي ليس هناك من له البقاء الحقيقي الذاتي إلا رب العالمين .

* « الظاهر » / [وأنت الظاهر فليس فوقك شيء] , وهذا من أدلة أهل السنة في إثبات الفوقية والعلو , فالله سبحانه له العلو المطلق كما تقدم , له علو الذات وعلو المنزلة والمكانة وعلو القدر وعلو القهر , فالله ﷻ ليس في شيء داخل السماوات السبع

, وليس محتاجاً إلى العرش , وإنما خص العرش بالاستواء بعد أن خلق السماوات والأرض لحكمة يعلمها ولا نعلمها .

* « الباطن » / [وأنت الباطن فليس دونك شيء] , الذي بَطَنَ جميع المخلوقات وجميع الأمور بعلمه , أي أحاط بعلمه كل شيء , وهو مع خلقه بعلمه معية عامة , وليس معنى الباطن أنه بذاته في الأرض أو في كل شيء , بل هو مُنَزه أن يكون في كل مكان أو في كل شيء بذاته , وإنما الباطن الخبير الذي أحاط بكل شيء لا يخفى عليه من فوق السماوات إلى تخوم الأرض .

* الأول والآخر : بيان لإحاطته الزمانية . والظاهر والباطن : بيان لإحاطته المكانية , فهو محيط بكل شيء زمناً ومكاناً لا تخفى عليه خافية .

افهم المعنى العام وهذا الوصف , وإياك ثم إياك أن تفكر في إدراك حقيقة الذات وحقيقة الصفات وحقيقة العلو وحقيقة جميع صفات الله ﷻ , ومن يُريد أو يحاول أن يُدرِك الحقائق من صفات الرب وأسمائه وفي الذات العلية يهلك , إما يقع في التشبيه فيقول هو كخلقه ؛ لأننا لا نتصور هذه المعاني إلا كما نتصور في المخلوق , وصفاته كصفات خلقه , إن وقف عند هذا الحد وقع في التشبيه فهلك , والمشبه كافر ؛ لأنه يكذب قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. }} , { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً{65}سورة مريم } , { وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ{4}سورة الإخلاص } , ومن وقر في نفسه هذا المعنى (التشبيه) وأراد أن يفر من هذا الذي وقر في قلبه فقال إذن لا أُثبِت شيئا من هذه الصفات لئلا أقع في التشبيه , وقع فيم ؟ وقع في التعطيل فهلك . أين السلامة إذن ؟ السلامة في الوسط , أن تُسلِم لله ولرسوله ﷺ , أي تفهم معاني هذه الألفاظ من الصفات والأسماء , تفهم المعاني من الوضع العربي , معنى الأول واضح , ومعنى الآخر واضح , ومعنى استوى ومعنى جاء ومعنى ينزل واضح . إيش الذي بقي ؟ أن تتصور الأولية وكيفية النزول وكيفية المجيء وكيفية الاستواء , هذه المحاولة فاشلة وسبب هلاك ؛

لأن من يحاول هذه المحاولة يحاول أن يُدرِك أسرار الرب ﷻ في أسمائه وصفاته وذاته العلية , ونحن العباد لم نؤتى من العلم إلا قليلا , يكفي لعلمنا أن نفهم المعاني , المعاني معلومة كما تقدم , لا تتجاهل كما تجاهلت المفوضة , افهم المعاني وقِفّ عند المعاني وما زاد على المعاني قل الله أعلم . فهذه الأسماء تدل على الإحاطة ؛ لأنه محيط فوق جميع المخلوقات وعلمه في كل مكان . أجمع السلف على هذا التعبير , فالله فوق عرشه بائن من خلقه وعلمه في كل مكان , وفي عبارة أخرى لهم , لا يخلو مكان من علمه , هذا يوضح معنى الباطن , هذا الذي أجمع عليه السلف , ثبتت فوقية الله ﷻ وعلوه على خلقه بالكتاب والسنة والفطرة وبالدليل العقلي وبإجماع الصحابة والتابعين وتابع التابعين , لم يخالفهم في ذلك إلا علماء الكلام الذين نشأوا في وقت متأخر بعد أن نشأ علم الكلام , ربما بعض الناس يقولون علماء الكلام وخصوصاً الأشاعرة هم الكثرة , وقد يبالغ بعضهم فيقول هذا إجماع , كون الله ﷻ في كل مكان إجماع , بمعنى لم يسمعوا إلا كلام الأشاعرة ولهم الكثرة الكاثرة في الآونة الأخيرة ؛ لأنه بعد أن انهزمت المعتزلة ظهروا وكثروا , واضطُهِد منهج السلف واختفى وجُهِل واستولت الأشاعرة على الجو الإسلامي العام حتى لقبوا أنفسهم بأهل السنة والجماعة , ولم يُظهِر حقيقتهم , وأنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة إلا جهاد الإمام ابن تيمية رحمه الله – مؤلف هذه الرسالة في القرن السابع الهجري – فإذا أردتَ أن تُطمئِن نفسك وأنك على الجادة , فتذكر قبل نشأة علم الكلام في عصر العباسيين على أي منهج كان الأولون الذين شهد لهم النبي ﷺ أنهم خير الناس " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .. " [أخرجه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه برقم (3651) ومسلم برقم (2533), ولفظ (خير القرون قرني) أخرجه ابن حبان في صحيحة والبزار في مسنده] , كانوا على منهج السلف الصالح الذين ترك النبي ﷺ عليه أصحابه رضي الله عنهم , إذن السواد الأعظم من المسلمين على هذا المنهج , ثم حصل ما حصل من الفتن وقل عددهم وكثُر من هم

غثاء كغثاء السيل , وأخيراً ظهر هذا المنهج وانتشر , فإذا ضُم هذا العدد القليل المنتشر في العالم الإسلامي اليوم من الذين ينهجون منهج السلف مع قلتهم , إذا ضُموا إلى السواد الأعظم الذي قبل نشأة علم الكلام , كونوا السواد الأعظم الذي يتبع الرسول ﷺ يوم البعث , وهو أكثر الأنبياء عليهم السلام أتباعا ؛ لئلا تستغرب وتستوحش وتقول هذا المنهج الذي تدعوا إليه الذي ندرسه إنه هو الأقلية القليلة في هذا الوقت والأكثرية على منهج الأشعري , كيف تقول هذا منهج أهل السنة والجماعة ؟ لا تستغرب هذا الاستغراب ولا تستوحش من قلة من يسلك هذا المنهج , ولا تهلك وتنضم إلى تلك الكثرة , كأن تقول جميع الجامعات في العالم الإسلامي غير جامعاتنا وغير مدارسنا ومعاهدنا تدرس العقيدة على المنهج الأشعري , هل معنى ذلك أكثر الناس على ضلال والأقلية هي التي على الحق ؟ فهذا وسواس عند كثير من الناس ؛ لذلك أقول وأكرر , وقد أخبر النبي ﷺ " ما من عام إلا والذي بعده شر منه " [سبق تخريجه] , وأخبر أن هذه الكثرة الكاثرة في آخر الوقت " هم غثاء كغثاء السيل " [أخرجه أحمد عن ثوبان رضي الله عنه (5 / 278) وأبو داوود برقم (4297) وغيرهم , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (958)] , وأخبر أن الفرقة الناجية المنصورة على الحق لا تزال حتى يقضي الله عليها قرب الساعة , ونحن في الوقت عاد الإسلام فيه غريباً , وقلّ المتمسكون والملتزمون بالإسلام وكثُر الآخرون , إذا كنتَ على علم وعلى بصيرة من دينك وعرفتَ أن هذا التغير الذي حصل والفساد الذي حصل في العقيدة وقلة الملتزمين بها لا يضرك , بل هذا دليل على أنك على الجادة ؛ لأنه في هذا الوقت وما بعد هذا الوقت يقل الذين يسلكون الجادة والذين يبقون على الخط , الانحراف يكثر لكن لا تزال الطائفة , وإذا جاءك هذا الوسواس والاستغراب تذكر واعرف ما كان عليه المسلمون الأولون , وقراءة تأريخ العقيدة في هذا الباب نافعٌ جداً , اطلعوا على ما كتب المقريزي في خططه [(3 / 309 – 314)] وما كتب البيهقي

في كتابه الاعتقاد ؛ لتطمئنوا على ما أنتم عليه , أنتم على الجادة وعلى الخط ولا يضركم قلتكم وكثرة من يحيطون بكم من كل جهة على خلاف هذا المنهج ؛ لأنك لو خرجت من هذه الأرض إلى أرض أخرى واجتمعت بطلاب العلم وجدتَ نفسك غريباً بين الناس , لا تستغرب هذا الوضع وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك , والمنهج هو المنهج السليم , المهم أن يكون المسلم على يقين في دينه وعقيدته حيث ما كان .

فالله ﷻ على قربه ومعيته , لا المعية الذاتية , معية العلم و معية الإحاطة ومعية السمع ومعية البصر ومعية التدبير . احذر إذا سمعتَ أن المعية حقيقية ألا يتبادر إلى ذهنك المعية الذاتية , صحيح أن معية الله ﷻ مع خلقه معية حقيقية , لكن افهم ما معنى المعية الحقيقية ؟ ترجع إلى تفسير لفظة (مع) , لفظة مع تدل علامَ ؟ على مطلق المقارنة ومطلق المصاحبة بصرف النظر , هل تلك المقارنة بالذات أو بالعلم أو بالرأي أو بأي معنى من المعاني , لا تدل لفظة مع على المعية الذاتية أبداً , إنما تدل على المعية الذاتية بالقرينة , وعلى بقية المعاني أيضاً بالقرينة, فالله ﷻ أخبر عن نفسه وأخبر عنه رسوله ﷺ وأجمع خير هذه الأمة على أنه فوق سماواته مستوٍ على عرشه بائن من خلقه بذاته , وعلمه في كل مكان , إذن معية الله معية العلم , بمعنى أنه سبحانه يرانا الآن , يرى كل واحد منا , ويعلم من كل واحد منا ما لا نعلم نحن بعضنا من بعض , مجتمعين مع بعض , أنا الآن لا أعلم مِن أقرب واحد مني إلا الظاهر , الله ﷻ يعلم منه ما لا أعلم أنا , بل يعلم منه ما لا يعلم هو من نفسه . وهل هناك معية أبلغ في الحقيقة من هذه المعية ؟ هي المعية الحقيقية التي تليق بالله ﷻ , أما اعتقاد أنه معنا بذاته , هذا شيء لا يليق به , وقول شيخ الإسلام في الحموية الكبرى وغيرها (الله معنا حقيقة) [الفتوى الحموية مع مجموع الفتاوى (5 / 103)] قد اخطأ بعض الناس فهِم هذا المعنى – معية الذات – ثم تراجع وأعلن رجوعه عن هذا المفهوم وهو فهم خاطئ , يجب أن نفهم أن الله ﷻ بذاته منزه أن يكون معنا أو مع أي مخلوق حتى مع

الملائكة في سماواته , ليس معهم بذاته , بل هو معهم بعلمه كما هو معنا بعلمه , مع كل مخلوق بعلمه وسمعه وبصره وتدبيره وجميع معاني الربوبية , أما بذاته فالله ﷻ منزه أن يكون في الأرض أو في السماوات , لا يكون مختلطاً في مخلوق من مخلوقاته , وسيأتي مبحث المعية إن شاء الله .

* « وهو بكل شيء عليم » / خُتِمت الآية بما يفيد إحاطة الله ﷻ بكل شيء , ومن الواجبات التي تجب لله الكمالات كلها , من القدرة والإرادة والسمع والبصر والعلو, فالآية كلها إذن في شأن إحاطة الرب سبحانه بجميع خلقه من كل وجه , كما أن العبد ولله المثل الأعلى لو جعل الخردلة في يده وقبض عليها هكذا , فهو محيط بهذه الخردلة من كل وجه , محيط بها وبكل جوانبها , عالم لا يغيب عليه شيء من شأنها , هكذا الخلق كله عند الله سبحانه .

* هو الأول والآخر والظاهر والباطن , ولم يقل الأول الآخر الظاهر الباطن . لماذا أتى بالواو مع أنها جارية على موصوف واحد , وأسماء لمسمى واحد , وصفات لموصوف واحد وهو الله ﷻ ؟ أسماء الله أسماء وصفات , فلنعلم هذه النقطة , أسماء الله ﷻ ليست جامدة , بل أسماء وصفات , فهي أعلام من حيث دلالتها على الذات , وصفات من حيث دلالتها على المعاني , اسم الله العليم اسم وعلمٌ وصفة من حيث دلالته على الذات العلية الموصوفة بالعلم فهو علم , ومن حيث دلالته على صفة العلم فهو صفة , وليست أسماء الله تعالى هذه الأربعة وغيرها أسماء جامدة لا تدل على المعاني كما قالت المعتزلة عليم بلا علم وسميع بلا سمع وبصير بلا بصر , هذا من ضلالاتهم , بل أسماء الله أعلام وأوصاف , وجود الواو بين هذه الأسماء تفيد تقرير هذه الأسماء والتأكيد , إذا تقدم الأول جاء بعده الآخر, تفيد تحقيق الوصف الأول وتقريره – وهذا من بلاغة القرآن – وكذلك الظاهر والباطن , الشخص إذا وُصِف أنه في

الصف الأول يتنافى هذا أن يكون في الصف الأخير, فالله ﷻ جمع لنفسه بين هذه الأسماء التي ظاهرها التضاد فيما بينها , ولدفع توهم التضاد بين هذه الأسماء جُمع بينها بالواو , فهو وُصِف بها جميعاً سبحانه .

* « وتوكل على الحي الذي لا يموت » / الحياة من الصفات الذاتية الملازمة للذات , لعلنا لم ننسَ تقسيم الصفات إلى : صفات ذاتية وصفات فعلية وعرفنا كل نوع , فالحياة كالعلم والسمع والبصر , كما لا يعرض زوال لعلمه ولسمعه ولبصره وجميع الصفات الذاتية بما في ذلك العلو لا يعرض زوال لحياته , وحياته أكمل حياة , حياة غيره لا شيء ؛ لأن الحي , هذه الحياة القديمة الكاملة هو الذي منح بعض مخلوقاته الحياة , حياة محدودة مسبوقة بعدم يلحقها عدم , أما حياة الرب ﷻ لم تُسبَق بعدم ولا يلحقها موت , من إثبات الحياة الكاملة تستطيع أن تثبت لله السمع الكامل والبصر الكامل والعلم الكامل والكلام الكامل ؛ لأن نفي هذه الصفات يضاد كماله ﷻ .

إحاطة علمه بجميع مخلوقاته :

وَقَوْلُهُ : { وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ { وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِير } { يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا }، { وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين} وَقَوْلُهُ:{ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِه}، وَقَوْلُهُ: { لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } وَقَوْلُهُ: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}.

* « وهو العليم الحكيم » / العلم صفة لله بها يدرك جميع المعلومات على ما هي به , فلا يخفى عليه شيء , ورد في الكتاب والسنة ذكر العلم , وذكر عليم , والفعل يعلم , وأحاط بكل شيء علماً , كل ذلك ورد , سواء سمينا مشتقات على حسب تسمية أهل اللغة أو لم نسمِ , نثبت هذه الصفات بجميع هذه الصيغ , يريد المؤلف بهذا أن يرُد على المعتزلة القائلين هو عليم بلا علم , يثبتون الاسم العليم ولا يثبتون الصفة العلم , سميع بلا سمع , بصير بلا بصر , أي أسماء الله عندهم جامدة لا تدل على المعاني , مثل زيد وعمرو , زيد يدل على المسمى فقط فما له معنى أخر , علم يدل على المسمى , جعلوا أسماء الله تعالى كهذه الأسماء الجامدة , والكتاب والسنة يردان هذا المعنى

* الحكيم : لا يفعل إلا لحكمة ولا يقول إلا الحكمة ولا يشرع التشريعات إلا لحكمة فهو الحكيم في كل شيء , واللام في قوله تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {56} سورة الذاريات } لام الحكمة , وعلماء اللغة يسمونها لام العلة , والمعنى واحد لا يختلف , مجرد اصطلاح . ينبغي أن ننبه بالمناسبة ما تقرأونه في كتب الأشاعرة بأن أفعال الله لا تُعلل , فلا يقال يفعل لحكمة كذا, بزعمهم لا يليق أن الله عز وجل يفعل كذا لكذا, واللام عندهم (ليعبدون) : يسمونها لام الصيرورة ليست لام العلة , أي ليصير الأمر فيما بعد للعبادة , هو لم يخلقهم لهذا الغرض ولهذا المعنى ولهذه العلة ولهذه الحكمة , ولكن سوف يصير الأمر فيما بعد إلى هذا المعنى , وهذا تقَّول على الله بغير علم , هذا التنبيه لعلمنا أن كتب الأشاعرة بدأت تغزو أسواقنا في المكتبات العامة , وإذا اطلعتم مثل هذا أو قرأتم للزمخشري في تفسيره مثل هذا فاعلموا أن هذه من الهفوات المخالفة للكتاب والسنة , فالله عز وجل لا يأمر إلا لحكمة لا عبثا, لا يخلق إلا لحكمة ولا يفعل ولا يُشرع إلا لحكمة , كون الله عز وجل شرع القصاص على اختلاف أنواعه لله في ذلك حكمة أدرك العباد أم لم يدركوا , وتطبيق تلك الحدود هو

الذي حافظ على سلامة البلاد والعباد والأموال والفروج والأنفس , هذه بعض ما ندرك نحن , لله حكمة قد لا ندرك .وقيل الحكيم : بمعنى المحكِم للأشياء .

* « وهو الحكيم الخبير » / الخبير : من الخبرة , وهو كمال العلم , فهو محيط بكل شيء على وجه التفصيل لا تخفى عليه خافية , وكون الشيء جلَّ ودق وظهر وخفي بالنسبة لنا , أما بالنسبة للرب ﷻ ليس هناك شيء أدق من شيء وشيء أظهر من شيء , بل كل شيء عنده معلوم , الذي هو عندنا دقيق أوجلي أو خفي .

* « يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها .. »/ بعد أن أجمل فصل تفصيلاً سبحانه , فذكر يعلم ما يلج في الأرض : أي يدخل فيها , وما يخرج منها : من الزروع والأشجار وغيرها , وما ينزل من السماء : من الأمطار والملائكة وغيرها , وما يعرج : يصعد .

* « وعنده مفاتح الغيب .. » / لا أحد يستطيع بأي طريق أو بسبب من الأسباب أن يصل إلى معرفة المغيبات , جاء مفاتح في الآية على وزن مفاعل , وفي الحديث " مفاتيح الغيب خمس .. " [أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (4778)] على وزن مفاعيل , وهي من أسماء الآلة .
وعنده علم الساعة : لا أحد يعلم متى تقوم الساعة ولكن الله ﷻ علمنا بالعلامات , وبيِّن النبي ﷺ علامات الساعة وأماراتها القريبة والبعيدة , من أمارات الساعة بعث النبي ﷺ , حيث يقول :" بعثتُ أنا والساعة كهاتين , وأشر بالوسطى والسبابة " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (6505)] , أي تقدمت على الساعة كما تتقدم الوسطى على السبابة أو أن الساعة لاصقه ببعثتي , ليس بينه وبين القيامة نبي يُرسَل أو يُبعَث , والأمور التي تتجدد والتي أخبر عنها النبي ﷺ والتي وقعت بعده منها هذه الفتن

المتلاحقة والقتال الذي يستمر وكثرة الحروب التي لا تنقطع وكثرة الهرج , " قالوا وما هو الهرج يا رسول الله ؟ قال القتل " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (7061) ومسلم (2672)] , " كثرة النساء " [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (81) ومسلم (2671)] ؛ لأن الحروب تأكل الرجال والنساء يكثرن , " وكثرة الجهل وقلة العلم " [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (80) ومسلم (2671)] . قد يستغرب بعض الناس في هذا الوقت إذا ظهرت تلك العلامة قلّ العلم وكثر الجهل , يقول : العلم كثير, الناس تعلمت حتى النساء . يقال قلّ العلم الذي يعنيه رسول الله ﷺ , ليس الثقافة العامة التي توسعت الآن وانتشرت , تعلم الرجال والنساء حتى أهل البادية , العلماء الذين نسميهم العلماء الدينيين , العلماء الذين يدرسون الدين ويفهمون العلوم الدينية واللغة العربية قلوا جداً وارتفعت الثقافة , فلا تغتروا بكثرة المؤهلات العالية التي انتشرت , الدكتوراة ما أكثرها ! ولكن ليس ورائها شيء في الغالب الكثير إلا الجهل فليس هناك علم , قد يأخذ دكتوراة في دراسة طبقات الأرض ودكتور في الكهرباء , بهذا المعنى كثير أي الثقافة , العلم الحقيقي النافع الذي يُقرِب العبد من الله عز وجل , ويعلم شريعة الله ويعظمها هذا العلم , قلَّ تصديقاً لخبر النبي ﷺ .

* إن الله عنده علم الساعة / تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر , تقديم الظرف (عنده) على (علم) يفيد الحصر , أي عنده وحده لا عند غيره علم الساعة , متى تقوم الساعة لا يعلم ذلك إلا الله عز وجل , وقد أشرنا إلى العلامات , العلامات التي نعيشها من العلامات الوسطى , العلامات الأولى ظهرت كما قلنا ببعثة النبي ﷺ وما يتبع ذلك , ونحن في العلامات التي سماها العلماء العلامات الوسطى للساعة , وتأتي العلامات الكبرى " كظهور الدجال وطلوع الشمس من مغربها والدابة " [أخرجه مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه برقم (2901)] , وغير ذلك .

* وينزل الغيث : لا يعلم متى ينزل الغيث بالتحديد إلا الله , غداً أو بعد غد أو بعد ساعة بعد ثانية , لا أحد يعلم تحديد نزوله , علمه عند الله ﷻ , وما تعوده إخواننا في الإذاعة من كثير الأخبار , أخبار نزول الأمطار وهبوب الرياح من باب التخمين ؛ لذلك تلاحظ أنهم يتحفظون هدانا الله وإياهم (بإذن الله) هذا التحفظ وارد , ولكن الأولى أن يتركوه , البت بأنه سوف ينزل المطر (على المدينة على تبوك على كذا) كثيراً ما يقولون ولا مطر , إنما ينزل في الإذاعة , أما في الخارج فلا نرى , هذا وقع كثيراً , نزلت أمطار غزيرة على المدينة المنورة وسالت الأودية والشعاب ولا مطر , هذه حقائق واقعة ولا أحد كلفهم بهذا , والعجيب أن إذاعتنا أكثر اهتماماً بهذا الخبر من غيرها من الإذاعات , وكان الأولى العكس ؛ لذلك نقول من باب النصيحة عليهم أن يعيدوا النظر في مثل هذه الأخبار , أخبار الأمطار , لا يعلم بالتحديد متى ينزل المطر إلا الله ﷻ , وإن كانوا يتوقعون توقعات كما يقولون بعلامات ومؤشرات , هذا ليس بعلم هذا تخمين وحدس , الحدس والظن والتخمين ليس بعلم ؛ لئلا يظن ظان أن ما يقال في الإذاعات وما أخبر به النبي ﷺ يتنافى , النبي ﷺ أثبت العلم خاصاً لله ﷻ , ذلك علم , والتخمين والحدس والظنون شيء آخر , يا ليتهم تركوا .

* ويعلم ما في الأرحام : معرفة الجنين الذي في الرحم أنه ذكر أو أنثى وعلى أي صفة وما يعترضه من الأشياء في الرحم , لا يعلم ذلك إلا الله ﷻ , والأطباء اليوم اختلفوا , مِن الأطباءِ المنصفين من اعترف أنه مهما تقدم العلم في هذا الباب أو تقدمت الأجهزة والآلات إنهم عجزوا من معرفة وتحديد بدقة بأن هذا الجنين ذكر أو أنثى , وبعضهم يدعي المعرفة , وتلك المعرفة من قبيل معرفة نزول الأمطار, أي الظنون والتخمين أو استعمال علامات تُقرِّب , وهذه العلامات العجائز يعرفن أكثر من الأطباء , العجائز

اللاتي لهن تجارب مع النساء قد تقرب وتصدق أحياناً من الأعراض التي تعرفها في الحبلى : أنَّ من صفتها كذا وهي حبلى ومن ترغب في كذا ومن يكثر عليها النوم ومن كيت وكيت , ما في بطنها ذكر وإلا أنثى , بعض العجائز يخبرن بهذا الخبر , قد تصدق وقد لا تصدق ؛ لأنه تخمين ولا يسمى علماً العلم الحقيقي عند الله سبحانه , فليُعلم هذا لئلا يقع التناقض فيما يخبره بعض الأطباء أو بعض من يخبر بنزول الأمطار.

* وما تدري نفس ... : هذه الحقيقة كل الناس آمنوا بها .

* إن الله عليم خبير : لا أحد يشارك الله ﷻ في هذا العلم .

المعتزلة نفوا صفات الله مع دعوى إثبات الأسماء , فيثبتون عليم سميع بصير حكيم , وينفون العلم والسمع والبصر والحكمة , تقوَّل على الله ﷻ بلا علم , لعل سائل يسأل هل المعتزلة لهم وجود ؟ ونحن دائماً نكرر ذكر المعتزلة , أو كما يقولون نتحدث عن الموتى و ننبش عن القبور . فالمعتزلة موجودون : جميع طوائف الشيعة من الغلاة ومن دونهم وبعض الخوارج كالإباضية هؤلاء كلهم على عقيدة المعتزلة , فالشيعة موجودون ومحاطون ومجاورون , فالمتعلمون منهم على عقيدة الاعتزال لا يثبتون شيئا من صفات الله ﷻ إلا الأسماء المجردة الجامدة لا تدل على المعاني . فمنهم من قال عالم بذاته , يزعم أن إثبات العلم فيه تشبيه ؛ لأن العلم موجود لدى العباد , إذا أثبتنا العلم لله شبهنا الله بخلقه ؟ تناقض . المخلوق يسمى عالم وأنتم أثبتم بأن الله عالم , أليس في هذا تناقض ؟! هذه قاعدة كل من خالف الكتاب والسنة لابد أن يتناقض , ينقض كلامه بعضه بعضا , نفيهم للصفات بدعوى التنزيه ثم إثباتهم للأسماء أوقعهم في التناقض , ومنهم من فسر أسماؤه بمعاني سلبية وهذا شيء لا يُعقل وقد لا يفهمه أكثر الناس , فقالوا عليم بمعنى لا يجهل فلا يثبتون العلم , ولكن ينفون الجهل , وقالوا قادر معناه لا يعجز , هكذا إذا أعرض الناس عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ يتخبطون مثل هذا التخبط , هذا معنًى غير معقول .

نقل الشيخ الجامي عن الهراس رحمهما الله كلامه عن كتاب الحيدة لعبد العزيز المكي , علق الشيخ الجامي قائلا : هذا الكتاب يقال إنه تمثيلية رويت على لسان عبد العزيز المكي , وليس كلامه ؛ لأن فيه بعض المآخذ , وعلى كلٍ جُل هذا الكتاب على منهج السلف , وكونه تقع فيه بعض الهفوات لا يُستغرب على كلام البشر إلا في كلام المعصوم ﷺ , والكتاب بالجملة كتاب جيد ومناظرة جيدة فيها كلام طيب , والمناظرة وقعت بين بشر المريسي وبين عبد العزيز المكي أمام المأمون العباسي الذي تبنى عقيدة الاعتزال , أثرت فيه بطانة سوء حتى انحرف وتبنى عقيدة الاعتزال مع العلم أنه يُوصَف من أعقل وأنبل خلفاء بني العباس لكنه تأثر بعقيدة الاعتزال وفُتِن بتلك العقيدة , وآذى كثيراً من علماء المسلمين وعامتهم إلا أنه هلك قبل أن يُباشِر الامتحان بنفسه وباشر بعده الامتحان المعتصم بالله والواثق بالله , وهو الخليفة السابع (المأمون) , واستمر الامتحان إلى الخليفة العاشر المتوكل على الله , ثم رُفعت المحنة , تعتبر جزءً من سياسية الدولة القول بخلق القرآن ونفي الصفات ؛ لأن الخليفة كان له مكانة كبيرة , المأمون هو الذي تبنى وجرت المناظرة في مجلسه , وعبد العزيز أفحم البشر المريسي أمام المأمون ؛ لأن المأمون يفهم جيداً علم الكلام , فأدرك بأن صاحبه أُفحِم , ومما جاء في المناظرة في مسألة العلم : إن الله لما نفى بِشر العلم , قال له عبد العزيز : هل الله يعلم ؟ قال لا يجهل , أبى أن يقول يعلم . قال عبد العزيز إن الله لم يمدح في كتابه ملكاً ولا نبياً مرسلاً ولا مؤمناً تقياً بنفي الجهل عنه فقط ليدل ذلك على إثبات العلم ولكنه مدحهم بإثبات العلم لهم , فنفى بذلك الجهل , من أثبت لك العلم نفى عنك الجهل ومن نفى الجهل لم يثبت العلم , فرقٌ بين الأمرين , إذا نفيت الجهل هل نفي الجهل يلزم منه العلم ؟ وهل إثبات العلم يلزم منه نفي الجهل ؟! من قال عنك عالم أثبت لك العلم ونفى عنك الجهل , لكن من قال أنك لا تجهل هل أثبت لك العلم ؟ لا , لم يثبت ,

وهذا العمود (يقصد الشيخ عمود المسجد) لا يجهل هل يعلم ؟ لا يوصف لا بالعلم ولا بالجهل , إذن الأكمل إثبات العلم ؛ لأن إثبات العلم ينفي الجهل , هكذا أسكته .

* « وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » , « لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله أحاط بكل شيء علماً » / علم الله ﷻ محيط بجميع المعلومات , وإثبات علم الله يكون بالدليل السمعي والعقلي , السمعي ما بيّنا من الآيات والأدلة . وزيادة على الدليل النقلي والسمعي والخبري يُثبَت العلم بالدليل العقلي - لأن العلم صفة تُثبت بالأدلة النقلية والعقلية معاً , سمت الأشاعرة صفات عقلية من العلم والقدرة والإرادة والكلام والحياة , أي صفات يمكن أن يدركها العبد بعقله حتى لو لم يرد النص - من نظر في هذه المخلوقات وفي بديع صنع الله ﷻ يُدرِك بأنه حي قادر عليم مريد . أما صفة العلم بالدليل العقلي إن إيجاد هذا الكون دليل أولاً على علم الله وقدرة الله ثم على إرادة الله من حيث التخصيص ؛ لأنه أوجد وخصص , التخصيص بالعلم والجهل وسعة الرزق وضيق الرزق وكثير من الصفات هذا يسمى تخصيص , وهذا التخصيص يدل على الإرادة , إذن وجود هذا الكون يدل على عدة صفات : على القدرة ؛ (لأن البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المؤثِر) [هذا ما نطق به أعرابي عندما سُئِل عن دليل وجود الله ؟] وهذا الكون البديع على غير مثال سابق يدل على وجود الرب سبحانه وعلى قدرته , ثم هذا الإيجاد أيضاً يدل على علم الله ﷻ . وجه ذلك : لأن إيجاد الأشياء إنما تم بإرادته , والإرادة تستلزم العلم بالمراد , عَلِمَ ذلك المراد فأوجده , ولهذا قال { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ{14}سورة الملك }. كيف يخلق وهو لا يعلم ؟! إذن خلق وهو يعلم , هذا هو الدليل العقلي . إذن دل ذلك على علم الله المحيط بجميع المعلومات هذا أولاً , ثم ثانياً : التدبر والتفكر في هذه المخلوقات وما فيها من الإتقان والإحكام ودقة الخِلقة والتصوير يشهد بعلم الفاعل ؛ لأن صانع هذا

الكون عا لم لامتناع صدور ذلك عن غير علم , الجاهل الذي لا يعلم أو عِلمه ناقص لا يصدر منه هذا الإتقان وهذا الإحكام , هذا هو الوجه الثاني في صياغة الدليل العقلي , وثالثاً : ولو نفينا العلم عن الله مع ثبوت العلم في بعض مخلوقاته صار ذلك المخلوق أكمل من الخالق , تنزه الله عن ذلك وعز وجل , إذن فهو الذي أعطى المخلوق ذلك الكمال , ومعطي الكمال أولى بالكمال وأولى بالعلم سبحانه .

والمخلوق خالقه الذي علَّمه , وواهب الكمال أحق الكمال , فلو كان الرب ﷻ فاقداً للعلم لما أعطى غيره , وإنما أعطى غيره العلم ؛ لأنه العا لم { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11}سورة الشورى } , { وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء .. {255}سورة البقرة } , فالدليل العقلي دل على صفة العلم لله سبحانه وتعالى .

والفلاسفة قالوا إنما يعلم الله الكليات دون الجزئيات , ويلزم من قول الفلاسفة إنكار العلم مطلقاً وأن كل ما في الخارج هو جزئي , إذا قالوا لا يعلم الجزئيات كأنهم قالوا لا يعلم شيئا في هذا الكون ؛ لأن كل ما في الكون جزئي ولأن الكلي لا وجود له إلا في الذهن , الكلي ما يتصوره العقل والذهن ؛ لأن العقل قد يتصور المستحيلات , قد يتصور العقل وجود علم قائم بنفسه دون أن يُضاف إلى عا لم , وهذا يسمى الكلي المطلق , وإذا وُجِد العلم مختصاً , والاختصاص يكون بالإضافة كعلم الله وعلم المخلوق , هذا لا يقال له كلي يقال له جزئي , كل ما في الكون فهو جزئي , إذا قال الفيلسوف لا يعلم الله الجزئيات وإنما يعلم الكليات وقع في إنكار العلم مطلقاً بأن الله ﷻ لا يعلم شيئا . مثال آخر : صفة السمع قبل أن يُضاف سمع الله إلى الله , وسمع المخلوق إلى المخلوق , هذا يسمى الكلي المطلق , أي المطلق من الإضافة , لم يُضاف إلى الله ولا إلى المخلوق , وهل يُتصور وهل يوجد في الخارج صفة اسمها السمع ليس سمع خالق ولا سمع مخلوق ؟ لا وجود لها , وهذا يسمى الوجود المطلق الذي يتصوره الذهن ؛ لأن الذهن قد يتصور حتى المستحيلات , حرٌ قد يتصور الشريك والولد

والصاحبة فليس هناك ما يوقفه , لكن في خارج الذهن لا يوجد المطلق الكلي , وكل ما هو موجود فهو جزئي مختص , ومعنى الجزئي أي مختص , سمع الله ﷻ مختص به لا يشاركه فيه أحد وكذلك البصر والعلم , وبالمقابل سمع المخلوق المختص بالمخلوق بالإضافة يُنزه الرب عنه أن يُشرِكه في ذلك السمع المختص بالمخلوق بمواصفاته وكذلك البصر والعلم , أي سمع المخلوق سمع قاصر حادث مخلوق مسبوق بعدم السمع ثم وُجِد وليس محيط بجميع المسموعات , الرب سبحانه ينزه أن يشاركه العبد في مواصفات هذا السمع وهذه الصفة , وقس على ذلك جميع صفات الرب سبحانه .

وفي القدرية مذاهب : من مذاهبهم طائفة تقول الله لا يعلم أفعال العباد حتى يعملوها أو بالأصح عندهم حتى يخلقوها وهؤلاء نفاة القدر, بعد أن يعمل العباد وتظهر بعد ذلك يعلم ؛ توهماً منهم أن علمه بها يفضي إلى الجبر فراراً من القول بأن العبد مجبور ؛ لأن القدرية يرون بأن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه الاختيارية ؛ ولئلا يقولوا بأن العبد مجبور وفعل ذلك بغير إرادته وقدرته زعموا بأن الله لا يعلم أفعال العباد حتى يخلقوها عندهم . والعلم الضروري الذي لا تستطيع أن تدفعه من نفسك ولو حاولت أن تتصور بأن الله لا يعلم هذه الجزئيات وأفعال العباد إلا بعد وجودها لتكلفت في ذلك , بل الذي فطر الله عليه العباد ويعلمون بعقولهم أن الله عالم بكل شيء وأنه الخالق وأن العباد لا يخلقوا شيئا , بل الخالق وحده هو الله ﷻ , هذا معلوم بالفطرة والعقل السليم مع الشرع .

* « إن الله هو الرزاق .. » / الضمير (هو) ضمير منفصل بين اسم إنَّ وبين الخبر , الإتيان بهذا الضمير يفيد الحصر والقصر , بمعنى اختصاص هذا الاسم بالله ﷻ , في غير القرآن لو قلتَ (إن الله الرزاق) الكلام مستقيم , لكن هناك فرقٌ من حيث المعنى والبلاغة بين قولك (إن الله الرزاق) و (إن الله هو الرزاق) وإن كان التركيب كله

صحيح وسليم , الإتيان بضمير الفصل يفيد الحصر, فالله ﷻ هو المختص بهذا الاسم ولا أحد يُسمَى بهذا الاسم , وإن سُميِّ أحدٌ بهذا الاسم لا يؤدي اسمه ما يؤدي معنى اسم الله تعالى من كثرة الرزق ومن كثرة العطاء . الرازق : اسم فاعل , والرزاق : صيغة مبالغة في كثرة الرزق وهو شيء مشاهد لا يحتاج إلى دليل , يرزق عباده رزقاً بعد رزق , وأنواعاً من الرزق في كثرة وتنوع هذا معنى الرزاق , ولا يشترط في الرزق أن يكون مباحاً ؛ لذلك يقول صاحب الزُبد (والرزق ما ينفع ولو محرماً) [أحمد بن رسلان الشافعي في كتابه غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان] هكذا عند الفقهاء ؛ لأنه أتى من عند الله إما فضلاً وإما عدلاً , إن أعطاه مباحاً ويسر له السبيل لِكسب المباح ووفقه إلى ذلك هذا رزق وهو من فضل الله , وإن خذله وأمسك عنه التوفيق وتناول من المحرمات ومن الطرق غير الشرعية فهو رزق وذلك عدل من الله , وإذا نظرنا بعين القدر فالكل مقدر من عند الله ﷻ .

* ذو القوة المتين : صاحب القوة , بمعنى اسمه القوي , قوله (ذو القوة) أبلغ من (القوي) وهذه البلاغة نأخذها من ضمير الفصل (هو) بين اسم إن وخبر إن . ولا غضاضة إذا قلتَ الآية الفلانية أبلغ من الآية الفلانية , أو الاسم الفلاني أبلغ من الاسم الفلاني , فلا يظن ظان بأنه لا يجوز المفاضلة بين آيات القرآن بأن يقال هذه أبلغ من تلك أو أفضل من تلك , فآية الكرسي أعظم آية في القرآن [أخرجه مسلم عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه برقم (1885)] , والمفاضلة بين سور القرآن , " سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن " [أخرجه البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه برقم (5013)] , إذا ثبتت بالنص فلا غضاضة في ذلك , من منع ذلك يُحمل منعه على عدم اطلاعه على هذه النصوص , وبناءً على ذلك قوله (ذو القوة) أبلغ (القوي) وتأتي هذه البلاغة مما وصفنا ؛ لأن (ذو القوة) خبرٌ ثانٍ , (الرزاق) خبرٌ أول وهو معرفة , (ذو القوة) أي هو ذو القوة خبر ثانٍ ومحلاً بأل , جاءت البلاغة من هنا .

* المتين : فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالشديد , ولا تفسير بعد تفسير ابن عباس يُكتفى به [فتح القدير للشوكاني (5 / 131)] .

إثبات السمع والبصر لله سبحانه :

وَقَوْلُهُ:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير } وقَوْله { إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا }.

* « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » / هذه الآية هي الدليل الأساس لأهل السنة في باب التنزيه , وكل من يُرِد أن ينزه الله عما لا يليق به لا يجد دليلاً أقوى من هذه الآية , لا معنى للتنزيه غير هذا المعنى . وليس معنى التنزيه نفي الصفات , والاستدلال على ذلك بقوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11}سورة الشورى } – هكذا فعل علماء الكلام – ومعنى التنزيه أن نثبت لله ما أثبت لنفسه , في هذه الآية نفى المثل وبعد نفي المثل أثبت لنفسه السمع والبصر , دل ذلك على أن معنى التنزيه أن يثبت له السمع والبصر ثم تنفي المماثلة بين سمعه وبصره وبين سمع وبصر المخلوق , وقد أخطاء علماء الكلام عندما زعموا أن معنى التنزيه نفي الصفات , لو وقفوا عند مجرد هذا الزعم لهان الأمر ولكن استدلوا بهذه الآية على نفي الصفات {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..{11}سورة الشورى} لم يكملوا الآية , وقفوا عند هذا الحد من الآية , والآية على زعمهم تدل على نفي الصفات ؛ لذلك اضطربوا : منهم من نفى الصفات نفياً مطلقاً ولم يثبت لله أي صفة من صفات الكمال , وهم المعتزلة . ومنهم

من تصرف في صفات الله تعالى , قالوا ما كان من قبيل الصفات العقلية تثبت بالدليل العقلي , وإثباتها كما ما يليق بالله ﷻ ولا يؤدي إثباتها بالدليل العقلي على ما لا يليق بالله ﷻ ولا يؤدي إلى التشبيه , وهم الأشاعرة . قالوا نثبت لله الإرادة والقدرة والعلم والسمع والبصر والحياة والكلام , بأي دليل ؟ قالوا بالأدلة العقلية . على أي كيفية ؟ قالوا كما يليق بالله . أليس في ذلك تشبيه ؟ قالوا لا ؛ لأنها ثابتة بالعقل . متى يكون التشبيه ؟ عندما تثبت الصفات السمعية الخبرية النقلية التي لا مجال للعقل إلى إثباتها , إذا أثبتها لله وقعت في التشبيه . فَهْمُ منهج المعتزلة أيسر من فَهْم منهج الأشاعرة , على الرغم من ذلك شُهِد لهم من خيار علماء المسلمين أنهم أقرب إلى منهج السلف في هذا الموقف . في هذا الموقف : أي الموقفين أوضح بصرف النظر عن كونه حقاً أو باطلاً ؟ عندما يقول المعتزلي قوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..{11}} يدل على نفي الصفات , لا نثبت لله أي صفة ؛ لأن إثبات صفة من الصفات يوقعنا في التشبيه , هذا كلام واضح تستطيع أن تناقشه . ولكن الأشعري يقول : لابد من استعمال الفكِر والعقل , ما كان من قبيل الصفات العقلية إثباتها لا يؤدي إلى التشبيه ؛ لأننا نثبتها بالدليل العقلي لا بالدليل السمعي , ولكن الذي يُوقِع في التشبيه أن تُثبت الصفات السمعية الخبرية النقلية بالأدلة النقلية ولا مجال للعقل إلى إثباتها , إثبات هذه الصفات يؤدي إلى التشبيه . أي إثبات القدرة والإرادة والسمع والبصر بالدليل العقلي لا يؤدي إلى التشبيه , لكن إثبات الوجه وإثبات اليد وإثبات القدم وإثبات النزول وإثبات المجيء يؤدي إلى التشبيه . ما الحل ؟ الحل التأويل لا النفي ؛ لئلا يُلحَقوا بالمعتزلة , المعتزلة نفوا واستراحوا وأراحوا خصومهم , ولكن الأشاعرة قالوا لا , نؤول تأويل . من أين تأخذوا المعنى المؤول إليه ؟ قالوا من العقل . ومن الذي أدراكم أن الله أراد بقوله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى{5}سورة طه } أراد معنى الملك والسلطان والهيمنة ؟ أليس سلطان الله وملكه الله وهيمنته على جميع المخلوقات , ما الذي خص العرش بهذا المعنى ؟! وإذا قلتم ينزل

معناه نزول الأمر أو نزول الملك , وهل تحلفون بالله بأن الرسول أراد بنزول الله نزول الأمر أو نزول الملك ؟ لن يستطيعوا أن يحلفوا , أي أن المعنى المؤول إليه معنى ظني غير يقيني . هكذا فعلت الأشاعرة بالنصوص وتلاعبوا . لقائل أن يقول مالُك وللأشاعرة في كل درس ؟ هم جيراننا ويحيطون بنا موجودون بيننا ونحن نؤمل ونرجو من الله ﷻ بأن يسمعوا هذا الكلام ويهتدوا ولو بعضهم كما حصل لصاحب هذا الكتاب كما قلنا غير مرة .

قال ابن القيم رحمه الله : (قوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..{11}} , إنما قصد به نفي أن يكون معه شريك أو معبود يستحق العبادة والتعظيم , كما يفعله المشبهون والمشركون) [إغاثة اللهفان (2 / 340- 341)] , يرى العلامة ابن القيم قوله تعالى : ليس كمثله شيء .. , ليس رداً على المشبهة في الأسماء والصفات فقط , بل الآية تشمل الرد على المشركين , كيف ذلك ؟ كون الآية ترد على المشبهة في باب الأسماء والصفات هذا الذي يفهمه طلاب العلم , وابن القيم يرى أنها ترد على المشبهة والمشركين معاً , هل المشركون شبهوا ؟ المشرك عندما يتخذ نداً مع الله وشريكاً يعبده كما يعبد الموحد رب العالمين , يعبده من دون الله أو مع الله جعل هذا المعبود مشابهاً لرب العالمين ﷻ , أي عندما يدعوه ويستغيث به منحه السمع المحيط بجميع المسموعات والعلم المحيط بجميع المعلومات والقدرة على كل شيء , عندما ينادي شيخه - وشيخه ميت مدفون أو غائب في أقصى الأرض - يناديه من بعيد , واقف بعرفه , يقول : يا سيدي , يا شيخي , وصلنا إلى هنا بكم , وسوف نعود إليكم كونوا معنا انظروا إلينا بعين الرحمة ونحن بعرفه - الله المستعان - ما أعظم الشرك في اليوم العظيم ! , هذا ما يقع من عوام الحجاج , ينادي شيخه من هناك , إذن منحه قدرة كقدرة الله وسمعاً كسمع الله , هذا هو التشبيه . {{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..{11}}, رد على المشبهة والمشركين , هذا معنًى دقيق , قد لا يفطن له كثير من المؤلفين , نبه على

ذلك تلميذ شيخ الإسلام , الإمام ابن القيم في كتابه الفوائد وفي كتابه مدارج السالكين [1 / 255 وما بعدها] [وأيضا كتاب الجواب الكافي ص (208)] . وقول ابن القيم رحمه الله (.. إنما قصد به نفي أن يكون معه شريك أو معبود كما يفعله المشبهون (بالنسبة لباب الأسماء والصفات) , وكما يفعله المشركون (في باب العبادة) . يقول ابن القيم رحمه الله (ولم يقصد به نفي صفات الله وكماله وعلوه , وتكلمه بكتبه , وتكلمه لرسله , ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم كما تُرى الشمس والقمر في الصحو ..) , يريد أن يعمم العلامة ابن القيم هذا التشبيه وهذا النفي الذي يقع فيه المشبهة , أي ليس الغرض من قوله تعالى { ليس كمثله شيء } نفي علو الله على خلقه , وليس الغرض من هذه الآية نفي تكلمه ؛ لأنه لا يتكلم بكتبه وأن هذه الكتب السماوية (الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن) , ليست من كلام الله ؛ لأن إثباتها أنها من كلام الله يؤدي إلى التشبيه ليس هذا مراد الآية , وليس هذا مراد نفي المماثلة , ولم يقصد أيضاً أنه لم يكلم رسله , ولم يقصد أيضاً نفي رؤية المؤمنين لرب العالمين جهرة بأبصارهم كما تُرى الشمس والقمر ليس دونها سحاب , لم يقصد هذا إنما قصد نفي المشابهة والمماثلة بين الخالق والمخلوق في ذاته وصفاته . كلام العلامة ابن القيم لو شُرِح وفُصِل , معناه : الله ﷻ متكلم وهو الذي تكلم بهذه الكتب التي أنزلها وهذه الكتب كلها من كلامه تعالى وليس كلام الله هو القرآن فقط أوهو التوراة والإنجيل والزبور, بل لا نهاية لكلامه , كلام الله كلام لفظي له حرف وصوت ولا ينتهي , {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً{109}سورة الكهف } كلامات لانهاية لها ؛ لأن الكلام من صفات الكمال , وكمال الله ﷻ لا نهاية له , الكمال الذي ينتهي ليس بكمال , كمال نسبي , صفة الكلام فينا صفة كمال لكنه كمال نسبي , أي بالنسبة لمن لا يتكلم ؛ لأن هذا الكمال سوف ينتهي , الإنسان نفسه سوف ينتهي وينتهي كلامه وينتهي سمعه وبصره , لكن

الحي القيوم الذي لا يموت كمالاته لا نهاية لها , من كمالاته صفة الكلام , ورسل الرب ليسوا في وقت واحد لكن في أوقات مختلفة , كلم نوحاً في شأن ابنه , وكلم موسى , وكلم أشرف الخلق وخاتم المرسلين ليلة الإسراء والمعراج , كل ذلك من كلامه تعالى , بهذا يُرد على الأشاعرة القائلين بأن كلام الله تعالى معنًى واحدا قائم بذات الله لا يتعدد , مستحيل على كلام الله التعدد والتقدم والتأخر وأن يُعرب كما يُعرب كلام غيره , هذه شبهات باطلة يكررها الأشاعرة في كتبهم , وإذا رجعتَ إلى الكتاب والسنة واستقرأتَ الكتاب والسنة وجدتَ كلام الله ﷻ له حرف وله صوت , والأنبياء عليهم السلام سمعوا كلام الله بصوت الله لما خاطبهم , والصحابة ﵃ سمعوا كلام الله (القرآن) بصوت رسول الله ﷺ , وهكذا فنحن الآن نسمع كلام الله من التالي , نسمع من الحصري كلام الله والصوت صوت الحصري والكلام كلام الباري , هذا معنى قول السلف (المتلو كلام الباري , والصوت صوت التالي) [مجموع الفتاوى لابن تيميه (12 / 98)] , إذ قلنا أن كلام الله له صوت وحرف لا ينبغي أن يتبادر الأذهان أن الأصوات التي نسمعها من القراء أنها صوت الله , إنما الذين سمعوا من الله مباشرة أنبياء الله والملائكة هم الذين سمعوا كلام الله بحرفه وصوته , ونحن نسمع كلام الله بحروفه ولكن بصوت القاري لا بصوت الرب سبحانه ولا بصوت النبي ﷺ .

ورؤية المؤمنين يجب الإيمان بها , الرؤية ليست صفة الخالق , وإنما تُذكر الرؤية في باب الأسماء والصفات ؛ لأن من أهل الكلام من ينكر أن العباد يرون ربهم يوم القيامة . ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بأن عباد الله ﷻ المؤمنين سوف يرون ربهم جهرة بأبصارهم كرؤية الشمس والقمر ليس دونها سحاب , يقول النبي ﷺ " إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون القمر ليلة البدر , وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب " [أخرجه البخاري عن جرير بن عبد الله ﵁ برقم (573) ومسلم برقم (211)]

في هذا تشبيه الرؤية بالرؤية وليس في ذلك تشبيه المرئي بالمرئي , المرئي في قوله ﷺ "

إنكم سترون ربكم عياناً .. " , شبه الرؤية بالرؤية , فشبه رؤية المؤمنين لربهم في الجنة وفي عرصات القيامة برؤيتهم للقمر والشمس , فالرؤية صفة للعبد , إذن لا غضاضة في تشبيه الرؤية بالرؤية ؛ لأن كلتا الرؤيتين للعبد , والذي يرى القمر هو العبد , فشبه الرؤية بالرؤية , فهي رؤية حقيقية كما يؤمنون برؤية القمر رؤية حقيقية , ثم إنكم ترون القمر لا تتضامون ولا تتضررون ولا تتزاحمون , وهذا القمر المخلوق الصغير الذي في السماء عندما نراه كما قال النبي ﷺ, هل يحصل زحام بين الناس , فكل إنسان يرفع رأسه من حيث هو فيرى القمر فوقه , وليس معنى ذلك تشبيه الله بالشمس أو القمر , حاشا تعالى الله عن ذلك , أرجو أن يكون هذا الكلام مفهوما ؛ لأن بعض الناس ربما يتوهمون أن في ذلك تشبيه الخالق بالمخلوق , وليس في ذلك رائحة لهذا المعنى .

* « السميع » / يسمع الهمسات والسر والنجوى بسمع هو صفةٌ له , لا يماثل أسماع خلقه كما أن ذاته لا تماثل ذوات خلقه , فهو صفة مختصة به كما تقدم .

* « البصير» / يرى كل شيء وجميع الموجودات على اختلاف إحجامها , فلا فرق عنده بين الجبل وبين الذرة , كلها يراها ببصرة ولا يقال عند بصر الله قرُب أو بعُد ؛ لأنه ليس بالنسبة له شيء بعيد , فالله محيط بجميع المخلوقات ؛ لأن المخلوقات بالنسبة لله كالخردلة في يد أحدنا يقبضها هكذا فيحيط بها . وقد جاء الحديث " أن النبي ﷺ لما قرأ (إن الله كان سميعاً بصيراً) جعل إبهاميه على أذنيه والسبابتين على عينيه هكذا "[أخرجه أبو داوود عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (4713) , قال الوادعي صحيح على شرط مسلم برقم (4636) في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين , وصححه الألباني في صحيح أبي داوود برقم (3728)] , إشارة إلى حقيقة السمع والبصر, إثبات للحقيقة وتأكيد السمع والبصر , والحديث مما استدل به أهل العلم على أن لله عينان تليقان به , وليس في ذلك تشبيه الصفة بالصفة ولكن إثبات الحقيقة

وتأكيد الحقيقة , تأكيد السمع وتأكيد البصر. ومعنى الحديث أنه سبحانه يسمع بسمع ويرى بعين , ليس سمعه كسمع المخلوق وعينه كعين المخلوق , وهو حجة على بعض الأشاعرة الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات وبصره علمه بالمبصرات , هؤلاء وصفهم الشيخ الهراس بهذه الصفة أنا لا أعلمهم , هذا مذهب من مذاهب الأشاعرة , والشيخ من أعرف الناس بالأشاعرة وهو حجة في معرفة الأشاعرة , نستفيد منه العلم بمذاهبهم وفرقهم . والأشاعرة المعروفون يبقون السمع على ظاهره والبصر على ظاهره , أما الأشاعرة المعروفون لدينا الذين لديهم كتبٌ في أيدي الناس الآن يثبتون السمع والبصر والعلم على حدٍ سواء , صفة يسمونها من صفات المعاني , صفات عقلية من صفات المعاني يثبتون هذه الصفات بالأدلة العقلية , الفرق بينهم وبين أهل السنة بالنسبة لهذه الصفات : أهل السنة يثبتونها بالأدلة النقلية والعقلية معاً , أما هم فيثبتونها بالأدلة العقلية فقط , وهذا هو السر في شهادة شيخ الإسلام لهم أنهم أقرب طوائف أهل الكلام لمنهج أهل السنة .

إثبات المشيئة والإرادة لله سبحانه :

وَقَوْلُهُ : { وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ } ، وَقَوْلُهُ : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ }، وَقَوْلُهُ: { أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} ،وَقَوْلُهُ { فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء }.

* « ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله .. » , « ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد.. » / هذه الآيات دلت على إثبات صفتي الإرادة والمشيئة , الإرادة

الكونية بمعنى المشيئة العامة , هما صفة واحدة والنصوص في ذلك لا تحصى كثرة , والأشاعرة يثبتون إرادة واحدة ؛ لذلك دائما يضطربون ويرتبكون ؛ لأنهم لم يُرزقوا الفقه في الدين , تقسيم التوحيد مثلاً إلى ثلاثة أقسام استقراء وفقه في الكتاب والسنة , وتقسيم الإرادة إلى الإرادة الكونية والإرادة الشرعية فقه واستقراء للكتاب العظيم والسنة النبوية , " ومن يرد الله به خيراً يفقه في الدين " [أخرجه البخاري عن معاوية رضي الله عنه برقم (71) ومسلم برقم (1037)] , والذين اكتفوا بكتاب الله وسنة رسوله والتمسوا العلم والهدى منهما هداهم الله إلى هذا الفهم الدقيق الذي حُرِم جمهور الأشاعرة وارتبكوا في باب الإرادة , لم يثبتوا إلا إرادة واحدة , الإرادة الكونية ولم يُوفقوا إلى الإرادة الشرعية . وإثباتها في الكتاب والسنة أيضاً : فكل ما أراد الله أزلاً بالإرادة الكونية لا يتخلف أبداً , بل لابد من وقوعه , كل ما أراد الله كوناً لأن هذا مما مراتب القدر عَلِمَ الله وكتب وشاء بالمشيئة العامة أن الشيء الفلاني يقع في الزمان الفلاني والمكان الفلاني من الحوادث ومن المعاصي والكفر والطاعات والإيمان , كل ما أراده الله كوناً لابد أن يقع , أي مراد الله بالإرادة الكونية لا يتخلف أبداً , أي عَلِمَ الله ذلك بتواريخ هذه الأشياء وبأماكنها وأزمنتها عَلِمَ ذلك بالتفصيل وكتب عنده وشاءه ثم قضاه ونفذه وخلق . والأشاعرة فقراء في هذا الباب ليس لديهم علم , أثبتوا الإرادة الأزلية هذه , ولكن فاتهم إثبات الإرادة الدينية : وهي كل ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والعمل الصالح والطاعة مراد لله شرعاً , فهو محبوب عند الله عز وجل ومأمور به , والإرادة الشرعية تستلزم الأمر وهي بمعنى المحبة والرضى , ولابد من إثبات الإرادتين معاً لتفهم كلام الله عز وجل وتسلم من الاضطراب , فإذا كانوا لا يثبتون إلا الإرادة الكونية , والإرادة الكونية لا يتخلف مرادها , على هذا إن كل ما نراه من الأشياء التي يأمر الله عز وجل بها ثم لا يمتثل العباد أمر الله ويعصون الله يلزمهم أن يقولوا أراد الله ذلك كوناً ثم تخلف المراد , فهذا خطأ , أما الإرادة الشرعية فمرادها قد يتخلف وقد يتحقق , مثال

ذلك أمر الله العباد جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ . وهل الناس كلهم آمنوا بالرسول ﷺ أم منهم من كفر ؟ هذا مراد الإرادة الشرعية لا الإرادة الكونية , أمر الله أبا جهل بالإيمان , هل آمن ؟ لا . وأمر أبا بكر رضي الله عنه بالإيمان فآمن . إذن مراد الإرادة الشرعية قد يتحقق وقد لا يتحقق , وإذا تحقق مراد الإرادة الشرعية نعلم من ذلك بأن الله أراد ذلك كوناً أيضاً , أي اجتمعت في أبي بكر رضي الله عنه الإرادة الشرعية والإرادة الكونية معاً , وانفردت في أبي جهل الإرادة الشرعية ولم تتحقق فيه الإرادة الكونية , أي لم يرد الله عز وجل له كوناً الإيمان ولكن أمره به وأعطاه استطاعة , عنده الفهم وعنده الاختيار وعنده الإرادة وليس بمجنون , أمره أن يؤمن بالنبي ﷺ فرفض بإرادته واختياره , تحقق فيه مراد الإرادة الكونية , وأما أبا بكر رضي الله عنه اجتمع فيه مراد الإرادة الكونية والشرعية , فأراد الله عز وجل له كوناً وأزلاً فآمن وتحقق فيه مراد الإرادتين معاً .

والمعتزلة أمرهم واضح بيِّن لا يثبتون أي صفة لا الإرادة الكونية ولا الشرعية على مذهبهم نفي جميع الصفات , وعدم إثبات أي صفة يكون خصمٌ صريح لا تتعب معه يُريحك عند الخصومة والمناقشة , ولكن الخصم اللئيم الذي يتلون , مرة يثبت هذا ومرة يؤول هذا , أمره صعب . وروى الشيخ الهراس مذهب جديدٌ عن المعتزلة لا نعرفه , المذهب الذي نعرفه عن المعتزلة عدم إثبات الصفة مطلقاً , والذي يرويه الشيخ لعل هذه العقيدة عقيدة فرقة منهم , يقولون : إن الله في زعمهم يريد بإرادة حادثة لا في محلٍ , أي لا قائمة بالله ولا بغيره . يلزمهم قيام الصفة بنفسها وهو من أبطل الباطل حتى عند علماء الكلام ؛ لأن علماء الكلام يقولون الصفات أعراض , والعَرَض لا يقوم بنفسه , يجب أن يقوم بغيره . الأشياء عندهم جسم وعَرَض , الجسم : ما يقوم بنفسه والعَرَض : ما يقوم بغيره , فالصفة عندهم عَرَض , فكيف تقوم بلا محل , أي دون أن تكون في محل وتتصل بجسم هذا من أبطل الباطل ومن أمحل المحال حتى عند علماء الكلام ,

وعلى كلٍ هذا مذهب جديد يرويه الشيخ لا نعرفه في المعتزلة , ومعرفتنا بالمعتزلة أنهم لا يثبتون صفة لا حادثة ولا قديمة , ولكن كما قيل من حفظ حجة على من لم يحفظ .

أما أهل الحق – فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الحق – اسمعوا عقيدة أهل الحق في باب الإرادة فيقولون إن الإرادة على نوعين , من أين أخذوا ؟ اخذوا من استقراء الكتاب والسنة كما ستأتي الأدلة على ذلك . مما يمتاز به مذهب أهل الحق إنهم لا يذكرون مسألة إلا ويذكرون دليلها هذا هو الحق , هذا الذي جعل منهجهم هو الحق , وما ليس عليه دليل سواء في الأصول أو في الفروع ليس بشيء , لابد من الدليل . الإرادة على نوعين : الإرادة الكونية : الإرادة الأزلية والإرادة العامة والمشيئة العامة , بمعنى واحد , لا يحدث في هذا الكون إلا ما أراده الله بإرادته الأزلية الكونية التي بمعنى المشيئة , وهو سبحانه إذا أراد شيئا وشاء وجوده كان – كان هنا تامة وليست الناقصة , كان إما تكون ناقصة ترفع المبتدأ وتنصب الخبر , كان زيدٌ قائماً , فتحتاج لمعمولين . وكان التامة لا تطلب إلا معمولاً واحداً , وهو بمعنى الوقوع والحصول والوجود , أي لا تحتاج إلى منصوب , بل تكتفي بالمرفوع – وقع ووجد وحصل عقب إرادته , { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ{82}سورة يس} أي إذا شاء , ليس بمعنى أحب , الكونية تفسرها بالمشيئة , إذا أراد كذا إذا شاء كذا , والإرادة الشرعية الدينية تفسرها بالمحبة , {يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ.. {185}سورة البقرة } , أراد كذا بمعنى أحب , ما شاء الله كان , أي ما شاء الله حصل ووجد ووقع وما لم يشاء لم يكن . الإرادة الشرعية : وتسمى الدينية فهي بمعنى الأمر وبمعنى المحبة والرضا , إذا أردت أن تضع الفعل (يحب) بدل (يريد) لصح الكلام في غير القرآن , لو قيل في غير القرآن الله يحب بكم اليسر لصح المعنى , أي يحب لكم اليسر ولا يحب بكم العسر , والإرادة التي بمعنى المحبة وبمعنى الرضا وفي الشيء الذي يأمر الله به , هي التي يقال لها الإرادة الشرعية , فالله ﷻ يحب الإيمان ويحب المؤمنين ويأمر بالإيمان .

وبين الإرادتين الكونية والشرعية عموم وخصوص من وجه , أي كل واحدة منهما عامة من وجه وخاصة من وجه , تفصيل ذلك : فالإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي , أما الإرادة الشرعية لا تتعلق بالكفر والمعاصي , الإرادة الكونية أعم ؛ لأنها قد تتعلق بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي , معنى ذلك الله ﷻ يشاء ويريد كوناً وأزلاً وقوع الكفر ووقوع المعاصي في الأرض ولا يحب ذلك ولا يأمر بذلك , أي لا يقع في هذا الكون شيء من الكفر والمعاصي والأيمان والطاعة لا يقع شيء من ذلك إلا بإرادة الله الكونية وإلا بعلم الله وكتابته , عَلِمَ الله أزلاً وقوع المعاصي والكفر والمصائب والفتن والإيمان والطاعة في هذا الكون , عَلِمَ الله أزلاً من يؤمن ومن لا يؤمن ومن يعصي ومن يطيع , كل ذلك معلوم ثم مكتوب وشاء الله ذلك وأراد وقوع ذلك , هذه مراتب القدر . إذن الإرادة الكونية أعم لكونها تتعلق بالكفر والإيمان والطاعة وجميع ما يحدث في هذا الكون , لا يحدث شيء في هذا الكون إلا بإرادة الله الكونية الأزلية , أي إلا بمشيئة الله العامة , أي كل ذلك مقدر , وهذا من مراتب القدر التي يجب الإيمان بها , من معاني الإيمان بالقدر وهو ركن من أركان الإيمان أن تؤمن بهذه المراتب وتعلمها وتعلن بأن الله ﷻ عَلِمَ بعلمه القديم المحيط بكل شيء ما يحدث في هذا الكون , وهذا يريحك ويريح ضميرك ؛ لأن كل شيء يقع بعلم الله ﷻ , مكتوب عند الله وبمشيئة الله العامة وبإرادته الكونية , هذا هو العموم الذي في الإرادة الكونية , وأخص من الشرعية من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق , إيمان الكافر الذي لم يقع وطاعة الفاسق التي لم تتحقق لا تتعلق إرادة الله الكونية بذلك , ولو تعلقت بذلك لتحقق الإيمان ولتحققت الطاعة . مثال ذلك : لو أراد الله كوناً وأزلاً إيمان أبي جهل لحصل , ولكن لم تتعلق إرادة الله الكونية بإيمان أبي جهل ولو تعلقت به لآمن , ولما لم تتعلق إرادة الله بإيمان أبي جهل لم يؤمن , ولكن هل تعلقت بأبي جهل الإرادة الشرعية ؟ الجواب نعم , إذا

فهمنا معنى الإرادة الشرعية , أي أمر الله أبا جهل بالإيمان وأمر الفاسق بالطاعة , ولو حصل الإيمان من أبي جهل لكان محبوباً عند الله ذلك الإيمان ومحل الرضا , إذن إرادة الله الشرعية التي بمعنى المحبة والرضا وبمعنى الأمر تعلقت بإيمان أبي جهل ولكن الإرادة الكونية لم تتعلق به , بعبارة أخرى مراد الإرادة الكونية لا يتخلف , أي ما أراد الله وقوعه بالإرادة الكونية لا بد أن يقع , ولما أراد الله كوناً إيمان أبي بكر آمن , ولما لم يرد الله كوناً وأزلاً إيمان أبا جهل لم يؤمن ولم يقع إيمانه . أما الإرادة الشرعية فهي تتعلق بإيمان الكافر وطاعة الفاسق , أي أمر الله أبا جهل بالإيمان ويحب إيمانه لو آمن , أمر الله الفساق بالطاعة ولو أطاعوا لأحب ذلك ؛ لأنه مأموراً به . والإرادة الشرعية أعم من جهة أن كل ما أمر الله ﷻ به , تعلقت به الإرادة الشرعية الدينية وقع ذلك المأمور به أو لم يقع . وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به ولكنه مراد لله تعالى , مثال ذلك : الله ﷻ أمر جميع الناس بالإيمان برسول الله ﷺ ولكن هل آمن جميع المأمورين ؟ منهم من آمن ومنهم من كفر, الإرادة الشرعية تعلقت بهم جميعاً , فالله ﷻ يحب إيمان الجميع , وقع أو لم يقع ويرضى ذلك . فمراد الإرادة الشرعية قد تحقق في بعضهم ولم يتحقق في بعض المأمورين , وأن الواقع بالإرادة الكونية كإيمان أبي جهل قد يكون غير مأمور به , وأن الواقع بالإرادة الكونية ككفر أبي جهل قد يكون غير مأمور به , وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية ككفر الكافر ومعصية العاصي يكون غير مأمور به ؛ لأن الله ﷻ لا يأمر بالكفر ولكن يأمر بالطاعة , النتيجة إن مراد الإرادة الشرعية قد يقع وقد لا يقع . ويُفصل ذلك في الحاصل الآتي : أن الإرادتين قد تجتمعان معاً في مثل إيمان المؤمن وطاعة المطيع , اجتمعت الإرادة الكونية والشرعية مثلاً في إيمان أبي بكر , إيمان أبي بكر مراد كوناً ومراد شرعاً , مراد كوناً ؛ لأن الله ﷻ عَلِمَ أزلاً أنه سوف يؤمن , ومراداً شرعاً ؛ لأن الله أمره بالإيمان فامتثل , فإيمانه محبوب ومرضي عند الله , وتنفرد الكونية في كفر الكافر ومعصية

العاصي , لم يقع كفر الكافر إلا بإرادة الله الكونية ولم تقع معصية العاصي إلا بإرادة الله الكونية دون الشرعية , وتنفرد الشرعية في إيمان الكافر الذي لم يقع ولكنه مأمور به , وطاعة العاصي الذي لم يطع ولكنها مأمور بها , ولو آمن هذا الكافر ؛ لكان ذلك الإيمان محبوباً عند الله ومحل رضا . الذي يقال فيه : بينهما عموم وخصوص من وجه لا بد من اجتماعهما في مادة وانفراد كل واحدة منهما في مادة أخرى , هذه قاعدة , فلا بد من مادة الاجتماع ومادة الانفراد , إذا فهمتَ الحاصل ارجع إلى ما تقدم لتعلم أن الإرادة الكونية والإرادة الشرعية مأخوذتان من الكتاب والسنة , ولا ارتباك عند أهل الحق كما ارتبكت الأشاعرة .

ودلت الآيتان على إثبات المشيئة لله العامة التي قلنا أنها تتعلق بكل شيء ولا يقع شيء في هذا الكون إلا بمشيئة الله , وهي معنى الإرادة الكونية , الفتن والمصائب واعتداء بعض الناس على بعض وبغيهم على بعض وظلم بعضهم على بعض , كل ذلك لله فيه حكمة , لا يفعل إلا لحكمة , وليس بلازم أن يُدرك العباد هذه الحِكم , قد يدركون أحياناً طرفاً من حِكم الرب سبحانه , ولا يتوقف إيمان المؤمنين أن يدركوا حِكم الله في أفعاله , وأنت لو فكرت ما الحكمة في خلق العقرب ؟ لا تدرك , بل لو فكرت ما الحكمة في خلق إبليس لا تدرك , ولكن ثق تماماً ويجب أن تؤمن بأن الله ﷻ لم يخلق هذه النفوس الشريرة وفي مقدمتها إبليس لم يخلق ذلك إلا لحكمة يعلمها هو سبحانه , ولم يخلق الكفر والكافرين إلا لحكمة , لولا وجود إبليس ولولا مجاهدتك لإبليس والنفس الأمارة بالسوء لما حصل لك أجر المجاهدة والصبر على الطاعة وحبس النفس على الطاعة , وأنت إنما تجاهد إبليس وتجاهد النفس الأمارة حتى يحصل لك ذلك الأجر , لولا الكفر والكافرين لما حصلت مرتبة الشهادة , الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يُرزقون , بما نالوا ذلك ؟ بسبب وجود الكفر والكافرين , الله ﷻ عليم حكيم لم يخلق شيئا مما نحب ونكره ونتأذى به حتى إبليس , لم يخلق شيئا إلا لحكمة ,

وتلك أسرار القضاء القدر وأسرار أفعال الرب ﷻ التي لا يجوز لعبد أن يسأل عن ذلك . العبد عليه أن يناقش ويبحث في التشريع في الأوامر والنواهي ويمتثل , يعرف الحكم فيسأل عن دليل الحكم فيعمل سواء كان مأموراً به أو منهياً عنه .

* « أحلت لكم بهيمة الأنعام .. إن الله يحكم ما يريد » , « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره ... » / من يشاء الله هدايته ويُحب أن يشرح صدره للإسلام , الهداية الله يحبها (الهداية الشرعية) , ومن يرد أن يضله (الهداية الكونية) , أي من يشاء الله ضلاله . ففي الآية الإرادتان : الإرادة الأولى شرعية والإرادة الثانية كونية , والهداية هنا هداية إلهام وتوفيق وهي لا يملكها إلا رب العالمين سبحانه , تقدم البحث في أنواع الهداية , الهداية هدايتان : هداية إرشاد ودلالة وبيان وبهذه الهداية هدى الله الناس جميعاً , هذه الهداية حصلت للجميع حتى لأبي جهل , الله هداه بيَّن {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ{10}سورة البلد } بيَّن له الهدى , أرسل له رسولا بلسانه ومن قومه ودعاه وبيَّن له التوحيد ونهاه عن الشرك ودعاه إلى إخلاص العبادة لله , وهذه الهداية يملكها رسول الله ﷺ وأتباعه , العلماء يهدون كما هدى الأنبياء والقرآن يهدي للتي هي أقوم والنبي يهدي والدعاة يهدون , أي يبينون ويدعون الناس إلى ما يصلحهم في دينهم ويبينون لهم العقيدة السليمة والعمل الصالح . وأما الهداية التي نحن بصددها هداية إلهام وتوفيق هذه لا يملكها إلا رب العالمين , وقد أثبت الله إحدى الهدايتين للنبي ﷺ ونفى عنه الأخرى , حيث قال الرب في حق نبيه وحبيبه ﷺ {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{52}سورة الشورى } , بهذه المؤكدات (بالجملة الاسمية ولام التوكيد) بمعنى تُبين وتُدل وتُرشد الناس إلى طريق الله , وفي الوقت نفسه كما تعلمون نفى عنه الهداية {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ{56}سورة القصص } هداية إلهام في قصة أبي طالب . فمن يحب الله ﷻ هدايته وتوفيقه يجعل لذلك أسباب , فمن

أسبابها يشرح الله صدر عبده للإسلام بأن يقذف في قلبه نوراً فيتسع القلب وينبسط , إذا قذف الله نور الإيمان في قلب العبد اتسع قلبه وانبسط وأحب الله وأحب لقائه ووجد في نفسه الأُنس ويحب مرضاته , ومن يرد الله أن يمسك عنه التوفيق ولا يُلقي ذلك النور في قلبه يجعل صدره في غاية الضيق والحرج فلا ينفذ إليه نور الإيمان , وشبه ذلك بمن يتكلف صعود السماء بدون سُلم , هل يصعد ؟ لا . فالنبي ﷺ دعا أبا جهل وأمثاله وكرر عليهم الدعوة وصبر على الأذى وحاول بكل ما يستطيع وكان حريصاً على إيمانهم ؛ ولكن لما لم يلهمه الله ﷻ هذه الهداية ولم يشرح صدره للإيمان أصر على الكفر ومات على الكفر بل من هو أقرب من أبي جهل , أبي طالب حاول النبي ﷺ إيمانه ولكن يهدي الله من يشاء .

إثبات محبة الله ومودته لأوليائه على ما يليق بجلاله :

وَقَوْلُهُ : { وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }، { وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }،{ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ }، { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}، وَقَوْلُهُ: { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }، وَقَوْلُهُ:{ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} ، وَقَوْلُهُ: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ}

وَقَوْلُهُ } { وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ }،

* « إن الله يحب المحسنين » , « إن الله يحب المقسطين » , « إن الله يحب المتقين » « إن الله يحب الذين يقاتلون .. » / يحب الله أولياءه ويحب الإيمان والطاعة الأخلاق ويحب الإخلاص , فالمحبة صفة لله قائمة به , المحبة من صفات الفعل الاختيارية , ووصفُها بالاختيارية بالنسبة لله صفة كاشفة – أي لا مفهوم لها – إذ لا يتصور في حق

الله إلا الأفعال الاختيارية ؛ لكن بالنسبة للعباد فأفعالهم تنقسم إلى قسمين : أفعال اختيارية وأفعال اضطرارية , أما بالنسبة لرب العالمين الأفعال كلها اختيارية , الصفة الكاشفة هي التي تُذكر لبيان الواقع لأن لها مفهوم , لكن في حق العباد , إذا قلنا قيامك وقعودك ومجيئك وصلاتك وصيامك من الأفعال الاختيارية له مفهوم , وهناك أفعال اضطرارية كاليد المرتعشة ونبضات القلب ونبضات العروق هذه صفات , وتجوّزاً يقال لها أفعال ؛ لذلك أفعال العباد هي تنقسم إلى اختيارية واضطرارية , ولا يرد ذلك في أفعال الرب ﷻ ؛ لذلك نقول هنا وصف فعل الرب صفة كاشفة كما تقدم .

وصفات الرب ﷻ إما ذاتية وإما فعلية , الذاتية هي المتعلقة بالذات قديمة قِدم الذات التي لا تتعلق بالمشيئة , والصفات الفعلية هي التي تتعلق بالمشيئة التي تتجدد حسب حكمة الرب ؛ لأن الله فعَّال دائماً وأبداً, فعال لما يريد . الله ﷻ يحب الإيمان ويحب الطاعة ولا يحب الكفر والمعاصي , يحب المؤمنين ولا يحب الكافرين .

الأشاعرة لا يُثبتون الحكمة في أفعال الله ﷻ وكذلك جميع أهل الكلام , بل الأفعال تحصل بمجرد تعلق الإرادة , ولما جاءت اللام في قوله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ{56}سورة الذاريات } , (ليعبدون) قالوا هذه لام الصيرورة وليست لام حكمة أو لام علة , عند أهل اللغة يسمونها لام علة , وأهل العقيدة والتوحيد يسمونها لام حكمة , المعنى واحد الخُلْف لفظي بينهم , ولكن الأشاعرة لا يثبتونها , يقولون مستحيل تعلل أفعال الله , فنفوا مفهوم اسم الرب الحكيم , لا يفعل فعلاً ولا يشرع تشريعاً ولا يقدر قدراً ولا يقضي قضاءً , كل ذلك لحكمة وليس ذلك بعبث .

نفت الأشاعرة صفة المحبة وكذلك المعتزلة بدعوى أنها تُوِهم نقصاً , قاسوا صفات الله ﷻ على صفة المخلوق ؛ لأن المحبة والرضا والغضب والسخط انفعالات

نفسية , وهذه الانفعالات تدل على النقص , هذا بالنسبة للمخلوق , لكن بالنسبة للخالق لوازم صفات المخلوق لا تلزم صفات الخالق – هذه قاعدة عند أهل السنة – وإلا نفينا كثيراً من الصفات لو طبقنا لوازم صفات المخلوق على صفات الخالق , الغضب : غليان القلب عند إرادة الانتقام , وهذا لا يلزم في غضب الله سبحانه ؛ لأننا عندما آمنا بالله بذاته العلية لم نجري على ذات الرب ﷻ لوازم ذواتنا , ذات المخلوق تتركب وتتألف من أجزاء من لحم ودم وعروق وغير ذلك , لا نطبق على الذات العلية هذه اللوازم , إذن الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات يحذو حذوه , أي لا نطبق صفات المخلوق على صفات الخالق , وإن اتحدت بعض الصفات مع صفات المخلوق في الاسم والمعنى العام قبل التخصيص كما تقدم شرح ذلك .

وارتبكت الأشاعرة قالوا المحبة والرضا والرحمة كلها بمعنى الإرادة , إرادة الإحسان وإرادة الإنعام ؛ لأن الرحمة رقةٌ في القلب , والمحبة ميل النفس , والرضا رقةٌ في القلب , إذن المعنى إرادة الإنعام . نسألهم : ما معنى الإرادة بالنسبة للمخلوق ؟ ميل القلب كالمحبة تماماً ؟ قالوا لا , هذه إرادة تليق بالله . قولوا من قبل محبة تليق بالله ﷻ , رضًى يليق بالله , والسخط والغضب كلها تليق بالله واسترح وأرح , اللف والدوران تفسير عدة صفات بصفة واحدة هي صفة الإرادة , ولم تأتوا بجديد عندما جئتم تفسرون الإرادة وقعتم فيما فررتم منه , هذه قاعدة (كل من حاد عن الجادة عن الكتاب والسنة لابد أن يتناقض , قاعدة لا تختلف أبداً , جرِّب هذا في كل شيء , أما من التزم المنهج لا يتناقض ؛ لأن هذا المنهج وضعْه ليس وضعْاً بشرياً , هذا تنظيم ووضع إلهي المنهج منزل , من التزم المنهج لا يختلف ولا يضطرب ولا يتناقض , ولو تتبعت كلام السلف والسلفيين من عهد الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا لا تجد فيهم الاختلاف أبداً , أي في أصولهم , ننفي وجود الاختلاف بين أئمة السلف وبين السلفيين في أصول الدين , أما

الفروع محل اجتهاد حتى الصحابة ﵃ قد يختلفون في المسائل الفرعية ولا يُعد ذلك اختلافاً في الدين , فليفهم هذا جيداً .

والأشاعرة قالوا محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه , هكذا قالوا على الله من عند أنفسهم ولا دليل لهم في هذا التصرف , وكذلك يقولون في صفة الرضا والغضب والسخط والكراهة , كلها عندهم إرادة العقاب أو الثواب , بمعنى إرادة الثواب بالنسبة للمحبة والرضا والرحمة أو العقاب بالنسبة للغضب والكراهة والسخط . والمعتزلة لا يُثبتون الإرادة , ففسروا المحبة قالوا هي نفس الثواب , والثواب هو الرحمة – كلام لا معنى له – فالثواب واجب عندهم على الله للمطيعين , وقالوا إن العقاب واجب على الله للعاصين , مما امتازت به المعتزلة وخالفت فيه الأشاعرة القول عليه سبحانه أن يثيب المطيعين ويعاقب العصاة ؛ لهذا خالف أبو الحسن الأشعري شيخه الجبائي ففارقه ؛ لأن المعتزلة يرون أن الله يجب عليه أن يفعل الأمثل فالأمثل للعباد , من ذلك يجب على الله أن يثيب المطيع ويعاقب العاصي , وذلك الثواب هو الرحمة وذلك العقاب هو الغضب .

أهل السنة يثبتون المحبة صفة حقيقية تليق بجلاله كبقية الصفات , فباب الصفات بابٌ واحد , أي لا فرق بين صفات الذات كالقدرة والإرادة , وصفات الأفعال كالمحبة والرضا , فيسوقون سَوقاً واحداً نصوص الصفات . كما يثبت أهل السنة المحبة يثبتون لازم المحبة , ولازم المحبة إكرام الله ﷿ من يحبه , ليست الإرادة , تقدم أن تفسير الصفة بالصفة خطأ , رد المحبة والرضا والرحمة إلى الإرادة خطأ , وليس ذلك بلازم , وأهل السنة يثبتون المحبة فيما بين الله ﷿ وبين عباده المؤمنين بأن الله يحبهم ويحبونه { فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ .. {54}سورة المائدة } وهذه المحبة أوّلها الأشاعرة ونفاها المعتزلة , وأهل السنة لا يقولون إذا أثبتنا الحب لله قد شبهنا الله بخلقه وأن المحبة ضعفٌ وخورٌ وهذا المعنى لا يليق بالله تعالى , هذا قول على الله بغير علم وخوض في

صفة الله ﷻ وفي حقيقة صفته , والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات , بمعنى آمنا بالله وبذاته العلية إيمان إثبات لا إيمان تكييف , إذن يجب أن نؤمن بصفات الله الواردة في الكتاب والسنة إيمان إثبات , أي لا يجوز أن نصف الله من عند أنفسنا ولا نتبع من يصف الله من قِبل نفسه , ولكن نأخذ صفة الله ﷻ من كلام الله ومن كلام رسول الله ﷺ وإذا جاء في كتاب الله وفي السنة المطهرة بأنه يُحِب وأنه يُحَب وبأنه يغضب وبأنه يسخط , أثبتنا كل ذلك , لا نجعل تلك الصفات كصفاتنا ؛ لأنا لم نجعل الذات كذواتنا . ومنقبة المحبين الصادقين مع الله أن الله ﷻ يسمي من يحبه باسمه كما في حديث " يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه .. " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (6040) ومسلم (2637)] , فهو محبوب عند الله ويأمر جبريل عليه السلام ليحبه , وعلامة أن إنساناً محبوباً عند الله وعند أهل السماء جميعاً أن يجعل الله له قبولاً عند أوليائه في الأرض - الصالحون هم الناس - وأما كونه محبوباً عند الصالح والطالح , عند الملتزم وعند الفاسق , ليس هذا المراد , إنما يضع الله له القبول في الأرض , وقد يكون أوسع من هذا , يجعل لكلامه سماعاً وقبولاً , كل إنسان يقبل كلامه ,إذا كان مريداً للحق وطالباً للحق يكون له القبول , لا يكون كلامه مردوداً ومسخوطاً عند أهل الأرض , وهذا القبول يتفاوت على حسب تفاوت صفة المحبة لله ﷻ . فكيف النفاة لهذا الحديث لا تفسير عندهم بل يرتبكون . وهكذا أهل الباطل يتناقضون ويرتبكون دائماً ؛ لأنهم ليسوا على قاعدة , أهل الحق يسيرون على قاعدة ثابتة مأخوذة من الكتاب والسنة .

* « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » / الإحسان يكون على وجه الوسط بدون تقتير ولا تبذير , ومن التبذير الإنفاق من الحرام أو في الحرام , والإنفاق من غير حاجة من التبذير.

* « وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » / الإقساط العدل , والعدل والإحسان من أسباب جلب محبة الله ﷻ للعبد . وهو في الأصل من قَسَطَ الثلاثي من جَارَ , اختلف المعنى بين قَسَطَ وبين أقسط من القاسطين , أي من الظالمين . أقسط اسم فاعل من المقسطين , أي من العدول في أحكامهم , والهمزة هي التي فرقت بين المعنى , بين قَسَطَ (جار) , وبين أقسط (عدل) ، فالهمزة سلبت معنى الجور والظلم , وأثبتت معنى العدل , هي للسلب والإثبات معاً , وهذا من أسرار اللغة العربية .

* « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين » / (ما) مصدرية وظرفية , أي تُؤول مع ما بعدها بمصدر؛ هذا معنى مصدرية وفي الوقت نفسه تفيد الظرفية , معناها أي ما عهد حصل إما بين المؤمنين أو بين المؤمنين وأهل الكتاب وجب الإيفاء , ولا يجوز النقض , فما مصدرية ظرفية , أي استقيموا مدة إقامتهم على العهد .

* إن الله يحب المتقين : تعليل , طالما هم ملتزمون للعهد أنتم لا تنقضوا العهد . وعدم نقض العهد بيننا وبين الكفار وأهل الذمة , وبيننا وبين خصومنا , المحافظة على هذا العهد وعدم نقض ذلك ما لم ينقضوا هم , من التقوى ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى , المحافظة على العهود واجبة وهي من محاسن الإسلام , وقد يكون ذلك سبباً في دخول الكفار للإسلام إذا رأوا من المؤمنين الوفاء وعدم نقض العهد وعدم الخيانة والمحافظة على أرواحهم وأموالهم وأن الإسلام يُحرِّم دم الذمي وماله كما يحافظ على مال المسلم ودمه , إذا شعر الكافر الذمي والمعاهَد بذلك قد يكون سبباً لدخوله الإسلام وقد يكون أسلوبا من أساليب الدعوة إلى الإسلام ومن بيان محاسن الإسلام , وما أكثرها ! ولو استطاع أهل الإسلام وأهل الدعوة بيان محاسن الإسلام لكفى محاسن الإسلام دعوة للإسلام , وهذا منه .

* « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » / التوابون المكثرون من التوبة , وتواب صيغة مبالغة , ما الذي يلزم من الإكثار من التوبة ؟ وقوع المعاصي , أي أن الله خلق العباد وهو يعلم سبحانه أنهم يخطئون كثيرا ؛ لذلك " يمد يده ليلاً ليتوب مسيء النهار ويمد يده نهاراً ليتوب مسيء الليل " [أخرجه مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه (2759)] , هكذا ويفرح بتوبة عبده المؤمن فرحاً لا مثيل له ؛ لأنها صفة من صفات الله سبحانه , " لله أشد فرحاً بتوبة عبد ه المؤمن إذا تاب إليه من أحدكم ... " [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (6309) ومسلم (2747)] , هذا الفرح بالنسبة لفرح المخلوق لا مثيل له , وفرح الله عز وجل بتوبة عبده المؤمن من أي ذنب كان أشد من هذا الفرح , تاب من الشرك , تاب من البدع , تاب من الهوى , من تعاطي المسكرات , من إتيان الفواحش , من قتل النفس , من العلمانية , من الماركسية , ومن أي جاهلية , إذا تاب واقلع وندِم وعزم وعلم الله منه الصدق , فرح الله بتوبته فصار من المحبوبين عند الله عز وجل . وهنا كلام لطيف وعظيم ذكره ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين في باب التوبة فليرجع إليه [1 / 224] , حيث يشير العلامة ابن القيم رحمه الله إن الله لم يقدر الذنوب عبثاً ولكن قدر ذلك لينال التائبون عبودية , تسمى عبودية التوبة , وعبودية التوبة لا مثيل لها ؛ لأن فيها انكسار القلب , يأتي العبد منكسر البال إلى ربه عز وجل , بدل أن يدخل إلى ربه رافع الرأس يدخل مطأطئ الرأس .

ويحب المتطهرين : الذين يكثرون التطهر , وقد يكون عطف التوابين من عطف العام على الخاص ؛ لأن التطهر يشمل الذين يتطهرون بالتوبة والذين يتطهرون بالماء والذين يتنزهون من إتيان ما حرم الله عليهم , فجعْل ذلك من باب عطف العام على الخاص أولى ليدخل التوابون في المتطهرين .

* « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » / بيان لمكانة رسول الله ﷺ , حيث جعل الله عز وجل علامة محبته هو إتباع النبي ﷺ , إن كنتم صادقين في دعوى المحبة بأنكم تحبون الله وتعظمونه وتراقبونه إن كنتم صادقين في ذلك اتبعوني , إن اتبعتموني فالله سبحانه يحبكم ويغفر ذنوبكم , هذا شرط ولا تكفي الدعوى , كل دعوى تحتاج إلى بينة , ومن ادعى أنه يحب الله ويحب شرعه ويعظم شرعه فليأتِ بالبينة , البينة إتباع رسول الله ﷺ . وهل يمكن أن تتبعه قبل أن تعلم ما جاء به ؟ لا يمكن , العلم قبل القول والعمل , يلزم من هذا وجوب تعلم ما جاء به النبي ﷺ , إذا كان إتباع النبي ﷺ من أعظم شعب الإيمان ويتوقف على هذه المعرفة أشياء كثيرة : عبادة الله ومحبته الصادقة وإتباع النبي ﷺ الإتباع الصحيح . فهل معرفة ما جاء به النبي ﷺ من الصعوبة بمكان ؟ لا , بل من السهولة بمكان , أما الآن قد منَّ الله علينا بنعم لم يمنَّ بمثلها على من قبلنا من وسائل التعلم فبإمكان أصحاب المهن والتجار وأصحاب الأعمال الذين لا يتمكنون من حضور مجالس العلم أن يعلموا ما جاء الرسول ﷺ بأن يُرسِلوا مسجلاً إلى مجالس العلم وهذا الجهاز يحمل عليهم العلم وإذا جاء ينام آخر الليل فتح واستمع وهكذا دواليك فيصبح بذلك عالماً عارفاً كل ما جاء به النبي ﷺ , وتعلُم ذلك سهل ميسور الآن . بعض المسلمين الذين وفقهم الله عز وجل الذين انتقلوا إلى بعض دول أوروبا فتحوا بعض المدن وحولوها إلى مدينة عربية إسلامية بواسطة مثل هذه الأجهزة ,
يحضرون في الموسم ويسجلون الدروس والمحاضرات ويحملون إلى هناك ويدعون إلى الله عز وجل بهذه الأشرطة وأدخلوا الناس في الإسلام ونشروا العلم , استطاعوا بعد ذلك أن يفتحوا المدارس الإسلامية ويُؤسسوا المساجد حتى قيل إن تلك المدينة تحولت إلى مدينة إسلامية محضة , هكذا أقول أن تعلم ما جاء به النبي ﷺ ليس فيه شيء من الصعوبة كما يتصور بعض الناس , يقولون نحن ما عندنا وقت حتى نتعلم , وإذا دعونا الناس إلى تعلم ما جاء به الرسول ﷺ لا يعني ذلك أن يدخلوا المدارس ويغلقوا أبواب الأعمال

ودكاكينهم وحوانيتهم , بل عليهم أن يتعلموا بالطريقة التي أشرتُ إليها . أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم عنهم لم يدخلوا الجامعات ولا المدارس ولا المعاهد , أميون لا يقرأون ولا يكتبون ومع ذلك تعلموا ما جاء به رسول الله ﷺ على وجه التفصيل , كان طلبهم للعلم على غير هذه الطريقة التي نحن عليها الآن , فمثلاً أصحاب العوالي ينزل بعضهم ليلة معينة فيحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيسمعون ويحفظون فيحملون ما سمعوا وما حفظوا إلى من ورائهم الذين تركوهم في المزارع ؛ لأن أكثر الأنصار كانوا يشتغلون في المزارع , وفي الليلة المقبلة ينزل عدد آخر أو شخص آخر فيحضر ويسمع فيحفظ فيحمل إليهم وهكذا بالحضور والسماع ونقل ما سمعوا لمن خلفهم [أخرجه البخاري عن عمر رضي الله عنه برقم (89)] .

* « وهو الغفور الودود » / كل من الاسمين يدل على المبالغة , الأول مبالغة من الغفر ومعناه يسترهم ولا يؤاخذهم وذلك هو معنى الغفران ومحو سيئاتهم , الذي يَكثُر منه الغفران الذي يغفر الذنوب كثيراً يتجاوز عن المذنبين ويستر عليهم في هذه الدنيا ويستر عليهم يوم القيامة , حيث لا يؤاخذون بذلك إذا رجعوا إليه وصدقوا , وأما من مات قبل التوبة وهو ملوثٌ بالذنوب وخصوصاً الكبائر فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له إما بمحض رحمته وهو أرحم الراحمين أو يُقيض له من يشفعون له أو يدخلون النار حتى يتطهرون من الذنوب بالنار , نار الموحدين لا نار الكفار وبعد التطهر مآلهم إلى الجنة , من مات من عصاة الموحدين من أصحاب الكبائر والموبقات لا ينبغي القطع أنهم من أهل النار , يقال أنهم تحت مشيئة الله فيُترك أمرهم إلى الله فالله أعلم بحالهم , والذي يجب اعتقاده أنه " لا يبقى في النار من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان " , بل يتحولون في النهاية إلى الجنة ؛ لان الجنة دار الطيبين ولا يدخل الملوثون بالذنوب حتى يطهروا والنار تطهر , وبعد ذلك يُلقون في نهر الحياة فينبتون كما ينبت

البقل [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﵁ برقم (773) ومسلم برقم (299)] فيدخل الجنة وقد طُهِروا .

والثاني الودود أي أن الله يتودد إلى عبده ويوفقه ويعينه لطاعته وحسن عبادته , وقد يسيئون هم , لكن مع ذلك الرب سبحانه يتودد لعباده ؛ لأنه أرحم الراحمين وهو محبوب من عباده لكثرة إحسانه , المستحِق بأن يودوه فيحبوه فيعبدوه ويحمدوه ويشكروه .

إثبات اتّصافه بالرحمة والمغفرة سبحانه :

وَقَوْلُهُ : { بسم الله الرحمن الرحيم } {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا } { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا }،{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}،{ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } { فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}.

* « بسم الله الرحمن الرحيم » / اسم الله الرحمن يدل على صفة الرحمة , اسم الله الرحيم يدل على أيضا على صفة الرحمة , أي إن أسماء الله أعلاما وأوصافا , من حيث دلالتها على الذات فهي أعلام , كما أن زيداً وعمراً وخالداً أعلاماً لهذه المسميات لدلالتها على الذات , ومن حيث تضمنها ودلالتها على الصفة فهي أوصاف , أي إن أسماء الله ليست أعلاماً جامدة لا تدل على المعاني , بل صفات الله كلها من معاني أسمائه تعالى , الرحمة معنًى من معاني الرحمن الرحيم , كذلك اسم الله العليم يدل على العلم واسم الله السميع يدل على السمع واسم الله البصير يدل على البصر وهكذا . الرحمن يدل على صفة الذات وهي صفة قديمة ملازمة للذات , أي لم يزل الله متصفاً

بصفة الرحمة كما لم يزل متصفاً بصفة العلم والقدرة والحياة وغير ذلك . الرحيم يدل على صفة الفعل , على وصول تلك الرحمة إلى العباد .

أنكرت الأشاعرة والمعتزلة صفة الرحمة بدعوى أن الرحمة في المخلوق تدل على الضعف , وأن الإنسان الذي يرحم غيره تألم لذلك المرحوم . تفلسفوا وجهلوا حتى في المخلوق , الرحمة لا تدل على هذه المعاني السيئة في المخلوق فضلاً من أن تدل على ذلك في حق الرب سبحانه , بيان ذلك : " من لا يرحم لا يُرحم " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﵁ برقم (5997) ومسلم (2318)] , الإنسان القوي الذي لا يرحم من تحته لا يُرحم , " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا " [أخرجه الترمذي عن أنس ﵁ برقم (1984) , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2196)], الإنسان القوي هو من يرحم من تحته , إما تحته في السن أو تحته في المال والضعف والعلم والجاه وكل ذلك , إذن الرحمة صفة للأقوياء حتى في المخلوق وهو شيء يعلمه حتى عوام الناس , إذا رأوا الأقوياء والأغنياء لا يعطفون على المساكين يقولون لا يرحمون الضعفاء , شيء معلوم ؛ لذلك كلام الأشاعرة والمعتزلة مغالطة للواقع , فلا نسبة بين الرحمة والخور والضعف .

* « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما » والآيات التي بعدها / من التوسلات التي يرجى معها الإجابة , (وسيأتي الكلام عن التوسل إن شاء الله) , حتى الكافر يعيش تحت رحمة الله تعالى , الله يعطيه المال والصحة والأمن والأمان ويتمتع في هذه الدنيا بما يتمتع به المؤمن في هذه الدنيا تفضلاً وإحساناً منه سبحانه ولم يُلزِمه أحد فكيف يُلزِم المخلوق الخالق , ولا مناسبة لهذا الإلزام .

*« كتب ربكم على نفسه الرحمة » / كتب بمعنى أوجب ؛ ولكن هذا الإيجاب تفضلاً منه وإحساناً , لا كما تقول المعتزلة والقدرية بأن الله يجب عليه أن يفعل الأصلح فالأصلح للعباد , أي يوجبون على الله من عند أنفسهم إيجاباً , فالله سبحانه لا يجب عليه شيئا , وأن أوجب على نفسه ذلك تفضلاً وإحساناً منه سبحانه , فحق الله على عباده حق واجب لازم , والتقصير فيه يعتبر ظلماً , وأما حق العباد على الله فحق تفضل وإحسان .

*« فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين » / الحافظ اسم فاعل , والحفيظ صفة مشبهه من حيث التصريف اللغوي , وهو من أسماء الله تعالى كل منهما مأخوذ من الحفظ فيحفظ عباده بالحفظ العام كحفظ أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم وذنوبهم وهفواتهم وعيوبهم كل تلك محصاة عند الله ومعلومة . والحفظ الخاص لأوليائه يعصمهم من الوقوع في الذنوب , وإن وقعوا لأنهم ليسوا بمعصومين – غير الأنبياء – ثم تقبّل توبتهم وأثابهم على التوبة وأوجب لهم المحبة لأنه يحب التوابين . وقد تقتضي حكمته أن يسلط عليهم أعداؤه ثم يوفقهم للصبر والاحتساب , فهم دائماً في خير , والمؤمن أمره عجيب ," أن أصابته سراء شكر فهو خير له وإن أصابته ضراء صبر وكان خير له وليس ذلك لأحد إلا المؤمن " [أخرجه مسلم عن صهيب ﵁ برقم (2999)] , أولياء الله في خير باستمرار في حال السراء وفي حال الضراء , عند حفظهم من كيد أعدائهم ونصرهم على أعدائهم يفرحون بذلك , لا فرح بطر ولكن فرح شكر , وإن سلط الله عليهم أعدائه وامتحنهم كما حصل ذلك حتى للأنبياء عليهم السلام صبروا على ذلك واحتسبوا على الله فأُثيبوا على ذلك ثواب الصابرين والمحتسبين , ومن فضله عليهم لا يجعل مصيبتهم في دينهم ففي دينهم يحفظهم ؛ بل يجعل مصيبتهم في دنياهم في أنفسهم وأموالهم وأهليهم .

* التوسل قال ابن تيميه رحمه الله عنه : من المسائل التي غُيّرت فيها المفاهيم – وهذا هو الواقع – [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة مع مجموع الفتاوى 1 / 199 وما بعدها] من يتصور واقع عوام المسلمين في كل قُطر وخصوصاً في خارج هذا القُطر , وإن كان هذا القُطر نفسه الذي المفروض أن يكون مرجعاً لفهم هذه المسائل . الخطأ انتشر بين الناس حتى بين بعض المنتسبين للعلم , والتوسل إذا استقرأنا الكتاب والسنة لا يخرج بالاختصار على ثلاثة أنواع , الأول : أن تسأل الله بأسمائه الحسنى { وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا .. {180}سورة الأعراف } , يا رحمن يا رحيم يا ذا الجلال والإكرام برحمتك استغيث يا حي يا قيوم , هكذا تسأل الله بأسمائه الحسنى وهو ميسور ومعلوم لدى الجميع . الثاني : التوسل إلى الله والتقرب إليه بالإيمان والعمل الصالح , أن تتقرب إلى الله بالإيمان , ويسميه شيخ الإسلام رحمه الله توسلاً واجباً , التوسل الواجب أن تتقرب إلى الله بالإيمان الصحيح وتدعوا الله بأعمالك الصالحة عند الحاجة ودليل ذلك معلوم ," في قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انسد عليهم باب الغار" [أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (3465) ومسلم برقم (2743)] بعد أن دخلوه ليناموا وهم من بني إسرائيل – ومنهم الأنبياء ومنهم الصالحون – ولما وقعوا فيما وقعوا فيه من الحرج ومن الضيق وليس في إمكانهم أي سبب من الأسباب المادية وأي وسيلة لتفتيت تلك الصخرة ليخرجوا , ماذا قالوا ؟ هل قالوا تعالوا نتوسل بأنبيائنا , ما أكثر الأنبياء في بني إسرائيل ولم يفكروا بهذا , وهل قالوا تعالوا بنا نتوسل بجاه الصالحين من رجالنا الصالحين , ومنهم الصالحون كثير , والأنبياء والصالحون لهم جاه عند الله لم يفعلوا ذلك , لكن ماذا قالوا ؟ قالوا لا ينجيكم مما أنتم فيه إلا أن تسالوا الله بصالح أعمالكم , فجعل كل واحد منهم يفكر ويتذكر ما هو العمل الصالح الخالص لله الذي عمله , فتذكر احدهم بر الوالدين , والثاني بعفته مع قدرته على الحرام

, والثالث بحفظه لأمانه . هكذا أخبر الرسول ﷺ بها لنتسلى بها ولتُحكى في المجالس , بل لنعمل كما عملوا , إذا اشتدت بكم الأمور لا تقولوا عليكم بأصحاب القبور كما تقول المتصوفة ولكن قولوا يالله تذكروا ماذا فعلتم راجعوا صفحات أعمالكم أن وجدتم فيها عملاً خيِّراً خالصاً لوجه الله ادعوا الله بذلك العمل سوف يستجيب الله دعوتكم , يريد النبي ﷺ أن نعمل كعملهم لا نتعلق بالأشخاص ولكن نتعلق بالله ونسأل بأعمالنا التي وفقنا الله إليها. الثالث : الذي هو محل الإشكال التوسل بالصالحين , قد تقرأ في بعض الكتب التوسل بالصالحين , هذا العنوان يحتاج إلى شرح , ربما يُفهم قولك التوسل بالصالحين التعلق في ذواتهم أو التوسل بجاههم وبركتهم وما لهم عند الله , كل ذلك لا يُنكر ولكن غير وارد , غير وارد أن تتوسل إلى الله بذوات الصالحين من الأنبياء ومن بعدهم , وغير وارد أن تتوسل إلى الله بجاه الأنبياء وإن كان أكبرهم جاهاً وأعظمهم منزلة إمام المرسلين نبي الرحمة محمد ﷺ , فلا يجوز أن تقول اللهم أغفر لي أعطني بجاه نبيك , ما معنى التوسل بجاهه ؟ هذه وساطة , كأنك تقول لأجل فلان ولخاطر فلان ولكون فلان له عندك منزلة , هذا النوع من الوساطة وليس بتوسل , انتبه هذه المسائل خطيرة جداً ولكن التوسل بالنبي ﷺ له معنى . لذلك يجب أن نتعلم لغة الصحابة رضي الله عنهم وعُرْف الصحابة ونعمل كعملهم رضي الله عنهم , كيف كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ ؟ وبعد وفاته كيف كانوا يعلمون ؟ في عام الرمادة في عهد عمر رضي الله عنه لنربط القصة بالقصة , عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الملهم الذي قال فيه النبي ﷺ " إن في من كان قبلكم مُحدثين (أي ملهمين) وليسوا بأنبياء , فإن في أمتي فعمر " [أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها برقم (3689) ومسلم برقم (2398)] . عمر لما حصل القحط في عام الرمادة , ماذا حصل ؟ عمر يعلم بأن الجسد الشريف لا يزال محفوظاً في القبر كما دُفن في كفنه من ذلك اليوم وحتى يبعثه الله وهو أول من يبعث , " لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" [أخرجه أبو داوود عن أوس بن أوس رضي الله عنه برقم (

1043) والنسائي برقم (1373) وابن ماجه برقم (1636) وغيرهم , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1527)] فجسد رسول الله محفوظاً كما هو لكن هل ذهب عمر للقبر ليتوسل بذات النبي ﷺ ؟ لم يفعل , وعمر يؤمن أشد من إيماني وإيمانك بأن لرسول الله ﷺ جاهاً عظيماً أعظم من جاه موسى وعيسى المذكور في القرآن , قال الله تعالى في موسى { وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً {69} سورة الأحزاب } . وقال في عيسى { وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {45} سورة آل عمران } فجاه النبي أعظم من جاههما ؛ لأن الله أثبت مكانته وإمامته لجميع المرسلين في ليلة الإسراء والمعراج عندما جمعهم في بيت المقدس وجعله يصلي بهم إماماً وهم يقتدون به جميعاً فلُقب بإمام المرسلين أفضلهم وإمامهم وخاتم النبيين فجاهه أعظم من جاه جميع الأنبياء عليهم السلام , ومع ذلك هل توسل عمر بجاه النبي ﷺ ؟ لا . وهل ثبت من جميع الصحابة ﷺ من توسل بجاه النبي ﷺ ؟ لا . فرّق بين إنكار الجاه وبين إنكار التوسل بالجاه , بينهما فرق عظيم : إنكار الجاه قد يؤدي إلى الردة لان معنى إنكار الجاه الانتقاص وعدم احترام النبي وانتقاص النبي ﷺ ؛ أي لا منزلة له عند الله ولا مكانة له عند الله وتلك ردة ؛ لكن إنكار التوسل بالجاه إنكار للبدع , الذي ننكره ولا نزال ننكره التوسل بالجاه ولا يجوز إنكار الجاه , الإيمان بجاه النبي ﷺ ومكانته ومنزلته عند الله من شعب الإيمان , لكن من أين جائتنا عبارة بجاه نبيك بحرمة نبيك من أين جاءت ؟ عبارات مستحدثه . انظروا ماذا فعل عمر رضي الله عنه لنتعلم كما قلت من عمر معنى التوسل بالصالحين جمع عمر الناس في ميدان فيهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ , فقدّم عمر مقدمه وخطب خطبة وجيزة فقال " اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك برسولك فتسقنا أما الآن نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا . قال للعباس , قم يا عباس فأدع الله , فقام العباس ودعا الله فاستجاب الله دعوته " [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (1010)] , وسقى العباد والبلاد . أسأل هنا سؤالاً لابد منه ماذا يعني

عمر بقول " اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك برسولك .." متى كان هذا وكيف كان كذلك ؟ كان ذلك في عهد رسول الله ﷺ لما أصيب أهل المدينة بقحطٍ شديدٍ , خافوا على أموالهم وأنفسهم , فساق الله لهم أعرابياً (رجلاً من البادية) , فجاء فدخل المسجد , ورسول الله ﷺ يخطب خطبة الجمعة , ومشى الأعرابي بين الصفوف إلى أن وصل تحت المنبر , فرفع رأسه إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله : هلكت الأموال وانقطعت السبل ، هل قال أغثنا , أدركنا ، انظر إلينا بعين الرحمة ونحن هناك , هذا ما يتصوره جمهور المسلمين اليوم , إذا قالوا يا رسول الله ينتظرون أغثنا ؛ لكن افهم فقه الأعرابي , أفقه من كثير من المتعلمين اليوم , ماذا قال ؟ قال يا رسول الله انقطعت السبل وهلكت الأموال , ادع الله أن يغيثنا , الأعرابي أفقه من أن يقول أغثنا يا رسول الله , ادع الله يغيثنا , يعلم الأعرابي أن الذي يغيث العباد ويجيب دعوة المضطر وحده ولا إله غيره سبحانه , ماذا فعل النبي ﷺ , يقول أنس رضي الله عنه راوي الحديث فرفع يديه وبالغ في الرفع إلى أن ظهر بياض إبطيه – لأنهم كانوا يلبسون البُردة اليمنية لا يلبسون الثياب , بردة إزار ورداء – فجعل يقول " اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا " , في بعض الروايات لم يزد على ثلاث مرات , قال أنس ﷺ فخرجت سحابه صغيرة مثل الترس من وراء سلع (فيقول تعليقاً ليس بيننا وبين جبل سلع دار) , فتوسطت السماء وأمطرت حالاً . نزل المطر وانتهت الخطبة وقضيت الصلاة وانصرفت الناس بعد الصلاة إلى بيوتهم – كأني بهم يجرون في المطر – واستمر المطر من الجمعة إلى الجمعة ؛ فخافوا من شدة المطر على أموالهم وأنفسهم وطرقهم , يقول أنس رضي الله عنه راوي الحديث , دخل أعرابي من الباب نفسه , ومشى بين الصفوف حتى وقف تحت المنبر , قيل لأنس رضي الله عنه هل هو الأعرابي الأول أو غيره ؟ قال لا أدري , فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل , فادعوا الله يرفعها عنا , فرفع النبي ﷺ يديه :" اللهم حوالينا ولا علينا , اللهم على الآكام والظِراب وبطون الأودية ومنابت الشجر ". يقول الراوي كلما يشير

النبي ﷺ إلى جهة يقف المطر ,(من أعلام النبوة في أسبوعين متتابعين) [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (1014) ومسلم برقم (897)] . عمر رضي الله عنه في عام الرمادة ؛ لنربط القصة بالقصة , عندما قال اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك برسولنا , يشير لهذه القصة , انظروا ماذا فعل عمر رضي الله عنه ؟ ترك قبر النبي ﷺ لم يتوسل بذاته ولا بقبره ولا بجاهه , كل ذلك ثابت عند عمر رضي الله عنه ؛ ولكن طلب الدعاء من الرجل الصالح الحي حياة دنيوية . فالخلاصة التوسل بالصالحين يعني أن تطلب الدعاء من شخص صالح فيما يبدو حي حياة دنيوية لا برزخية ورسول الله ﷺ الآن حياته حياة برزخية لا نعلم كنهها وإن كنا نؤمن أنها أفضل من حياة الشهداء الذين هم إحياء عند ربهم لأنهم لم يصلوا لتلك الدرجة إلا بإتباع النبي ﷺ , ومن يريد أن يحقق هذه المسألة وهي جديرة بالتحقق لأنها مسألة عملية عليه أن ينظر في كتاب التوسل والوسيلة للإمام ابن تيمية رحمه الله ومن نقل كلامه من بعده فليرجع على هذا الحديث بتمامه في صحيح البخاري وصحيح مسلم ليطلع على هذه القصص في كتاب الاستسقاء لأننا لا ننقل إلا أحاديث صحيحة . قبل أن أترك هذه القصة أضيف قصة أخرى متعلق بها كثيرٌ من الناس وهي قصة الأعمى , وهل قصة الأعمى تخالف قصة الإعرابي ؟ أبدا , هي هي , يوجد في المدينة رجل أعمى في عهد رسول الله ﷺ فتاقت نفسه لأن يرد الله عليه بصره فقويت عزيمته وطمع في أن الله يستجيب لنبيه دعائه إن دعا له فجاء للنبي ﷺ لاحظ أن الأعمى عندما يأتي للنبي ﷺ ماذا يحتاج ؟ يحتاج قائداً يقوده ويأتي به , لنفهم فقه القصة , ولو كانت القضية قضية على ما يفهمه جمهور المسلمين اليوم , يجلس الأعمى الضعيف في بيته فيقول يا رسول الله رد لي بصري أغثني , ولكن ذلك (أي الأعمى) كذلك الأعرابي لم يفعل ذلك , جاء للنبي ﷺ فقال يا رسول الله ادع الله ليرد علي بصري – افهموا القصة لنربط أول القصة بآخرها , لا نأخذ كلمات ستأتي في القصة نتعلق بها فنقول نفعل كما فعل الأعمى – قال الأعمى ادع الله ليرد علي بصري , ماذا

قال رسول الله ﷺ [وان شئت صبرت فهو خير لك] إشارة إلى " من أخذ حبيبته أي عينيه وصبر واحتسب ليس له جزاء إلا الجنة " [أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (2512) , صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (8140)] وإن شئت دعوت الله لك ؟ قال بل ادع الله لي , الإنسان دائماً يحب النعمة العاجلة فعلّمه النبي ﷺ لأن يقدم عملاً صالحاً بين يدي الدعوة . أمره أن يذهب إلى الميضأة فيتوضأ فيدعو بدعاء لقنه له رسول الله ﷺ قال "اللهم أني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة , يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي لتقضي حاجتي اللهم شفعه فيّ وشفعني فيه " [أخرجه الترمذي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه برقم (3813) وابن ماجه برقم (1385) , صححه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين برقم (1556) , وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (2832) وصحيح ابن ماجه برقم (1385)] , ماذا تفهم من هذا الدعاء ؟ إني أتوجه بك إلى ربي أي طلب منك الدعاء , هذا معنى التوجه . وهل لو أراد أعمى اليوم يقول اللهم إني توجهت إليك بنبيك هل هو صادق ؟ ومتى توجه به , هل طلب منه الدعاء ؟ لم يفعل شيئا , إذن هذه لا تنطبق إلا على من حضر عند النبي ﷺ فطلب منه الدعاء . خلاصة القصة إنما وقع التوسل في القصتين بدعاء النبي ﷺ لا بذاته ولا بجاهه رجعوا لمعرفة ذلك في كتب السنة والحديث في الترمذي , تكلم عليه شيخ الإسلام في التوسل والوسيلة [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة مع مجموع الفتاوى (1 / 323) وما بعدها] .

ذكر رضى الله وغضبه وسخطه وكراهيته وأنه متصف بذلك :

قَوْلُهُ: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}،وقوله :{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ }، وَقَولُهُ : {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ

وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ }،{فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ } وقوله :{وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ }،وَقَوْلُه : { كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ } .

* « رضي الله عنهم ورضوا عنه » / رضي الله عن أوليائه , أهل الجنة يتنعمون بنعم لا تُعد ولا تُحصى في دار الكرامة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ ولكن أعظم من ذلك رضى رب العالمين سبحانه , أن يرضى الله عنهم لا يسخط عليهم بعد ذلك , وهناك نعمة لا مثيل لها وهي النظر إلى وجه الله الكريم , إذا أكرم الله عباده ومكنهم من رؤية وجهه سبحانه وأثبتهم أمام التجلي بعد أن كانوا ضِعافاً لا يثبتون أمام التجلي في هذه الدار ؛ لذلك لم تثبت الرؤية في هذه الدنيا لأحد على الأصح ؛ ولكن الله ﷻ هناك يمنح عبادة قوة ليثبتوا أمام التجلي فيتجلى لهم فيرونه رؤية حقيقية كرؤيتهم للقمر ليلة البدر ورؤيتهم للشمس ليس دونها سحاب , هذه أعظم نعمة من نعم أهل الجنة . وعلى الرغم من ذلك كل من الرؤية والمحبة والرضى لم يسلم من أهل الكلام , منهم من نفى نفياً باتاً , ومنهم من أوّل كلاً من المحبة والرضا بالإرادة , وأما في الرؤية أقرب الطوائف لأهل السنة من أثبت الرؤية دون مقابلة , أي بدون إيمان منهم بأن الله يُرى من فوق ويسلم على أهل الجنة من فوقهم ويُمكنهم من رؤية وجهه سبحانه ويرونه من فوقهم , والأشاعرة أثبتوا الرؤية مع أهل السنة ولكن نفوا العلو والفوقية .

ورضى العباد عن الله ﷻ هذه من نعم الله لعباده في دار الكرامة لمن وفقهم السير على الصراط المستقيم في هذه الدار , وكل واحد من أهل الجنة يرضى بمنزلته مهما كانت صغيرة أو كبيرة , حتى يتصور أنه لم يؤتى أحد خيراً مما أوتي هكذا يتصور من عِظم تلك النعم من أنهار من خمر وماء ولبن وعسل وفواكه تتجدد ؛ ولكن الله ﷻ يُرضي كل عبد بما هو فيه ويُسر بذلك .

* « ومن يقتل مؤمناً متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه » / قتل الكافر بالجملة ليس في هذا الوعيد , هذا أيضاً ليس في عمومه , الكافر الذمي لا يجوز قتله , وورد فيه وعيد شديد " من قتل ذمياً لم يرح رائحة الجنة "[أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (6914)] , وأن الله حرَّم دم الذمي ومال الذمي .

القتل قسمه الفقهاء ثلاثة أنواع : العمد أن يقصد من يعلمه أنه آدمياً معصوم الدم بما يقتله عادة كالسكين والحجر الكبير . وشبه العمد أن يضرب إنساناً معصوم الدم بما لا يقتل غالباً كأن يضربه بسوط خفيف فيموت , فهذا يسمى شبه عمد , تعمد ضربه فمن حيث أنه تعمد ضرْبه يعتبر عمد , ومن حيث أنه ضربه بما لا يقتله عادة فهو ليس بعمد ؛ لذلك يُسمى شبه عمد . الخطأ أن يرمي صيداً فيقتل أحداً أو يسوق سيارته لا يقصد قتل أحد فيقتل إنساناً بدون قصد . هذه الأنواع تختلف أنواعها وهي معروفة في كتب الفقه .

* خالداً فيها : أصل الخلود الإقامة الدائمة ما لم تأتِ قرينة تحول هذا المعنى إلى معنى آخر وتخفف هذا الخلود لمعنى آخر , وقيل الخلود المكث الطويل بقرينة .

اللعن : الطرد والإبعاد من رحمة الله . قاتل النفس وُصِف بكل ذلك .

قال تعالى { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ .. {48}سورة النساء } , أي الشرك الأكبر قبل التوبة , ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء : من مات على ما دون الشرك الأكبر يغفر الله كيف شاء , والكيفيات تختلف والذي أجمع عليه أهل السنة قاطبة بدون خلاف أن من مات على كبيرة من الكبائر دون الشرك فهو تحت مشيئة الله تعالى ويجب اعتقاد أنه لا يخلد في النار , إما كونه يدخل النار أو لا يدخل هذا راجع إلى الله ﷻ , ولكن الذي ثبت في الكتاب والسنة والإجماع حتى لو دخل النار فإنه لا يخلد في النار ؛ بل مصيره إلى الجنة تصديقاً لخبره ﷺ " لا

يخلد في النار من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان " [سبق تخريجه] , هذا الحديث وهذه الآية تعارض آية قتل العمد , وآية قتل العمد تدل على أن القاتل عمداً لا توبة له وأنه مخلد في النار ووُصِف بصفات ورد فيه وعيد لم يرد في غيره , مخلد وأنه محل الغضب ومحل اللعنة , لم يأتِ في أي ذنب من الكبائر والموبقات وصف كهذا ؛ لذلك استشكل أهل العلم هذه الآية مع قوله تعالى {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ{53}سورة الزمر} يغفر الذنوب جميعاً بدون استثناء , وهنا يغفر ما دون ذلك لمن يشاء بالاستثناء , لِنفهم التوفيق بين الآيتين قبل آية القتل , هذه الآية التي نحن بصددها { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ .. {48}سورة النساء }, بالنسبة لمن مات على الكبائر أو الصغائر , أي المعاصي قبل التوبة , وقوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ{53}سورة الزمر } , أي للتائبين يغفر الذنوب جميعاً بدون استثناء لجميع التائبين , إن تاب من القتل , إن تاب من الشرك ومن الكفر البواح ومن الموبقات ومن البدع ومن أنواع الشرك والكفر والمعاصي والإلحاد , من أي ذنب تاب وصدق في ذلك , إذن آية سورة الزمر بالنسبة للتائبين يغفر لهم بدون استثناء وهذا الذي وقع بالفعل . فأصحاب رسول الله ﷺ من وقع في الشرك الأكبر وكانوا أعداء للإسلام ولرسول الإسلام فتاب الله عليهم فتحولوا إلى كبار الأولياء , لا تنسوا عمر رضي الله عنه كيف كان وكيف تحول ؟ إذن من تاب من أي ذنب فالله عز وجل يغفر الذنب ويقبل التوبة , " والتائب من الذنب كمن لا ذنب له " [أخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه برقم (4250) والطبراني في الكبير (3 / 71 / 1) , هذا الجزء من الحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (3008) , للاستزادة راجع السلسلة الصحيحة حديث رقم (615 – 616)] , هذا بالنسبة للآيتين . أما كيف الجواب عن هذه الاستشكالات ؟ فإن حُمِلت الآية على أن هذا

الجزاء الصارم والخلود في النار مع الغضب واللعنة بالنسبة لمن استحل قتل المؤمن , فلم يقتله وهو يعتقد أنه حرام الدم ؛ ولكنه استباح فقتل , – كأن قال دعونا من قولكم حرام حرام طالما يعادينا وليس بمواطن صادق وليس بقومي حلال الدم يُقتل فقتله – على هذا فلا إشكال في الآية . وقيل جزائه الأساسي هو هذا الذي يستحقه , فالاستحقاق شيء والتنفيذ شيء آخر , فهو مستحق لهذا الجزاء , ولكن يحتمل ألا يُنفذ فيه هذا الجزاء لأمر عارض كأن تاب إلى الله وصدق في توبته وتقبل الله توبته أو أكثر من الأعمال الصالحة الكثيرة من الإحسان والإنفاق وقيام الليل وغير ذلك من الأعمال الصادقة المتنوعة التي صدق الله ﷻ فيها فتقبل الله منه ذلك العمل , فعمله الصالح رجح على سيئاته . وقيل أن ظاهر الآية غير مراد وذلك أنها واردة مورد الزجر , وهذا من أضعف الأجوبة , وهذا يحتاج إلى نص . ما قبل ذلك يمكن أن يتصيد له وجه في الشريعة بالنسبة للوجه الثاني , أما الوجه الأول فواضح , والوجه الثاني ممكن التصيد له , أما الثالث فضعيف .وقيل المراد المكث الطويل , وهذا بحث لغوي , يقال للمكث الطويل بأنه مخلد , ولا بد من قرينة , والقرينة واضحة وهي إخبار الرب سبحانه وتعالى بأنه يغفر ما دون الشرك من الذنوب , والقتل دون الشرك , إذا جمعنا بين هذه الآية وبين آية{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ .. {48}سورة النساء }, نجعل هذه الآية قرينة على أن المراد بالخلود المكث الطويل لا الخلود المؤبد , هذا الوجه لا بأس به . وهذا الوجه هو الذي عليه جمهور أهل العلم . فطالب علمٍ يمكن أن يرجع إلى كلام كثير من المحققين كشيخ الإسلام [مجموع الفتاوى (2 / 358) (7 / 484 - 485) (16 / 18-22) (16 / 27) (18 / 22)] وابن القيم [هداية الحيارى ص (130) , الجواب الكافي ص (12) وابن دقيق العيد]من الذين منحهم الله الفهم الدقيق الثاقب لترجيح ما يراه راجحاً من هذه الأقوال , أما نحن نحكي ولا نرجح .

ذهب ابن عباس رضي الله عنهما أنه لا توبة له , ويُروى أنه رجع عن هذا القول , والله أعلم بصحة هذا القول إليه . نقلاً عن الأئمة الذين أشرنا إليهم قبل قليل أن على القاتل حقوقاً ثلاثة : حقاً لله و حقاً للورثة و حقاً للقتيل , فحق الله يسقط بالتوبة , وباب التوبة مفتوح . وحق الورثة يسقط بالاستيفاء في الدنيا أو العفو , الاستيفاء إما القصاص أو الدية . وأما حق القتيل فلا يسقط حتى " يجتمع بقاتله يوم القيامة , ويأتي ورأسه في يده يحمل رأسه الذي قُطِع في الدنيا ويركب الله له رأسا أخر , ويقول يارب سل هذا فيما قتلني " [أخرجه أحمد عن جندب رضي الله عنه (5 / 367) والنسائي برقم (4009) وابن ماجه برقم (2621) , صححه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين برقم (1909)] . وهذا المعنى يؤيده حديث الدواوين الثلاثة [أخرجه أحمد عن عائشة رضي الله عنها (6 / 240) والحاكم في المستدرك (4 / 619) والطبراني في الكبير برقم (6133) وغيرهم , ضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (3022)] , فديوان لا يعبأ الله به فيغفر لمن يشاء , تلك المعاصي التي بين العبد وبين ربه . وديوان لا يغفر الله ما فيه أبداً , ذلك ديوان الشرك الأكبر والكفر - هذا ديوان لا يُترك - كل ما فيه يُؤاخذ به الإنسان فلا عفو . وديوان لا يتركه الله حتى يتركه أصحابه وهو ديوان المظالم , مظالم الناس من غيبة ونميمة وقتل وقذف وغير ذلك , المعاصي التي بين العباد , وحق القتيل في هذا الديوان . لا يلزم من هذا أنه مخلد فقد يُرضي الله القتيل فيعفو عن قاتله , فالله يفعل فيه مايشاء فهو داخلاً مشيئة الله , لا يبتُ فيه بشيء يُترك إلى الله عز وجل .

* « فلما ءاسفونا انتقمنا منهم »/ الأسف هنا شدة السخط والغضب ؛ لورود الغضب والسخط في نصوص أخرى تفسر هذا النص . انتقمنا منهم : أي إثبات صفة الغضب . والآيات الأخرى بهذا المعنى .

ذكر مجيء الله لفصل القضاء بين عباده على ما يليق بجلاله :

وَقَوْلُهُ: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ }، { هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ}، {كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا }، {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً }.

* «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر »/ إثبات صفتين من صفات الفعل : المجيء والإتيان , تقدم الكلام عن الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل . صفتي الإتيان و المجيء هما بمعنى واحد , لكن لما جاء لفظ الإتيان ولفظ المجيء عُدتا صفتين . من هنا تعلمون أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة ؛ لأنهم مخالفون لأهل السنة والجماعة في هذا الموقف وفي غيره من المواقف الكثيرة . يؤمنون أن الله يأتي وبأنه يجيء يوم القيامة لفصل القضاء على الحقيقة , الحقيقة التي تليق بالله سبحانه وتعالى لا على الحقيقة التي تليق بالمخلوق – الحقائق تختلف – إذا قلنا المجيء في حقنا حقيقة لا يلزم من ذلك أن يكون المجيء في حق الله مجاز ؛ بل المجيء في حق الله حقيقة وفي حقنا حقيقة أيضا , ولكن ليست الحقيقة كالحقيقة مجيئنا نستطيع أن نصفه وإتياننا وصعودنا ونزولنا واستوائنا , هذه صفات فعلية لنا نعرف حقيقة هذه الصفات ونصفها وصفاً دقيقاً ؛ لأننا نعرف حقيقة الموصوف , فحقيقة الموصوف وكُنه الموصوف سهلا عليك أن تعرف حقيقة الصفة , إنما عرفتُ صفتك ومجيئك ونزولك وجلوسك وقيامك وذهابك وإيابك أعرف على الحقيقة فأصف , لماذا ؟ لأني أعرفك أنتَ أعرف حقيقتك وكنهك ظاهر , ولكن الذي لا تعرف حقيقة كنهه سبحانه , ولكن آمنت به إيمان إثبات ووجود وأنه موجود وجوداً حقيقياً وثابتاً ليس بخيال , لكن

لا تدرك كنهه – إذ لا يعرف كيفه إلا هو– . وحتى إذا رآه المؤمنون يوم القيامة وفي الجنة يرونه بلا إحاطة , لا يحيطون به رؤية كما لم يحيطوا به علماً , نعلمه سبحانه ونعرفه بأسمائه وصفاته والآئه وهذه الآثار وهذا الكون أثر واضح على وجوده وقوته وقدرته وحياته . إذا كان الأمر كذلك يجب أن نؤمن كما أخبر الرب سبحانه بأنه يأتي يوم القيامة لفصل القضاء كما وصف , وأخَّر ذلك المجيء لحكمة يعلمها وليس بعاجز عن المجيء اليوم , ولكن أخَّره لوقته حكمة منه , نؤمن بذلك . أما أن نخوض في ذلك نقول لا يأتي , والرب سبحانه يقول يأتي والعبد يقول لا لا يأتي لا يليق به الإتيان لا يليق به المجيء . يردون على الله { قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ .. {140}سورة البقرة } هكذا يقال لهؤلاء , وإنما سمَّى القوم تحريفهم وإلحادهم وتعطيلهم تأويلاً ليُقبَل عند أهل العلم الذين لا يعلمون حقيقتهم ؛ لأن التأويل يُطلق على التفسير كما يقول ابن جرير الطبري رحمه الله وتأويل الآية .... .

الكوثري حنفي المذهب ماتوردي العقيدة , ولكن الله ابتلاه بكراهة السنة وأهلها ومعاداة المحدثين من الأئمة الكبار إلى وقته , لم يسلم منه إماماً متمسكاً بالسنة وفي مقدمتهم الإمام الشافعي رحمه الله , لم يترك أحداً إلا نال منه , فكل من عرف أنه يصرح بنصوص الصفات ويحمل ويعتب على علماء الكلام فهو عدُوه , ولما عَلِم الكوثري أن الإمام الشافعي أصدر في علماء الكلام حكماً صارماً , فقال (حكمي في أهل الكلام أن يُحملوا على الحُمر الأهلية فيُطاف في العشائر والقبائل , ويُضربوا بالنعال والجريد فينادى عليهم هذا جزاء من خالف الكتاب والسنة واتبع علم الكلام) [أخرجه أبو نُعيم في الحلية (9 / 116) , وذكره البغوي في شرح السنة (1 / 218)] , هذا الكلام أقلق الكوثري وأقامه وأقعده حمل على الإمام حملات أحيانا يطعن في لغته وأحيانا يطعن في نسبه , الإمام الشافعي الذي يعرفه كل مسلم – لا أقول كل

طالب علم – مع ذلك لم يسلم منه إلا من لم يُعرَف عنده أنه صرّح بإنكار علم الكلام . الكوثري علّق تعليقاً وكتب كلاماً على كتاب الصفات للبيهقي رحمه الله , الإمام البيهقي إمامٌ محدثٌ سنيٌ إلا أنه لم يسلم من تأويل بعض النصوص تأويلات خفيفة . فدخل الكوثري من هذه الثغرات فكتب حاشية أساء إلى السلف وإلى السلفيين وحرّف النصوص , نقل في هذه الحاشية كلاماً عن الزمخشري صاحب الكشاف (من علماء المعتزلة) الذين لا يُثبتون أي صفة من صفات الرب سبحانه الذين حرفوا نصوص الصفات ؛ لأنه متمكن في فروع اللغة العربية في النحو والصرف والبلاغة , وفي البلاغة يُعتبر إماماً ؛ ولكنه استغل فروع اللغة العربية ومعرفته للبلاغة وسلط على نصوص الصفات وحرفها وأوّلها وعطل معانيها . الكوثري ليس بمعتزلي إنما هو ماتوريدي , والماتوريدية شقيقة أو ربيبة الأشعرية – تابعة للأشعرية – لا يختلفون إلا في صفات معدودة لا تتعدى أصابع اليدين وطريقتهم واحدة , ما الذي زيَّن لك أن تأخذ مذهب المعتزلة وأنت لست معتزلياً ؟! وإنما أخذ هذا ؛ لأنه تجمعه معهم عداوة أهل السنة والجماعة , ولما كانت المعتزلة في طليعة من يعادي مذهب السلف فَرِح بهم فنقل كلام الزمخشري وإلا هو ليس بمعتزلي . هكذا أهل الباطل دائماً وإن كانوا فيما بينهم متخاصمون ومتخالفون , لكنهم متفقون على محاربة أهل السنة هذا قديماً وحديثاً إلى يومكم هذا , تجدون أهل الباطل مختلفون ومتخاصمون وربما يكفر بعضهم بعضاً , ولكن إذا وجدوا من الحكمة أو تقتضي المصلحة العامة لهم جميعاً أن يتفقوا على محاربة أهل السنة اتفقوا وتناسوا ما بينهم من العداوة , ما أشبه اليوم بالأمس !

ونقل الكوثري عن إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني (الابن) الأشعري , لكنه في آخر حياته ندم ندماً شديداً وحذر الناس من علم الكلام الذي خاض فيه طول حياته , وكتب رسالته النظامية ما يدل على تراجعه وعلى ندمه وعلى تأسفه إلا إنه لم يكن صريحاً في أنه تاب ورجع لمذهب السلف كما كان والده صريحاً في ذلك .

الجويني (الأب) كان مثل ابنه , رجع رجوعاً صريحاً لمذهب السلف , وألَّف رسالة في ذلك تدل على رجوعه وفهمه الفهم الدقيق , وبيَّن أن الأشاعرة ما حبسهم على ما هم فيه إلا أنهم لم يفهموا من نصوص الصفات إلا ما يليق بالمخلوق - هذا كلام صريح من والد إمام الحرمين - وبعد أن فتح الله عليه وشرح صدره وفهم الحق , يصف نفسه أنه وقف وقفة طويلة قلقاً متحيراً ؛ لأنه تفقه على أيدي أولئك العلماء ولهم في نفسه مكانة فلم يستطع أن يرميهم , ولكن تبين له الحق من النظر في الكتاب والسنة , ماذا يفعل ؟ وقف موقفاً حرجاً فترة من الزمن ثم رجح جانب الحق وكتب في رسالة بيَّن فيها عذر علماء الأشاعرة [الصفات الإلهية للشارح رحمه الله ص (409 – 415)] .

والابن متأرجح فلم تكن توبته أو رجوعه صريحاً . فنقل الكوثري أن الجويني قال : في ظلل من الغمام (في) بمعنى الباء , أي إلا أن يأتيهم الله بظلل لا في ظلل . ونقل عن الفخر الرازي من أئمة الأشاعرة معنى الآية : أن يأتيهم أمر الله وليس الله هو الذي يأتي , ولو سُئل الرازي : الذي يفصل بين العباد هو أمر الله أو هو الله ؟ من أين يأتي أمر الله ؟ ولو سُئل الرازي الأمر من أين يأتي ؟ من الذي يأتي به ؟ من عند الله قطعاً . اسأله سؤالاً ثانياً : أين الله الذي يأتي الأمر من عنده ؟ لوقف حائراً . ولو سلمنا جدلاً أن الذي يأتي الأمر. فمن أين يأتي ؟ قطعا سيقول من الله . ولو قلنا أين الله الذي يأتي الأمر من عنده ؟ فلا جواب له . إن قال الله هو في السماء فلن يستطيع إلا إذا قال الأمر يأتي من عند الله , والله في كل مكان , إذن لا داعي أن يأتي , هناك مكان والآخرة مكان ويوم القيامة مكان . ما معنى الإتيان ؟ لا معنى للإتيان , إذن الأمر في كل مكان لأن الله في عقيدتك في كل مكان . عقيدة مضطربة لا تُفهم ولا تُعقل - كلام يُحكى تقليداً - أما عند التحقيق أبداً لا تجد له أساساً , فنسأل الله لنا ولكم الثبات على هذه العقيدة , أنتم في نور , لو أنكم تصورتم هذه الظلمة التي عاش فيها كبار علماء الأشاعرة الذين ندموا وبكوا في آخر حياتهم , هؤلاء كلهم نقل شيخ

الإسلام وأنا نقلتُ عن شيخ الإسلام في رسالتي الصفات الإلهية [ص (157 – 168)] كيف ندموا الرازي والشهرستاني والغزالي وإمام الحرمين الجويني الأب والجويني الابن بعد أن رجع إمامهم الأول أبو الحسن الأشعري كلهم ندموا في آخر حياتهم وبكوا بكاء الثكلى , عقيدة كهذه تُدرس حتى الآن , عقيدة أربابها وفطاحلها رجعوا وندموا , منهم من رجع رجوعاً صريحاً ومنهم من بقي متأرجحاً , لكن أنتَ على أي أساس تدرس ؟! كنتَ مُقلِداً ومُقَلدك رجع وندم . عليك أن ترجع يا طالب علم اليوم الذي تدرس العقيدة السنوسية وتهز رأسك وأنتَ تقول ليس الله فوق العرش ولا تحته ولا يمينه ولا شماله , هل هذا هو الدين؟ هل هذه هي العقيدة ؟! فنسأل الله الثبات ونحمده على ما نحن فيه من نعمة سلامة العقيدة والفهم الصحيح لكتاب ربنا وسنة نبينا .

لم يبقَ إلا السؤال : كيف يأتي ؟ من سألك كيف يأتي وكيف ينزل ؟ أجبه بجواب الإمام مالك رحمه الله (الاستواء معلوم , والكيف مجهول ..) , فالإتيان معلوم , وكيفية المجيء مجهول . هذا الجواب منذ قال الإمام مالك في عهد تابعي التابعين , وهو من كبار أئمة تابعي التابعين , من ذلك اليوم إلى يومنا هذا يُعتبر قاعدة يجيب بها أهل السنة والجماعة من يسأل عن كيفية صفة من صفات الرب سبحانه .

الأشاعرة اختلفوا في الصفات الذاتية , الصفات الفعلية أوّلوها , والصفات الذاتية قسموها قسمين : قسم أمروها كما جاءت على طريقة السلف , وهي القدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والحياة والكلام , سبع صفات سموها صفات المعاني , وأحيانا يسمونها الصفات العقلية , قالوا هذه الصفات نؤمن بها ونمرها كما جاءت دون تأويل ؛ لأنها صفات عقلية , العقل يُثبتها كما يُثبت النقل , فنظروا للصفات الذاتية الأخرى إثبات الوجه وإثبات اليدين وإثبات القدم وإثبات الأصابع هذه الصفات ذاتية كالتي قبلها , قالوا يجب أن نؤولها ؛ لأن الصفات الأولى قبلناها ؛ لأنها عقلية العقل يُثبت (

أي عقول الأشاعرة) , أما هذه الصفات قالوا لو أنا أثبتنا له الوجه واليدين والأصابع والقدم والساق جعلنا الله مركباً من أعضاء وأجزاء , يقال أدركتم شيئا وفاتتكم أشياء , قبل أن تتورطوا كان ينبغي أن تستعرضوا التنزيه الذي جاء في كتاب الله ﷻ { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..{11}سورة الشورى } , فليس كمثله شيء في وجهه ويديه , أي كما قال أبو الحسن الأشعري في الإبانة بعد توبته وتأليفه رسالة في منهج السلف سماها الإبانة في أصول الديانة قال : (يد الله ليست نعمةً ولا قوةً ولا جارحةً) [ص (56)] , إذن ماهي ؟ صفة من صفات الله ﷻ كالقدرة والإرادة , فهذا كلام صريح من أبي الحسن الأشعري , أبو الأشعرية الذي تاب , ولكن الأشاعرة المعاصرين قالوا لا , نحن على ما كنا عليه على مذهب الكلابية , لماذا ؟ قالوا في رجوع أبي الحسن في نفوسنا شك , يقال انظروا إلى من قبل أبي الحسن كيف كان الصحابة والتابعون , بل كيف كان الأئمة الأربعة الذين أنت تنتسبون إليهم وبقية السلف , أنتَ مالكي , اعرف عقيدة مالك , ماذا قال الإمام مالك . أنتَ شافعي اعرف عقيدته وعقيدة أبي حنيفة وعقيدة الإمام أحمد , الأئمة الأربعة ومن في طبقتهم بحمد الله على عقيدة واحدة , هذا مما منَّ الله به على هذه المذاهب الأربعة , اختلف الأئمة في المسائل الفقهية الفرعية ؛ ولكن اتحدوا في باب التوحيد في باب العقيدة في باب الأسماء والصفات لا اختلاف بينهم ؛ لذلك الأشاعرة يتناقضون , أشعري يقول أنا مالكي . مالكي في ماذا ؟ يقول في الفروع . وهل أنتَ مالكي في الأصول ؟ لا . لماذا ؟ هكذا . هكذا ما ينفع يجب أن يكون عندك دليل. لماذا تخالف الإمام في عقيدته وتدعي الانتساب إليه في الفروع بينما يجوز لك أن تخالف الإمام في الأصول ؛ لأن تلاميذه خالفوه في كثير من الفروع , فتلاميذ الأئمة الأربعة خالفوا الأئمة الأربعة في كثير من المسائل الفرعية , لكن لم يخالفوهم في العقيدة أبداً – نعيش تناقضات – فجمهور المسلمين يعيشون تناقضات في باب العبادة في باب الفقهيات وفي باب العقيدة . أولئك كلهم وإن كان الأئمة

الأربعة ليس لهم مؤلف في العقيدة , ولكن أقوال نُقِلت عنهم , أقوال كثيرة خصوصاً أبو حنيفة رحمه الله أول الأئمة الأربعة , عقيدته مسجلة في كتاب يُنسب إليه بصرف النظر هل النسبة صحيحة أو غير صحيحة , سماه الفقه الأكبر , الفقه الأكبر في العقيدة لا في الفقهيات , وهو الإمام الوحيد الذي يُنسب إليه كتاب في العقيدة مؤَلف وإلا الأئمة الآخرون مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله يُنقل عنهم أقوال كثيرة . والإمام أحمد موقفه مشهور . الشاهد هم متفقون جميعاً في هذه العقيدة التي ندرسها .

* « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة .. » / أي هل ينتظرون , النظر هنا بمعنى الانتظار , إتيان الملائكة لقبض أرواحهم عند الموت أو يأتي ربك لفصل القضاء أو يأتي بعض آيات ربك كالدابة وطلوع الشمس من مغربها علامات القيامة . والترتيب ليس بلازم ؛ لأن الواو لا تقتضي الترتيب وإنما ينتظرون مجموع هذه الأمور , وهذه الأمور إذا رتبناها على طبيعتها , أولاً مجيء الآية تطلع الشمس من مغربها وتخرج الدابة والمسيح الدجال وبقية العلامات الكبرى , الآية الثانية قد تتقدم على هذه وقد تتأخر , ثم مجيء الملائكة عند الموت أو في القبر للعذاب , هذا الذي ينتظرونه , وأخيراً ينتظرون مجيء الله ﷻ يوم القيامة للفصل بين العباد , لم يبقَ لهم إلا هذا إذا عاندوا وكفروا واتبعوا الشيطان .

* كيف تُفسِر الأشاعرة ومن معهم هذه الآية ؟ إن قالوا مجيء الملائكة . جاء مجيء الملائكة مصرحاً به , ومجيء الآية مصرحاً به , ومجيء الرب سبحانه جاء مصرحاً به , لم يبقَ إلا أن يُفسروا مجيء الله بمجيء الأمر , وعند ذلك تُناقِش بالأسلوب الذي تقدم فينقطع ولا يجد جواباً . ولكن بقي لهم قول وإذا ناقشناهم ينقطعون , بأن يفسروا أن مجيء الملائكة على الظاهر , ومجيء الآيات على ظاهرها , ويفسروا مجيء الرب سبحانه بمجيء الأمر , ناقشه عند ذلك : من أين يأتي الأمر ؟ فيكون الجواب من عند الله .

فأين الله ؟ لا جواب ؛ لأن الأشعري يصعب عليه أن يقول الله فوق جميع مخلوقاته , بل يصعب عليه أن يشير هذه الإشارة (بالإصبع) والإشارة عند الأشاعرة جريمة , الإشارة إلى العلو باعتقاد أن الله في العلو جريمة عند الأشاعرة , ولكنهم جهلوا لأنهم جهال , أول من أشار هذه الإشارة هو رسول الله ﷺ كما تعلمون في حجة الوداع كما تقدم .

* « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » / ينبغي أن نعلم كيف فَهِمَ الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين بما في ذلك الأئمة الأربعة المشهود لهم بالإمامة بين المسلمين , كيف فهموا نصوص الصفات ؟ هل حرفوها وأوّلوها وقالوا ظاهرها غير مراد ؟ إذا رجعنا إلى أقوالهم نجدهم كلهم متفقون على القول (أمروها كما جاءت بلا كيف) [أخرجه الدارقطني في الصفات ص (50) , والآجري في الشريعة ص (314), وابن عبد البر في التمهيد (7 / 149) , والبيهقي في الاعتقاد ص (118) , وابن تيميه في الحموية الكبرى ص (39)], إذا جاء { وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً{22}سورة الفجر} , وإذا جاء قوله ﷺ " ينزل ربنا كلا ليلة .. " [سبق تخريجه] , وقوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى{5}سورة طه } , الواجب إمرار هذه النصوص على ظاهرها , فتُمَر على الظاهر الذي يليق بالله ؛ لأنها تتحدث عن الله ﷻ , ودعوى أن الإبقاء على الظاهر يؤدي إلى التشبيه غلط ؛ لأن الآيات والأحاديث , أي آيات الصفات وأحاديث الصفات لا تتحدث عن غير الله , وإنما تتحدث عن الله ﷻ وتصف الله , لا أحد يشارك الله في خصائص صفاته , لا في مجيئه ولا في نزوله ولا في استوائه , فلا تؤول هذه النصوص , بل يجب أن تبقى على ظاهرها مع اعتقاد أن ذلك الظاهر غير الظاهر الذي يليق بالمخلوق , الآيات والأحاديث لا تتحدث عن المخلوق وإنما تصف الله تعالى . الله يأتي يوم القيامة لفصل القضاء , فيخاطب العباد ويحاسبهم , وقد يتجلى للجميع فيرونه وقد يتجلى للمؤمنين فقط دون الكفار والمنافقين فيرونه

رؤية حقيقية , أما رؤية المؤمنين فبالاتفاق في عرصات القيامة , أما رؤية الكفار والمنافقين ثم الاحتجاب عنهم محل خلاف . المؤمنين يرون ربهم مرتين , المرة الأولى في عرصات القيامة بعد البعث , والمرة الثانية الدائمة في الجنة حيث تُعتبر تلك النعمة , نعمة النظر إلى الله أعظم نعمة من نعم الله ﷻ على أهل الجنة , رؤية حقيقية لا خيالية ولا مجازية ؛ لذلك تأويل المجيء بمجيء العذاب أو مجيء الأمر تحريف للآية , آمنا أن الذي يجيء هو الله سبحانه وتعالى كما يليق به تعالى , فالله في حال مجيئه وفي حال نزوله وفي حال إتيانه وفي حال دنوه كما ورد " أنه يدنو من أهل عرفه " [أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها برقم (1348)] من أهل عرفه فقط , وهذا من شؤون الرب سبحانه , ولا يدنو من عباده الموجودين بمكة أو بمزدلفة أو في أي مكان , عشية عرفه يدنو سبحانه كما يليق به من أهل الموقف فقط من الواقفين بعرفه فقط فيباهي بهم ملائكته , وهذا الدنو وذالكم المجيء والإتيان وذالكم النزول كل ذلك لا ينافي علو الله على عرشه , ما أعظم شأنه ! فهو دائماً في علوه ؛ لأن علو الله صفة ذاتية قديمة قِدم الذات كما أن القدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم وغير ذلك من الصفات الذاتية , صفة ذاتية قائمة بالذات لا تنفك عن الله ﷻ كذلك العلو . لذلك يجب أن نفرق بين العلو وبين الاستواء : أما الاستواء فصفة فعلية كصفة المجيء وصفة النزول . ولكن العلو وهو كون الله فوق جميع المخلوقات بائن من جميع المخلوقات صفة ذاتية لا تفارق الذات أبداً , فهو عليٌّ في قربه قريبٌ في علوه , وهذا من عِظم شأنه , لا يثبت هذا المعنى لغير رب العالمين وهو الآن معنا , هل معنا بذاته ؟ لا , معنا بعلمه وقدرته وإرادته وتدبيره ؛ ولكن بذاته يُنَزه أن يكون معنا في الأرض وأن يكون مع أهل السماوات في السماوات , بل فوق السماوات وفوق العرش وفوق كل شيء , العرش سقف الجنة وهو أعظم المخلوقات [زاد المعاد لابن القيم (4 / 304) , حادي الأرواح ص (355)]] , فالله سبحانه وتعالى أعظم , فوق جميع المخلوقات , ليس في ذاته شيء من مخلوقاته

وليس من مخلوقاته شيء في ذاته , هذا معنى قولهم بائن من خلقه , هذا علو الذات , وعلو الذات لا يمنع المعية العامة , مع علوه وكثرة هذه الأشياء التي بيننا وبينه من العرش والكرسي والسماوات السبع والماء وهذا الجو , كل ذلك لا يحجب الرب سبحانه , معنا يعلم منا كل شيء .

الله ﷻ يعلم منك ما لا تعلم من جليسك , بل ما لا تعلم أنتَ من نفسك , في جوفك أشياء لا تعلمها , الله يعلمها , فهو يعلم ظاهرك وباطنك , إذن إن لم تكن هذه معية حقيقية , فأين الحقيقة ؟ فلينتبه القائلون بأن المعية معية مجازية , فليحكموا على أنفسهم بالخطأ , إن تصورهم خاطئ , هذه أعظم معية , وهل الذي معك بجسمه يخالطك ويجلس بجوارك يعلم منك شيء , يعلم منك بعض الأشياء , فالله ﷻ يعلم منك كل شيء , إذن معيته أولى بأن توصف بأنها معية حقيقية أكثر من أن توصف معية جليسك بأنها حقيقية . أريد أن أقول بهذا إنكم ربما تقرأون أن المراد بالمعية الحقيقية معية الذات , إذا كانت معية الله مع عباده ليست معية الذات وإنما هي معية العلم وجميع معاني الربوبية , إذن هي مجازية , قل لا , لفظة (مع) إنما تدل على مطلق المقارنة والمصاحبة سواء كانت المقارنة بالذات كالذي هو جالس بجوارك أو تكون المقارنة بالعلم كمعية الله معك , إن تأكدتَ أن معية زميلك الذي هو جالس بجوارك معية حقيقية , إذا قلتَ زيد معنا في المجلس بذاته حقيقية لا إشكال فيه عندهم , ولكن نحن عندنا معية الله معنًى أدق من هذه المعية كما مثلنا ؛ لأن الذي خالطنا بجسمه وجلس معنا في مجالسنا يجهل كثيراً من شؤوننا , فالله ﷻ يعلم كل شيء من شؤوننا , إذن معية الله معنا أدق وأبلغ من معية بعضنا مع بعض بالذات , معية الذات حقيقية , والمعية بالعلم حقيقية , والمعية بأي معنًى يدل على السياق ؛ لأن لفظة (مع) كما تقدم كما قال أهل اللغة كل الذي تدل عليه المقارنة المطلقة , ثم تخصص هذه المقارنة بالسياق . هل المقارنة بالذات كقولك زيد كان معنا أمس في المجلس , هذه مقارنة

بالذات أو مقارنة بالعلم كأن تقول { إِنَّ اللّهَ مَعَنَا.. {40}سورة التوبة } , وأنتَ تؤمن بأنه بذاته بائن من خلقه , وإنما كان معنا بعلمه وتدبير شؤوننا وكقولك أنا مع الإمام مالك رحمه الله عندما قال (الاستواء معلوم والكيف مجهول ..) فأنتَ مع الإمام مالك حقيقة وهو من أتباع التابعين وأنتَ في هذا القرن , لكن قارنته في العقيدة والاعتقاد حقيقة , وأنا مع الإمام أحمد رحمه الله عندما كان يقول القرآن كلام الله غير مخلوق , أي أنتَ معه قارنته في العقيدة , عقيدتك قارنت عقيدته فكنتَ معه , كلها حقيقة , هذه حقيقة وتلك حقيقة ؛ لأن لفظة (مع) إنما تدل على مطلق المقارنة وهذه المقارنة تُعيَّن بالقرائن والسياق , أحياناً تكون بالذات وأحياناً تكون بالعلم وأحياناً تكون بالعقيدة وأحياناً تكون بالرأي وهكذا , إذن الله بذاته ليس في الأرض وليس في السماوات , بل هو فوق جميع المخلوقات , ومع ذلك هو معنا على ما وصفنا ومع ذلك ينزل ويجيء , نزوله وإتيانه لا ينافي علوه , هذا ما أجمع عليه السلف , السلف إذا قلنا السلف هم المهاجرون والأنصار { وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ } , هذه الآية احفظها وافهم معناها , فيها الوعد من الله والثناء على السلف والسلفيين , لا تستغرب { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ .. {100}سورة التوبة } الذين اتبعوهم بإحسان يعني السلفيين , أما المهاجرون والأنصار هم السلف , إذن الناس في هذه الآية سلف وسلفيون : السلف كل من سبقك في دينك وعقيدتك من المهاجرين والأنصار هم الذين يقال لهم السلف الصالح هم الذين يقال لهم المهاجرون والأنصار هم الذين يقال لهم أهل بيعة الرضوان وأصحاب الشجرة والبدريون , هؤلاء هم السلف , والسلفيون هم الذين تعنيهم الآية في قوله تعالى { وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ .. }, إذا اتبعتَ السلف في عقيدتك وعبادتك وأخلاقك وسلوكك ولو جئتَ في آخر الدنيا أنتَ تدخل في عموم هذه الآية . فاشكر ربك أن وفقك أن تكون من أتباع السلف الصالح من المهاجرين والأنصار. والاعتقاد

بأنه في شيء وفي كل مكان هي عقيدة الحلولية الذين يجعلون الله تعالى حالاً في المخلوقات هذا لا يليق بالله ﷻ .

فالصفات المجيء والإتيان والاستواء والدنو والقرب والنزول تسمى صفات الأفعال وتسمى أفعال الله , والأفعال تتجدد { فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ{16}سورة البروج } , " إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضبه قبله مثله ولن يغضب بعده مثله " [رواه البخاري عن أنس ﷺ برقم (3340) ومسلم برقم (193)] , ويجب أن تُفرق يا طالب العلم بين الصفات الذاتية القديمة والصفات الفعلية التي تتجدد تحدث في وقت دون وقت , ليس في ذلك غضاضة كما ظنت الأشاعرة بأن كل ما يُوصف به الرب سبحانه يجب أن يكون قديماً , هذا الوهم هو الذي أوقعهم في تأويل الصفات الفعلية .

الناس هنا بين أمرين : إما أن تُسلم لله ولرسوله وتقول يجيء وينزل بعد التسليم وتذكر قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..{11}سورة الشورى } , إذن يأتي مجيئاً يليق به , ينزل نزولاً يليق به ليس نزوله كنزولنا وليس مجيئه كمجيئنا , وهذه هي السلامة . وأما إن قلتَ لا يجيء ولم ينزل ولا يأتي وليس بمستوٍ , إنكار وردّ على الله وعلى رسوله , وذلك يؤدي إلى الكفر ما لم يُعذر القائل بجهله وشبهته . الأمر الثالث أن تقول يجيء وينزل وهو مستوٍ , ولكن نزوله كنزولنا ومجيئه كمجيئنا واستوائه كاستوائنا وهذا يسمى تشبيه , والمشبه كافر بإجماع السلف , والدليل {{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..{11}}, من قال نزوله كنزولنا ومجيئه كمجيئنا واستوائه كاستوائنا أنكر هذه الآية وردّ عليها , الله يقول {{{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..{11}}, لا في ذاته ولا صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه , إذا قلتَ الله ﷻ كالمخلوق في ذاته أو كالمخلوق في بعض صفاته ولو صفة واحدة كذّبتَ هذه الآية , يؤدي ذلك للكفر والردة والعياذ بالله . نحن دائماً نلاحظ هنا ونتحفظ تقديراً منا للواقع , واقع كثير من الدارسين للعقيدة على الطريقة الأشعرية , واقعهم يجعلنا نعذرهم حتى يخرجوا من ذلك الجو المظلم ؛ لأنهم يتعلمون في جوٍ يشبه

جواً جاهلياً ؛ لأن الجاهلية كل ما يخالف ما جاء به الرسول ﷺ . طالب صغير يدخل ما يسمى بالمعهد الديني ويتخرج منه , حفظ في المعهد الديني السنوسية ويحفظ ويكرر ليس الله فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله , ثم يدخل الأزهر الشريف ويتخرج من كلية أصول الدين وقد حَفِظَ الفلسفة والمنطق , وتعلم كيف يؤول الصفات وكيف يحرّفها , تُكفره وهو في ذلك الجو ؟ لم يعلم حقيقة ما جاء به الرسول ﷺ , يجب أن ترحمه . ولكن إذا عَلِمَ وفَهِمَ ما جاء به النبي ﷺ وعَلِمَ الهدى , وبعد ذلك اتبع غير سبيل المؤمنين , سبيل الفلاسفة وعلماء الكلام , بعد أن تبين له وبعد إقامة الحجة كفّره بعد ذلك , أما قبل ذلك ارحمه وأرفق به ؛ لأنه لم تقم علي الحجة , الحجة بالفهم تقوم لا بمجرد قراءة القرآن , كم قارئ وحافظ لكتاب الله لا يعلم منه شيء , ولكن إنما تقوم الحجة بالفهم حتى يتبين له الهدى ويُعذر قبل ذلك , وإلا في الحقيقة ما أجمع عليه السلف من شبَّه الله بخلقه فهو كافر , من نفى صفة ثابتة في الكتاب والسنة فو كافر. هذه قاعدة , لكن هذه القاعدة هل تُطبق على جميع الأفراد ؟ لا , ليس الأمر كذلك . يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله وهم يشكون منه , ولكنه هو في الواقع من أكثر الناس شفقة عليهم (قد يرتكب المكفر قولياً أو فعلياً , فبعضهم يكفر وبعضه لا يكفر , فمن قامت عليه الحجة يكفر , وقبل ذلك لا يكفر) , اقرأوا الرد على البكري لشيخ الإسلام [(1 / 381) , مجموع الفتاوى (12 / 501) , (35 / 99)] ؛ لتدرك مدى شفقته رحمه الله على علماء الكلام وعلى الخائضين في هذه الصفات وعلى المؤولين وعلى المعطلين , يرى إنه لابد من إقامة الحجة عليهم .

إثبات الوجه لله سبحانه :

وَقَوْلُهُ:{ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ }، {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ }

* « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » / نثبت لله وجهاً كريماً يليق به لا كوجوهنا كما أثبتنا له يدين لا كأيدينا ؛ لأنه هو الذي أثبت لنفسه وعلينا التسليم , ولا يسلم في دينه إلا من سلَّم لله ولرسوله ﷺ , ولا نُؤول الوجه بالذات ولا بصفة أخرى , بل وجه يليق به , هكذا قال الإمام مالك والليث بن سعد والأوزاعي والثوري رحمهم الله (أمروها كما جاءت بلا كيف) [سبق تخريجه] , أي نصوص الصفات . راجع في هذا المعنى الفتوى الحموية لشيخ الإسلام رحمه الله تجد فيها نقول عن العلماء , ماذا قالوا في نصوص الصفات [(37 – 51)] , فمراجعته مهمة وميزتها أن الشيخ نقل كلام السلف من الصحابة رضي الله عنهم إلى وقته ؛ بل ربما نقل كلام بعض غير السلف من المتصوفة وبعض علماء الكلام الذين نطقوا بالحق ووافقوا السلف فيما قالوا , فهو كتاب مهم لطلاب العلم .

* « ويبقى وجه ربك .. » / هذه الآية نزلت على الرسول ﷺ وتلاها على الصحابة ﷺ والصحابة تلوها على التابعين , خصوصاً كما يقول مجاهد (إنه عرض القرآن كله على ابن عباس رضي الله عنهما , يُوقِفه عند كل آية فيسأل) [أخرجه ابن كثير في مقدمة تفسيره (1 / 10)] , ولم يُنقل على أحد منهم أنه أوَّل الوجه بالذات ولا بالجهة ولا بأي معنى , بل كما قال مالك والليث و الأوزاعي) (أمروها كما جاءت ..) , والله سبحانه له وجهٌ كريمٌ , وإذا وصف الله عز وجل وجهه بالبقاء قد وصف نفسه بالبقاء , وهذا يفهمه كل عربي , إذن الله باقٍ ومن صفاته هو الباقي " أنتَ الأول فليس قبلك شيء , وأنتَ الآخر فليس بعدك شيء , وأنتَ الظاهر فليس فوقك شيء , وأنتَ الباطن فليس دونك شيء " [سبق تخريجه] ومحيط بكل شيء بعلمه , لا يخلو مكان من علمه وهو سبحانه فوق سماواته بائن من خلقه وهو فوق عرشه , فالله وصف نفسه بأن له وجه فنحن نؤمن ولا نسأل عن كيفية وجهه ؛ لأننا لم نسأل عن كيفية ذاته ,

الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحذو حذوه , يجب أن يقال في الصفات ما قيل في الذات .

* « كل شيء هالك إلا وجهه » / وجه الله الباقي , فإذا وجه الله ﷻ يوصف بالبقاء , فالله موصوف بالبقاء ؛ لأن الوجه صفة له . سمعه باقٍ بصره باقٍ قدرته علمه وجميع الصفات الفعلية .

علق الشيخ على كلام الهراس (والنصوص في إثبات الوجه في الكتاب لا تحصى كثرة) ينبغي أن يقال النصوص كثيرة , إنما يقال لا تحصى كثرةً كلام فيه مبالغة . وكل النصوص الكثيرة في إثبات الوجه تنفي تأويل المعطلة الذين أوّلوا الوجه بالذات أو الثواب أو الجهة , تأويلات تخمينية , كل معنًى تأويلي ليس يقيني , بل ظني ولا يجوز أن يقول على الله بالظن , هؤلاء يقولون على الله ﷻ بالظن , إذا سمعوا نزول الرب قالوا لا , الله لا ينزل الذي ينزل أمره أو ملك من الملائكة , والذي يأتي يوم القيامة لفصل القضاء ليس الله بل أمره أو ملك من الملائكة . هؤلاء من شدة جرأتهم على الله يُفسِرون النصوص بالرأي من عندهم بدون استناد إلى نص فيقولون على الله ما لا يعلمون .

فالمجسمة أوّلوا الصفات الذاتية الخبرية السمعية النقلية بدعوى أن ذلك يؤدي إلى التركيب وإلى التجسيم , فوجه الله لا يُشبه الوجوه ولا تشبهه الوجوه , هذا وجه الرب سبحانه نؤمن به لا نسأل عن كيفيته . والمعطلة قالوا لماذا يصف الوجه دون سائر الصفات بالبقاء , لماذا لم يصف السمع والبصر والعلم بالبقاء ووصف الوجه فقط بالبقاء ؟ دليل بأن المراد بالوجه الذات , قول على الله بغير علم . من أين لكم هذا , وهل إذا وصف الوجه بالبقاء , ألا يلزم من ذلك بقاء الله بجميع صفاته كالسمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها ؟! وهذا ما يفهمه كل عربي يفهم أسلوب العرب , ولكن القوم يتجاهلون .

ولو لم يكن له وجه لا يجوز استعمال الوجه وإرادة الذات , وإنما يجوز ذلك إذا كان هناك وجه وذات , لفظ الوجه موضوع لصفة معينة فلا يُستعمل في معنًى آخر كالذات مثلاً . وهل يقال وجه الجدار ووجه العمود ؟ لا يقال ؛ لأنه لا وجه له , ونطلق الوجه ونقول أردنا الجدار وأردنا العمود لا , أولاً أثبت الوجه حتى ينتقل الذهن من الوجه إلى الذات .

والله سبحانه أسند البقاء إلى الوجه , ويلزم من ذلك عقلاً وشرعاً بقاء الذات ؛ لأن الوجه صفة للذات .

إثبات اليدين لله تعالى :

وَقَوْلُهُ:{ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ }، {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْبِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء } .

* « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي , وقالت اليهود يد الله مغلولة ..بل يداه مبسوطتان .. » / لا يوجد كلام للشيخ عن اليد في المادة المسموعة .

إثبات العينين لله تعالى :

وَقَولُهُ: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} { وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ , تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ}،{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } .

* « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا .. » / . إثبات صفة العين لله تعالى بكتاب الله أحياناً بصيغة الجمع وأحياناً بصيغة الإفراد , ولم يرد في القرآن إثبات العين مثناة إلا ما جاء في الحديث في قصة المسيح الدجال كما سيأتي .

* « تجري بأعيننا جزاء لمن كان كُفِر » / جزاء لمن كان كُفِر, هذه هي القراءة المشهورة , وفي قراءة لمن كان كَفَر , (كَفَر) أي جزاء للذين كفروا بنوح عليه السلام وهم قومه , (كُفِر) أي كُفِر به وهو نوح عليه السلام . كان قوم نوح عليه السلام يسخرون منه عندما كان يصنع السفينة , هكذا أراد الله عز وجل أن يمتحن عباده وأوليائه من الأنبياء عليهم السلام , فالله ألهمه وعلمه كيف ينجر الخشب وكيف يصنع هذه المسامير ويركب هذه السفينة . تجري تحت عين الله وحراسته وحفظه , فإذا جاءت العين بصيغة الإفراد فالمراد الجنس , وإذا جاءت بصيغة الجمع كما سيأتي لكونها أُضيفت إلى ضمير العظمة فناسب جمعها , فنخرج بنتيجة : الله سبحانه وتعالى موصوف بعينين اثنتين , لا بعين واحدة , وذلك نقص ؛ لأنه عَور , ولا بأعين كثيرة ؛ ولكن تُفسِر السنة وتبين إثبات عينين اثنتين تليقان به ليست كأعيننا .

* « ولتصنع على عيني » / الحديث جاء في قصة المسيح الدجال عندما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المسيح الدجال وما جعل الله له من الأمور الخارقة للعادة , حيث يملك الجنة والنار , أمور خارقة للعادة لم تجري لأحد قبله , وهذه الأمور قد تُوهِم بعض الناس أنه الله ؛ لذلك قال صلى الله عليه وسلم إن المسيح الدجال على الرغم من هذه الأمور الخارقة للعادة " إنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية , وربكم ليس بأعور " [سبق تخريجه] مع الإشارة , إثبات للعينين وأن المسيح الدجال فيه عيب كبير العَور , ولم يستطع أن يُعالج عيبه ؛ لأن الله هو الذي كتب عليه , الذي استدرجه بتلك الأمور الخارقة للعادة هو الذي أثبت فيه ذلك العيب , بمعنى لا يلتبس عليكم الأمر ؛ لكثرة ما ترون من الأمور الخارقة للعادة لهذا الدجال ؛ لأنه ليس هو الله عز وجل ؛ لأن ربكم ليس بأعور (إشارة إلى العين) الله له الكمال المطلق في أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله . وليس كل ما يظهر من الأمور

الخارقة للعادة دالاً أن الله أكرم ذلك الشخص التي ظهرتَ هذه الأمور على يديه , وليست كلها بكرامة . والأمور الخارقة للعادة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : ما ظهر على يد من ادعى النبوة ودعى الناس إلى الإيمان بنبوته ورسالته , وأظهر الله له الأمور الخارقة للعادة كانشقاق القمر وكالإسراء والمعراج وكهذا القرآن العظيم المعجِز الذي أنزله على يدي نبي عربي لم يجلس قط بين يدي معلم , يأتي بهذا الكتاب المعجز الذي اقعد فصحاء العرب وبلغائهم مع التحدي وعجزوا من الإتيان بمثله ؛ لذلك يُعتبر القرآن أعظم معجزة من معجزاته ﷺ إلا إن معجزاته لا تنحصر في القرآن ," سبَّح الطعام " [سبق تخريجه] " وسبَّح الحصى بيده " [أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابي ذر رضي الله عنه برقم (1244) والبزار برقم (4040) وغيرهم , صححه الألباني في تخريج كتاب السنة برقم (1146)] , " وسلَّم عليه الحجر" [سبق تخريجه] , " وحنَّ الجذع " [أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه برقم (918)] حنين الثكلى , " ونبع الماء بين يديه أصابعه " [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (169) ومسلم برقم (2279)] , كلها معجزات , وكذلك إخوانه من قبله من الرسل عليهم السلام لهم معجزات .

معجزات الأنبياء عليهم السلام يقول أهل العلم كأنها في حكم القول صَدَقَ عبدي في كل ما بلَّغ عني تصديقٌ يكاد أن يكون نطقاً وكلاماً , أي أن هذا النبي وهذا الرسول صادقٌ فيما ادعى من النبوة والرسالة وفيما بلَّغ عني ؛ لذلك أيدتُه بهذه المعجزات , وهذه هي المعجزة التي تظهر على أيدي الأنبياء . الأمر الثاني : ما يظهر من الأمور الخارقة للعادة على أيدي عباد الله الصالحين إكراماً لهم وتثبيتاً لهم على الإيمان والطاعة وزيادة لهم في إيمانهم , هذه كرامات الأولياء , أعظم كرامة من كرامات الأولياء من وفقه الله الاستقامة على دينه حتى يلقاه فقد أكرمه أعظم كرامة , وقد تأتي بعض الأمور الخارقة للعادة لبعض الصالحين وليسوا أنبياء كالإلهام , قال النبي ﷺ " لقد كان فيمن كان قبلكم محدثون وليسوا بأنبياء وإن كان في أمتي فعمر " [سبق تخريجه] . هنا

ينبغي التنبيه على نقطة مهمة قد يظهر في شخص من الكرامات والمناقب ما لم يظهر في من هو أفضل منه , فبإجماع المسلمين إن أبا بكر ﷺ أفضل من عمر ﷺ , وهكذا ترتيب أهل العلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ , لكن اتفق أهل العلم على أن أكثر الخلفاء منقبة ومناقب علي بن أبي طالب ﷺ , وظهر في عمر ما لم يظهر في أبي بكر رضي الله عنهما من هذا الإلهام , عمر ﷺ ملهم (نزلت آيات من القرآن مطابقة لاقتراح عمر ﷺ , عمر ﷺ شديد الغيرة دخل ذات مرة على رسول الله ﷺ وعنده نساؤه , فدخلته الغيرة , قال : (يا رسول الله والناس تدخل عليك ونساؤك عندك , لو حجبت نسائك فأنزل الله آية الحجاب فور هذا الاقتراح , وعمر ﷺ هو الذي اقترح لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى , فنزلت الآية بنفس الصيغة التي اقترح عمر ﷺ) [أخرجه البخاري عن أنس ﷺ برقم (4483) ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (2399)] وعمر ﷺ أخبر النبي ﷺ " أن الشيطان لا يدخل فجاً دخله عمر " [أخرجه البخاري عن سعد بن أبي وقاص ﷺ برقم (3683) ومسلم برقم (3296)] . لم يقل هذا لا في أبي بكر ﷺ ولا في غيره . إذن يقال قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل , وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .(ومن الكرامات ما حصل لاثنين من الصحابة ﷺ من الأمور الخارقة للعادة العجيبة الغريبة , تأخرا عند الرسول ﷺ في ليلة مظلمة ممطرة فخرجا فجعل الله لهما مصباحاً في طرف عصا أحدهما ومشيا , وليست المدينة النبوية بهذه المثابة من الأنوار , قرية صغيرة والناس تعيش على المصابيح المحدودة داخل البيوت والشوارع مظلمة , والصحابة ﷺ يتأخرون عند النبي ﷺ ثم يذهبون إلى العوالي إلى أماكن بعيدة بعد أن صلوا معه وحفظوا ما حفظوا من الأحاديث , خرجا ولما وصلا لمفترق الطرق والمصباح واحد , جعل الله ﷻ للآخر مصباحاً قيل بطرف إصبعه , وقيل في طرف عصاه ؛ ليصل إلى بيته هذا في طريقه وذاك في طرقه) [أخرجه البخاري عن أنس ﷺ برقم (3805)] , مثل هذه الأمور من

الكرامات , أي أمر جاء على خلاف العادة الجارية . الشيء الثالث : ما يظهر على أيدي الفساق والكفار والظلمة من الأمور الخارقة للعادة العجيبة الغريبة , وذلك استدراج من الله ؛ ليزدادوا ضلالاً إلى ضلالهم وينتهوا إلى النار, في مقدمة ذلك ما ظهر للمسيح الدجال الذي استعاذت منه جميع الأنبياء عليهم السلام , " وشُرِع لنا أن نستعيذ من شره في صلاتنا " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ برقم (1377) ومسلم برقم (588)] ظهرت له أشياء كثيرة , ومع ذلك أثبت الله فيه ما يدل على نقصه وضعفه وهو العَور ؛ حتى لا يشتبه على العوام ويظنوا بأنه هو الله , وليس هو الله ﷻ رب العالمين ؛ لأن الله له الكمال المطلق . ومن أراد الاستزادة فليراجع كتب الحديث وفي مقدمتها صحيح مسلم مع الشرح في إثبات صفة العينين , وإن كنتُ استحسن أن أنصح عندما ترجعوا إلى صحيح مسلم في نصوص الصفات تحفظوا من تأويلات النووي أحياناً , الإمام النووي قد يؤول بعض النصوص , وكذلك ابن حجر على قلة ؛ لأنهما لم يُوفقا في وقتهما إلى منهج سلفي يستقون منه هذه المعاني السلفية ولم يجدوا معلم سلفي , ولكن كما قال شيخ الإسلام إنهم هم وأمثالهم خدموا السنة وخدموا الدين أكثر مما خدمة غيرهم وهم كُثر. ومع ذلك لا يُحكم عليهم أنهم من الأشاعرة , بل من المحدثين الذين قد تحصل لهم بعض الهفوات ؛ لأنهم لم يُوفقوا إلى منهج أو معلم سلفي . قس على ذلك غيرهم من علماء الحديث الذين خدموا السنة وخدموا الشريعة كالبيهقي والشوكاني وغيرهم من علماء السنة , ولا يُمنع إطلاق أهل السنة عليهم ؛ لوجود بعض الهفوات وبعض التأويلات , فنسأل الله تعالى أن يعفوا عنهم ؛ لكثرة ما قدموا من خدمه للإسلام , وأنهم يُعذرون في ذلك ولهم عذرهم كما يعلم طلاب العلم .

القول بأنه لا مناسبة بين الخالق والمخلوق حتى تثبت المحبة بينهما قول باطل وقول لا دليل عليه , الله ﷻ يُحب محبة حقيقية ليست كمحبتنا ويرحم ورحمته ليست كرحمتنا

ويغضب ليس غضبه كغضبنا , فهي صفات خبرية محضة لولا ورود النص بها لم نجرؤ نحن ولا من قبلنا ولا من بعدنا على إثبات هذه الصفات لله تعالى , لكن بعد ورودها من الإيمان : الإيمان بخبر الله تعالى , ومن الإيمان برسول الله : الإيمان بخبر رسول الله ﷺ ؛ لذلك يجب إثبات هذه الصفات على القاعدة المعروفة دون تمثيل أو تشبيه ودون تحريف أو تعطيل , بل إثباتاً عاماً كما ورد في الكتاب والسنة , ونقول آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله , وآمنا برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله وكفى . فالله عز وجل أحب موسى عليه السلام وجعل له قبولاً بين عباده وصنعه على عينه ولا يكاد يفهم من فطرته سليمة إذا سَمِعَ بأن صنعه على عينه بأن الله صنعه داخل عينه , يُشنع بعض الأشاعرة المعاصرين هذا التفسير : فيقولون تفسيركم هذا كونكم تقولون صنعه على عينه محفوظاً بعينه وفي كلأه وحفظه , يقولون هذا تأويل , لجئتم إلى التأويل . إذن ما هو المعنى الظاهر إذا كان هذا تأويل ؟ يريدون أن الظاهر صنعه في داخل عينه , هذا لا يكاد يفهمه بشر غير أشعري , ولكن الأشعري يتكلم بهذا تقليداً . لو سألت أشعرياً عادياً : من أين لك هذا ؟ يقول هكذا وجدنا كتب الأشاعرة , يقول المشايخ هكذا , اسأل المشايخ يحولك على شيخ آخر , سلسلة , طريقة دور وتسلسل لا ينتهي , تقليد من تقليد وإلا أي إنسان على الفطرة لا يفهم إلا هذا المعنى , وهذا هو المعنى الظاهر وليس هذا بتأويل , ولكنه تفسير , يجب أن نُفرق بيت التفسير والبيان وبين التأويل , التأويل بلغة المفسرين بمعنى البيان لا يعني ابن جرير رحمه الله بالتأويل عندما يقول تأويل قوله تعالى كذا كذا لا يعني التحريف الذي عند الأشاعرة , بل يعني البيان والتفسير والإيضاح .

إثبات السمع والبصر لله سبحانه :

وَقَوْلُه : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } ،
{ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء }، وَقَوْلُهُ: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىوَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}، { إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }، { أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى }، { الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } { وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } .

* « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها .. » / يستحسن من باب النصيحة أن تطلعوا على شرح الدكتور الفوزان للواسطية ميزته التبويب , فالتبويب بالنسبة لكم مفيد جداً هذا إثبات السمع إثبات البصر إثبات العلم إثبات الوجه , التبويب يعين على فهم وتدبر الآيات .

الاشتقاق أن يأتي بفعل ماضي ومضارع , والمضارع يختلف على صور(سمع , يسمع , سميع) , الاشتقاق في الأصل إما من المصدر أو من الفعل على اختلاف عند النحاة , لكن المراد بالاشتقاق هنا ليس معنى ذلك أن تكون صفة واحدة تكون أصلاً للصفات الأخرى اشتقت منها , هذا اصطلاح عند النحاة . لكن الصفات كلها وردت هكذا نطق الله , تجد مثلاً (قد سمع الله) سمع فعل ماضي , والاشتقاق الثاني (والله يسمع تحاوركما) يسمع بالفعل المضارع , ثم قال (إن الله سميع) صيغة اسم فاعل , وسيأتي (أم يحسبون أنا لا نسمع) المضارع الذي يشتمل على ضمير العظمة (نسمع) , (إنني معكما أسمع وأرى) . هذا المراد بالاشتقاق , أفعال مختلفة من حيث الصيغة (اسم فاعل , فعل ماضي , فعل مضارع ..) , الاشتقاق لم يرد على جميع صيغه في آيات السمع , فهي صفة حقيقية لله عز وجل يُدرك بها الأصوات , الإكثار من هذا الاشتقاق والتعبير بهذه الصيغ المختلفة دليل على أن هذه الصفة على حقيقتها .

قال الهراس : عبّرت الآيات بكل صيغ الاشتقاق . هل ورد المصدر ؟ إذن الكلية هذه محل نظر , الصحيح يقال بكثير من صيغ الاشتقاق , صيغ الاشتقاق كثيرة منها اسم المفعول والصفة المشبهة والمصدر , إذن الكلية ليست على ظاهرها . يستنكر بعض مشايخنا نسبة التعبير إلى الآية , ويستحسنون أن يقول وقد أخبر الله عن ذلك , يعني نسبة الإخبار إلى الله تعالى , وهذا التعبير تعبير عصري اصطلاحي ويقال ولا مشاحة في الاصطلاح .

* إن الله سميع بصير: الرؤية من لوازم البصر , نفي البصر وإثبات الرؤية من باب نفي الصفة وإثبات لازمها , وهذا ليس عند الأشاعرة , الأشاعرة يثبتون البصر , وهذا عند المعتزلة الذين لا يُثبتون جميع الصفات . الله ﷻ قريب سميع بصير , قرباً معنوياً لا قرباً بالذات , انتبهوا إذا ذُكِر القرب أو ذُكِرت المعية لا يُراد بذلك المخالطة والممازجة بالخلق بذاته بل كما يليق به تعالى , الذي يليق بالله تعالى بأن يجعل ملائكته قريبين من البشر , فالله قريب ومع عباده بعلمه وسمعه وتدبيره لا يخفى عليه شيء من شؤونهم , فهذا القرب حقيقي لا كما تزعم الأشاعرة ؛ لأن القرب والمعية لا تستلزم المخالطة بالذات . أصنام المشركين لا تسمع ولا تبصر فعاب الله عليهم كيف يدعون أصناماً لا تسمع ولا تبصر ؟! دليل أن السمع والبصر من صفات الكمال و كذلك الكلام من صفات الكمال , يُعاب على من لا يتكلم , الذي يتكلم أكمل من الذي لا يتكلم والذي يسمع ويبصر أكمل من الذي لا يسمع ولا يبصر.

* قد سمع الله / ماذا تصنع بأطفالها إن ضمتهم إلى زوجها الذي طلَّق ضاعوا , وإن ضمتهم إليها جاعوا , هذا الحوار الذي جرى . قالت عائشة رضي الله عنها " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات كلها " [أخرجه البخاري معلقاً عن عائشة رضي الله عنها , كتاب التوحيد , باب (وكان الله سميعاً بصيراً) , ووصله الإمام أحمد في المسند (6 / 46)] سواء جهر بها الإنسان أو لم يجهر ؛ لأن المرأة ما كانت تجهر, الحوار كان

بأدب واحترام وعدم رفع صوت , وعائشة في ناحية من البيت . أي بيت ؟ ذلك البيت الصغير , ليس في قصر و ليست في دَوْر والرسول ﷺ في دَوْر آخر أو الرسول ﷺ في غرفة وعائشة في غرفة , حجرة واحدة هي غرفة النوم هي المطبخ هي المجلس هي كل شيء , تلك الحجرة التي تحولت إلى قبر رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما . ماذا تقول عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع .. , هذا الكلام يصور لكم أن السلف رجالهم ونسائهم ما كانوا يترددون في وصف الله بهذه الصفات بالسمع والبصر وغير ذلك من الصفات ما كان عندهم تردد , عائشة رضي الله عنها لا تسمع من المجادِلة وهي في ناحية من الحجرة , والله سبحانه سمع شكواها من فوق سبع سماوات وهي تحاور رسول الله ﷺ , فأنزل الله الآية .

السمع يأتي أحياناً ويكون لمجرد إثبات صفة السمع , وأحياناً يأتي لإثبات صفة السمع وإجابة الدعاء , سَمِعَ الله دعوتكم , أي أجاب الله دعوتكم .

* « قد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » / نزلت في اليهودي الذي زعم أن الله فقير . اليهودي يقول ما بنا حاجة وفقر إلى الله , لكن الله هو الذي محتاج إلينا , هذا إما لبلادته وعدم فهمه وإما لعناده وكفره . وإلا الاستقراض ماذا قال الله في آية الاستقراض ؟ { مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ..{11}سورة الحديد } , يُضاعفه , أي إن الذي استقرض اللهُ منه هو المحتاج إلى قرضه وليس الله ﷻ هو المحتاج , إنما طلب منه ليضاعفه له , يحفظ له هذا المال الذي تصدق لوجه الله تعالى , فيربي له حبة التمر فتكون كجبل أحد , فيحفظ له هذه الصدقة { .. فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ{11}سورة الحديد } , دليل واضح عند المنصف أن الله إنما استقرض لحاجة المقرض لا لحاجة المستقرض , فيما يبدو الله هو المستقرض , أي الذي طلب القرض لحاجة المقرض , هذا المقرض ضعيف قد لا يحفظ ماله قد يضيع , لكن

ربه الرحيم يأخذ ماله القليل ويضاعفه له ويعطيه يوم الحاجة أجراً عظيماً فيكون أحوج ما يكون إلى هذا القرض .

* « أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم .. » / (أم) أي بل , كان من خير من يبحث هذا المبحث الزمخشري , ولكن يُخشى من هفواته وعثراته , وقد يُكتفى في مثل هذا بالإمام الشوكاني رحمه الله في كتابه فتح القدير[(4 / 792)] ؛ لأنه كثيراً ما يتعرض للبحوث اللغوية , أو حاشية الجمل على الجلالين جيدة جداً في اللغويات .
وبهذه المناسبة إياكم وحاشية الصاوي فكل ما فيها من البحوث اللغوية أخذها من عند صاحب الجمل ثم زاد علها الخرافات والمنامات والتصوف والقول على الله بغير علم , فهو أسوء تفسير للقرآن فيما نعلم , وإن كان الزمخشري من حيث تعرضه وتأويله ونفيه للصفات سيءٌ جداً , لكن عنده علم والعلم يُقدر , لكن ذلك لا علم ولا استقامة ولا تفسير , جهل وتصوف وقول على الله بغير علم , ثم إنه معاصر لهذه الدعوة في أولها ؛ لذلك تكلم على هذه الدعوة في سورة فاطر .
ومعنى الآية عندما يحاولون التستر وأن يختفوا يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم , فالله يُطلِع الحفظة على ما يقولون وما يفعلون زيادة على علمه , الله عَزَّ وَجَلَّ عليم بالسر والجوى (السر ما يُسِر الإنسان في نفسه ولا يتكلم به , والنجوى ما يتخافت به إلى من هو أقرب إليه) , كل ذلك لا يخفى على الله .

* « لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى » / مثل هذا الخوف يقال له الخوف الطبيعي ولا يضر الإيمان وليس من الشرك , فالأنبياء عليهم السلام خافوا من أعدائهم وربما خافوا وخرجوا وهم يترقبون , فيخافون من الضرب ومن البطش ومن القتل , والخوف الذي هو شركٌ محضٌ الخوف السري : أن يخاف الإنسان من شخص يتوهم أنه يضره سراً , هذا

ما يخافه المتصوفة ومشايخ الطرق من مشايخهم , فيخافونهم خوفاً شديداً أشد من خوفهم من رب العالمين ؛ لأنهم يعتقدون أن الله غفور رحيم قد لا يُعاجلهم بالعقوبة , وأما الشيخ فلا يرحم يُعاجل بالعقوبة , في هذا إثبات للشيخ السمع فوق سمع المخلوقين والعلم فوق علم المخلوقين والتأثير , كل هذا شرك محض ؛ لذلك لا أعلم حسب علمي أضر على المجتمع الإسلامي في عقيدتهم من مشايخ الطرق ؛ لأن مشايخ الطرق يُفسدون عقيدة المجتمع , فيثبتون للمخلوقين صفاتٌ لا تثبت إلا لله , العلم المحيط بجميع المعلومات والسمع المحيط بجميع المسموعات والقدرة والتأثير والتدبير , هذه المعاني يُثبتونها دون تردد , وكل من اتصل بهم يعلم منهم هذا تماماً , بل عندهم شبه واجب على المريد وعلى الدرويش والخليفة أن يخافوا من الشيخ الكبير من العارف بالله ومن الواصل لله (أي المنقطع عن الله) أن يخافوا منه هذا الخوف . هذه ملة أخرى غير ملة الإسلام , يفسدون دين الإسلام ويفسدون قلوب العباد ؛ لذلك فليُتنبه لا تنخدعوا بالمظاهر والسُبحة الطويلة والتكسر أحياناً وضرب الصدر , هذه مظاهر خداعة , فالقوم من أشر الناس من أشر من ينتسب للإسلام إلى الإسلام وأضر على المجتمع , لا أعلم أمثال هؤلاء ؛ لأني عشتُ في صغري معهم - خذوا هذه الأسرار- ومن نعومة أظفاري كنتُ في أحضانهم , ولكن الله أنقذني منهم وعرفتُ منهم ما لا يعرفه غيري , وهم موجودون إذا كنا نتحدث عن الأشاعرة في باب الأسماء والصفات وهم أخفُ ضرراً من الصوفية ؛ لأن الصوفية تُفسد القلوب , القلوب منصرفة عن الله ﷻ ولا يبالون أبداً عن الله , معتمدين على الشيخ تماماً في الدنيا والآخرة اعتماداً كلياً , ويعتقدون أن من له شيخ سوف يمر على الصراط على ظهر الشيخ . إذن ماذا يخافون ؟ إذا كانوا في الدنيا يعتمدون عليه وفي الآخرة يعتمدون عليه . فما الذي بقي لرب العالمين ؟! لم يبق شيء , هكذا ينبغي التفطن لهؤلاء . فالله سبحانه ليس معنا بذاته , ولا في كل مكان كما تقول الأشاعرة الجهمية , وليس في كل شيء , كل ذلك لا يليق بالله { الرَّحْمَنُ

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى{5}سورة طه } , { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء .. {16}سورة الملك } , {..إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ .. {10}سورة فاطر} , { بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ .. {158}سورة النساء } , وعرج برسوله ﷺ إليه , السلف كلهم على هذا المعنى أن الله عز وجل بذاته فوق جميع المخلوقات , صرَّح غير واحد من السلف , بما فيهم بعض الأئمة كمالك وأحمد وسفيان إنه بائن من خلقه بذاته , وعلمه في كل مكان ولا يخلو مكان من علمه .

* « ألم يعلم بأن الله يرى » والآيات بعدها / ألم يعلم ويؤمن بأن الله يرى , فالواجب إثبات صفة الرؤية والإيمان بأن الله يرى عباده من فوقهم لا يخفى عليه شيء من أمرهم , سَمِعَ أصواتهم ويرى أشخاصهم وأعمالهم , ومن يستحضر ويؤمن يقيناً أن الله يراه ويرى أعماله ويسمع كلامه هذا يجعله يراقب الله بحيث لا يفعل إلا ما يحبه ويرضاه , ولا يقول قولاً إلا قولاً يحبه الله ويرضاه , أي يعينه ذلك على المراقبة , وهذا معنى من معاني الإيمان , أي شعبة من شعب الإيمان ؛ لذلك دراسة الأسماء والصفات والتدبر في هذه الأسماء والصفات مما يقوي إيمان العبد ؛ لأنه يستحضر عظمته سبحانه , وأنه يراه وأنه يسمعه وليس بغافل عنه .

إثبات المكر والكيد لله تعالى على ما يليق به :

وَقَوْلُهُ: { وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}، وَقَوْلُهُ: {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}، وَقَوْلُهُ: { وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ }، وَقَوْلُهُ: { إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا , وَأَكِيدُ كَيْدًا } .

المكر والكيد من الصفات الاختيارية . بالنسبة لأفعال الرب كلها اختيارية , والوصف بأنها أفعال اختيارية قيدٌ لا مفهوم له , ويقال لها صفة كاشفة , الصفة الكاشفة التي ليس لها مفهوم ولكنها تُبيِّن وتُوضح المراد فقط . أما بالنسبة لأفعال العبد تنقسم إلى قسمين : أفعال اختيارية وأفعال اضطرارية , أما بالنسبة للرب سبحانه الأفعال كلها اختيارية , فلا يوجد أفعال غير اختيارية . والله وصف نفسه بأنه يمكر وأنه يكيد , ووصف نفسه بالاستهزاء والخداع والكيد والمكر , الأفعال تمر كما جاءت ويُفهم معناها العام , هي في جملتها لأفعال متقاربة المعنى , إيصال الشر إلى غيره بطريق خفية , ولما كاد الكائدون بأوليائه كاد الله لهم , ولما مكروا مكَرَ, مكر أعداء الله وأعداء دين الله لأوليائه ولرسله مكر فيه هو ظلم وفيه كذب . أما هذه الأفعال في حق الله ﷻ كلها حق وصواب ؛ لأنها في الغالب جزاء للماكرين والكائدين والمخادعين والمستهزئين , أي أن الله يُوصل إليهم ما يضرهم (الشر الذي يضرهم) من حيث لا يشعرون , كما أنهم كادوا ومكروا لدينه والدعاة إلى دينه وخدعوهم وسخروا منهم واستهزؤا بهم , الله سبحانه يجازيهم بما يقابل هذه الأعمال إلا أن الله عندما يجازيهم بذلك ليس في مكره وكيده ليس في ذلك كذبٌ وظلمٌ , بل هو صواب محض ؛ لذلك لما كاد إخوة يوسف ليوسف عليه السلام وآذوه وآذوا والده وكذبوا على والدهم , بل كذبوا حتى على الذئب , فالله لما نجا يوسف عليه السلام من كل ذلك , وجعل له العاقبة الحميدة قال {..كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ.. {76}سورة يوسف } , من تتبع تلك القصة من حيث خروج يوسف عليه السلام من عند والده مع إخوته , تلك العاقبة العظيمة يُ ُدرك كيد الله لأعدائه , هكذا دون أن يحصل ظلم أو كذب حتى في المحادثات التي كانت تجري بين يوسف وإخوته , وفي مجادلاته وسياسته الهادئة إلى أن وصل إلى ما وصل إليه بتوفيق الله ﷻ , كل ذلك تم كيداً منه {..كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ.. {76}سورة يوسف }, خذوا من هذا المثال جميع كيد الله ومكر الله لأعدائه وكونه يستهزئ بهم ويخادعهم إذا

خادعوا من هذا القبيل . لذلك تُمر هذه الصفات وهي من الصفات الفعلية , ويُؤمَن بها كما جاءت , ولا تُكَذب لا تُؤَول ولا ترد , ولكن لا تُؤخذ منها الأسماء كائد ماكر مخادع مستهزئ كائد , أسماء الله توقيفية وهي الأسماء الحسنى , هذه الأسماء وإن كان معناها إن صدرت من الله معناها حسن وإنصاف وحق وصواب , ولكن ليست من الأسماء الحسنى التي اشتمل فيها جميع الكمال , إذ يشترك مع الله غير الله بمعنى آخر غير الكمال , ليس في هذا فقط ؛ بل الاسم مريد ومتكلم وفعال , هذه كلها تُطلق من باب الإخبار لا من باب أنها من الأسماء الحسنى , أسماء يُخبر بها عن الله ؛ لأن الله فعال لما يريد لأن الله متكلم لأن الله مريد لأن الله يمكر بأعدائه وهو خير الماكرين هكذا تروى ؛ لأن الباب بابٌ توقيفي لا يُتجاوز الكتاب والسنة [التوحيد لابن منده (2 / 135) , لوامع الأنوار للسفاريني (1 / 124 - 125) , معالم التنزيل للبغوي (3 / 307)] .

* « وهو شديد المحال » / قال ابن عباس رضي الله عنهما شديد الحوْل , وقال مجاهد شديد القوة , [مختصر تفسير البغوي (1 / 460)] والأقوال متقاربة , هكذا أقوال السلف في تفسير القرآن وفي باب الأسماء والصفات قد تختلف الألفاظ , ولكن المعاني لا تختلف ؛ لأن المنهج واحد .

*« والله خير الماكرين » / لا أسرع مكراً من الله إن أراد ذلك , وفسر بعض السلف المكر بالاستدراج , إذا أراد الله بعبد خيراً بصّره بعيوب نفسه ولا ينخدع بالنعم " لأن الله سبحانه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب " [أخرجه الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه (1 / 88) وغيره , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2714)] , عطاء الدنيا ليس دليلاً على أن الله يحب المعطى له , وقد يعطي الله الكفار والفساق ما لا يعطي المؤمن , يعطي بعض الفساق ما لا يعطي المؤمنين , الله عليم حكيم يوسع

على من يشاء ويضيق على من يشاء , وعلى العباد أن يرضوا قسمة الله , لا يتضايق المؤمن إذا رأى بأن الله وسع على الكافر أو الفاسق وضيق عليه , بل يؤمن أن هذه قسمة الله وله في ذلك حكمة , وهذا العطاء قد يكون نعمة وقد يكون نقمة , مثل الكرامة والاستدراج تحصل أمور خارقة للعادة على أيدي عباد الله على ثلاث درجات كما تقدم إذا ظهرت على أيدي الأولياء والمؤمنين والمتقين فهي كرامة وإن ظهرت على أيدي الكفار والفساق كالمسيح الدجال فهي استدراج , وإن ظهرت على أيدي مدعي النبوة فهي معجزة , والنعم والأموال والعطاء من هذا القبيل تماماً , قد يكون نعمة " نعم المال الصالح للرجل الصالح " [أخرجه أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنهما (4 / 197) والحاكم برقم (2130) , صححه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام برقم (261)] , إذا أعطى الإنسان مالاً واسعاً وجاهاً عريضاً ومنصباً كبيراً للصالحين واستعانوا بذلك على طاعة الله والقيام بالعبودية فهي نعمة وكرامة . وقد يكون نقمة إذا أعطى من شاء ووسع عليهم مهم مقيمون على المعصية , يحاربون دينه وأوليائه ومع ذلك يوسع عليهم , ذلك هو الاستدراج , فكلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة , وهو العليم الحكيم , { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ{23}سورة الأنبياء } , لماذا يفعل ذلك ؟ لا يرد هذا السؤال , ولا ينبغي أن يخطر ببالك , هذا اعتراض على الله , لا يجوز الاعتراض على الله فيما يفعل { فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ{16}سورة البروج } , ولكن نؤمن إيماناً لا شك فيه أنه لم يفعل ذلك إلا لحكمة , والحِكم في أفعال الرب قد تظهر وقد تخفى , إن ظهرت لك حكمة في فعل الله في عطائه ومنعه في إحيائه وإماتته في توسعته وتضييقه إن ظهر لك شيء من الحكمة تزداد إيماناً على إيمان , وإن لم يظهر لك ذلك اعترف بقصور علمك ؛ لأنك لم تؤتى من العلم إلا قليلاً , وقِفَّ عند حدك .

وقد نزلت هذه الآية في شأن عيسى عليه السلام عندما أراد اليهود قتله , وألقى الله شبهه على من دلّ اليهود على قتله وهو يهوذا , فالله أوصل إليهم الشر وفعل بهم ما فعل بطريقة خفية لم يفطنوا لها , وهذا هو المكر , وكما ترون ليس في ذلك ظلم ولا كذب , وإنما كله حق وصواب إكرامٌ لعيسى عليه السلام وإظهارٌ له , ذلك النصر معجزة له , وعيسى عليه السلام ما زال حياً في السماء حتى ينزل , (وإذا نزل حكم بشريعة محمد ؛ لأن نبينا محمد ﷺ خاتم النبوة , وعيسى ﷺ بعد نزوله يُعتبر من أتباعه ؛ لذلك عندما يقدمونه ليصلي بهم يعتذر , ويقول إمامكم منكم , يتقدم المهدي فيصلي بالناس) [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (3449) ومسلم برقم (155)] , فهو له الإمامة بمعنى الإمارة والولاية , ولكن إمامة الصلاة يعتذر , ويصلي المهدي بالناس ؛ لأنهما يجتمعان في وقت واحد , " وهو الذي يقتل المسيح الدجال" [أخرجه مسلم عن ابن عمرو رضي الله عنهما برقم (2940)] , هذه من الأمور الغيبية التي أخبر بها رسول الله ﷺ وصدقناه في ذلك , ومن الإيمان برسول الله ﷺ أن تصدقه في كل ما أخبر سواء كان من الغيب الماضي أو الغيب المستقبل , أما ما يجري بيننا الآن من الأحكام لا تكون مؤمناً برسول الله ﷺ الإيمان الصحيح حتى تصدقه في كل ما أخبر. قبل أن تعرض على عقلك كما يفعل العقلانيون اليوم , يعرضون الأحاديث على عقولهم , ما وافق العقل قبلوه وما خالف العقل في زعمهم ردوه , هذه الأحاديث التي فيها الإخبار عن المغيبات مردودة اليوم عند العقلانيين . أين العقلانيين وهل يوجدون ؟ موجودون بينكم ولهم المعهد العالي العالمي في الولايات المتحدة , والذين يعملون في ذلك المعهد وينشرون هذه السموم في كتبهم قد كانوا أستاذة في هذا البلد تخرج على أيديهم عددٌ كبيرٌ من شبابنا , وأخيراً انتهى بهم الأمر إلى هناك , والعاقبة عند الله عز وجل هل يُختم لهم بما هم عليه من محاربة السنة وتكذيب السنة أو يتوب الله عليهم ؟ ذلك في علم الله , أما الآن هم على حاله سيئة , وهم الذين ينتدبون ويرشحون الغزالي ليكتب هذه الكتب

الأخيرة التي يكتب ضد السنة , وهم الذين رشحوا أخيراً لما عورض الغزالي وهُجم في كتابه الذي كتب في السنة والفقه والفقهاء والمحدثين , لما هُجم رشحوا تلميذه ليكتب نيابة عنه , كيف نتعامل مع السنة ؟ (كتاب للقرضاوي وهو تلميذه) فذهب مذهبه , إذن هذه الأحاديث وغيرها تُعرض اليوم في وقتنا عند بعض الناس وفي بعض الجهات تعرض على العقول , وعند سلفنا الصالح وعلماء الحديث لا دخل في صحة الحديث للعقل البشري , هناك طرق مدروسة يُعرف بها الأحاديث , وقد عُرفت وغُربلت وصُنفت وعُرِف المتواتر من الآحاد والصحيح والحسن والضعيف والمختلَق , كتب أُلِفت وأيد الله لهذه السنة رجال خدموها , ولكن القوم تركوا هذه الخدمة وزهدوا فيها وأتوا بجديد (خالف تُعرف) .

* « ومكروا مكراً ومكرنا مكراً .. » / في شأن الرهط التسعة من قوم صالح عليه السلام , وهذه سنة متبعة هذا هو المتبع الآن ضد الدعاة الصالحين , هكذا يفعلون يغتالون فيقتلون ثم يقولون لا ندري ربما الذي قتله معتوه مجنون أو قتل نفسه , هكذا يفعلون سنة الله في خلقه , لا تستبعدوا أن يفعل الله الآن بأعداء أوليائه الذين يمكرون فيقتلون ويغتالون ثم يُشِعون شائعات بأن فلاناً لم نقتله , قتله مجنون ثم قتل نفسه , ما ندري من قتله , ما ندري ما حصل . الله عز وجل يمهل مهلة يعطي العباد مهلة , ولكن لا يهمل فإذا أخذ , أخَذُ عزيز مقتدر , لا أحد يخلصه من يده سبحانه , فليعلم الماكرون لدين الله وأولياء الله الذين يبيتون وينسجون خيوط المؤامرة في كل مكان ضد الدعوة وضد الدعاة وضد العقيدة وهم يحسبون أنهم سيمتلكون ويسلمون ويغفلون عن الله سبحانه وتعالى وعن مكره , فمكر الله لأعداء دينه لم ينتهي ؛ لأن هذا فعل , والله فعال لما يريد , والفعل مستمر ويتجدد بالمناسبات , قد يظهر ذلك لبعض الناس وقد لا يظهر ؛ لأن

الله قد يكفي أوليائه شر أعدائهم بطرق خفية لا ندركها أو لا ننتبه إليها , وقد قد يظهر أثر ذلك أمام الناس , والله عليم حكيم .

وصف الله بالعفو والمغفرة والرحمة والعزة والقدرة :

قَوْلُهُ: { إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا }، {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } وَقَوْلُهُ: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ }، وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ { فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } .

* « إن تبدوا خيراً .. فإن الله كان عفواً قديراً » وما بعدها من الآيات / في هذه الآيات صفات فعلية وصفات ذاتية وكلها يجب الإيمان بها وتُمر كما جاءت , صفات الله عند أهل السنة والجماعة , كلها من باب واحد , فلا يقال الصفات الذاتية العقلية يجب إثباتها عقلاً كما تزعم الأشاعرة القدرة والإرادة والسمع والبصر يجب إثباتها عقلاً , أما الفعلية فيجب تأويلها عقلاً , ولشيخ الإسلام مناقشة عقلية مُلزِمة للأشاعرة في هذا التصرف في رسالته التدمرية عند ذكر الأصلين [الأصلان هما : الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات , القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر , التدمرية ص (31- 46)], وينبغي لطلاب العلم في هذا الوقت دراسة الأصلين المذكورين في التدمرية لتعرف كيف تناقش الأشاعرة والمعتزلة والجهمية وجميع الطوائف , وفِرق بني آدم في هذا الباب أربع فرق . الفرقة التي على الخط وعلى المنهج ليست بحاجة إلى أن تناقشها , هل تُناقش من على الجادة , تقول له لماذا ؟ ! غير معقول , الذي يمشي في طريق معبد طريق مستقيم لا يُناقش , لكن إذا خرجت بنيات الطريق هنا وهناك , وخرجت الناس إلى هذه الطرق هم الذين يُناقَشون , ومنهج السلف أهل السنة والجماعة هو ذلك الخط , وبعبارة الأعداء التي سارت الآن لقباً لهذه الدعوة (الوهابية

والسلفية) , ذلك الخط الذي يجب أن تفهم , فلا مفر لكم من هذا اللقب فلقد ألصقوه بكم ؛ لذلك ينبغي أن تقبلوه وتفسروه تفسيراً صحيحاً لا كما أرادوا ؛ لذلك جاء في آخر محاضرة (بالنسبة لزمن درس الشيخ الجامي رحمه الله) لشيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز المحاضرة التي ألقاها في الطائف هذه الأيام (الوهابية الدعوة إلى التوحيد الدعوة إلى العقيدة) , بمعنى طالما دافعنا عن لا وهابية ؛ ولكن أبوا إلا يُلصِقوه , إذن لابد أن تفسروه تفسيراً صحيحاً هي كالسلفية تماماً , بمعنى الدعوة إلى التوحيد ؛لأن الرجل إنما قام بالدعوة للتوحيد ولم يأتِ بشيء جديد .

* اسم العَفو : المتجاوز عن عقوبة عبادة . السيئات إذا ذُكرِت وحدها هكذا تدخل معها المعاصي كلها حتى الكبائر والموبقات , وإذا ذُكرِت مع المعصية مع الفواحش مع ألقاب أخرى للمعاصي تُفسر بالصغائر , المراد بالسيئات هنا جميع المعاصي , فالله يعفو عن جميع السيئات حتى عن الكفر إذا تاب العبد , وفي ختام الآية جمع بين العفو والقدرة , فالعفو مع العجز ليس بشيء يُعتبر عجزاً , لكن العفو حتى في حق المخلوق عندما يعفو الإنسان مع الاستطاعة على الانتقام والأخذ بالثأر فيترك ويتنازل ويعفو ويفصح ,العفو مع القدرة كمال.

القدرة : قدرة الله ﷻ لها تعلق , بم تتعلق القدرة ؟ الأشياء تنقسم إلى ثلاثة : واجبات ومستحيلات وجائزات , والجائز يقال له ممكن , الجائز والممكن بمعنى واحد : ما يقبل الوجود والعدم أو ما وُجِد بعد أن كان معدوماً ثم يؤول أمره إلى العدم , فهذا يقال له جائز ويقال له ممكن , فالكون كله جائز وممكن . أما الواجبات : فذات الله وصفاته وأسمائه , أي الثابت الذي لم يُسبق بعدم ولا يلحقه عدم ؛ لذلك يقال في حق الله واجب الوجود ؛ لأن وجوده لم يُسبق بعدم , وجوده أزلي , وهو معنى قوله ﷺ في تفسير بعض أسماء الله تعالى " أنت الأول فليس قبلك شيء ... " [سبق تخريجه] , واجب الوجود الدائم الباقي . أما المستحيلات : ما لا وجود له ولا يليق بالله ﷻ أن

يُوجِد ذلك المستحيل لا عجزاً , بل لأن قدرته لا تتعلق بالمستحيل ولا يليق بالله إيجاد المستحيل . وهذه النقطة مهمة جداً قد يأتي سؤال المتعنتين من علماء الكلام إذا ناقشك في إثبات الصفات ووُفقتَ وأفحمته , منها سؤال ورد هذه الأيام : هل الله قادرٌ على أن يخلق له شريكاً أو صاحبة أو ولداً ؟ هكذا يُسأل كما قيل لكل سؤال جواب , يجب أن تُهيأ الإجابة ؛ لأنك تعيش في وقت اختلط فيه الصالح بالطالح , وكثُرت الملل وإن كانت تنتسب للإسلام , فهي ملل غير إسلامية تعيش بين المسلمين , فمن يجرؤون على هذا السؤال للتشكيك إما أنهم كفاراً أو يقربون من الكفر , وقد خرج من قلوبهم تعظيم الله , وعلى كلٍ لابد من جواب : يقال إن قدرة الله لا تتعلق بالمستحيلات , أما الله فهو على كل شيء قدير . إن حققنا المسألة على أسلوب أهل الكلام لفظة شيء لا تُطلق على المستحيل والله على كل شيء قدير , المعدوم والمستحيل ليس بشيء , أي إن قدرة الله لا تتعلق بذلك ؛لأن الله عليم حكيم لا يليق بالله أن تتعلق قدرته بتلك المستحيلات فيُوجدها , لا لأنه عاجز عن إيجادها فنثبت لله القدرة وننفي عنه سبحانه ما لا يليق به , وأنه لا يفعل ذلك ؛ لأنها من الأمور التي لا تليق بالله تعالى , وهي المعروفة عند علماء الكلام بالمستحيلات , إذن قدرة الله لا تتعلق بالمستحيلات ولا تتعلق بالواجبات ؛ ولكن تتعلق بالممكنات فقط أو الجائزات فقط , أما الواجبات لا تتعلق بها القدرة ؛ لأن الواجب لا يُوصف بالإيجاد والإعدام , فذات الله وصفاته القديمة لا تُوصف بالإيجاد ولا بالإعدام , إذن قدرة الله لا تتعلق بالواجبات لا تتعلق بذات الله وبأسمائه وصفاته ؛ لأنها ليست بمخلوقة . وإنما تتعلق بالممكنات والجائزات , ما لا يقبل ولا يخضع للإيجاد والإعدام كالواجبات لا تتعلق بها القدرة , ما لا يقبل الإيجاد لكونه مستحيلاً لا تتعلق به القدرة . ولعل هذا البحث بحث اصطلاحي من اصطلاحات علماء الكلام , ولكنه دخل على السلف المتأخر الذين ناقشوا الخلف . ويمكن الاستفادة من بعض كتب الأشاعرة في مثل هذه المسألة , بالنسبة للطالب الناضج

فيمكنه الرجوع لحاشية البيجوري على جوهرة التوحيد أو حاشية البيجوري على السنوسية ليبحث مُتعلَق صفات الله كلها يمكن البحث ما فهمتَ فهمت وما لم تفهم تسأل عما لا تفهمه ؛ لأنك قد تُفاجأ بمناقشة ومناظرة من هذا الباب من القوم , إذا كنتَ غافلاً ولستَ على علم أو اطلاع قد تُفاجأ وتُنكر الحق وأنتَ لا تدري فلذلك ينبغي الاطلاع على هذه الكتب . فكل ذلك واقع بمشيئته وقدرته الإيمان والطاعة والمعاصي والكفر ووجود إبليس والكفار والمنافقون , كل هؤلاء إنما وُجِدوا بمشيئة الله وقدرته , لا يقع في ملكه ما لا يشاء من هنا غلطت بعض الطوائف التي تقول إن الله لا يخلق شراً , الله عَجَّلَ يخلق شراً وخيراً , الإيمان والكفر والمعاصي والطاعة والنفوس الطيبة كجبرائيل عليه السلام والنفوس الشريرة كإبليس كل ذلك إنما وقع بمشيئة الله وقدرته , وليس بلازم أن تُدرك ما الحكمة في خلق إبليس وفي خلق الكفر والمعاصي ؛ لكن لو أدركتَ ازددت إيماناً على إيمان . لولا الكفر والكافرون بما تجاهدون حتى تنالوا درجة الشهادة في سبيل الله , هل تقع الشهادة في سبيل الله لو لم يوجد الكفر والكافرين ؟ ولو لم يخلق الله إبليس بما تجاهد نفسك الأمارة بالسوء وبما تجاهد الشيطان وبما تجاهد الكفار فيحصل لك أجرٌ عظيم مقابل هذا الجهاد كله ؟ لولا وقوع العباد في المعاصي من أين للعباد عبودية التوبة ؟ وهي من أعظم العبوديات ؛ لأن الله يحب التوابين (كلمة التوابين صيغة مبالغة) الذين يُكثرون من التوبة , كلما وقعوا وهفوا تابوا , كلما عصوا تابوا الله يحب التوابين , لله حكمة في كل ما يفعل , لا يمكن للعباد أن يُدركوا حِكم الرب سبحانه والواجب الإيمان ؛ لأنه عليم حكيم . وبهذه المناسبة ادعوا شبابنا إلى مطالعة كتب ابن القيم رحمه الله في هذا الباب ؛ لأنه من حكماء المسلمين , كتابه مفتاح دار السعادة وطريق الهجرتين وزاد المعاد ومدارج السالكين حتى الكتيب الصغير الفوائد تجدون فيها التعرض لهذه الحِكم أمور وفوائد تُثبِّت للإنسان الإيمان بدلاً من أن تقضوا أوقاتكم وفراغكم وإجازاتكم هذه في مطالعة يكُن وما يكُن وما حوله (

لعل الشيخ يقصد كتب الإخوان المسلمين منهم فتحي يكُن وغيره), ارجعوا إلى هذه الكتب , اتركوا يكُن للمناسبات إذا أشكل عليكم شيء من شبههم وتلبيساتهم ؛ لكن العلم الحقيقي في هذه الكتب , دراسة هذه الكتب هي التي تقيك بإذن الله من شر يكُن وأمثاله , وأما إذا كنتَ خالِيا , معلوماتك ضحلة ليست ثابتة يلعب بك هؤلاء , يحضروا لك قواعد مقعدة من عند أنفسهم وأنت تحسب أنها قواعد شرعية ؛ لكن إذا كنتَ طالب علم مطلع على هذه الكتب التي فيها علم لا ينطلي عليك كلامهم ؛ لذلك عليكم أن تُطالعوا كتب ابن القيم رحمه الله في باب الإيمان , في هذه المباحث , كتب عظيمة جداً زيادة على الكتب الهجومية التي ألفها هجوماً كالصواعق المرسلة واجتماع الجيوش الإسلامية , هذه كتب ميدانية هجوماً على العدو ؛ لكن الكتب الأخرى كتب إيمانية تُثبِّت إيمانك .

* « وليعفوا وليصفحوا .. » / نزلت هذه الآية في شأن أبي بكر رضي الله عنه عندما تأثر من خوض بعض الخائضين في قصة الإفك , وممن خاض بعض أقاربه مسطح تأثر من خوضه في تلك القصة المؤلمة , ولكن أنزل الله ما يدعو إلى التراجع , وأبو بكر رضي الله عنه تراجع ووصل الرجل الذي كان قطعه . الشاهد ذكر الغفران والعفو ؛ لذلك يؤخذ من الناحية الفقهية من الآية أن الإنسان إذا عفا وصفح عمن ظلمه مع أن الظلم قائم وهو في إمكانه أن ينتقم وفي إمكانه ألا يعفو ويطلب بحقه , إذا عفا وصفح رغبة في غفران الله ورحمته يحصل له ذلك . وليس معنى ذلك التسامح الشديد مع الذين يخرجون على الدين وإنما هذا فيمن لم يبلغ به العداء إلى العداء الديني في هذه العقيدة والإيمان , فيجب كرهه وبغضه , ودعوتهم مع ذلك إن أمكن فلابد من الدعوة ومحاولة الإصلاح ؛ لكن كونك تعفو وتصفح وتؤاكله وتشاربه وهو مقيم على معصية الله وعلى الكفر والإلحاد وكراهة أوليائه , فليس هذا هو المراد .

* « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » وما بعدها / نزلت في المنافقين عبد الله بن سلول وأتباعه , فهو يتبجح بالقوة أنه قادر على ذلك ويُقسِم فنزل { يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ{8}سورة المنافقون }, الأعز في زعمهم ابن سلول وأتباعه والأذل في زعمهم رسول الله وأصحابه , والمسألة معكوسة . العزيز من أعزه الله والذليل من أذله الله , لا يُعَز من أذله الله ولا يُذل من أعزه الله هذا من باب الإيمان بالقضاء والقدر . أما ما يظهر أحياناً من امتحان الله أوليائه من تسلط المنافقين والمشركين والأعداء على الأولياء يهينونهم ويضربونهم ويقتلونهم ويخرجونهم ويسجنونهم امتحان من الله , وقع للأنبياء عليهم السلام فكيف بمن بعدهم ؟ وما يزال ذلك واقعا , إذا وقع ذلك لا ينبغي أن يحزن المؤمن ؛ لأن الله أمسك عنهم النصر وتخلى عنهم لا , وإنما امتحنهم امتحاناً إن صبروا واحتسبوا لهم الأجر على ما وقع , وإن استنصروه نصرهم هكذا سنة الله في خلقه لن تتبدل ولن تتغير هكذا يعيش المسلم في هذه الدنيا بين عدل الله وفضله , إن نصر أوليائه ودافع عنهم وأيدهم فذلك فضل منه , وإن سلط عليهم أعدائه وأذاقوهم سوء العذاب وأهانوهم وقتلوهم فذلك عدل ليس بظلم , ولا يظلم ربك أحداً ؛ ولكن قد يبتلي , فهذه الدنيا تشمل على الامتحان والكرامة لأولياء الله , ولكن الكرامة الحقيقية في دار الكرامة للصابرين من المتمسكين الذي الذين لا يتذبذون إذا أصيبوا بالفتن في أنفسهم وأهليهم .

إثبات الاسم لله ونفي المثل عنه :

وَقَوْلُهُ: { تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ } وَقَوْلُهُ{ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }، { وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ }، وَقَوْلُهُ: { فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ

تَعْلَمُونَ }، { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } .

* « تبارك اسم ربك .. » / الفعل تبارك لا يُستعمَل إلا في حق الله تعالى من البركة , والبركة في الأصل النماء والزيادة , ومن معاني البركة دوام الخير وكثرة الخير , اسم الله فيه البركة ؛ لأن اسم الله ليس غير الله ؛ لذلك فيه الخير والبركة , ذكر اسم الله ودعاء الله باسم من أسمائه والعمل بما تدل عليه أسماء الله , كل ذلك فيه الخير والبركة والنماء في إيمان المؤمنين وعبادتهم وفي حياتهم العامة إذا أخلصوا لله سبحانه العبادة وذكروا الله بأسمائه .

* ذي الجلال والإكرام : الجلال والعظمة بمعنى واحد وهو الذي لا أجلّ ولا أعظم منه . وكل من يُوصَف بالجلال والعظمة أو العزة فذلك أمر نسبي , أما الجلال الحقيقي والعظمة الحقيقية والعزة الحقيقية لله وحده , وهو الذي يمنح من يشاء من عباده شيئا من هذه الصفات وهو المعطي لمن يشاء ليتصف بهذه الصفات بالعظمة والعزة , فالذي أعطى أولى بأن يتصف بذلك على أكمل وجه بحيث لا يُشاركه أحدٌ في جلاله وعظمته وعزته .

الإكرام : فُسِر بتفسيرين اثنين : الذي يُكرَم ويُنزَه عما لا يليق به من شريك وصاحبة وولد وند ووزير ومعين , وقيل الذي يُكرِم عباده الصالحين , والمعنيان لا منافاة بينهما فالله سبحانه يُكرَم ويُكرِم على ما يليق به ولا يُوصَف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وليس في أوصافه نقص , يُكرَم عن إثبات الشريك والصاحبة والولد والمعين والوزير وغير ذلك , لكن له جنود يبعثهم في السماوات والأرض من الملائكة , والملائكة لا ينبغي أن يُطلَق عليهم أنهم أعوان لله سبحانه كما جاءت هذه العبارة في بعض الكتب , لكنهم جنود لله مأمورون { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ {6} سورة التحريم } . المعنى الثاني يُكرِم عباده الصالحين , ومِن أعظم الكرامة

في الدنيا الاستقامة على الدين , من رزقه الاستقامة على دينه بأن رزقه الفقه في الدين ثم العمل بما عَلِم والاستقامة وملازمة عبادته وطاعته حتى يلقاه أكرمه أعظم كرامة , هذه كرامة عامة للأنبياء عليهم السلام وأتباعهم وهذه من الكرامات المعنوية , وقد توجد كرامات حسية وهي الأمور الخارقة للعادة التي قد يُظهرها على أيدي بعض الصالحين ؛ لتكون عوناً لهم , وإذا ظهر الأمر الخارق للعادة على أيدي من ادعى النبوة والرسالة يُطلَق على ذلك آية من آيات الأنبياء عليهم السلام – وفي لغة أهل الكلام المعجزة – وإذا أظهر على أيدي الصالحين يُسمى ذلك كرامة , وإذا أظهر الله على أيدي الكفار والفجار يعتبر ذلك استدراجاً . وما يظهر من أمور خارقة للعادة مما يظهر على أيدي المتصوفة الجاهلين البعيدين عن تعاليم الإسلام من الدخول في النار والخروج منها ويطعن نفسه ولا يُرى أثر الطعن وغير ذلك من الأمور التي بعضها من السحر , إن ظهر ذلك على أيدي بعض جهلة المتصوفة المعرضين عما جاء به محمد رسول الله ﷺ تلك من الأمور الخارقة للعادة للاستدراج ومن مقدمات ما سيظهر للمسيح الدجال ؛ لأن هؤلاء الدجاجلة الكذبة الذين يكذبون على الله ودين الله ويدّعون الكرامات ويدّعون النفع والضر في الناس , ويدَّعون التصرف في الكون مع الله ﷻ , هم من مقدمات المسيح الدجال , لا ينخدعن مسلم بتلك الأمور , وهي كثيرة فيما مضى ولا تزال تظهر في بعض المناطق النائية عن نور الوحي البعيدة عن هذه الجزيرة , وربما دخلت أطراف الجزيرة وربما تسللت أو تدرجت حتى دخلت على بعض من ينتسبون إلى العلم , ولكن لم يُعطوا فقهاً في الدين , أُعلِق هذا التعليق لكون هذا الأمر أمراً واقعياً لنفرق بين الكرامة وبين الاستدراج .

* « فاعبده واصطبر لعبادته » / أي اصبر لأجل عبادته , اللام إما تبقى على بابها للتعليل أو بمعنى على , وحروف الجر تتناوب , وليس في ذلك تأويل وإنما هو تفسير .

* « هل تعلم له سمياً » / وهذه الآية أَدخَلُوا (أي أقرب) في باب توحيد العبادة منها في توحيد الأسماء والصفات , أي ليس لله من يُشبهه ويفعل كفعله يخلق كخلقه يرزق كما يرزق الله سبحانه فيستحق العبادة , الخالق الرازق المانع المعطي النافع الضار هو الذي يستحق العبادة ومن لا فلا . وهذه الآية كما قال ابن القيم رحمه الله (نصٌ في توحيد العبادة , ولكنها ظاهرٌ في توحيد الأسماء والصفات) .

فالآيات الكريمة – لك أن تصفها تقول الكريمات ولك أن تقول الكريمة – , {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً{65}سورة مريم } , { وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ{4}سورة الإخلاص }

اشتملت على صفات السلوب (السمي والكفء والند والولد) , والصفات الواردة في القرآن الكريم إما صفات ثبوتية أو صفات سلبية , كل صفة جاءت أو ذُكِرت بعد النفي أو بعد النهي أو بعد الاستفهام الإنكاري يقال لها الصفات السلبية , تسلب عن الله ما لا يليق به { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ{3}سورة الإخلاص } خلاف السلوب التي عند علماء الكلام صفات يطلقون عليها الصفات السلبية وهي لم تقع في سياق النفي أو النهي ولا الاستفهام , ولكن اصطلح على ذلك الأشاعرة , يُطلقون على خمس صفات بأنها صفات سلبية .

الله سبحانه يتخذ أولياء من عباده يحبهم ويحبونه , ولكن ليس عن ذل وحاجة , بل إكراماً لهم وتقرباً لهم , لكن كونه يتخذ ولياً معيناً له وكونه محتاجاً إليه ويتذلل له فهذا هو المنفي . وأما الصفات الثبوتية فكل صفة لم تقع في سياق النفي أو النهي أو الاستفهام الإنكاري , هذا هو الغالب في أسلوب القرآن , أي القرآن استعمل التفصيل والإجمال في النفي والإثبات , ولكن الأكثر الإثبات ؛ لأن الإثبات هو الأصل .

* « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » / الأنداد جمع نِد وهو النظير , فيقال ليس لله ندٌ ولا ضدٌ , ليس لله ما يشبهه ويكون شبيهاً له ونظيراً له , وليس له من يناؤه ينازعه في صفاته وكمالاته وأفعاله , بل هو المتفرد بصفات الكمال , فلا أحد يشارك الله في صفات الكمال وإن اتفقت أحياناً بعض صفات الله مع صفات مع صفات خلقه اتفاقاً لفظياً وفي المعنى العام , أما في حقائق صفاته فلا أحد يشارك الله , إذا كان العباد يُوصفون بالسمع والبصر والعلم والحلم , هذه المشاركة إنما هي مشاركة لفظية وفي المعنى العام , أما بعد تخصيص صفات الله لله بالإضافة , كأن قلت علم الله وسمع الله وبصر الله واستواء الله ونزول الله ومجيء الله لا أحد يشارك الله في هذه الصفات أبداً ؛ لأنها خُصِصت بالإضافة لا سمي له ولا نظير ولا ضد ولا ند ولا مناوي . كذلك ليس لله من ينازعه في استحقاق العبادة , وما عُبِد من الجمادات ومن عُبِد من العقلاء من دون الله تعالى إنما عبادتهم عبادة باطلة , لا أحد يستحق أن يُعبد غير الله , والذين عُبِدوا من دون الله تعالى من المخلوقات العاقلة كالملائكة والأنبياء والصالحين , وما عُبِد من دون الله من الجمادات كالأضرحة والقِباب هذه يُطلَق عليها آلهة ولكنها آلهة باطلة , هي التي نفتها كلمة التوحيد لا إله إلا الله , أي لا معبود بحق إلا الله ؛ لأن الكلمة ليس المراد نفي وجود الآلهة وإنما نفي الآلهة , الآلهة موجودة من قبل وفي هذا الوقت وإلى ما شاء الله , لكن المنفي استحقاق العبادة . والذين عُبِدوا من دون الله من الأنبياء والصالحين كعيسى وأمه وبعض الأنبياء الذين عُبِدوا ولا يزالون يُعبَدون من دون الله , عبادة العابدين لهم لا تضرهم ما لم يأمروا الناس بعبادتهم أنفسهم وما لم يرضوا ويُقِروا الناس على ذلك , وأما من عُبِد وهو غير راضٍ كعيسى عليه السلام , ومن عُبِد وهو لا يعلم كالشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله , وهؤلاء لا تضرهم عبادة المشركين الذين عبدوهم وهم من الذين سبقت لهم الحسنى عند الله فليُعلم هذا (يأتي تعليق للشيخ على هذه النقطة) , وإن الطواغيت هم أولئك الذين يُزينون للناس عبادة أنفسهم ويدعون الناس

إلى عبادة أنفسهم ويقرون الناس على عبادة أنفسهم . إذن ينبغي أن نفرق بين هذا وذاك ؛ لأن الله سبحانه هو الحكم العدل لا يسوي بين الطواغيت وبين الذين عُبِدوا غصباً عنهم وبدون رضاهم أو بدون علمهم .

* وأنتم تعلمون : والحال أنتم تعلمون أنه لا ند له , والواو في (وأنتم تعلون) واو الحال , والجملة الاسمية (وأنتم تعلون) جملة حالية , وصاحب الحال الواو في قوله (ولا تجعلوا) , والعامل في الحال هو الفعل في (تجعلوا) , إذا ذُكِر الحال ابحث عن صاحب الحال وابحث عن العامل في الحال . ينبغي لطلاب العلم أن يكونوا على اتصال بمادة النحو , والسلفيون الجدد نريد منهم أن يكونوا نحويون ؛ لأن الظروف تقتضي ذلك , وبدون معرفة شيء ولو بالشم من النحو لا تتلذذ كما ينبغي عندما تتدبر آيات الله ﷻ , لذلك ننصح كل من يشتغل بطلب العلم أن يقرأ الآجرومية ويفهمها وإن زاد عليها التحفة السنية (شرح للآجرومية) وفهمها كفى , حتى إذا قيل هذا حال هذا تمييز وهذا فاعل هذا مفعول يفهم ما المراد بهذا , هذا القدر يكفي .

* والمعنى للآية الذي لا يخلق ولا يرزق لا يستحق العبادة , وينبغي أن نؤكد مرة أخرى لا ينبغي أن يُفهَم من كلمة لا إله إلا الله عدم وجود الآلهة ؛ لأن هذا خلاف الواقع الآلهة موجودة من يوم أن وقع الشرك في قوم نوح عليه السلام وهو أول رسول أُرسِل إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك , من ذلك التأريخ إلى يومنا هذا الآلهة موجودة , ولكن الذي يُشكِل على الناس أهل هذا العصر جهلاً منهم باللغة لا يظنون ولا يعرفون أن الأضرحة والقِباب وتلك الدوحات التي تُعبَد وأن تلك الأحجار والأشجار التي تُعبد أنها آلهة , هذا الذي يجهلونه , والعرب سابقاً يفهمون أن كل ما عُبِد من دون الله فهو إله ؛ لذلك قالوا {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ{5}سورة ص } اعترفوا بأن تلك الجمادات التي يعبدونها بأنها آلهة , استنكروا لماذا يجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ لماذا لا يتركهم يعبدون الآلهة على وجه الأرض مع عبادتهم لخالق السماوات والأرض ؟ القوم عربٌ

وفاهمون للغتهم , ولكن اليوم جُهِلت اللغة , وفُهِمَ معنى الإله فهماً خاطئاً , كلمة الإله تُطلق على المعبود بحق وعلى غير المعبود بحق ؛ ولكن لفظة (الله) لفظ الجلالة هذه اللفظة لا تُطلق إلا على الله المعبود بحق خالق السماوات والأرض ؛ لذلك كلمة التوحيد التي تُكرر لا إله إلا الله لا تعني أبداً نفي الآلهة حتى تقول إن الآلهة غير موجودة , والآلهة موجودة بكثرة , جميع تلك الأضرحة التي تُعبَد الآن ويُطاف بها ويُذبح لها هي آلهة , في لغة العرب تسمى آلهة , إذن ما هو المنفي ؟ استحقاق العبادة , أي لا معبود بحق إلا الله , ما عُبِد من دون الله فعبادتهم باطلة وهو آلهة .

* « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً .. » / أي من بعض الناس (من) للتبعيض , بعض الناس يتخذون من دون الله أنداداً , فيحبون آلهتهم كما يحبون الله , أي أشركوا شرك المحبة . المفروض ألا يُحَب أحدٌ كما يُحَب رب العالمين , المحبة الصادقة لله روح الإيمان وروح العبادة , ومن يحب الله ويحب معه غيره كمحبة الله فقد أشرك بالله شركاً أكبر شرك المحبة هذا معنى , والمعنى الثاني أن أولئك المشركون يحبون آلهتهم كما يحب الموحدون رب العالمين , أي أنهم أخلصوا لآلهتهم المحبة كما أخلص الموحدون لله , وهذا كفر أفظع من الكفر الأول , أي من نُزِعت محبة الله من قبله , ولكن يحب غير الله من المعبودات كما يحب الموحدون الله رب العالمين سبحانه . تشبيه محبة بمحبة , تشبيه محبة المشركين لآلهتهم بمحبة الموحدين لربهم , هؤلاء كفار صُرحاء ؛ لأنهم ليس في قلوبهم محبة لله , فكل محبتهم لآلهتهم , أما الأولون يحبونهم كحب الله , عندهم محبة لله ومحبة لغير الله , محبتهم موزعة بين الله وبين غير الله , كذلك الخوف . {.. وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ .. {165}سورة البقرة } ؛ لأن الذين آمنوا بالله حق الإيمان , محبتهم غير موزعة , لا يحبون حب العبادة إلا الله . إنما قلتُ محبة العبادة لأنبه إن الحب أنواع : جميع الأنواع ما عدا محبة الله تعتبر نوعاً واحداً يسمى محبة طبيعية وهي تتفاوت فيحب

الإنسان ولده ويحب أهله ويحب ماله ويحب سيارته - لكن انظروا التفاوت - وهل محبة الرجل لأهله كمحبته لولده ؟ لا , هذه لها معنى وهذه لها معنى . محبته لماله لها معنى ومحبته لشيخه وزملائه لها معنى آخر , هذه المحبة ليست محبة عباده لا تضر توحيد المرء , إذ ليس فيها التذلل والخضوع (هذا هو السر, العبادة) , حقيقة العبادة غاية الذل مع غاية الحب , عندما يحب المرء ابنه لا يتذلل له ولا يخضع له ولكن محبة رحمه , فرقٌ بين محبة الرحمة ومحبة التذلل والخضوع , إذن جميع من تحبونهم من دون الله إن كانت من هذا القبيل محبة لا يدخلها التذلل والخضوع محبة طبيعية ليست من قبيل العبادة ولا تضر دينك وتوحيدك وعقيدتك , لكن أحببتَ شيخك - إذا أُطلِق الشيخ عند الصوفية لا يعني المدرس , يعني شيخ الطريقة , المربي في زعمهم - إذا أحببت ذلك الشيخ محبة كمحبة الله تُعظّمه إذا أقبل من هناك هرولتَ إليه خاضعاً مطأطئ رأسك تطيح على قدميه مُعظماً , والشيخ يمسح رأسه - بركة - ولا يقول له ارفع رأسك لا , يمسح رأسه وهو يُقبّل قدمه , إذا وصلتَ إلى هذه الدرجة فقد اتخذتَ ذلك الشيخ الحي الذي يأكل ويشرب ويدخل المراحيض كما تدخل أنتَ اتخذته رباً معبوداً من دون الله , هذه عبادة خالصة ؛ لأنك خضعتَ له وتذللتَ له , بل مع ذلك كما تدل عليه المشاهدة , هذه المحبة يقارنها الخوف والرهبة , يخاف منه كما يخاف من رب العالمين , بل أشد بحيث لو قيل لأحدهم : احلف بالشيخ وبرأس الشيخ إنك لم تفعل كذا , لا يكاد ينطق اسم الشيخ أبداً تعظيماً ورهبة , ولكن لو قيل احلف بالله لحلف بالله كاذباً , يُعِللون ذلك - ليس هذا ما نُنشئه إنشاءً من عندنا هذا نأخذه من واقعهم - من حلف بالله كاذباً يتوب والله غفور رحيم لا يُعاجل العباد بالعقوبة وهو" يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل " [سبق تخريجه] , لكن الشيخ لا يرحم , ما عنده إلا البطش ؛ لذلك يخافون من الشيخ أشد من خوفهم من رب العالمين , هؤلاءِ يُحكّم عليهم بالشرك المخرِج الناقل من الملة ما لم يُعذروا بجهلهم

وما لم تقم شبهة تحول بيننا وبين تكفيرهم . انتبهوا لهذه النقطة فهي مهمة للغاية : قد يقع الإنسان في الشرك الأكبر الناقل من الملة ومع ذلك لا يكفر , زيدٌ يكفر ولا يكفر عمروٌ , يكفر زيد ؛ لأنه فعل ذلك مع العلم وعدم الشبهة , ولكن عمراً يجهل تربى في أحضان الصوفية , فقيل له : إن ما يفعله ليست عبادة وإنما محبة الصالحين , فيقولون له العبادة لا تكون إلا الله , وما فعله عمرو محبة الصالحين , ومحبة الصالحين مطلوبة , جهل وشبهة فلا يكفر ,عمله شرك ولكن لم يتبين له الحق ولم يتبين الهدى , الذي يكفر الذي تبين له الهدى ثم اتبع سبيل غير المسلمين هو الذي يكفر ؛ لذلك ينبغي أن يُنظَر إلى المكان الذي فيه هذا الذي فعل هذا الفعل وإلى الزمن الذي يعيش فيه وإلى البيئة التي يعيش فيها , فكل ذلك له تأثير فإذا كان يعيش في بيئة شركية وبين أناس لا يُفرقون بين الشرك والتوحيد يُفسِرون شِركه بمحبة الصالحين وهو يجهل وغير مقصر في المعرفة يُعذَر. ينبغي الرجوع في هذه المسائل لكتاب شيخ الإسلام رحمه الله الرد على البكري فهو مهم في هذا الباب .

تعليق على ما تقدم من الشرح عند الذين يُعبَدون من دون الله تعالى , قلتُ ينقسمون إلى قسمين إذا تركنا الجمادات واقتصرنا على العقلاء أو على أضرحتهم وعلى قبورهم , من الناس من عُبِد وهو من الصالحين , عُبِد بعض الأنبياء وعُبِد الملائكة وعُبِد بعض الصالحين هؤلاء لا يُطلَق عليهم أنهم من الطواغيت ؛ لأن الطاغوت من تجاوز به العبد حده , عندما يتجاوز العبد حده بعبادة هذا الطاغوت يُلاحظ بالطاغوت أنه أمر غيره بعبادة نفسه أو زيَّن له ذلك وأقرَّه على عبادة نفسه , هؤلاء هم ومن عبدهم حصبُ جهنم . أما الأنبياء الذين عُبِدوا والملائكة والصالحين { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ{101}سورة الأنبياء } , يدخل في هذه الآية دخولاً أولياً الأنبياء والملائكة , أما الصالحون فنرجو لهم رجاءً أن يدخلوا , بمعنى لا نقطع لهم أنهم يُبعدون إبعاداً كلياً عن النار ولا يدخلون النار وأنهم من أهل الجنة ؛ لأننا لا نشهد

لأحد بدخول الجنة إلا من شهد له النبي ﷺ ؛ ولكن " من مات على خير عمله فارجوا له خيراً " [أخرجه الديلمي في مسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما] , وذكرتُ فيمن ذكرت الشيخ عبد القادر الجيلاني , إنما ذكرتُ هذا العبد الصالح فيما نحسب , وحسب ما ترجم له بعض أهل العلم ؛ لأنه عُرِف بالصلاح والتقوى والعبادة ولم يُعرَف بغير ذلك , وربما وصفه بعض من ترجم له بأن له كرامة أو مجاب الدعوة أو كلاماً نحو هذا , هذا أولاً نقطع أنه ليس من الطواغيت ؛ لأنه لم يأمر الناس لعبادة نفسه ولم يُقرهم على ذلك ومثله كثير , لكن هو أشهر وأكثر من أبتُلي به المؤمنين بتزيين من الشيطان لعبادته هو الشيخ عبد القادر الجيلاني وإلا الصالحون الذين عُبِدوا كثير , كل الذي أُريد أن أقول هؤلاء نقول ليسوا من الطواغيت , لكن يُرجى أن يُلحقوا بالصالحين الذين سبقت لهم من الله الحسنى , بيد أننا لا نشهد بأن الشيخ عبد القادر الجيلاني من أهل الجنة , وأن الشيخ الفلاني من أهل الجنة لا نشهد بذلك ؛ لأن القاعدة عندنا أهل السنة والجماعة (لا نشهد لأحد بالجنة إلا من شهد له رسول الله ﷺ) [العقيدة الطحاوية , شرح ابن أبي العز ص(370)] , ؛ لكن نعمل بقوله " من مات على خير عمله فارجوا له خيرا " [سبق تخريجه] , أرجو أن يكون هذا الكلام مفهوماً , والشيخ عبد القادر كما ذكرنا غير مرة عالمٌ حنبليٌ سلفيُ بغدادي نشأ ببغداد وتوفي ببغداد , ولا نعلم أنه خرج وتطوّف بهذه الدنيا كلها التي بُنيت له فيها القِباب أما أضرحته ومشاهده فملئت بها الدنيا في أفريقيا وآسيا وهو شخص واحد ومات موته واحدة ودُفِن في مكان واحد في بغداد وقبره معروف , ولكن الشيطان زيَّن لكثير من الناس عن طريق الرؤية المنامية , فشيخ الطريقة يكذب على الناس يقول إنه رأى الشيخ عبد القادر الجيلاني في المكان الفلاني في الشِعب الفلاني تحت الشجرة الفلانية , فتُبنى هناك قُبة ويُوظَف لها سدنة , وهؤلاء السدنة يجمعون الأموال باسم زيارة الشيخ عبد القادر الجيلاني , لكن أين الصندوق ؟ الصندوق شيخ الطريقة , عبارة عن تكية يأكلون

بهذه الأضرحة المنتشرة في العالم , والشيخ عبد القادر الجيلاني بريء من هذه الأضرحة , وسدنة تلك الأضرحة وتلك الزيارات هي التي تُجمع . هذا الذي كنتُ أُؤيد أن أقول والحمد لله رب العالمين .

نفي الشريك عن الله تعالى :

وَقَوْلُهُ: { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا } ، { يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } ، وَقَوْلُهُ: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا | الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا }، وَقَوْلُهُ: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ , عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }، { فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } ، { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } .

* « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك .. » / الحمد الثناء باللسان على النعمة وغيرها , والحمد لا يكون إلا باللسان , والشكر يكون باللسان وبالقلب وبالفعل , لك أن تقول الشكر لله ولك أن تشكر الله بقلبك مقابل ما أنعم عليك وتعظم الله وتنفق ما أنعم عليك في مرضاته هذا شكر , رزقك الله علماً تعمل بهذا العلم وتعلم الناس هذا شكر عملي , وبالعمل بناؤك للمساجد والمدارس شكر لله تعالى على ما أنعم الله عليك من المال . ولا يقال لهذا حمد يقال له شكر , الفرق بينهما

الحمد يكون باللسان والشكر يكون بالجنان واللسان والعمل , والشكر لا يكون إلا في مقابل نعمة والحمد يكون في مقابل نعمة وفي غير مقابل نعمة .

قد تحمد وتشكر غير الله , وفي واقع الأمر حمدك وشكرك لغير الله راجع إلى الله ؛ ولكن شُرِع لنا " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " حديث حسن [أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه (32 / 323) وأبو داوود برقم (4801) والترمذي برقم (2020) , صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (7719)] . مطلوب أن تشكر من أحسن إليك وتقول له جزاك الله خيرا , ولكن في واقع الأمر يرجع إلى الله ؛ لأن الله هو المنعم المتفضل الذي تفضل على ذلك الذي أحسن إليك (النعمة مرجعها إلى الله) ؛ لذلك لا يستحق الحمد المطلق والشكر المطلق والثناء المطلق إلا الله سبحانه وتعالى . ومعنى المطلق هنا الكمال .

* الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل : الله له أولياء المؤمنين جميعاً أولياء لله , ولكن ليسوا أولياء من الذل والحاجة والفقر كما قلنا أولياء أَحَبَهم وقربهم لتوحيدهم وعبادتهم وأعمالهم الصالحة لا لحاجته إليهم .

* وكبِّره تكبيراً : عظمه تعظيماً ونزه عما لا يليق به .

* « يسبح لله ما في السماوات والأرض .. » / سبَّح أي نزَّه عما لا يليق به من شريك وصاحبة وولد ووزير ومعين وغير ذلك . جميع الأشياء في السماوات والأرض تسبح الله , إن الله كما جعل فينا الإحساس جعل في الجمادات الإحساس , وأنها تحُس وتعرف ربها تسبحه وتشهد له بالعلم والحكمة والكمال والرحمة والعزة , والله هو الذي يعلم كلامها ولغتها , فيسمع كلام الجمادات كما يسمع كلامنا , أما نحن فنؤمن بخبر الله وإن كنا لا نسمع كلام هذه الجمادات كيف تُسبح وكيف تقدس ؟ .

{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ..{44}سورة الإسراء }
أسلوب فيه حصر وقصر , ما من شيء من الأشياء من جميع الجمادات وغير الجمادات إلا تسبح بحمد الله , ولكن أيها الناس المخاطبون بالقرآن لا تفقهون تسبيحهم لذا لا تسمعون تسبيحهم . التفقه متوقف على السماع إذا كنتم لا تسمعون كلام الجمادات فأنتم لا تسمعون ولا تعلمون ما يقولون , ولو أراد الله أن يُسمِع من شاء من رسله كما اسمع نبيه ﷺ كلام الحجر وتسبيح الطعام .

* « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً .. » / معنى تبارك من البركة وهي دوام الخير وكثرة الخير والنماء , ولكن لا يلزم من تلك الزيادات سبق النقص , قد يكون الشيء كاملاً في حد ذاته ويُزاد عليه , هذه الزيادة زيادة طارئة لا يلزم من ذلك سبق النقص أنه كان ناقصاً , وكمالات الله تعالى تتجدد فعطائه يتجدد وإكرامه لأوليائه يتجدد ونزوله يتجدد ومجيئه يتجدد , وهذا التجدد لا يلزم منه النقص , فالله يفعل ما يشاء وفق حكمته , فالله تعالى يغضب على شخص يكون محل غضب الرب كالكافر ثم أسلم فيحسن إسلامه فصار محل رضا الرب ﷻ , فالرضا تتجدد وزال ذلك الغضب بالنسبة لذلك الذي أسلم وحل محله الرضا , هذا معنى التجدد في ذات الرب سبحانه وفق حكمته .

والله لا يفعل فعلاً إلا لحكمة لا كما تقول الأشاعرة إنما تقع أفعال الرب بمجرد تعلق الإرادة بها هذا خطأ , والله من أسمائه الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لحكمة فلا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يعطي ولا يمنع إلا لحكمة , وقد يدرك العباد بعض الحِكم في بعض أفعاله , لكن ليس بلازم وقد لا تدرك فعليك بالإيمان ولو لم تدرك . وكون الله تجددت حكمته وتجدد فعله حسب مشيئته لا يدل ذلك على النقص كما مثلنا , وكون الرب تعلقت مشيئته أزلاً وعَلِمَ أزلاً وكتب عنده أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

يعيش في أول حياته كافراً عدو للإسلام , ذلك سبق في علم الله وكُتِب بجانب ذلك عُلِمَ وكُتِبَ وشاء الله بأنه سوف يتحول إلى الإيمان فيكون أقوى رجلاً في الإسلام وأشجع رجلاً في الإسلام فينصر الله به الإسلام , كل ذلك سبق في علم الله , هذا التجدد لا يدل على النقص كون الله فعل بعمر ﵁ هذا الفعل حسب مشيئته بعد أن لم يكن فعل ذلك لا يدل على النقص , ولكن هذا يدل أنه سبحانه فعال لما يريد ويحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

علماء الكلام يتصرفون من عند أنفسهم أحياناً فيقولون المراد بالبركة الثبوت , إنما الألفاظ والمفردات اللغوية يُفسرها أهلها أهل اللغة , وأما علماء الكلام ليسوا بلغويين وإنما يتطفلون أحياناً على تفسير الألفاظ على حسب أهوائهم .

* الفرقان : القرآن ؛ لأن القرآن يهدي للتي هي أقوم يهدي ضد الضلال , يفرق بين الحق والباطل , والحق نفسه يفرق . وبالمناسبة لا بد من التفرق ؛ لأن الحق يفرق ؛ لأن الله فرّق بين العباد بين أهل الشقاوة وأهل السعادة وبين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . الذين يحاولون ألا يتفرق الناس وأن يجتمعوا تحت لوحة (الإسلام) هذه اللوحة الكبيرة تحمل إسلام الصوفية , إسلام الأشاعرة , إسلام الروافض , إسلام العلمانيين , إسلام العقلانيين , جميعهم داخلين ومتظللين بهذه اللوحة . نكتفي بهذا فيما اتفقنا نتعاون عليه وفيما اختلفنا فيه يعذر بعضنا بعضاً , ونحمل هذه اللوحة فوق رأسنا ونمشي بها لا أمر ولا نهي ولا نصح ولا القول بأن هذه بدعة وهذه سنة هذا شرك وهذا توحيد ؛ لأن هذا يفرق الناس – ما أسوء هذا التفكير وما أكثر غلطه وخطئه !– من يعتقدون هذا الاعتقاد أن معنى الإسلام أن يجتمع الناس تحت مظلة لفظة الإسلام ثم كل يفعل ما يشاء , رافضي علماني عقلاني صوفي معتزلي فليكن , بل يُحذر من هذه الألقاب , فقط الإسلام . لو كان الأمر كذلك ما محل الدعوة وأين محل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأين محل النصح ؟ أخوك اسمه مسلم ولو كان رافضي تحبه مع كونه رافضي تحبه

مع كونه علماني لا تآمر ولا تنهى . ليس هذا هو الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ , هذا التصور هو الذي يريد بعض الجماعات أن يسود وأن يفهم شبابنا الإسلام بهذا المعنى , أما من يأمر وينهى عن المنكر ويبين هذا سنة وهذا بدعة يريد أن يُفرق بين الناس , هذا التفريق هو الدين , الحق يفرق والكتاب يفرق وأُرسل محمد ﷺ وتفرقت الناس عليه فمنهم من آمن به ومنهم من كفر به وفرق الله ﷻ العباد بين أهل السعادة وأهل الشقاوة . افهم جيداً لا تنطلي هذه العبارة عليكم (لا نفرق المسلمين كلهم مسلمون) لا تقولوا رافضي ولا تقولوا شيعي ولا تقولوا سني ولا تقولوا بدعي , من جاء بهذا الأسلوب يجب أن يُرفَض فهمه وأنه لم يفهم الإسلام إما جاهل للإسلام أو متجاهل لغرض دفاعاً عن جماعته دفاعاً عن حزبه الذي نحا هذا النحو فليُفهم هذا جيداً .

* عبده : كون النبي ﷺ يُوصف بالعبد وبأنه أميّ وصف كمال فيه , الأمية في غير النبي ﷺ وصف ذم , إذا قال فلان أمي لا يقرأ ولا يكتب , وفي النبي ﷺ صفة مدح أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس في يوم بين يدي معلم أتى بهذا الكلام البليغ المعجز الذي تحدى الله به العرب على بلاغتهم وفصاحتهم وعجزوا أن يأتوا بسورة من مثله , إتيان النبي ﷺ بهذا القرآن وهو أمي آية , لهذا يُعتبَر القرآن بالنسبة للنبي ﷺ أعظم معجزة وأخلد معجزة هذا القرآن كذلك . والعبد ؛ لأنه حقق معنى العبودية وصار عبداً لله خالصاً ؛ لذلك سماه في أماكن التشريف ووصفه بالعبودية { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَه ..{1} سورة الإسراء } , هذا مقام عظيم , سفره من مكة إلى بيت المقدس ثم " عروجه إلى السماء إلى بلغ في المكان الذي يسمع فيه صريف الأقلام " [سبق تخريجه] , أقلام الملائكة وهم يكتبون المقادير فخاطبه ربه هناك , وفي الليلة نفسها رجع إلى مكة , في هذا المقام وصفه بأنه عبد ؛ لأنه حقق العبودية . عباد الله يتفاوتون عند الله ﷻ بتحقيق العبودية ؛ لذلك

الأنبياء عليهم السلام لكونهم حققوا العبودية أفضل العباد ثم أتباعهم الذين حققوا ذلك " لما كان النبي ﷺ يُكثر الوقوف في الليل ومن طول القيام حتى تورمت قدماه الشريفتان , قيل له في ذلك فماذا كان جوابه ؟ أفلا أكون عبداً شكوراً " [أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها برقم (4836) ومسلم برقم (2820)] . بالمناسبة لا حظوا كبار علماء الصوفية الذين يُطلِقون عليهم العارفين بالله الواصلين إلى الله في آخر حياتهم يتركون الصلاة والصيام وجميع التكاليف يقولون وصلنا , لو كان الإنسان يصل في الدنيا وتسقط عنه التكاليف أولى الناس بذلك مَن ؟ محمد رسول الله ﷺ , زاد نشاطه وإتعاب نفسه في العبادة في آخر حياته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى . قارنوا بين حياة النبي ﷺ وبين حياة المتصوفة ؛ لئلا تظنوا إنما نكرر المتصوفة والأشاعرة في كل درس لحزازة في أنفسنا لا , وإنما نُصحاً لشبابنا ؛ لأننا سبق أن أُصبنا بها , ومن اكتوى بنار هو الذي يرحم الآخرين ؛ لئلا يكتووا بتلك النار , انتبه لا تظن كلامنا عبث نكرره ولكن في نفوسنا شيء من الخوف من خطورة أعمال الصوفية والأشاعرة في شبابنا ؛ لأنهم كما قال عمر رضي الله عنه (إنما تُنقض عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية) [الفتاوى لابن تيميه (15 / 36)] شبابنا نشأوا في الخير ونشأوا في الإسلام ولا يعرفون الجاهلية ولا يعرفون جاهلية التصوف ولا جاهلية علم الكلام , إذا جاء مُعَمم وتمتم لهم وجرَّ السُبحة فقال تعالوا إلى العبادة إلى مجلس الذكر , قالوا ما شاء الله هذا من العُبّاد من الصالحين هرعوا ورائه وأبعدهم عن الخط وهكذا , هذا الخوف هو الذي يجعلنا نكرر التحذير من المتصوفة وعلماء الكلام في كل مناسبة وليس ذلك عبثاً .

* العالمين : العالَم كل ما سوى الله . المراد هنا الجن والإنس ؛ لأن النبي مرسلٌ إلى الجن والإنس معاً , لا يوجد من الجن رسل , ولكن يوجد منهم منذرون , وفرق بين الرسول والمنذِر , الرسول يكون مرسلاً من عند الله والمنذر عبارة عن إنسان مُوفَد من قِبل رسول

, " الجن الذين حضروا قراءة النبي ﷺ فآمنوا رجعوا إلى قومهم منذرين " [أخرجه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما برقم (449)] معلمين ومخوفين نيابة عن رسول الله ﷺ ومرسلون من قِبل رسول الله ﷺ ؛ لذلك فهم منذرون وليسوا رسل , ليس منهم رسول { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ{29}سورة الأحقاف } , والإنذار إعلام مع التخويف .

* « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ... » / تضمنت صفات نزه الله نفسه فيها عما لا يليق به , ومن ذلك نزه نفسه عن اتخاذ الولد ؛ لأن اتخاذ الولد نقص ولأنه يدل على الحاجة والله ليس بمحتاج , بل هو الغني (الغنى وصف ذاتي لله) . من هنا يتبين قد يكون نقصاً في حق الله ﷻ ما هو كمال في المخلوق , وجود الولد عند المخلوق كمال لماذا ؟ لأنه يُكمله , الوالد يحتاج إلى الولد فالمخلوق محتاجٌ دائماً , الوالد محتاج لولده والولد محتاج لوالده , والرجل محتاج للأخ وللصاحبة ومحتاج للوزير والمعين والشريك , هذه المعاني كلها نقصٌ في حق الله فينزه عنها سبحانه عن الولد ؛ لأنه الغني غنًى مطلقاً كما أن الفقر وصفٌ ذاتيٌ في المخلوق , ما من مخلوق إلا هو محتاج في كل لحظة وفي كل ثانية محتاج إلى ربه , وقد يحتاج إلى من هو أحسن حالاً منه . ونزه نفسه عن وجود إله خالق معه , لا يوجد خالق , ولكن توجد آلهة كثيرة ليس إلهاً واحداً , ولكن الإله الحق المعبود بالحق المستحق للعبادة هو الخالق سبحانه { أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ{17}سورة النحل } , الذي لا يخلق إن عُبِد سواء كان عاقلاً من العقلاء أو من الجمادات يُطلق عليها آلهة ؛ ولكنها آلهة باطلة فعبادتهم باطلة , وكلمة إله تُطلق على كل من عُبِد وما عُبِد ؛ ولكن لفظ الجلالة (الله) لا يُطلق إلا على خالق السماوات والأرض المعبود بالحق . ونزه نفسه عن الشريك وعن ضرب الأمثال { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11}سورة الشورى } . والقول على الله واسع

جداً , فمن القول على الله وصفه بأنه له شريك وصاحبة , ومن القول على الله تشبيه صفاته بصفات خلقه أو تشبيه ذاته العلية بذوات العباد وذوات المخلوقين , ومن القول على الله التشريع في دينه إذ لا مُشرِع إلا الله كما أنه لا معبود إلا الله كذلك لا مشرع إلا الله , والذين يعبدون غير الله بالسجود والركوع (على قلة) أو النذر والذبح والدعاء والاستغاثة أو الذين يُشرعون مع الله كرجال التشريع , أناس دكاترة يتخرجون من كلية الحقوق ويحملون لقب رجال التشريع ؛ لأنهم يكونون أعضاء في مجلس الشعب ليشرعوا تشريعاً غير شريعة الله ويضعوا القوانين التي فيها تشريع غير شريعة الله , وفيها العقوبات وفيها كل ما يخالف شرع الله , فرجال التشريع بمثابة الأحبار والرهبان الذين عُبِدوا من دون الله , ومجلس التشريع ذلك المجلس الذي يُنازع الله في تشريعه , كل ذلك قول على الله بغير حق وبغير علم .

* « فلا تضربوا لله الأمثال .. » / ليس أحدٌ يشبه الله في شيء من ذاته أو صفاته , الله له الكمال المطلق في ذاته وله الكمال المطلق في صفاته وفي أسمائه وفي أفعاله , لا أحد يُشارك الله في ذاته العلية , أي لا توجد ذات تشبه ذاته العلية , فنحن لم نرَ الله , إيماننا بالله إيمان إثبات نثبت وجود الله بآلائه ونعمائه وآياته الكونية وأخبار رسله وبالدليل الكوني الذي نحن فيه , أي لكل إنسان أن يشهد ويُثبت وجود الله الحقيقي من وجوده الحقيقي , إذا كان وجودك وجود حقيقي وأنتَ لم تخلق نفسك , من الذي خلقك ؟ هل خُلِقتَ من غير خالق ؟ مستحيل , هل خلقتَ نفسك ؟ مستحيل , إذن القسمة الثالثة ما هي ؟ الذي خلقك يجب عقلاً وشرعاً أن يكون مخالفاً لك , فأنتَ حادث والذي خلقك يجب أن يكون قديماً الأول الذي ليس قبله شيء .. , أنتَ خُلِقت ومُنحت علماً بعد أن كنتَ جاهلاً , فالذي خلقك يجب أن يتصف بالعلم القديم المحيط بكل شيء , الذي خلقك منحك قدرة محدودة يجب أن تكون قدرته غير محدودة

وإرادته غير محدودة وهكذا بالدليل العقلي المنطقي التي يشهد له الكتاب والسنة , تثبت وجود الله هذا معنى الإيمان بالله , معنى الإيمان بالله ليس مجرد تقليد , بل يجب أن يكون إيمانه حقيقي { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ{35}سورة الطور} , هذا يسمى دليل التمانع , ودليل التمانع : يدل أن هذا الكون كله لم يخلِق نفسه أو يُخلَق بلا خالق , بل له خالق . أعود فأقول مرة ثانية يجب عقلاً أن الذي خلق هذا الكون الحادث إنه ليس بحادث , إن الذي خلق هذا المخلوق العاجز ليس بعاجز , إن الذي منح المخلوق علماً محدوداً وقدرة محدودة وإرادة محدودة وحياة محدودة ليست حياته محدودة هو الأول الذي ليس قبله شيء .. , "كان الله ولا شيء معه وكان الله ولا شيئا غيره " [سبق تخريجه], لكل هذا تؤمن بالله وتكون على يقين من إيمانك .

فله المثل الأعلى هو الكمال المطلق الذي لا يُشاركه فيه مخلوق ما , لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1} اللَّهُ الصَّمَدُ{2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ{3} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ{4}سورة الإخلاص } . تقدم الكلام على قياس الشمول وقياس التمثيل – فيما مضى , شيوخنا إذا قيل كما تقدم فهي مسئولية الطالب , وإذا قيل كما سيأتي فهي مسئولية المدرس , لي الآن أن أناقش طلاب العلم ما معنى قياس الشمول وقياس التمثيل , لكن طلاب اليوم ليسوا كطلاب الأمس لذلك فلنمسك عن المناقشة – . قياس التمثيل هو الذي تسمونه في أصول الفقه قياس العلة , ويسمى عند المنطقيين وعلماء الكلام هو قياس التمثيل وهو إلحاق فرعٌ بأصل , لا يُستعمَل في حق الله , فالله لا يكون أصلاً ولا فرعاً لمخلوق حتى يُقاس عليه , لا يُقاس على الله غيره ليكون فرعاً ويكون الله أصلاً لهذا القياس , والعكس من باب أولى غير جائز .

قياس الشمول إدخال جزيءٍ في كليٍ أو تحت كلي , كل مخلوق حادث والإنسان مخلوق فهو حادث , هذا الإنسان دخل مع جزئيات المخلوقين في هذه الكلية , والله منزه أن يدخل هو وغيره تحت كلي بأن يكون جزءً كالأجزاء الأخرى من المخلوقين فيدخل في

هذا الكلي , إذن لا يجوز استعمال قياس الشمول وقياس التمثيل في حق الله . الذي يُستعمل في حق الله قياس الأولى هم الكمال المطلق الذي تقدمت الإشارة إليه ويستعمل في حق الله , كل كمال غير مستلزم للنقص بوجه من الوجوه اتصف به المخلوق فالخالق أولى به [التدمرية (91 – 92)] فالعلم كمال وجودي ليس فيه نقص والسمع صفة كمال والبصر صفة كمال والعلو صفة كمال , كل هذه الصفات صفات كمال ليس فيها نقص بوجه من الوجوه إذا اتصف به المخلوق فالخالق أولى أن يتصف , الذي منح العباد السمع والبصر والعلم والقدرة أولى أن يتصف بالسمع والبصر والقدرة والعلم بحيث لا يُشاركه أحد من خلقه في ذلك العلم , إنما تقع المشاركة بين علم المخلوق وعلم الخالق والسمع والبصر والكلام وغير ذلك قبل أن تضاف صفات الله إلى الله وقبل أن تضاف صفات المخلوق إلى المخلوق .

الأشاعرة يؤولون صفة الكلام , الكلام باتفاق العقلاء صفة كمال , المخلوق الذي يتكلم أكمل من المخلوق الذي لا يتكلم , وأنتَ لو وصفك إنسان بنقص في الكلام وبنقص في البيان فأعلم أنه وصفك بالنقص وتغضب من ذلك وتحب أن تُوصف بالكلام البليغ والقدرة على البيان والفصاحة , وكيف تصف الله بأنه لا يتكلم وأن الكلام في حقه معنى من المعاني قائم بذاته لا يتكلم بكلام له حرف وصوت , ألا تعلم بأنك بهذا جعلتَ الإنسان أكمل من ربه سبحانه ؟ لأن الإنسان يتكلم ويفتخر بالكلام وأنه قادر على الكلام وفي الوقت نفسه تصف الله بأنه لا يتكلم . الأشاعرة عقيدة تقليدية مجرد تقليد بدون فهم وإلا لو كانوا يعقلون ويتفكرون هذا التفكير لما شبهوا الله ﷻ بالجماد الذي لا يتكلم ثم إن الرب الذي أنزل هذا الكتاب الذي جعله معجزة للنبي الأميَّ ﷺ الذي لم يكتب ولم يقرأ قط , وجاء بهذا الكلام من عند الله , وصَفَ هذا الكلام أو سمى هذا الكلام الذي بين دفتي المصحف سماه كلاماً , يقول الرب { وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ..{6} سورة

التوبة } , وهل كلام الله الذي سمعه المشركون وغير المشركين , ذلك الكلام النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت القائم بذات الله هل يُسمَع ؟ ثم الحديث النفسي هل يُسمى كلاماً ؟ لا . تفرق السنة بين الكلام وبين حديث النفس , فالسنة تبين بأن الإنسان لو تكلم داخل صلاته بكلام له حرف وصوت في غير مصلحة الصلاة تبطل صلاته من ذلك حديث " إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ... " [أخرجه مسلم عن معاوية بن الحكم ﷺ برقم (537)] ؛ لكن لو تحدث في نفسه وهو في الصلاة فسافر إلى أفغانستان وشارك في الجهاد (في ذلك الوقت) ورجع وهو في الصلاة , هل تبطل صلاته ؟ لا . فرّق بين الكلام وبين حديث النفس , إذن القوم لم ثبتوا لله كلاماً , فليتوبوا إلى الله , نسأل الله أن يتوب علينا وعليهم . فالكلام كمال والسمع كمال والبصر كمال والعلو كمال , العلو كمال والسفول والتحتية نقص , الذين يقولون الله ليس في العلو . بل يُحرِّمون هذه الإشارة (رفع الإصبع إلى السماء) تحريماً , ونحن نشير عناداً لهم وتصديقاً لخبر الله {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء ..{16}سورة الملك } , وتأسياً برسول الله ﷺ في حجة الوداع " اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد " , هكذا فعل النبي ﷺ في خطبة يوم عرفه لهم يُشهد الله عليهم بأنهم شهدوا له بأنه بلَّغ ونصح [سبق تخريجه] , وهذه الإشارة الحسية عند الأشاعرة جريمة , وهذه الإشارة تنص بعض كتبهم أن من أشار هذه الإشارة الحسية معتقداً أن الله في العلو كافر وإن أشار دون اعتقاد لذلك فهو فاسق . ليت شعري هل سمعوا أو علموا موقف النبي ﷺ حتى حكموا عليه هذا الحكم أو أنهم لم يعلموا ؟ فنحمل القوم على الجهل إنهم لم يعلموا , ولو علموا فقالوا لكفروا ؛ لأنهم حكموا على النبي ﷺ بالكفر , لكن القوم جُهَّال لا يغرنك تلك الثرثرة والجعجعة , كلام ليس بعلم , العلم ما قال الله وقال رسوله ﷺ , أما قولهم قال الدسوقي قال البيجوري قال الهُدهُدي ليس بعلم , حكاية كلام الرجال ليس بعلم , إذن خيرٌ لهم أن نقول جهال فيُعذرون بجهلهم نشأوا في أماكن

بعيدة عن نور العلم , لم يسمعوا مثل هذا الكلام ولم يعلموا موقف رسول الله ﷺ فلنعذرهم بالجهل , أخشى نحن نعذرهم بالجهل ويغضبون يقولون تصفوننا بالجهل , فليغضبوا وهم معذورون .

وكل نقص في المخلوق يُنَزه , العمى نقص , أليس هو نقص في المخلوق ؟ عدم السمع نقص البكم نقص والخرس نقص , كل هذه المعاني نقص في المخلوق . الجهل نقص , حتى الجاهل لو قلتَ له يا جاهل غضب وهو جاهل - يجب أن تسكت عنه , تستره لا تقول له لا عالم ولا جاهل - ؛ لأن الجهل صفة نقص , وإذا قال المعتزلي إن الله لا يُوصَف بالعلم وَصَفَه بالجهل , كل نقص في المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه . قد تكون بعض الأشياء نقصاً في حق الله تعالى لاشتمال إثباتها على الحاجة وتكون هذه الأشياء كمالاً في المخلوق , الله لا يُوصف بأن له ولداً ولا والداً ولا صاحبة أو شريكاً أو معيناً أو وزيراً ؛ لأن هذه المعاني تدل على الحاجة وعدم الغنى , لكن هذه المعاني كمالٌ في المخلوق ؛ لأن المخلوق ناقص وهذه الأشياء تكمله . الملوك والرؤساء والزعماء لا بد أن يكون لهم وزراء ومعينون وعيون ؛ لذلك يُدركون حاجات الأمة حتى يقضوا حاجاتهم , لكن الله ﷻ ليس بحاجة إلى من يُخبره بأن عبداً من عبادك في المكان الفلاني في البيت الفلاني محتاج ؛ لأنه هو أعلم بحاجة العبد من العبد ذاته سبحانه ما أعظم شأنه ! لذلك يُقال فيمن يتخذون الوسطاء بينهم وبين ربهم يقولون نحن ملوثون ضِعاف لا بد أن يكون بيننا وبينه وسطاء , الصالحون يرفعون حاجاتنا إلى الله , وينفعوننا عند الله , اسأوا الظن بالله من حيث لا يشعرون , شبهوهم بالرؤساء الذين لا يعلمون حاجات الشعوب أو يعلمون ولا يقضون لهم الحاجة حتى يأتي أحد فيؤثر فيهم . من يتخذون الوسطاء من الأولياء والصالحين في زعمهم يشبهون الله سبحانه بالملوك والرؤساء فلينتبهوا وليوحدوا ربهم توحيداً كاملاً لا يجعلون بينه وبينهم واسطة ما , لا واسطة بينك وبين ربك , اعبد الله مباشرة تجأر باسمه مباشرة لا تجعل واسطة , الواسطة

في شيء واحد التبليغ , الأنبياء والرسل عليهم السلام وسطاء بين الله وبين الخلق في التبليغ , بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ليس لهم وظيفة بعد ذلك .

* « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن .. » / إنما أداة حصر وقصر تفيد أن المحرمات تنحصر في هذه الأشياء المذكورة في الآية وما عداها ليس بمحرم , ويُفهَم أن ما عدا هذه الفواحش من الطيبات ولا حرج فيه كما أفادته الآية التي قبلها من سورة الأعراف {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ .. {32}}هذا استنكار, إذن كما تفيده هذه الآية وغيرها وما أفادته والسنة .

* الفواحش : جمع فاحشة وهي الفعلة المتناهية في الفُحش شرعاً وعقلاً وعادة وفطرة , وخصها بعضهم بالمعاصي التي يأتيها الإنسان بشهوة ولذة لا المعاصي التي ليس فيها هذا المعنى ؛ لذلك خصها بالزنا واللواط وغيرهما من الفواحش الظاهرة , وهناك فواحش باطنة كالكِبر والعظمة والعجب وحب الرياسة , الكبر عند المتكبرين يتلذذ المتكبر بالكبرياء والعظمة ؛ لذلك مَن لا يُسلِم له في كبريائه وعظمته يغضب عليه ؛ لأنه يفقد لذة الكبرياء والعظمة و لذلك لا يستطيب الجلوس بين الفقراء والمتواضعين إلا إذا رفعوه , من هنا يظهر فيها معنى الشهوة واللذة , والعُجب فالإنسان الذي يعجب بنفسه ويرى نفسه أحسن من غيره فيه معنى الشهوة واللذة , وشهوة حب الرياسة قالوا أشد من شهوة البطن والفرج بكثير بدليل إن الإنسان مهما كان يحب الطعام والشراب لا يمكن أن يقتل ولده لكونه نافسه فيما يشتهيه من الطعام والشراب , لكن لو نافسه في الزعامة يقتله ولا يبالي لأجل الرياسة , هذه كلها آفة ومن الفواحش وهي تعتبر من الفواحش الباطنة ؛ لأنها لا تظهر لك أنها فاحشة مثل التي قبلها .

* الإثم : فسره بعضهم مطلق المعصية فيكون من باب التعميم بعد التخصيص , فيكون المراد منه ما دون الفاحشة , وقيل الإثم الخمر ؛ لأنها أم الخبائث من شرب الخمر إذا حدثته نفسه أن يقتل يتقل فيقع في الفواحش الظاهرة والباطنة لذلك هي أم الخبائث .

* البغي : التسلط على الناس إما على أنفسهم أو عرضهم أو على أموالهم .

* وأن تشركوا بالله : الشرك يكون في المحبة والخوف والرجاء والذبح والدعاء ونحو ذلك مما لا يكون إلا لله . تقدم تفصيل الكلام عن المحبة والخوف , وتقدم الفرق بين الدعاء والاستغاثة , فالاستغاثة هي دعاء المضطر , والدعاء هو الطلب العادي طلبك من الله النجاح والمغفرة والثبات هذا يسمى دعاء , والدعاء هو العبادة , فإذا قال النبي ﷺ " الدعاء هو العبادة " [أخرجه أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما (4 / 267) وأبو داوود برقم (1516) والترمذي برقم (3596) وابن ماجه برقم (3828) , صححه الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين برقم (1159) وصححه الألباني في صحيح أبي داوود برقم (1329)] , فما بال الاستغاثة ؟ الاستغاثة دعاء المضطر الذي فقد جميع الوسائل المادية إلا أن يجأر باسم الله ويلتجأ إليه , في هذه الحالة إذا نسي ربه وجأر باسم غيره ولجأ إلى غيره , اليوم يا سيدي فلان , انقطعت الأسباب . هذا هو الكفر البواح , إسلام الوجه لله وإخلاص القلب لله هو العبادة هو التوحيد هو الدين كله بحيث لا تلتفت إلى سواه بقلبك . وحرّم اتخاذ من دونه سبحانه أولياء يُشرِّعون من الدين ما لم يأذن به الله , التشريع في العبادة ما تقوم به المتصوفة , المتصوفة مشرعون في باب العبادة يأتون بعبادات مُحدَثة من عند أنفسهم تاركين العبادة المشروعة , أما في المعاملات في باب الجنايات وغير ذلك فهذا رجال التشريع ومجلس الأمة ومجلس الشعب والبرلمان فهؤلاء مشرعون مع الله تشريعاً عاماً إلا أنهم لا يعرفون العبادة ؛ لأنهم ليسو بعبَّاد , لا شأن لهم بالعبادة يُشرعون تشريعات عامة ويضعون العقوبات غير عقوبة الله التي في الكتاب , لا يصلح عندهم قطع اليد

هذا تشويه في المجتمع , ولا يجوز القصاص ؛ لأنه اعتداء على حق الإنسان , العقوبات تتحول إلى السجون وإلى العقوبات المادية والأعمال الشاقة , هذا ما يعرفه مجلس الشعب , مجلس الشعب لا يؤمن بالقصاص وقطع اليد , وفرش الظهور إهانة بشرية . يحبون البشر كثير ! . هذا كفر بالله ومنازعة لله في التشريع ؛ لذلك ننبه إن بعض المنخدعين من الذين كانوا ينتسبون إلى السلفية ذهبوا إلى بعض الجهات وانخدعوا وأفتوا للناس بجواز المشاركة في البرلمان ومجلس الشعب , معناه يفتون جواز منازعة الله في التشريع والكفر بشرع الله و الإتيان بشريعة جديدة من عند مجلس الشعب , هذا أمر خطير يا شباب , يقع فيه الآن كثير ممن كانوا يعزون علينا , ولكن قد انخدعوا وزُيِّن لهم هذا المعنى , قالوا إذا لم نشارك في البرلمان ومجلس الشعب نبقى هكذا معزولين عن الناس , تعالوا ندخل على المدى البعيد نصل للحكم , وإذا وصلنا للحكم حكمنا بشريعة الله , أي تعالوا نكفر كفراً مؤقتاً , ما الذي أدراكم أن غيركم هم الذين ينقرضون وأنتم تبقون حتى تؤمنوا بعد ذلك وتحكموا بشريعة الله ؟! افرضوا أنكم هلكتم وبقي غيركم يحكم بغير شريعة الله , فماذا استفدتم إلا الكفر . – مسألة خطيرة للغاية ينبغي أن ينتبه الإنسان لنفسه – فالذين يؤمنون بالتشريع والمشرعين كالذين عبدوا الرهبان والأحبار , عبادتهم ليس الصلاة والسجود لهم , لكن طاعتهم في التحليل والتحريم وهذا هو الذي يقوم به مجلس الشعب , مجالس الشعب في كل بلد الآن (البرلمان) إنما يقومون بما قام به الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى وهو التشريع (التحليل والتحريم) .

وأن تشركوا بالله : هذه الجملة معطوفة على الجمل السابقة , أي إنما حرم الله سبحانه أن تعبدوا معه غيره وتتقربوا إلى غيره بأي نوع من العبادات كما حرّم الشرك والإثم والظلم حرّم الإشراك به . والإشراك به أنواع : إشراك بالله بأن يتقرب العبد بالقربات وبعض أنواع العبادات إلى غير الله من المخلوقات والجمادات وغيرها , وإشراك بالله في

التشريع كأن يتّبع شريعة غير شريعة الله ويتخذ أولئك المشرعين الذين يُشرِّعون شرعاً غير شرع الله يتخذهم أرباباً من دون الله , هذا بالإجمال يمكن تقسيم الإشراك بالله إلى هذين النوعين .

الدعاء : معلوم لدى الجميع , دعاء غير الله شرك أكبر ؛ لأن النبي ﷺ حصر العبادة في الدعاء " الدعاء هو العبادة " [سبق تخريجه] , لو فهم الإنسان هذه الجملة وفهم هذا القصر والحصر " الدعاء هو العبادة " , فجميع ما يتقرب به العبد إلى الله من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك راجع للدعاء ؛ لأن الدعاء معناه الطلب , وأنتَ لم تصلِ ولم تزكِ ولم تحج ولم تجتهد ولم تطلب العلم ولم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر إلا وأنتَ طالب من الله رضاه ورحمته وجنته , إذن أنتَ طالب , فحصر العبادة في الدعاء , على هذا الدعاء سواء كان دعاء عبادة أو دعاء مسألة وطلب كطلب المغفرة وطلب النجاح وطلب النجاة وطلب النصر أو أي نوع من أنواع العبادات كله دعاء لا يجوز صرفه لغير الله .

النذر: أن يُلزِم الإنسان نفسه عبادة غير واجبة , تلزم نفسك بالصلاة وبالصيام وبالصدقة , النذر عبادة فذه لا مثيل لها , بمعنى لم يحث الشارع على النذر , رغب عن النذر" والنذر لا يأتِ بخير" [أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (6692) ومسلم برقم (1639)] , لا يقدم ولا يؤخر ؛ ولكن شيء يُخرِج الله به من يد البخيل , البخيل الذي لا يريد أن يتصدق , وإذا ضاقت به الحال قال عليَّ كذا إن شُفيَ مريضي , ما كان يريد أن يتصدق بهذا المبلغ وبهذا المال إلا عند الضيق ؛ لذلك الشرع لم يحث على النذر ولا ينبغي الإكثار من النذر , ولكن إذا التزمت وجب الوفاء " من نذر أن يُطع الله فليطعه .. " [أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها برقم (6696)], قبل أن تلتزم لا تُلزم نفسك ابتعد عن النذر , لكن إذا وقعتَ جرياً

على العادة المتبعة عند العوام عند الضيق يبادرون إلى النذر , إن وقعتَ في ذلك فعليك بالوفاء إن كان النذر بالطاعة .

الذبح : ليس كل ذبح عبادة , المراد بالذبح الذي يكون شركاً ذبحٌ يُذبح للتقرب , أما لو ذبحتَ لضيفك لتطعمه أو ذبحتَ لتبيع اللحم , ليس هذا هو الغرض تذبح لأهلك وأولادك لا , إنما الذبيحة التي تُذبح تقرباً إلى الله كالأضحية والهدايا والعقيقة هذه ذبائح للعبادة . لو قدمتَ لغيرك تتقرب إلى شيخ إلى ضريح إلى جني , تذبح ذبيحة للتقرب لغير الله , هذا شرك أكبر كأنك صليتَ له , لا فرق بين هذه الأنواع , وإن كان جمهور المسلمين لا يعرفون من العبادة إلا الصلاة والصيام والحج وهذه كلها من أنواع العبادات .

الخوف : كما تقدم ينقسم إلى قسمين خوف طبيعي ليس من العبادة في شيء , إذا خفتَ من إنسان أو من سبع أومن أسد أو من نار خوفاً طبيعياً , أي الشيء الذي يضرك بما جعل الله فيه من القوة , كأن يطعنك يضربك يأكلك ليس هذا من الشرك في شيء , إذن أي خوف هو خوف الشرك هو خوف السر, أما خوف السر فشبابنا الذين نشأوا على الفطرة لا يعرفونه بحمد الله , لكن عليهم أن يعرفوا من باب:

عرفتُ الشر لا للشر ولكن لأتقيه   من لم يعرف الشر من الخير وقع فيه   [منصور بن الفقيه]

خوف السر يعرفه أتباع الصوفية أتباع مشايخ الطرق الذين يخافون منهم غياباً أو حضوراً , إذا جلس المريد بين يدي الشيخ كجلسة الكلب بين يدي سيده يخاف أن يضع يده على صدره خوفاً من أن يطلع الشيخ على ما في ضميره فيضره هذا كفر بالله , اعتقاد أن هذا الشيخ المعَمم يعرف ما في نفسه وما في ضمير مريده وأنه مستعد أن يضره يسلب علمه يسلب إيمانه يموت على سوء الخاتمة , إن لم يكن هذا كفراً فأين الكفر؟ ! .

العبد يجب أن يكون قلبه لله وحده لا يلتفت إلى غير الله بقلبه رجاءً ورغبة ورهبة وخوفاً ومحبة وخضوعاً , كل ذلك يجب أن يكون لله ويسلم وجهه لله ويُلجأ ظهره لله لا إلى غيره . والذي يُشرع هو الله ولو اتبعت الذين يُشرعون التشريعات اتخذتَ أولئك أرباباً من دون الله , وهذا الذي يقع فيه كثير من المسلمين اليوم وهم يجهلون حكم ذلك فيما يسمى مجلس الشعب ويسمون بالبرلمان , ما يُفعل داخل ذلك المبنى من التشريعات كفر بالله واتخاذ لرجال التشريع أنداداً من دون الله , وتسمية بني آدم برجال التشريع نفسه جريمة , لا يوجد في الإسلام رجال التشريع , في الإسلام يوجد رجال التنفيذ , الحكام المسلمون إن كانوا مسلمين حقاً فليعتبروا أنفسهم أنهم للتنفيذ لا للتشريع , التشريع لله وحده لا أحد يُشرع غير الله والحكام دورهم التنفيذ , سلطة تنفيذية فقط لا سلطة تشريعية , هذا التشريع يشمل تشريع في العبادات وتشريع في المعاملات , أما رجال التشريع المعروفون في باب السياسة اليوم الذين يجلسون في مجلس الشعب وغيره هؤلاءِ يُشرعون في المعاملات والأحكام والجنايات والحدود هذا دورهم , لكن من الذين يُشرعون في العبادات مشايخ الطرق المبتدَعة الذين يُشرعون لأتباعهم عبادات ما أنزل الله بها من سلطان , الذين شرعوا الاحتفال بليلة النصف من شعبان , هذا تشريع جديد في العبادة , وشرعوا أن يصوموا يوم الخامس عشر من شعبان ثم يحتفلون بالليل واعتقدوا أن ذلك يزيد في العمر . وقس على ذلك جميع العبادات المبتدعة يُعتبَر تشريعاً جديداً من المشرعين الصوفيين ومن يدورون في فلكهم . والأحبار والرهبان الذين اعتبر الإسلام أن اليهود والنصارى عبدوهم لم يسجدوا لهم ولم يركعوا , ولكن حرموا وحللوا فاتبعوهم في ذلك , حيث اتخذوهم أرباباً من دون الله في التشريع فأحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله واتبعوهم في ذلك , ليس بلازم تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله لا , لو شرعوا تشريعاً لم يأذن به الله كأن يُلزِموا الناس بالحدود الوضعية التي تُلغي الحدود الشريعة , إذا قالوا لا يصلح في هذا الوقت إقامة الحدود على

ما في الكتاب والسنة من القصاص وقطع اليد وضرب الظهور , وإنما في هذا الوقت المتطور المتنور يجب أن تتحول العقوبات إلى السجون والأعمال الشاقة والغرامات المالية , هل الأعمال الشاقة تليق بهؤلاء المتطورين المتنورين ؟ الواحد يعمل والقيد في رجليه يحمل الحجر ويشتغل في الشمس مُتعَب هيئته يُرثى لها , هذا يليق ! يعني ما كان منهم يُستحسَن ولو كان فيه تعذيب وما كان من الله غير مستحسن , كفر بالله .

* ما لم ينزل به سلطانا : هذا القيد لا مفهوم له , ليس المفهوم أن هناك ما لهم به سلطان وبرهان ودليل وإنما لبيان أن الواقع هكذا , فإن كل ما عُبِد من الجمادات أو من عُبِد من غير الجمادات فقد عُبِد من دون الله بلا سلطان وبلا برهان وبلا حجة , فكل هؤلاء طواغيت ؛ لأن الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

* وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون : كنفي الصفات ووصف الله بما لم يصف به نفسه وتحريف القرآن وتحريف النصوص , حتى التشريع داخل في القول على الله بغير علم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين [(1 / 31)] : (الموقعون عن الله هم العلماء الذين يوقعون عن الله بأن يقولوا هذا حلال وهذا حرام , من قال في الدين هذا حلال وهذا حرام, هذه سنة وهذه بدعة , هذا شرك وهذا توحيد , وقَّع عن الله ؛ لأنه يخبر عن الله ولأن الله هو الذي يبين هذا ولو قال الإنسان كل ذلك بغير علم قال على الله بغير علم ؛ لذلك هذا الكتاب العظيم سماه الشيخ بهذا الاسم) قال : وقد حرَّم الله القول بغير علم في الفتيا (تريد تفتي للناس يجب أن تتحفظ , يستفتيك مستفتٍ , فتقول ما مذهبك أولا ؟ إن كنتَ حنبلياً هذا جائز , إن كنتَ حنفياً لا , إن كنتَ شافعياً مكروه , إن كنتَ مالكياً كذا , يوزع الأحكام على المذاهب الأربعة , ما أشنع وأقبح هذا الموقف ! هذا موقف طالب علم لا يراقب الله ,

الأحكام الشرعية لا تختلف باختلاف المذاهب , الفقهاء الأربعة وأتباعهم إنما اختلفوا في الفروع لا قصداً للاختلاف , ولكن اجتهدوا فهداهم اجتهادهم إلى أن يختلفوا في بعض المسائل الفقهية الفرعية . أما كونك تجعل ذلك سلماً لتفريق الناس وللتلاعب بالأحكام حتى تجعل الحكم الواحد محرماً وحلالاً ومكروهاً في آن واحد , هذا لا يجوز أبداً , مثلاً استفتاك مستفتٍ عن صلاة ركعتين بعد آذان المغرب وقبل الإقامة وأنتَ جالس في المسجد غير تحية المسجد , ماذا تقول له ؟ إن كنتَ مالكياً أو حنفياً لا تصلِ مكروه , إن كنتَ حنبلياً أو شافعياً سنة اختيارية غير مؤكدة , هل يجوز هذا ؟ هل يُستحسن عقلاً أن تقول هذا الكلام ؟ الصحيح المسألة خلافية , لكن أنتَ بصفتك طالب علم ارجع إلى الدليل . ما هو الراجح عندك ؟ تفتي له بما هو راجح عندك تقول : المسألة خلافية ، لكن الأدلة دلت على أن هذه سنة ولا يجوز اعتقاد أنها مكروه , القول بأن الركعتين مكروه قول ضعيف مرجوح , القول الصحيح أنها سنة اختيارية غير مؤكدة ثابتة بالقول والإقرار " كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أذن المغرب يتبادرون السواري ليصلوا ركعتين قبل الإقامة " [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (503) ومسلم برقم (837)] , فأقرهم النبي ﷺ على ذلك فقال النبي ﷺ " صلوا قبل المغرب ركعتين ثلاث مرات ثم قال لمن شاء " [أخرجه البخاري عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه برقم (624) ومسلم برقم (838)] , دلالة على أنها سنة اختيارية غير مؤكدة , هذا من باب المثال والأمثلة كثيرة جداً لأولئك الذين يُعرِضون عن السنة ويريدوا أن يُرضُوا المستفتي حسب هواه , تُرضِي مخلوقاً لطلب رضاه وتنسى ربك الذي يراك من فوقك ويسمع كلامك , اتق الله) والقضاء (الفرق بين القضاء والفتيا , القاضي يحكم ويُلزم , المفتي لا كحالتنا يقول الحكم كذا لا يستطيع أن يُلزِمك إنما القاضي له سلطة يُلزم إلزام) وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها (حيث تدرجت الآية في التحريم من الأدنى إلى الأعلى) قال تعالى " قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر

منها وما بطن والإثم .. " فرتب المحرمات أربع مراتب , وبدأ بأسهلها وهو الفواحش (تشمل الصغائر) , وثنى بما هو أشد تحريماً منه (من الفواحش) وهو الإثم والبغي , ثم ثلث بما هو أشد تحريماً منها , وهو الشرك بالله سبحانه (سواء كان الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر) ثم ربَّع بما هو أعظم تحريماً من ذلك كله , وهو القول على الله بلا علم (لأن القول على الله بلا علم فيه الشرك والإلحاد والتحريف والتعطيل والتشبيه , شامل , هذا هو السر أن القول على الله بلا علم أعظم من الشرك ؛ لأنه يشمل الشرك وما غير الشرك من أنواع القول على الله) وهذا يعم القول على الله سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته (بالتحريف بالتعطيل بالتشبيه بالإلحاد) وفي أفعاله وفي دينه وشرعه . (كالتشريع الذي تحدثنا عنه , كل ذلك داخل في هذا) . نوصي طلبة العلم بالاطلاع على هذا الكتاب خصوصاً الطلاب الذين يدرسون في المرحلة الجامعية ينبغي أن يكون لديهم هذا الكتاب والاطلاع والازدياد من العلم فيه , فيه علم غزير .(ما بين القوسين في كلام ابن القيم تعليق من كلام الشيخ الجامي) .

إثبات استواء الله على عرشه :

قَوْلُهُ{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } فِي [سَبْعَةِ]} { مَوَاضِعَ: [فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ؛ قَوْلُهُ: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ. عَلَيْهِ السَّلاَمُ.: { إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: { اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ } وَقَالَ فِي سُورَةِ آلم السَّجْدَةِ: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } .

قال الشيخ رحمه الله في مبحث خاص وعظيم وخطير جداً وهو مبحث علو الله على خلقه ومبحث استواء الله على خلقه :

* « الرحمن على العرش استوى » / هما صفتان صفة ذاتية وصفة فعلية , استواء الله على العرش صفة فعلية ؛ لأنها تجددت وكل فعل تجدد بمشيئة الله تعالى كالاستواء والمجيء والنزول يقال لهذا الصفات الفعلية ولا يُقال في هذه الصفات أنها قديمة , بل متجددة تتجدد حسب إرادة الرب سبحانه بمشيئته وحكمته , ولا يقال أنها مخلوقة ولكنها مُحدَثة . والإحداث نوعان : إحداث خلق واختراع هذا الذي يخص المخلوقات , وإحداث إيجاد كالكلام بالتكلم وبالاستواء وبالنزول , لا يقال في هذا مخلوق , لكن لو قيل متجدد لجاز ذلك ؛ لأن القرآن نفسَه وغير القرآن من كلام الله تجدد , فالله تكلم في أوقات مختلفة خاطب نوحاً في شأن ابنه وكلم موسى تكليما وخاطب محمداً خاتم رسله وإمام رسله وإمام أنبيائه , حصل هذا الكلام وتجدد في أوقات مختلفة . ومن المكابرة وخلاف الواقع القول بأن هذا القرآن المتلو قديم , ومن الكفر أن يقال أنه مخلوق كأي خلق من خلق الله كما قالت المعتزلة ووافقت الأشاعرة ؛ ولكن يقال كلام تكلم الله به ويتكلم الرب إذا شاء وكيف شاء يتكلم لا أحد يعترض عليه , وسلفنا لم يبحثوا هذه المسألة هكذا وصلتنا وبلغتنا أن الله تكلم بهذا القرآن وبغير هذا القرآن من كلامه ؛ لأن كلام الله لا نهاية , لأنه صفة كمال , وكماله لا نهاية وكذلك هذه الصفات والأفعال التي أخبر الله عنها كالاستواء على العرش والمجيء يوم القيامة أو ما أخبر عنه النبي ﷺ كنزول الرب آخر كل ليلة , كل ذلك صفات فعلية تتجدد على حسب مشيئة الرب سبحانه , فلنعلم هذه الحقيقة لئلا يلتبس علينا الأمر. أما العلو : علو الرب

سبحانه فوق جميع مخلوقاته فصفة ذاتية , بمعنى لم يزل الله سبحانه في علوه كان الله ولا شيء غيره كان الله ولا شيء معه , هو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء .. , خلق هذا الكون بعد أن لم يكن شيء من المخلوقات . هل أول المخلوقات العرش والماء الذي تحت العرش أو القلم ؟ خلافٌ لفظي لا يضر , لكن الشيء الذي يجب أن نعلم أن هذه المخلوقات بما في ذلك عرش الرحمن خُلِقت هذه الأشياء بعد أن لم تكن , إذا تصورنا هذا التصور وعلمنا هذا العلم يكفي هذا المقدار ولم يبقَ إلا البحث عن كيفية ذاته . كيف كان قبل أن يخلق المخلوقات ؟ وكيف كان بعد أن خلق المخلوقات ؟ وكيف استوائه ؟ وكيف نزوله ؟ وكيف مجيئه ؟ البحث عن الحقيقة والكيفية الكُنه بحث عن سر من أسرار الرب في هذا الباب الخطير , ولا يجوز لعاقل أن يتعرض لهذا الموقف الخطير؛ لأن المخلوق مهما أوتي من العلم لا يحيط بالخالق , الخالق وحده هو الذي يحيط بالمخلوق ونحن لا نحيط بالله علما أبداً , ومن يبحث بكيف عن حقيقة ذات الرب وحقيقة صفاته ثم يبحث بلمَ ولماذا عن أسرار القضاء والقدر , هذه كلها تؤدي إلى الهلاك . عليك أن تُسلم لله لتسلم , لا يسلم في هذين البابين إلا من سلَّم لله سبحانه وتعالى وسلَّم لرسوله ﷺ واكتفى بالمعرفة الإجمالية وأعرض عن محاولة المعرفة التفصيلية في المطالب الإلهية تماماً . والله سبحانه أخبر في هذه المواضع باستوائه على العرش في سبع آيات وهي قطعية الثبوت عند أهل السنة , بل حتى عند الأشاعرة إلا من تجهم ومشى مع الجهمية ؛ لأن الأشاعرة منهم من تأثر كثيراً بالجهمية وتجهم وأساء الظن حتى بالقرآن حيث زعموا إن الأدلة اللفظية وإن كانت من القرآن غير قطعية , وإنما الدليل القطعي الدليل العقلي , ولكن بعض الأشاعرة يرون إن القرآن حيث إنه متواتر قطعي , بل يرى بعضهم إن الأحاديث المتواترة قطعية الدلالة , ولكن الأصل عند أهل الكلام جميع الأدلة اللفظية من الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة قطعية الثبوت ظنية الدلالة , يعني القرآن قطعي الثبوت لا شك فيه , الأحاديث القدسية قطعية

الثبوت , لكنها ظنية الدلالة . وهذا خطأ بل حتى أحاديث الآحاد ما صح عن رسول الله ﷺ قطعي الدلالة عند السلف لا يُفرِّقون بين المتواتر والآحاد , المدار عندهم على الصحة ؛ لذلك كان رسول الله ﷺ يبعث البعوث من رسله فراداً , يبعث شخصا واحداً ويحمل إلى الملوك أفراداً [الرسالة للشافعي ص (401 - 419)] ولو كان أصل الإسلام التوحيد لا يثبت إلا بالمتواتر لما اكتفى بذلك ؛ لذلك الذي تدل عليه الأوضاع المتَبَعة العملية في النبي ﷺ والصحابة والسلف الصالح تقسيم النصوص نصوص السنة إلى متواتر وآحاد وتصنيف ذلك ما يصح الاستدلال في الأصول وما لا يصح واعتبار الآيات القرآنية قطعية الثبوت ظنية الدلالة , كل ذلك من مُحدثات العهد العباسي , وقبل ذلك الناس ما تعرف هذا . يُطلق على كل معطل جهمي وإن لم يكن من أتباع الجهم بن صفوان , وبما في ذلك الأشاعرة الذين هم أقرب الناس إلى الخط .

وللسلف في تفسير الاستواء أربع عبارات كلها بمعنى واحد هي : الاستقرار والعلو والارتفاع والصعود [شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (3 / 397)] .

والجهمية لا يعرفون شيء من القرآن خصوصاً أتباع جهم بن صفوان , فهم من أبعد الناس عن القرآن وأهله والسنة وأهلها .

وأهل التعطيل يُورِدون اللوازم الفاسدة على تقرير الاستواء كقولهم إذا قلنا هو مستوي على عرشه , المستوي على الشيء لا يخلو إما أن يكون أكبر من المستوى عليه أو أصغر أو مساوياً وهذه من أعراض البشر , ولازم ذلك نفي الاستواء . فنقول لهم خصوصاً إذا كان أشعري نقول له تعال : هل تُثبت لله سبحانه السمع ؟ يقول نعم . نقول له ما الذي يلزم من السمع والبصر , هل لوازم السمع والبصر في البشر تُلزِم بها الله ؟ الجواب لا . إذن لوازم صفات المخلوق لا تلزم صفات الخالق وإن اتحدت الصفات في اللفظ , لدينا صفات كالكلام والحياة والسمع والبصر والقدرة والإرادة , لله هذه الصفات وللمخلوق هذه الصفات . وهل صفات الله يلزمها لوازم صفات المخلوق

؟ لا , كذلك الاستواء , لكنهم بالنسبة للكلام تهربوا قالوا نحن لا نُثبت لله كلاماً لفظياً ؛ لئلا تلزم تلك اللوازم التي فررنا منها في الاستواء . عرفتم السر لماذا نفت الأشاعرة الكلام اللفظي ؟ في زعمهم لو أثبتوا لله الكلام اللفظي يلزمهم أن يُثبتوا لله مخارج الحروف . التنزيه عندهم نفي الكلام اللفظي وإثبات الكلام النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت علماً بأن هذا ليس بكلام وإنما هو حديث نفس . والسنة فرقت بين الكلام وحديث النفس كما تقدم , وهذا جهل منهم للسنة بل للغة بل مخالفة للفطرة .

قياس الخالق على المخلوق باطل بأي وجه من الوجوه وإلزام صفات الله لوازم صفات المخلوق باطل , ثم علمنا مخلوقات تكلمت في هذه الدنيا ليس في الآخرة فقط , لا أقول مخلوقات , بل جمادات تكلمت بغير مخارج الحروف كما ثبت للنبي ﷺ " إني لأعلم حجراً كان يُسلم عليَّ , وفي لفظ بمكة " [سبق تخريجه] . من يثبت للحجر مخارج للحروف , فم ولسان وشفتين , كيف تكلم هل تكلم ؟ إن قلتم ما تكلم كذبتم الرسول ﷺ بعد العلم , إن لم تعلموا تعلّموا خير لكم , هذا جهل خير من علم , لكن إن علمتم فأنكرتم تكفرون , من عَلِمَ لا يسعه إلا التسليم . فهذه قاعدة مهمة (لوازم صفات المخلوق لا تلزم صفات الخالق) , وهذه القاعدة ليست في الاستواء فقط , بل في جميع الصفات , فلا نكيف لو كيفنا قلنا فوقيته على العرش كفوقية المخلوق على المخلوق , تلزمنا هذه اللوازم ولكن لو قلنا استواء يليق به وإذا قلنا كما قال الإمام مالك رحمه الله :الاستواء معلوم (من حيث المعنى), والكيف مجهول , لا تلزمنا هذه اللوازم .

والتأويل المذموم الفاسد هو التأويل الذي بمعنى التحريف , وهو تأويل علماء الكلام تأويل المتأخرين , وإلا التأويل قد يأتي بمعنى التفسير الإيضاح والبيان في اصطلاح المفسرين , ويأتي التأويل بمعنى حقيقة الكلام الذي يؤول إليه الكلام , ليس كليهما مراداً هنا , وإنما التأويل المذموم الذي بمعنى التحريف كتحريفهم الكلمة (

استوى) بمعنى استولى أو بالهيمنة وبالملك أو بالسلطان كما سيأتي , هذا التأويل يدل على حيرتهم واضطرابهم . وكل من التمس الهدى بغير الكتاب والسنة لا بد أن تستولي عليه الحيرة ولا بد أن يضطرب في عقيدته , ومن عاشر الأشاعرة المعاصرة يُدرك ما يعيشون فيه من الحيرة ليسوا في يقين من عقيدتهم أبداً كما صرَّح بذلك كبار علماء الأشاعرة الذين أنهوا جُلَّ أعمارهم في علم الكلام وفي النهاية ندموا وبكوا كأبي المعالي إمام الحرمين عبد الملك ووالده والغزالي والشهرستاني والرازي , هؤلاء كبار أئمة وشيوخ الأشاعرة بعد أن رجع شيخهم وإمامهم قبلهم إلى مذهب السلف أبو الحسن الأشعري في كتاب ألفه في آخر حياته وصرح فيه رجوعه إلى منهج السلف , أي ما كان عليه المسلمون الأولون , رجع هؤلاء فندموا , وألَّف الإمام الغزالي المعروف كتيباً سماه (إلجام العوام عن علم الكلام) . وصرحوا بأنهم قضوا أعمارهم في حيرة واضطراب ولم يصلوا إلى يقين . وقد يدخل تلميذ على هؤلاء الكبار في الصباح الباكر ليدرس عليه ويقول الشيخ لتلميذه هل أنتَ على يقين بأن الله موجود ؟ فيقول الطالب نعم . فيقول الشيخ احمد ربك , والشيخ ليس على يقين في وجود الله , فكيف يكون المرء على يقين في وجود الله إذا كان يقول إن الله في كل مكان , من يقول إن الله في كل مكان لم يعرف ربه , إنما يعرف ربه الذي يعتقد ما وصف الله به نفسه بأنه في العلو فوق جميع المخلوقات . إذا قلتَ هو في كل مكان أنتَ بين أحد أمرين : إما أن تعتقد بأن الله جسمٌ لطيفٌ كالهواء لا يُرى أو تعتقد بأن الله اتحد في خلقه كما تقول أهل وحدة الوجود كابن عربي وابن الفارض , لابد من أحد أمرين وكلاهما خطأ وكفر . إذن ما هو الإيمان ؟ أن تعتقد ما أخبر الله عن نفسه وأخبر عنه رسوله الأمين . قال ﷺ " إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب وهو عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي أو غلبت غضبي " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ برقم (7554) ومسلم برقم (2751)] . يجب أن يعتقد كل مسلم بأن الله يُدعى من فوق , اعتقاد بأن الله في العلو

بالفطرة والعقل السليم وبنص الكتاب والسنة وبإجماع السلف . لو سُئِل أي مسلم متعلم أو غير متعلم عربياً أو أعجمياً , لو سُئل وهو لم يجلس إلى أشعري قيل له أين الله ؟ يقول بدون تردد وتوقف في السماء , حصل هذا في عهد النبي ﷺ في سؤال جارية عامية جاهلة راعية غنم , ترعى غنم أهلها عند جبل أحد , حدث ما حدث فلطمها مولاها ثم ندم واستشار النبي ﷺ في عتقها فدعاها النبي ﷺ ؛ ليتأكد من إيمانها , ولما حضرتَ بين يديه ﷺ " قال لها أين الله ؟ قالت في السماء , وقال لها من أنا ؟ قالت أنت رسول الله . قال لمولاها أعتقها فإنها مؤمنة " [أخرجه مسلم عن معاويه بن الحكم السلمي رضي الله عنه برقم (33)] . في هذه الأيام وقعت واقعتين عندما سَمِعَ شاب هذه القصة ذهب الشاب إلى والدته الجاهلة ربة البيت غير متعلمة سبقت مدارس تعليم البنات , قال لها أين الله ؟ قالت في السماء , وله أخ دكتور أشعري ذهب إليه قال يا أخي أين الله ؟ قال في كل مكان . قارن بين عقيدة الفطرة وعقيدة الدكتور– بئست الدكترة – إن كانت تصل بالإنسان إلى أن يجهل الله . وشاب آخر سأل والدته نفس السؤال : قالت في السماء , قال لها ماذا تقولين فيمن يقول في كل مكان ليس في السماء ؟ قالت يُضرب بالأحذية . صدقت شهادة تشبه شهادة الإمام الشافعي رحمه الله على أهل الكلام , انظروا الفطرة , الإمام الشافعي يقول (حكمي في أهل الكلام أن يُحملوا على الحمر الأهلية ويُطاف بهم في العشائر والقبائل ويُضربوا بالنعال والجريد , ويقال هذا جزاء من ترك كتاب الله واشتغل بعلم الكلام) . من هنا تعلمون أن ما يريد أن يروجه بعض الناس الآن علم الكلام هو التوحيد خطأ محض , علم الكلام ليس بتوحيد , توحيد الله إفراد الله تعالى بعبادته وإفراده في أسمائه وصفاته بعد إفراده في ربوبيته . أما علم الكلام اصطلاح جديد نشأ في عهد العباسيين , المسلمون قبل العهد العباسي لا يعلمون علم الكلام , عبارة عن اصطلاحات جديدة وضعها الفلاسفة اليونانيون ووافقهم على ذلك الفلاسفة الإسلاميون علماء المنطق . ما الفرق بين

الفلاسفة اليونانيين والإسلاميين ؟ اختلافهم في الجنسية فقط والعقيدة هي هي , أرسطو وابن سينا لا فرق بينهما إلا في الجنسية , والعقيدة واحدة هذا علم الكلام .
قال بعض أهل العلم (ولو وقف إنسانٌ عقاراً أو داراً , قال وقف على العلماء لا يستحق أهل الكلام) ؛ لأنهم ليسوا بعلماء يقال لهم أهل الكلام ولا يقال لهم علماء إلا في اللغة ؛ لأنه علم , نوعٌ من المعرفة لكن العلم المتصل بالوحي هو المراد . الشاهد هؤلاء هم الذين حرفوا نصوص الصفات .

فسر أهل التعطيل (على) في قوله { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى{5}سورة طه } بمعنى (إلى) , تفسير (على) بـ(إلى) هذا لغة جائز, ولكن محاولتهم تؤدي إلى عدم اعتقاد العلو , إذا قلتَ استوى إلى كذا بمعنى القصد , واستوى على كذا بمعنى العلو . الذي فرَّق بين المعنيين حرف الجر, والفعل واحد . محاولتهم أن (على) بمعنى (إلى) واستوى بمعنى قصد تحريف آخر , ومحاولة فاشلة إذ لا دليل على ذلك .

زاهد الكوثري من كبار علماء الكلام وهو ماتوريدي وهو من شدة تعصبه لعلم الكلام يكره علماء السنة والسنة وعلماء العقيدة ويعاديهم , وأكثر عدائه مع الإمام الشافعي رحمه الله و السر في الحكم الذي سمعتم , لما سمع الكوثري حكم الإمام الشافعي في علماء الكلام حمل حمله عنيفة وخرج من آداب المناقشة إلى النيل من لغته , بل في نسبه (رمتني بدائها وأنسلت) [قائلة هذا المثل رهم بنت الخزرج عندما عايرتها ضرائرها بما هو فيهن], إمام مُطلبي لغوي , ولكنه لم يستطع أن يهضم لغة الإمام الشافعي في الرسالة (كتاب للشافعي) لغة قوية لا يفهمهما ولا يهضمها إلا أهل العلم و أهل اللغة , لما عجز الرجل – وهو تركي – مِن فهم لغة الإمام الشافعي رماه بعدم فهمه للغة – عجب لهذا التصرف – لو وقف عند مناقشته العلمية لهان الأمر , ولكنه من شدة تعصبه تجاوز الحد . الكوثري ليس بمعتزلي ولكنه ماتوريدي والماتوريدية كالأشعرية يثبتون بعض الصفات , وهم أخف تجهماً من المعتزلة , فالحقائق لا تتغير

واللغة ثابتة ونصوص الكتاب والسنة منقولة من قبل ونحن نسير على فهم السلف الصالح , الذين يخالفون فهم السلف ويحاولون أن يأتوا بجديد يخسرون ؛ لأن الخير كل الخير ينحصر في مفهوم السلف الصالح ؛ لأن الرسول شهد لهم بالخيرية " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... " [سبق تخريجه] , ومن يُخطِّئ السلف وأتباع السلف ويحاول أن يأتي بمفهوم جديد فهو مخطئ .

إذا كان المعطلة يريدون أن ينفوا علو الله , ماذا يريدون أن يقولوا ؟ القوم يقولون في كتب مقررة الآن على كثير من شبابنا في كثير من الأقطار يصرحون فيقولون ليس الله فوق العرش ولا تحت العرش ولا عن يمينه ولا عن يساره , أين إذن ؟ أين الله ؟ نفوا وجود الله , هذا الكلام موجود في متن العقيدة السنوسية التي شرحها إبراهيم البيجوري , كتاب مقرر في المعاهد الدينية التابعة للأزهر وفروع الأزهر , والشيخ الشارح الهراس من الذين درسوا هذه العقيدة وتخصص فيها ثم هداه الله وتاب وبيَّن ما عليه القوم ؛ لذلك كثيراً ما ينفعل عندما يتحدث عنهم ؛ لأنه اكتوى بنارهم ثم عافاه الله . هذا الذي يريدون أن يقولوا ويصرحون به , بل إن القوم يبالغون أكثر من هذا لا يجيزون الإشارة الحسية إلى السماء , عند الأشاعرة نحن لا نتحدث عن الموتى نتحدث عن الأحياء وعن العقيدة الموجودة الآن التي تُدرس نقلاً عن كتبهم , يقولون لا تجوز الإشارة الحسية إلى السماء , بل بعضهم يبالغ ويقول من أشار هكذا إلى السماء عند تلاوة قوله تعالى {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء..{16}سورة الملك } , يجب أن تُقطع تلك الإصبع , حكموا بقطع الإصبع على مَن مِن حيث لا يشعرون ؟ على رسول الله ﷺ , ليس في هذا مبالغة أول من أشار هذه الإشارة هو رسول الله ﷺ , متى ؟ في حجة الوداع في عشية يوم عرفه يوم الجمعة في وادي عرنه , فما موقفهم من هذا الحديث , ماذا يعتذرون ؟ أنا أعتذر لهم أعتذر لهم بالجهل , أرجو أن يقبلوا هذا الجهل , هذا الجهل خير لهم من العلم ؛ لأنهم لو قالوا ذلك مع العلم يكفرون , لكن من باب حسن الظن وحمل

كلامهم على أحسن المحامل أنهم لم يطلعوا على هذا الحديث وأمثاله , إذا كانوا هناك في ذلك الجو في تلك البيئة أنكروا هذا الإنكار وقالوا هذا القول يعذرون حتى يقيض الله لهم من يفقههم في دينهم وإن درسوا ما درسوا لن يتفقهوا في الدين " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " [سبق تخريجه], ما معناه ؟ يرزقه الفهم الصحيح في الإسلام .

من العبارات التي نَحفظها في صغرنا يقولون لا يُسئل عن الله بأربع كلمات , هي : أين , وكيف , ومتى , وكم ؟ يجعل من الإيمان ألا تسأل عن الله بأين وكيف ومتى وكم , خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا , فالسؤال عن الله بكيف لا يجوز , لا يجوز لك أن تقول كيف الله أو كيف أسمائه وصفاته , وقد سُئل الإمام مالك رحمه الله عن ذلك فأجاب بما تعلمون . ولا يجوز أن تسأل عن الله بكم , لكن لو سألك متطرف كم الله ؟ تقول {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1}سورة الإخلاص } , هيئ الجواب من الآن , فيجب أن تتوقع أن تُسأل عن هذه الأسئلة , توجه لك خصوصاً في هذا الوقت بعد هذا الانفتاح العظيم الذي نعيش فيه , ليس بمستحيل أن تُسأل هذه الأسئلة . وإذا قال لك متى الله , أي متى وُجِدَ ؟ قل له " هو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء .. " "كان الله ولا شيء معه , كان الله ولا شيء غيره , كان الله ولا شيء قبله ". أما أين ؟ فالجواب واضح فتقول في السماء ولا تتردد , إن شككت في هذا أنت تشك في صدق رسول الله ﷺ وإن شككت في صدقه تشك في رسالته , فأنتَ في ضلالة – انتبه لنفسك – فالرسول ﷺ هو الذي سأل عن الله بأين حيمنا سأل الجارية أين الله ورضي جوابها , ليس رضي فقط , رضي جوابها وشهد لها بالإيمان حين قالت في السماء [سبق تخريجه] . وأجاب عندما سُئل " أين ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ بأنه كان في عماء ليس فوقه هواء وليس تحته هواء " [أخرجه الترمذي عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه برقم (3310) وان ماجه برقم (182) , ضعفه الألباني في تخريج كتاب السنة برقم (612)], هذا الحديث وإن حسنه بعض أهل السنن كابن

ماجه والترمذي ؛ ولكن تحسينمها لا يُفرح به كثيراً , الحديث ضعيف فيه رجل مجهول يقال له وكيع بن عُدُس , قال الذهبي إنه مجهول [ميزان الاعتدال (7 / 126) , ونص عبارة الذهبي (لا يُعرف)], وهذا الحديث لا نحزن لضعفه ولا حاجة بنا إليه , لدينا من نصوص الكتاب والسنة الصحيحة ما يغني عنه , ونحن في هذا الباب أي باب الأسماء والصفات لا نتعلق بالأحاديث الضعيفة ؛ لأن الله أغنانا بكتابه وما صح عن رسول الله ﷺ . كل حديث ولو قال به بعض المتساهلين لا بأس به طالما تبين ضعفه بالتفصيل نتركه ولا نحتج به ولا حاجة بنا إليه وفيما صح الغُنية .

ومما يستدل به بعضهم (إن الله تعالى كان ولا مكان , ثم خلق المكان , وهو الآن على ما كان قبل خلقه المكان) [من كلام أبي المعالي الجويني وبعض الأشاعرة , الاستقامة (1 / 167)], كلامٌ مسجع يحسبون إنه من أدلتهم ونافعٌ لهم , الكلام من أدلتنا نحن وإن كنا نحن لم نسجع هذا الكلام لكن الكلام صحيح , فالله سبحانه وتعالى لم يطرأ عليه التغير , الله على ما كان قبل خلق المكان , إذا أوجزنا هذا الكلام المسجع يكون المعنى هكذا : الله سبحانه وتعالى كائنٌ الآن على ما كان عليه قبل خلق الأماكن , والأماكن كلها مخلوقة مُحدَثه , كان الله ولا شيء غيره كان الله ولا شيء قبله كان الله ولا شيء معه , هو الأول الذي ليس قبله شيء ... , إذن لما خلْق المكان ما أتى بشيء جديد , الخالق محيط بالمخلوقات ؛ لأنه هو الذي خلقها ولا يمكن أن يكون المخلوق محيط بالخالق مهما عظم , أعظم المخلوقات عرش الرحمن لا يمكن أن يكون الخالق داخل أي مخلوق كان , عرشاً وما دون العرش , بل الله فوق جميع الأماكن , إذ يستحيل عقلاً أن يحيط المخلوق بالخالق , إذن لم يكن الله سبحانه وتعالى في داخل أي مخلوق بعد أن خلق هذه الأماكن . المراد بالأماكن عند الإطلاق الأماكن الوجودية , وأما التكلف هل يريدون بذلك إن أرادوا بالأماكن الأمكنة العدمية , هذا ما لا يخطر ببال الناس وإن كان يقول أهل الكلام الموجودات تنقسم إلى قسمين : موجودات

وجودية وموجودات عدمية , والعدم ليس بشيء , هذا الكلام فيه شيء من التناقض , وقدرة الله تتعلق بالموجودات والعدم لا تتعلق به القدرة .

ذكر الشيخ الجامي هذا التعليق على كلمة الشيخ الهراس إن الله في مكان , فقال : هذا تعبير جريء عفا الله عن شيخي وأستاذي , أما استعمال كلمة مكان في حق الله تعالى غير وارد لا نفياً ولا إثباتاً , لا يقال إن الله في مكان ولا يقال أن الله ليس في مكان ؛ لأنه من الألفاظ المجملة كما لا يقال إن الله في جهة ولا يقال ليس في جهة لا يقال إن الله جسم وليس بجسم ولا يقال في صفات الله إنها أعراض وليس بأعراض لا يقال إن الله متحيز وليس بمتحيز , استعمال هذه الألفاظ في حق الله تعالى نفياً وإثباتاً لا يجوز , لماذا ؟ لاحتمالها معنيين اثنين معنًى صحيحاً ومعنًى باطلاً , وكل لفظ مجمل يحتمل المعنى الصحيح بعد التفسير والمعنى الباطل لا يُستعمل في حق الله , بل يجب استعمال الألفاظ الشرعية فقط وفيها الكفاية , وهذا ليس من الألفاظ الشرعية .
الآيات والأحاديث إنما دلت على العلو والفوقية , هذه هي الألفاظ الشرعية نستعمل العلو ونستعمل الفوقية ونستعمل في السماء وقوفاً مع النصوص لا نزيد ولا ننقص عن الألفاظ الشرعية الواردة . [مجموع الفتاوى لابن تيميه (5 / 299 - 300)] .

الله تعالى اقتضت حكمته أن يخص العرش بالاستواء وهو العلو الخاص , خص العرش أكبر مخلوقاته بالاستواء أخبر عن ذلك في سبعة مواضع وفي سبع سور في القرآن وأخبر النبي ﷺ عن ذلك , وأخبر في آيات أخرى أنه في العلو أي فوق العرش , هذا يجب الوقوف عنده . فماذا بقي ؟ الذي بقي أن نفهم كيف استوى وكيف هو في علوه ؟ الجواب جواب الإمام مالك الكيف مجهول , وهذا في جميع صفات الرب لا في الاستواء فقط . كيف ينزل وكيف يأتي كيف وجهه وكيف سمعه وكيف بصره ؟ الجواب واحد . الصفة معلومة المعنى من حيث الوضع العربي لكن الكيفية سمعه وبصره وكيف مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء وكيف استوائه على عرشه ؟ كل ذلك مجهول لا يعلمه

أحد إلا الله , لا يعلم كيف هو إلا هو إذ { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ{11}سورة الشورى } , هذا هو الجواب السليم هذه هي العقيدة وهذا هو الإيمان , من عرف الله بهذا المعنى عرف ربه , أما الذي لا يعرف هذا المعنى أو يشك ويتردد فليجدد إيمانه , الإيمان يزيد وينقص يقوى ويضعف , بإمكانك أن تجدد إيمانك وتقوية كما تقوي بدنك بالمقويات , هنا مقويات : أَكثِر من التدبر في كتاب الله ومن الاطلاع على نصوص الصفات في السنة ومن دراسة العقيدة , دراسة العقيدة تقوي إيمانك وتربطك بالله , الإعراض عن العقيدة , ودراسة علوم الحياة والانشغال عن العقيدة وعن دراسة الكتاب والسنة يضعف إيمانك , ربما ذهب وأنتَ لا تدري , يمرض قلبك وأنتَ لا تعلم , صحيح الجسم قوي البدن لكنه مريض قلبه الذي يُعرِض عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ خصوصاً هؤلاء الذين ظهروا الآن في الساحة الذين يُزهِدون الشباب في العقيدة , ويقولون ما لنا ومال العقيدة , نصلي فقط , يا سبحان الله ! وهل تصح صلاتك بدون عقيدة . ماذا قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه, سأله سؤالاً مثيراً ليتنبه قال له يا معاذ أتدري ما حق الله على العبيد وما حق العبيد على الله ؟ قال الله ورسوله أعلم , (قال له هذا السؤال ولم يلقِ عليه العلم قبل السؤال ليتنبه ؛ لأن العلم إن جاءك بعد أن شغل بالك تحفظه ولا تنساه ولكن إذا جاءك هكذا عفواً رخيصاً تنساه) قال حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا(تقدم) (هذا التوحيد هذه العقيدة هذا هو الأساس هذا المعنى الذي يجهله كثير من الناس المثقفون بالثقافة الحديثة يجهلون هذه العقيدة ونحن ندعوهم ليدرسوا , وقد كثر المدرسون للعقيدة في بلدنا هذا في مساجدنا وفي المسجدين الشريفين , فقامت الحجة على الجميع , يجب أن يدرسوا العقيدة .

في قوله { ..ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ .. {54}سورة الأعراف } (ثم) ليست للعطف بل للترتيب الزمني , والأشاعرة يقولون (ثم) لمجرد العطف لا تفيد الترتيب

الزمني , وهذا تكذيب لرب العالمين من حيث لا يشعرون . في عدة مواضع (ثم) استعلمِت للترتيب الزمني , كيف تقول إنها ليست للترتيب والقرآن عربي نزل بلغة عربية على النبي ﷺ العربي الأميَّ الأمين , لو كانت (ثم) ليست للترتيب أول ما يبنه الرسول ﷺ للصحابة رضي الله عنهم . يقول صاحب في ظلال القرآن (ثم لمجرد العطف ولا تفيد الترتيب , ولا نعرف ما هو العرش , ولكن نتأكد ونؤمن ونوقن ولا نشك بأن استوى بمعنى الهيمنة) أشعرية صريحة من رجل كنا نحسب أنه تحرر من الأشعرية , فإذا هو أشعري محض , غيَّر التعبير والذين من قبله يقولون الملك والسلطان والاستيلاء , وهو عبَّر بالهيمنة .

إفادة (ثم) الترتيب واجب فاقتضت حكمة الله بعد أن خلق السماوات والأرض أن يخبرنا بأنه مستوٍ على العرش , علا على عرشه لحكمة يعلمها , هذه صفة فعل وأفعال الرب كلها لحكمة , وهذا ما تنكره الأشعرية , لا يثبتون الحكمة لفعل الرب سبحانه علماً بأنه العليم الحكيم ومن أسمائه الحكيم , لا يفعل ولا يقضي ولا يشرع ولا يخلق إلا لحكمة , علم ذلك العباد أم لم يعلموا , كثيراً ما نجهل الحكمة في خلق الرب سبحانه في أفعال الرب في قضائه وقدره , بل في تشريعه . ما الحكمة بأننا نصلي صلاة الفجر ركعتين والوقت طويل , ونصل المغرب ثلاث والعشاء أربع , ما الحكمة ؟ من يريد أن يتصيد الحكمة يتكلف , إنما نعرف الحكمة إذا أخبر الله حكمة ما خلق حكمة ما شرع , لما قال الله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ{56}سورة الذاريات } , علمنا الحكمة من خلق الجن والإنس لا ليعيشوا في هذه الحياة ثم يتركوا الدنيا هذه لا ؛ ليكونوا عبيداً لله , العبودية لله ؛ لذلك لما حقق النبي ﷺ العبودية ما لم يحققها غيره خاطبه الله ولقبه بالعبودية في مقامات عظيمة , قال {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ..{1}سورة الإسراء } لم يقل أسرى بنبيه أو رسوله وهو نبي الله ورسول الله ؛ لكون تحقيق العبودية لله تزيد العبد شرفاً عند الله , قال الله { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا{1}سورة

الكهف } هكذا في إنزال الكتاب والإسراء والمعراج أعظم معجزة بعد القرآن وصف الله نبيه بالعبودية . ونحن عبيد لله علينا أن نسلم لله , ما سَلِم في دينه وفي عقيدته إلا من سلم لله ولرسوله ﷺ , فهي السلامة كل السلامة , إذ لا يصف الله أعلم من الله ولا يصفه من خلقه أعلم من رسول ﷺ .

إثبات علوّ على مخلوقاته :

وَقَوْلُهُ: { يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} ، { بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه} ، { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }، { يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا } ، وَقَوْلُهُ: { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ }.

* « يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ » / عيسى عليه السلام يقال له رسول الله وعبد الله وروح الله وكلمة الله . روح الله من إضافة المخلوق إلى الخالق , أي الروح مخلوقة لله . ويقال له كلمة الله ؛ لأن الله خلقه مباشرة بكلمة كن دون أن يكون له أب , هذه هي ميزة عيسى عليه السلام ؛ لذلك سُمي بكلمة الله , وإن كان الله في كل شيء إذا قال له كن فيكون , لكن بالنسبة له فلم تكن هناك أسباب عادية مباشرة كالوالد . قيل له روح الله ؛ لأنه هو الروح الوحيدة التي خلقها الله بلا أب . رُفع عيسى حياً إلى الله .

* متوفيك : مميتك معنى لغوي , منومك معنى لغوي لا فرق بينهما , و لكن السياق هو الذي يبّن المراد .السياق والقرينة تدل على أن المراد بالوفاة هنا النوم . محل الشاهد (ورافعك إلي) الله رفعه إليه وهو نائم ولم يكن ميتاً , رفعه إليه وهو حي غير ميت ولا يزال حياً في السماء . في أي مكان بالتحديد ؟ في المكان الذي يعلمه الله . كيف

يعيش ؟ كما شاء الله . إيش يأكل إيش يشرب كيف حياته ؟ لا تسأل . تؤمن أنه بشر يعيش الآن في السماء حيث شاء الله , لم يأتينا نص أنه في السماء الفلاني كل ما علمنا من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أنه رُفع حياً , ليس بلازم أن نعلم بالتحديد أي مكان في العالم العلوي , هذا العالم العلوي عالم العجائب والغرائب , لا أحد يعلم حقيقة هذا العالم , غيب وقد اطّلع النبي ﷺ على بعض الغرائب والعجائب في ليلة الإسراء والمعراج لا على كلها , الذي يحيط بكل شيء هو الله وحده . ثم قال في آية أخرى {بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ..{158}سورة النساء } , أي فلم يقتله اليهود ولم يصلبوه بل رفعه الله إليه وإنما قتلوا من ألقى عليه الله شبه عيسى , ولكن هو رُفع " وسوف ينزل حياً فيحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ إماماً عدلاً" [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (3448) ومسلم برقم (155)] , ويكون المهدي تابعاً له إلا أنه يرفض الصلاة بهم , ويكون في وقته المهدي من آل البيت ليس بسوداني ولا قحطاني بل من آل البيت , قد ادعى المهدية سوداني وقحطاني وغيرهما كلها كذب , لم يظهر بعد وسيظهر , المهدي يطلب منه أن يصلي بالناس ؛ لأن له الولاية العامة , فيرفض وقول إمامكم منكم , فيكون المهدي إماماً للصلاة وعيسى عليه السلام له الولاية العامة يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ , وفي هذا الوقت يأتي المسيح الدجال , ويتولى قتله عيسى (هذه من كبريات علامات الساعة يجب الإيمان بذلك ؛ لذلك إنكار المهدي وإنكار وجود عيسى في السماء وإنكار وجود المسيح الدجال من الإلحاد . من أنكر هذه الحقائق الغيبية ملحد ومكذب لرسول الله ﷺ , بل مكذب لله تعالى , الله يقول {بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ..{158}سورة النساء } إليه إلى الله ؛ لأن الله في العلو هذا محل الشاهد , معنى في العلو فوق جميع المخلوقات فوق العالم العلوي . إنكار هذه الحقائق إلحاد . القائلون بأن المراد بالمسيح الدجال الكذبة الأئمة الدجالون الكاذبون وأنه لا مهدي وأن عيسى مات ولم يُرفَع , هؤلاء كلهم ملاحدة . من صفات المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب . ومن

يحاول ألا يؤمن إلا بالمحسوسات ما يراه وما يسمعه ما يلمسه ليس بمؤمن , نحن نؤمن بالمحسوسات والغيبيات بحمد الله وتوفيقه . الذين يقولون إن عيسى عليه السلام رُفع وهو حي ثم مات بعد ذلك , من أين لكم ؟ كما قلنا غير مرة النصوص لا تتضارب تؤيد بعضها بعضا , السنة تفسر القرآن , سنة رسول الله ﷺ التي تحدث فيها النبي ﷺ عن نزول عيسى تفسر هذه الآية وأنه حي سوف ينزل .

* الضمير (إليّ) في (رافعك إلي) يعود على الله , أما تفسير الضمير إلى محل رحمتي إلى مكان ملائكتي تكلف لا معنى له ولا داعي إليه , بل قول على الله بلا علم . من أخبركم بأن المراد بـ(إلي) أن هناك حذف , أي إلى رحمتي أو محل رحمتي و محل ملائكتي , لو كان هذا التقدير والتأويل واجباً لابد منه ؛ لبينه رسول الله ﷺ الذي أنزل الله عليه هذا الكتاب , إذا كان الرسول ﷺ لم يفسر بهذا التفسير وأصحابه ومضت القرون المفضلة يؤمنون بأن الله رفع عيسى عليه السلام إليه , أي إلى الله , هكذا ورد الكتاب وصحت السنة وفهم السلف , إذا جاء الخلف قالوا لا , لا نقول مرفوع إلى الله , بل مرفوع إلى رحمة الله نسألهم أين رحمة الله و هل رحمة الله لها محل ؟ رحمة الله تنزل على العباد كل وقت , كلنا محل رحمة الله , في العالم العلوي والعالم السفلي كله محل رحمة الله , هذا الكلام يقوله الإنسان الذي لا يعقل , فالله يرحم الجميع حتى الكافر , ألم ترَ أنه يطعمهم ويرزقهم , هذه من آثار رحمة الله . وتفسير (إلي) إلى محل الملائكة يعنون السماء أيضاً لا معنى له ؛ لأنه لو كان هذا التفسير لازماً لبينه الرسول ﷺ , ومن يقول بلزوم هذا التفسير ووجوبه يتهم رسول ﷺ الله بطريقة غير مباشرة ومن حيث لا يعلم بأنه لم يبلغ البلاغ التام , تَرَكَ بعض الثغرات , وهذا لا يصح يتنافى مع الإيمان بالنبي ﷺ , وقد شهد أصحابه رضي الله عنهم في حجة الوداع إنه بلغ ونصح .

* « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » / الكلم الطيب والأعمال الطيبة وكل الطيبات تُرفع إلى الله , فالله طيبٌ فلا يقبل إلا طيبا , فليكن عملك طيباً خالصاً وموافقاً لهدي محمد ﷺ ليكن عملك طيبا يُرفع إلى الله . قال النبي ﷺ " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .. " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (555) ومسلم برقم (632)] , - هذا على لغة كما يقولون أكلوك البراغيث , والذين يقولون إن هذه اللغة ضعيفة فليتراجعوا , فرسول الله ﷺ أفصح من نطق بالضاد وأفصح الخلق وأنصح الخلق , إذا كان النبي ﷺ تكلم بهذه اللغة , اللغة هذه غير ضعيفة ؛ بل هي لغة فصحية , وهذا الحديث مما استدل به بعض النحاة على ذلك , (يتعاقبون فيكم ملائكة) ملائكة : فاعل ليتعاقبون , ومع ذلك أثبت الواو , اللغة المشهورة (يتعاقبُ فيكم ملائكة) بحذف الواو في يتعاقبون , بعض النحاة يتطرف ويسمي هذه اللغة لُغية , أي لغة ضعيفة , وهذا غير صحيح , اللغة التي تكلم بها النبي ﷺ لا ينبغي أن تُعتبر لُغية أو لغة ضعيفة بل لغة صحيحة وإن لم تكن منتشرة بين الناس — " فيعرج الذين باتوا فيكم " يعرج الذين باتوا فينا صلاة الفجر , فيسألهم ربهم وهو أعلم ، أما الذين ظلوا فينا في النهار فيصعدون بعد صلاة العصر , فيسألهم ربهم وهو أعلم بنا من الملائكة , وإن كانت الملائكة باتوا فينا وكتبوا كل شيء , لكن الله أعلم بنا من الملائكة يعلم منا ما لا تعلمه الملائكة وهم جنوده "كيف تركتم عبادي " هذا إظهار لمكانة المصلين عند الله وعند الملائكة إظهاراً لشرف عباده الذين يصلون في الأرض ولم يَروه وآمنوا , وسوف يرونه إن ماتوا على الإيمان يوم القيامة وفي الجنة " أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون " طرفي النهار ؛ لذلك هاتان الصلاتان من أعظم الصلوات الخمس ؛ ولذلك أيضاً اختُلِف في الصلاة الوسطى : وردت أقوال بل أحاديث بأن صلاة الفجر تسمى أيضاً الصلاة الوسطى , وإن كان الراجح عند أهل العلم هي صلاة العصر . الشاهد هؤلاء الملائكة يصعدون إلى من ؟ إلى الله الذي يسألهم هذا السؤال .

والذين يقولون إن الله في الأرض معنا كيف يفسرون هذا الحديث وكيف يفهمون وماذا يقولون ؟ هذا الحديث صحيح ثابت , إذن دليل قاطع ومفحم بالنسبة للمنصف , المنصف عليه أن يرجع كما رجع الشيخ هراس بعد أن اطلع على هذه النصوص وشرح الله صدره وقد كان من النفاة ولكن الله منَّ عليه وهداه , أذكر هذا في كل مناسبة ؛ لتعلموا أن الإنسان قد يعيش معتزلياً كما عاش أبو الحسن الأشعري أربعين سنة ثم هداه الله ثم صار من أئمة السلف , هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم كانوا في الجاهلية أعداء للرسول ﷺ للدين الذي جاء به الرسول ﷺ , هداهم الله , تَذَكّروا قصة عمر رضي الله عنه لا غضاضة ولا منقصة في الإنسان إذا هداه الله بعد أن كان في ضلالة , وشكر الله على ذلك وختم الله له بحسن الخاتمة , شيخنا هذا كان أشعرياً فيلسوفاً منطقياً فهداه الله , فألف هذا الكتاب , ومن كان فيكم أشعرياً الآن فليعتبر بهذا الاعتبار فليرجع إلى الحق ولا يتعصب لمذهبه وعقيدته .

* « يا هامان ابن لي صرحاً.. » / فرعون الطاغية لما سمع من موسى ؈ بأن الله في السماء , يريد بذلك التمويه على شعبه وإضلالهم , قال لوزيره : ابن لي بناءً عالياً في زعمه إذا صعد فوق البناء العالي يصل إلى الله , لعلي أطلع على إله موسى وإني أظن هذا الرجل يكذب في قوله – أي أن الله في السماء – يظن هذا الظن الذي يظهره , لكنه يضمر في قلبه أن موسى ؈ صادق فيما يقول , قلبه يُصدق لكنه يَكذب ويُكذّب , وبهذا التكذيب يستمر في كفره وعناده , وهكذا كل الذين يُكذّبون نصوص الكتاب والسنة ويكذبون الدعاة دعاة السلف إلى منهج السلف فيهم شبه بفرعون , يا سبحان الله ما أشبه الليلة بالبارحة ![عبارة مروية عن ابن عباس رضي الله عنهما , أخرجها ابن جرير في تفسيره (10 / 121 – 122)] فاليوم يوجد من يقول هؤلاء يكذبون , الله في كل مكان , فتشبهوا بفرعون من حيث لا يشعرون .

* « أأمنتم من في السماء .. » / تُفسر بتفسيرين : إن أريد بالسماء العلو مطلقاً وهو الاستواء على العرش تكون (في) بمعنى (على) أأمنتم من على السماء , أي فوق السماوات , وإلا فاترك الآية على ظاهرها أأمنتم من في العلو , ولا يُراد أبداً ولا يجوز أن يُقصد أن الله داخل السموات (الأجرام السبعة) التي قطعها النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج , السماوات مباني بناءً قوياً كل بناء لها باب وعلى الباب بواب " لذلك لما جاء النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج الذي استأذن له وقرع له الباب جبرائيل ؑ فهو باب حقيقي , قيل لجبرائيل من أنت ؟ قال أنا جبرائيل قيل له من معك قال محمد , قالوا أبُعثَ ؟ قال نعم , ففتحوا الباب " [سبق تخريجه] إذا قلنا الله في السماء ليس معنى ذلك أن الله داخل الأجرام . فالله فوق السماوات السبع وفوق الكرسي وفوق العرش بائن من خلقه , ليس في ذات الله شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته . فالله مُنَزه عن الامتزاج والاختلاط بالخلق سواء في العالم السفلي أو في العالم العلوي . ويقول بعض الأشاعرة : عنده على حدٍ سواء العرش والفرش – والفرش الأرض – ما عرفوا الله مساكين . نسأل الله أن يتوب علينا وعليهم . كلمة (مباين للخلق) مما اضطر لزيادتها السلف الذين حضروا نشأة علم الكلام ووقت المحن والفتن مثل الذي جرى للإمام أحمد رحمه الله وإلا السلف الأول الصحابة والتابعين ليسوا بحاجة إلى هذه المناقشة وهذا الخوض , التفسير عندهم (الرحمن على العرش استوى) وكفى ؛ لذلك يقولون (نصوص الصفات تفسيرها تلاوتها) [أثر عن سفيان بن عيينه رحمه الله , رواه البيهقي في الأسماء والصفات (3 / 569) والالكائي في مجمل الاعتقاد (2 / 431)] , هذا إذا كان الجو سالماً , إذا لم تكن هناك شبه , أما إذا كانت هناك شبه لابد من مقارعة الحجة بالحجة من رد الشبه , لما أكثر القوم من قولهم الله في كل مكان

, بل زاد جماعة وحدة الوجود ابن عربي الطائي المِلحِد قال إن الله اتحد مع خلقه , كل مخلوق فيه ؛ لذا يقول :

العبدُ ربٌ والربُ عبدٌ ليت

شعري من المكلف

هكذا وقع في حيرة , لما كثُر هذا الشغب اضطر أتباع السلف أن يقولوا إن الله فوق عرشه بائنٌ من خلقه [اجتماع الجيوش الإسلامية ص (281)] رداً على وحدة الوجود وعلى من ذهب مذهبهم من الأشعرية الكلابية . لا يجوز أن يخطر ببالك أيها المسلم أن الله سبحانه داخل السماوات لا في السماء الأولى ولا الثانية ولا الثالثة إلى السابعة , بل فوق كل ذلك وفوق الكرسي وفوق العرش , بل فوق خلقه بائن من خلقه . ولا يجوز أن يُحمَل معنى الآية على العذاب أو الأمر أو المِلك , لا يقال أأمنتم من في السماء عذابه لا يجوز , أأمنتم من في السماء أمره , أأمنتم من في السماء ملكه كلام لا معنى له , عذابه في السماء أمره في السماء فقط ملكه في السماء فقط , كلام لا معنى له ولكن تكلف تقليد كما يفعل المعطلة .

لو سألت الأشعري : ما هي القرينة المانعة من بقاء الآية على ظاهرها بأن الله هو الذي في السماء , فماذا يكون جوابه ؟ يقول القرينة الاستحالة العقلية ؛ لأن العقل يحيل ذلك . دائماً وأبداً خذ قاعدة الأشعري ليس لديه قرينة في كل النصوص التي يحرفها إلا الاستحالة العقلية , أي مستحيل عقلاً أن يُوصَف الله بأنه في العلو وأنه في السماء ومستحيل عقلاً بأن يُوصف الله بأنه مستوٍ على عرشه مستحيل عقلاً بأن يُوصف الله بأنه ينزل بآخر كل ليلة أو يجيء يوم القيامة . إذا كان كل ذلك مستحيلاً عقلاً , بعقل مَن ؟ الناس الذين قبلكم لهم عقول , الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة الأربعة الذين تتبعونهم في الفقهيات , ما لهم عقول ؟ عقولهم قبلت هذه المعاني وآمنت أن الله في العلو يُدعى من فوق وأنه يأتي يوم القيامة لفصل القضاء بنص

الكتاب والسنة , " وأنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر.." إلى آخر الحديث [سبق تخريجه] , وأنه مستوٍ على عرشه , هذه الصفات ثبتت في الكتاب والسنة والعقل السليم الصريح - قبل عقول الأشاعرة - والفطرة إلى اليوم .

علم الكلام اليوم هو العقيدة الأشعرية والمعتزلة , العقيدة الأشعرية معروفة لديكم , ولكن عقيدة الاعتزال هل لها وجود ؟ نعم , جميع الشيعة بدءً من الزيدية وانتهاءً إلى غلاة الروافض كلهم على طريقة الاعتزال في العقيدة , والخوارج كانوا على الاعتزال , جميع الطوائف , ما السبب ؟ السبب لأن عقيدة الاعتزال كانت يوماً ما عقيدة دولة قوية دولة المأمون العباسي والمعتصم والواثق بالله , هؤلاء الثلاثة كانوا خلفاء المعتزلة تبنوا عقيدة الاعتزال ؛ لهذا السبب دخلت جميع الطوائف الموجودة دخلت في هذه العقيدة , كما يقولون الناس على دين ملوكهم ؛ لقوة هؤلاء . ولما أُفرِج عن الإمام أحمد وعن السلفيين في عهد المتوكل على الله الخليفة العاشر من خلفاء بني العباس , ما أُفرِج عنهم إلا وكادت العقيدة السلفية أن تُجهل بين الناس ؛ لأن الناس تفرقت في أنحاء الدنيا خوفاً من العذاب على يد هؤلاء الخلفاء , ولكن الله أنقذ هذه العقيدة على يد ابن تيمية في القرن السابع بعد أن كادت أن تُجهل وانتصر لها وأظهرها رحمه الله .

ولا يجوز أن يُوصَف الله أنه داخل السماوات قبل أن تفسد اللغة , والناس بفطرتهم وسليقتهم يفهمون { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء ..{16}سورة الملك } , كقوله { قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ..{11}سورة الأنعام } , ما معناه ؟ أسأل أي بدوي - اترك أهل المدن اختلطت اللغة وفسدت – ما معنى قوله تعالى {{ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ..{11}} , هل معناه احفروا , ادخلوا داخلها , امشوا في باطن الأرض ؟! لا يمكن أن يفهم هذا المعنى أبداً أي عربي , سيروا في الأرض ما معناه ؟ سيروا على الأرض أي فوقها , من في السماء أي فوق السماء . اللغة فسدت والفِطر فسدت والعقول تغيرت , فتنٌ كقطع الليل المظلم . وكذلك قوله { وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ..{71}سورة

طه } , يعني يشقها في داخلها أو على جذوع النخل ؟ فوقها , هكذا يفهم كل من يفهم القرآن , { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء ..{16}سورة الملك }, أي على السماء فوق العرش , والعرش سقف الدنيا , والعرش لا يعلم قدره وعظمته إلا الله , إذا كان الكرسي {.. وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ..{255}سورة البقرة } , والكرسي موضع القدمين لله تعالى , قال ابن عباس رضي الله عنهما (والكرسي موضع القدمين , والعرش لا يقدر قدره إلا الله , والله سبحانه فوق ذلك) [سبق تخريجه] . ومن الجريمة - لو كان الناس قالوا بذلك بعلم وعقل - القول بأن الله في الأرض , الأرض تسع رب العالمين يا سبحان الله ! أعظم وأجلّ من أن يكون في الأرض أو داخل السماوات أو في الأرض أو في داخل أي مخلوق .

بالمناسبة آية أخرى يُسيء فهمها كثير من الناس { وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ{84}سورة الزخرف } , أي في السماء مألوه وفي الأرض مألوه , إله بمعنى مألوه أي معبود , أي هو الذي يعبده أهل السماء وأهل الأرض , والآية هنا في توحيد العبادة , أي معبود أهل السماء ومعبود أهل الأرض واحد وهو الله , ليس معنى ذلك هو بذاته في الأرض وهو بذاته في السماء , لا تدل الآية على هذا المعنى أبداً مهما تكلف الإنسان إلا إذا كان لا يعرف معنى إله , لفظة إله غير معنى الرب , الرب الخالق المربي والإله معناه مألوه أي معبود .

إثبات معية الله لخلقه :

وقوله { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } ، وَقَوْلُهُ: { مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم

بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ، { لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } ، وَقَوْلُهُ: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }، { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ }، {وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }، { كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }.

* « وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم .. » / خلق السماوات والأرض في ستة أيام لحكمة يعلمها وإلا هو قادر سبحانه أن يقول لكل سماء ولكل أرض كوني فتكون . يتصيد بعض أهل العلم الحكمة تخميناً لا يقيناً أن الله أراد بذلك أن يُعلِم العباد التريث والتأني في الأمور وعدم العجلة , والله أعلم .

* ثم استوى على العرش : عندما خلق السماوات والأرض كان العرش موجود ؛ لأن العرش على ما يترجح عندنا أول المخلوقات , وكان عرشه على الماء عند ذلك خلق هذه المخلوقات ثم استوى على العرش لحكمة يعلمها , خص العرش بالاستواء وهو العلو الخاص خلاف العلو العام , العلو الخاص استوائه على عرشه صفة فعلية ؛ لأنها صفة تجددت , وأما علوه فوق جميع مخلوقاته فصفة ذات لم يزل ولن يزال أبداً في علوه سبحانه , إذ لا يليق به إلا العلو .

* يعلم ما يلج في الأرض .. , التعبير بالعلم , فصَّل ثم قال :

* وهو معكم أين ما كنتم : أي بعلمه العام الذي أخبر عنه (يعلم ما يلج في الأرض ..) محيط بكم علماً , هذه الآية تمتاز بالجمع بين صفة الاستواء وصفة العلو ثم التمهيد لصفة المعية بالإخبار عن العلم المفصل – العلم بالجزئيات – أولاً أخبر العلم بالجزئيات ثم عمم , كل هذا دليل قاطع أن المعية معية العلم , وعلى هذا أجمع السلف أن معية الله العامة معية العلم لا معية الذات [مجموع الفتاوى (5 / 495 – 496)] وأن

معية العلم معية حقيقية كما أن معية الذات معية حقيقية , إذ لا تدل لفظة (مع) إلا على مطلق المقارنة ثم السياق والقرائن هي التي تُعيِّن مقتضى تلك المعية , إذن المعنى العام المقارنة المطلقة أو المصاحبة المطلقة . المقتضى يختلف , قد تكون المقارنة بالذات إذا دلَّ الدليل على ذلك هذا بصفة عامة , وقد تكون المقارنة بالعلم , وقد تكون المقارنة بأشياء ومعاني أخرى , مثلاً لو قال قائل : زيد كان معنا أمس في هذا المجلس يحمل الكتاب في يده , أي مقارنة هذه ؟ المقارنة بالذات , نحن الآن مع بعضنا كل واحد مقارن للآخر بالذات . ولو قال قائل سافرنا في الليالي المقمرة ولم نزل نسير والقمر معنا إلى الصباح , ما معنى هذا ؟ نزل القمر ويمشي معهم على سطح الأرض , فالمقارنة هنا بضوئه ونوره حقيقية , لو قلتَ للبدوي هذا مجاز , يقول ما المجاز ؟ هذه هي الحقيقة التي لا يفهم مسلم عاقل غير هذا , لا يفهم العاقل غير هذا أبدا , ولا يتصور عاقل أن القمر نزل ومشى وزحف على وجه الأرض . ولو قال قائل إني مع الإمام مالك في قوله في عقيدته الاستواء معلوم , والكيف مجهول , فهنا مقارنة بالقول وبالرأي وبالعقيدة وبالفهم . إني مع الإمام أحمد عندما كان يُصر بأن الله يتكلم بكلام حقيقي وأن القرآن كلامه , فعقيدتك قارنت عقيدته ورأيك قارن رأيه حقيقة , لا إشكال في ذلك . وهكذا نصوص الكتاب والسنة تتعين المعاني المرادة بالقرينة والسياق . وقد فصَّل هذا شيخ الإسلام وبيَّن أن المقارنة لا تدل على المخالطة أبداً , وذكر الشيخ ذلك في الحموية أيضاً .[ص (103 - 104)] .

* « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أيم ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة .. » / (ما) من صيغ العموم أي جميع ما في السماء وما في الأرض , أي بعلمه الذي أخبر عنه لا بذاته , مهما كثروا ومهما قلوا أينما كانوا , ويخبرهم بما عملوا يوم القيامة ؛ لأنه كان

معهم لا تخفى عليه خافية , لا يقول لهم هل فعلتم هل قلتم هل تركتم هل قتلتم هل سرقتم ؟ لا , بل لِما فعلتم , السؤال سؤال توبيخ أما سؤال الاستفهام لا , ثم يخبرهم بما عملوا يوم القيامة ؛ لأنه كان معهم يراهم ويسمعهم , ومع ذلك الحفظة يكتبون والملائكة يكتبون , الله عليم حكيم أقام الحجة على العباد وعذر نفسه سبحانه . وهذه الآية بدأت بالعلم { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. {7}سورة المجادلة } , وذيَّل الآية بالعلم { .. إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ{7}سورة المجادلة } , مع جميع المتناجين ومع غيرهم . الآية صريحة في المعية العلمية , المعية في الآيتين (آية المجادلة وآية الحديد) المعية العامة التي لا يخلو منها أحد ؛ ولذلك قال السلف :(لا يخلو مكان من علمه) [أثرعن الإمام مالك رحمه الله وغيره , رواه ابن عبد البر في التمهيد (7 / 138) وأبو داوود في مسائل الإمام أحمد ص (263) وابن بطه في الإبانة (3 / 153) وابن تيميه في الحموية الكبرى ص (53) وغيرهم] كلام السلف مأخوذ من الكتاب والسنة .

ينتقل الآن الشيخ إلى نقل نصوص المعية الخاصة , المعية الخاصة زيادة على العلم تشتمل على الحفظ والنصر والتأييد والتوفيق :

* « لا تحزن إن الله معنا » / هذه الآية حكاية عما قاله النبي ﷺ لصاحبه في الغار أبي بكر رضي الله عنه , أبو بكر رضي الله عنه حزن وقلق , ولكن أكثر قلقه خوفاً على رسول الله ﷺ لا خوفاً على نفسه , ولما رآه قلقاً قال له " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما " [أخرجه البخاري عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنهما برقم (3653) ومسلم برقم (2831)] , الله أكبر ماذا يفهم أي مسلم سمع هذه النصوص ؟ إن الله كان معهم بالنصر والتأييد والحفظ والكلأ والدفاع , دافع عنهم والقوم يحومون حول الغار عند فم الغار , لو نظر أحدهم إلى قدمه لأبصر كما قال أبو بكر رضي الله عنه , لكن الله أعماهم ودافع عنهما ونصرهما وحفظهما ومكَّن لهما مواصلة السفر إلى أن وصلوا طيبة الطيبة .

وهل أحد يفهم أن الله دخل الغار معهما , من الذي يفهم هذا الفهم ؟! هل يفهم أن الله معهما في الغار بذاته ؟ لا يمكن أن يتبادر هذا الفهم إلى إنسان على الفطرة إلا إذا فسدت فطرته بدراسة علم الكلام كأن درس في كتب الأشاعرة ومن قبلهم أو أبتُلي بجماعة وحدة الوجود والحلولية , ثم أخذ ذلك تقليداً لا اقتناعا , أما اقتناعاً لا يمكن مسلماً بل ولو كان غير مسلم إذا لم يدرس في الإلهيات علم الكلام لا يمكن أن يتصور أن خالق السماوات والأرض خالق الكون أن يكون داخل ذلك الغار مع رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه , لا يمكن أن يتصور هذا التصور , لكن المسألة انطلت على صغار طلبة العلم بالتقليد , سبحانه وتعالى عما يصفون ! الذين يقولون في كل شيء وفي كل مكان يلزمهم أن يقولوا إن الله دخل الغار مع رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه , وهذا الكلام يخجل الإنسان أن يقوله يقشعر جلد المسلم أن يقول هذا الكلام . إذن القوم عندما يقولون إن الله في كل مكان وفي كل شيء فهم يقولون كلاماً لا يعقلونه ولا يفهمونه ولكن تقليد هكذا التقليد , التقليد شر يعمي الإنسان . والمقلِد ليس له عقل لكن يتبع عقل غيره وفهم غيره , سمع الناس تقول إنه في كل مكان فقال . جاء طالبٌ أشعري يريد أن يدخل جامعة الإمام من فترة طويلة , شُكِلت لجنة للمقابلة – مقابلة شخصية كما يقولون – استدعاه الشيخ إلى منزله ؛ لأنه غريب جاء من الخارج فقدم له نوعاً من الفاكهة وجعل يناقشه وهو يأكل الفواكه , كان الطالب في يده تفاحة , قال الشيخ للطالب أين الله ؟ قال يا شيخ في كل شيء , قال له : يا أبني حتى في هذه التفاحة التي في يدك , خجل الطالب وسكت , وقال هكذا سمعنا من مشايخنا , ليس لهم دليل إلا هذا . طالب وصل لدرجة التعليم الجامعي ما عنده يقين بربه , الذي لا يؤمن أن الله يُدعى من فوق لم يؤمن بربه ولم يعرف ربه ؛ لذلك ينبغي التفطن لمثل هاتين الآيتين , الله جمع في أحدهما صفة الاستواء وصفة المعية , والأخرى أحاط بالعلم أولها وآخرها ليدل بذلك على أن معيته معية العلم لا معية الذات , فليُفهم هذا جيداً . المقام مقام

هام جداً وليس هذا علم الاختبار هذا إيمان . فالله موصوف بالعلو والمعية معاً العلو حقيقة والمعية حقيقة أيضاً . فالله يرانا ويسمعنا ويدافع عنا ويؤيدنا وينصرنا , هذه معاني المعية الخاصة زيادة على العلم والتقدير والرؤية والإحاطة , ولا يُسلط علينا أعدائنا . هذا ما فهمه أبو بكر من رسول الله ﷺ وما فهمه المسلمون الأولون إلى أن نشأ علم الكلام وقبل نشأة علم الكلام لم يتبادر ولم يُذكر أبداً في التأريخ أن أحداً قال إن الله معنا بذاته في الأرض لم يحدث ذلك . يجب أن يؤمن كل مسلم بأن الله معه بالمعية العامة , أي يرانا ويرى أماكننا ويعلم منا كل شيء ويعلم منا ما لا نعلم من أنفسنا , إذا كانت في زعمهم هذه المعية مجازية فكيف بالمعية الذاتية ؟ الإنسان الذي يختلط ويقارن زميله في المجلس جالس بجواره ماذا يعلم منه ؟ يعلم منه ما يبدو له منه ظاهره , ومع ذلك هي معية حقيقة بالإجماع فإذا كان الله يعلم من هذا الشخص ما لا يعلم جاره منه ويعلم من الشخص ما لا يعلم الشخص من نفسه , تفاصيل ما في جوفك من الأمراض والآفات الله يعلم ومطلع على ذلك كيف تكون هذه المعية مجازية ومعية الذي لا يحيط بك علماً حقيقية ؟ ينبغي للإنسان أن يتصور النصوص تصوراً صحيحاً ويستعين في هذا الفهم بفهم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين فهموا هذا الدين الفهم الصحيح , وما تجدد بعد ذلك ينبغي التحفظ وما يقال بأن اعتقاد العلو والسؤال عن الله بأين ؟ هو الدين الجديد . هذه كلمة سيئة , خطر على قائلها على إيمانه ودينه , وهذا آخر ما نُشِر عن الدكاترة الأشاعرة : إن من الدين الجديد اعتقاد أن الله في العلو , والسؤال عن الله بأين مع الإشارة . يقال : هذا هو الدين الأصيل ليس الدين الجديد . الدين الجديد ما جاءت به الأشاعرة من إنكار العلو واعتقاد بأن الله في كل مكان وفي كل شيء هذه هي الملة الجديدة , ونحن لم نتهمهم بهذا وكنا نرفق بهم ونقول هم أقربهم لمنهج السلف إخباراً بالواقع ودعوة لهم , لكن القوم تجرؤ هذه الأيام واتهموا السلف الصالح وعقيدتهم بأنها الدين الجديد فالله المستعان . الدكتور محمد رمضان

البوطي في كتابه (كبرى اليقينيات) في هذا الكتاب يقول بهذه المعاني , وفي محاضرة له يقول هذا الكلام أن اعتقاد علو الله والسؤال عن الله بأين هو الدين الجديد , أي دين جديد بالنسبة له لأول مرة يسمع , وهو يعيش في الشام , سمع من السلفيين الذين يعيشون في الشام هذا المعنى هذه الأيام , إذن هو جاهل بما جاء به الرسول ﷺ على الرغم من الدكتوراة , يجب أن نقول هذا ونعلن مثل هذا بين العباد دفاعاً عن العقيدة السلفية المضطهدة هناك .

* « إنني معكما أسمع وأرى » / معية خاصة , تقدم الكلام عنها .

* « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » / معية خاصة . الإحسان نوعان : إحسان العمل , أن تُحسن العمل وأن تُحسن المعاملة مع الله بإخلاص وبمراقبة خاصة , النوع الثاني الإحسان إلى عباد الله فهؤلاء كلهم يتمتعون بالمعية الخاصة . الإحسان في العبادة " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "كما جاء في حديث جبريل الطويل [أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه برقم (8)] , إي المراقبة الصادقة بأن يراقب العبد ربه بأنه يراه , فإذا راقبه هذه المراقبة بتوفيق الله سوف لا يجده حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره , أي يكون ممتثلاً امتثالاً تاماً نتيجة للمراقبة الصادقة , وهذا مقام يطلب العبد من الله أن يمنَّ به عليه ولا تكفي فيه العبارة .

* « واصبر إن الله مع الصابرين » , « والله مع الصابرين » / والصبر: حبس النفس على الطاعة ومجاهدتها على طاعة الله بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات بدءً بأداء الواجبات ثم الإكثار من النوافل حتى يحبه الله هذا نوع من الصبر , والثاني حبس النفس عن المعاصي ومجاهدتها حتى لا تخالف أوامر الله ونواهيه , فهما متقاربان . الثالث حبس

النفس على الرضا بقضاء الله تعالى وقدره , لا ينزعج ولا يشكو , لا يشكو الخالق إلى المخلوق لا يقول حصل لي كذا وكذا الله ابتلاني بكذا وكذا , يصبر ويحتسب , هؤلاء الصابرون بأقسامهم الثلاثة يتمتعون بالمعية الخاصة , الله معهم بالحفظ والنصر والتأييد والتوفيق .

إثبات الكلام لله تعالى وتنزيل القرآن من الله تعالى:

وَقَوْلُهُ :{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} ،{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً}، { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ } { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً } ، {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}،{ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ}، {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}، {ونَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}، وَقَوْلُهُ : {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } ،{ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ}، وَقَوْلُه: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ }{ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ }،{ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} { يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ }، { وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ }، وَقَوْلُهُ:{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } . { وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ } ، { لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ }، { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ , قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ , وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ }.

* « ومن أصدق من الله قيلا » والآيات بعدها / لتحقيق هذه المسألة عليكم الرجوع لشرح الطحاوية فقد فصَّل وحقق [شرح ابن أبي العز الحنفي ص 127 وما بعدها] .

صفة الكلام صفة ذاتية قديمة قِدم الذات باعتبار نوع الكلام وأصل الكلام , فأصل صفة الكلام لا فرق بينها وبين الإرادة والقدرة والعلم والسمع كما أن الله لم يزل أن يكون موصوفاً بالسمع والبصر والعلم , كذلك موصوفاً بصفة الكلام هذا باعتبار أصل الكلام ونوع الكلام , لكن باعتبار أفراد الكلام صفة الكلام بهذا الاعتبار فعل , لصفة الكلام اعتباران باعتبار أصل الصفة هي صفة قديمة قدم الذات وهي صفة ذاتية وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية تتجدد , تتجدد من وقت لآخر لم يزل الله أن يُوصَف أنه متكلم , بمعنى لم يكن الكلام يوما ما مستحيلاً وممتنعاً ثم تحول من الاستحالة إلى الجواز , بل موصوفٌ بصفة الكلام دائماً وأبدا , لم يعدم صفة الكلام قط ؛ ذلك لأن الكلام من صفات الكمال ولا يجوز أن يُعتَقد أن الله عَدِمَ صفة الكلام لحظة من اللحظات كما لا يجوز أن يُتصور أنه كان عادماً للسمع أو البصر أو العلم لحظة من اللحظات كذلك الكلام , الفرق بين صفة الكلام وبين هذه الصفات , فالله سبحانه وتعالى تكلَّم بكلامه في أزمنة مختلفة , فخاطب نوحاً في شأن ابنه وموسى وكلم نبينا محمداً ليلة الإسراء والمعراج , فأنزل الزبور وتكلم به والتوراة والإنجيل والقرآن في أزمنة مختلفة ومتباينة ومتباعدة , والله يتكلم بصوت نادى موسى عليه السلام بصوت , ونادى آدم وحواء بصوت , وينادي عباده يوم القيامة بصوت , ويتكلم بالوحي بصوت [أخرجه البخاري تعليقاً , باب (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن آذن له ..) كتاب التوحيد (13 / 461) مع الفتح , ورواه موصولا في خلق أفعال العباد ص (193) ورواه موصولاً أبو داوود عن ابن مسعود رضي الله عنه برقم (4723)] . هل هذا الكلام الذي تكلم به في الأوقات المتباينة الأزمنة المختلفة يقال أنه قديم ؟ لا , ليس بقديم بل حديث , ما معنى حديث , هل القرآن قديم أم حديث ؟ القرآن حادث بمعنى حدث وأنزله الله

وتكلم به بعد أن لم يكن متكلما به , القرآن نزل على نبينا محمد ﷺ وخاطب الله به نوحاً عليه السلام بعد أن خلقه وكلم موسى عليه السلام بعد أن خلقه , إذن الكلام يتجدد من وقت لآخر حسب حكمة الرب سبحانه ومشيئته , وكل صفة تتعلق بمشيئة الله فهي صفة فعل , يتكلم إذا شاء وكيف شاء , طالما آحاد الكلام تتعلق بالمشيئة فهو صفة فعل بهذا الاعتبار . في حالة تكلمه سبحانه وتعالى فهو متكلم بالفعل , وإذا أمسك عن الكلام إذا اقتضت إرادته ومشيئته فهم متكلم بالقوة , أي لم يكن الكلام ممتنعاً عليه , وهذا يُتصَور ولله المثل الأعلى حتى في المخلوق , تقول فلانٌ كاتب - إنسان معروف بأنه يكتب كثيراً كتابه جيدة - في حال كتابته ومباشرته للكتابة كاتب بالفعل , وفي حالة عدم كتابته فهو كاتب بالقوة , أي إنه قادر على الكتابة ؛ لذلك الإنسان الساكت بإمكانك أن تقول هذا الإنسان متكلم وهو ساكت ؛ لأنه صالح لأن يتكلم وقد تكلم وسكت وسيتكلم , إذن فهو متكلم , الأمر واضح جداً وهذا الذي عليه مذهب أهل السنة والجماعة .

المعتزلي يمتاز بالصراحة فيقول الله متكلم ثم يفسر ويقول متكلم أي خالق للكلام , عند المعتزلة ليس لله إلا الكلام المخلوق المنفصل , خلقه منفصلاً عن ذاته في شجرة أو في أي مخلوق , هذا العدو الصريح الذي لا تتعب معه . الأشعرية الكلابية , أبو الحسن الأشعري صار كُلابياً بعد أن كان معتزلياً أربعين سنة [مجموع الفتاوى (4 / 72)], عندما كان معتزلياً كانت عقيدته واضحة , معنى مُتكلِم خالقٌ للكلام , عاش على هذه العقيدة زمناً طويلاً , تعلم هذه العقيدة على شيخه أبي علي الجُبائي – زوج أمه – رباه فأساءِ تربيته فعلمه هذه العقيدة الضالة , ولكن الرجل بعد أن تعلم وتبحر واختلف مع شيخه في مسألة يجب على الله أن يفعل الأصلح فالأصلح للعباد , هذه عقيدة المعتزلة فيجب على الله أن يعذب العاصي ويثيب المطيع . قال أبو الحسن : لا , الوجوب معناه الإلزام , من الذي يلزم الله أن يفعل كذا؟ من هنا فارقه فغادر فجعل

يبحث عن الحق , وخروجه يشبه خروج سلمان الفارسي رضي الله عنه من المجوسية ثم عكوفه فترة من الزمن عند الرهبان [المسند للإمام أحمد (5 / 438 , 441 - 444) , الطبقات الكبرى لابن سعد (4 / 356 -359) , سير أعلام النبلاء للذهبي (1 / 505 - 539)] , فوجد في أثناء البحث ابن كُلاب واستمع إليه وجلس إليه فراه أفضل حالاً من المعتزلة ؛ لأن الكُلابي لا يقول وجوب شيء على الله واطمأن إليه فجلس إليه ودرس عليه ولكن غلب صيته بعلمه الكثير ونسبه العالي ؛ لأنه ينتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه غلب على شيخه وعُرِف بالعقيدة الأشعرية بدل الكُلابية [مجموع الفتاوى (5 / 556)] , وقيل هذه عقيدة أبي الحسن الأشعري وتُرِك الشيخ المسكين , فصارت الأشعرية من هنا . إذا أردنا أن نذكر أطواره كما ذكر علماء التأريخ كابن كثير [البداية والنهاية (15 / 101)] , وابن خلكان [وفيات الأعيان (4 / 267- 268)] وغيرهما. بعد أن غادر الاعتزال أخذ هذه العقيدة ونُسِبت إليه وكثُر أتباعه لِما ذكرنا من الأسباب ومنَّ الله عليه أخيراً كما قال محب الدين الخطيب رحمه الله (إن الله أراد أن يختم له بحسن الخاتمة ولحق بمنهج السلف ؛ لأنه لم يُعرف له مذهب بعده) , " ومن مات على خير عمله فارجو له خيرا " [سبق تخريجه] . أي خُتِم له بمنهج السلف ؛ لذلك كتب محب الدين الخطيب هنا كلاماً جيداً فقال (إذا كان لا يليق أن تُلصِق به عقيدة الاعتزال فكيف يليق بنا أن نُلصِق به عقيدة الكُلابية وقد رجع عنها كما رجع عن عقيدة الاعتزال) [ص (174) في حواشيه على الروض الباسم] ظلمٌ له إذن ,هو لحِق بمذهب السلف . وفي مقدمة الإبانة أثنى ثناءً عاطرا على الإمام أحمد ثناءً عظيماً بقوله رحمه الله (تحمّل ما لا يتحمّل غيره في الإبقاء على عقيدة السلف الصالح في محنة خلق القرآن) [ص (5)]. إذن عقيدة الأشعرية الكُلابية , ما هي عقيدتهم ؟ هذه الملونة , نفوا كون الكلام صفة فعل ونفوا عنه الحروف والصوت , وقالوا إنه معنى واحد في الأزل , هذا المعنى قد يُعبَر عنه بالعربية أو العبرانية أو

السريانية , هو معنى واحد أي إن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن كلها معنى واحد . يقال لهم : من الذي عبّر عن ذلك المعنى الذي في نفس الله تعالى , مرة بالسُريانية ومرة بالعبرانية ومرة بالعربية . من المعبِر ؟ لأن معنى التعبير أن تُعبر بلفظك وعبارتك عن غيرك , عرفتَ أن فلاناً يريد كذا وكذا , تعبر عنه والكلام الذي يُسمع كلامك لا كلام الذي تُعبر عنه ؛ لذلك اللسان يعبر عما في نفسك وأنت تعبر عن غيرك كأنك تترجم , من الذي قام بهذه الترجمة وبهذا التعبير ؟ قول على الله بغير علم وقول جريء جداً . إذا كُتِبَ كلامه سبحانه لا يخرج عن كونه كلامه ؛ لأنه لو ألّف الإنسان كتاباً أو قال قصيدة , كُتب هذا الكلام وكُتبت هذه القصية على مر الدهور , يقال هذا كلام فلان وهذه قصيدة فلان هذه قصيدة زهير , كونه حُفِظ ونُقِل لا يخرج عن كونه كلام الله سبحانه وتعالى . مع ذلك شهد لهم غير مرة أنهم أقرب فرق الكلام لمنهج السلف , ما معنى هذه الشهادة ؟ ومع ذلك لم يرتضِ القوم هذا القُربَ إلا أن يدخلوا في البيت , يقولون لا , نحن من أهل السنة والجماعة . المسألة ما هي بالقوة , بالعقيدة إما أن تدخلوا بالعقيدة أو تخرجوا بالعقيدة , هل أهل السنة والجماعة قالوا قولتكم هذه ؟ ما قول أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى ؟ معروف , ما قول أهل السنة والجماعة في علو الله معروف , وما عقيدتكم في علو الله ؟ نفي العلو والتشدد في نفي العلو , ونفي الاستواء . صفات ثابتة في الكتاب والسنة وبالإجماع وبالفطرة وبالدليل العقلي منفية عندكم نفياً صريحاً , قد يكونون هنا صُرحاء أكثر من كل موقف عندما قالوا ليس الله فوق العرش ولا تحت العرش ولا عن يمينه ولا عن شماله , لم تجد كلاماً للأشاعرة صريحاً كهذا , عادتهم اللف والدوران , ولكن هنا صُرحاء وهذا الكلام الذي أقوله موجود في الكتب الموجودة هنا في المكتبات , العقيدة السنوسية هذه عبارات العقيدة السنوسية التي شرحها إبراهيم البيجوري الشافعي وشرح أيضاً جوهرة التوحيد وله كلام كثير , وشرح أيضاً الدسوقي في حاشيته , هذه الكتب كنا نتحدث عنها غيابياً كما يقولون

واليوم حضرت موجودة في المكتبات , اطلعوا خصوصاً طلاب العلم الذين تمكنوا من العقيدة ينبغي أن يطلعوا على هذه الكتب حتى لا تضحك عليكم الأشاعرة المعاصرة , فيقولوا نحن أهل السنة والجماعة لتحاجوهم في عقيدتهم , لا تقولوا فلان قال كذا قال ابن تيمية أو قال ابن القيم أو قال فلان , هذا كلامكم وهل كلامكم هذا , كلام أهل السنة والجماعة ؟ الجواب لا . عندكم المواقف للإيجي – في لغتهم عضد الله اللإيجي – هذا صرح : بأن الفرق بيننا وبين المعتزلة إثبات الكلام النفسي وعدم إثباته , أي اتفقت الأشاعرة والمعتزلة على القول إن هذا القرآن العربي اللفظي مخلوق بالاتفاق , وبقيت المعتزلة على عقيدتها الصريحة في ضلالها , لكن الأشاعرة أرادوا أن يأتوا بجديد , قالوا الكلام الحقيقي لله غير هذا , هو الكلام النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت , هذا الكلام النفسي إما عبارة أو حكاية , ما الفرق بين العبارة وبين الحكاية ؟ الحكاية تحكي كلاماً يشبه كلاما , يقال فلان يحكي الشمس في الجمال والضوء , أي هذا الكلام شبيه بالكلام النفسي وليس هو أو ترجمة للكلام النفسي أو دالٌ على الكلام النفسي أو دالٌ على ما يدل عليه الكلام النفسي , وهذا هو الصحيح عندهم , الكلام النفسي يدل على أي شيء ؟ الكلام النفسي يدل على الأمر والنهي والوعد والوعيد كما يدل على هذا الكلام اللفظي . قالوا لو رُفِع عنا الحجاب لفهمنا من الكلام النفسي ما نفهمه الآن من اللام اللفظي , يا ترى متى يُرفع الحجاب ؟ الذين قالوا لو رُفع عنا الحجاب ماتوا ولم يُرفع الحجاب ولن يُرفع ولا وجود لهذا الكلام , الكلام النفسي لا وجود له , ما في النفس لا يُسمى كلاماً ؛ لكن يُسمى حديث النفس – وأنتم بصفتكم فقهاء – يفرقون بين حديث النفس وبين الكلام , الكلام ما يُتَكلم به ويُتلفظ به لفظاً , وما في النفس لا يُسمى كلاماً يسمى حديث النفس ؛ لذلك إنما تبطل الصلاة بالكلام اللفظي , لا يصلح شيء من كلام الناس في الصلاة , إذا تكلم الإنسان في الصلاة بدون مصلحة الصلاة بطلت صلاته ؛ لكن لو تحدث في نفسه وهو

في الصلاة سافر إلى اليمن ورجع وهو في الصلاة , هل تبطل صلاته ؟ لا , ينقص أجرها ؛ لأنه فقد حضور القلب والخشوع لكن الصلاة صحيحة . إذن ما عليه الأشعرية الكُلابية باطل من القول وما عليه المعتزلة باطل ولكنه باطل صريح لا يُلبس عليك .

هذا القرآن الذي نقرأه ونحفظه ولا تصح صلاتنا إلا به كلام الله ؛ لأن الله قال عنه { وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ..{6}سورة التوبة } , الكلام الذي سمعه المشركون وغير المشركين من رسول الله ﷺ وتُلي عليهم هل هذا الكلام أو الكلام النفسي ؟ الكلام النفسي كيف يُتلى حتى يُسمَع , الكلام اللفظي هو الذي سُمِع , هذا الكلام اللفظي هو الذي قلنا فيه قديم النوع حادث الآحاد هو هو , ليس هناك كلام آخر .

الكرامية كلامهم فيه تناقض , وجه التناقض : منهم من قال حادث قائم بذاته ومتعلقاً بمشيئته وقدرته . إذا فسرنا الحادث كما فسرنا سابقاً ليس حدوث خلق واختراع ولكن حدوث تكلم وخطاب وإنزال هذا المعنى صحيح , قائم بذاته باعتبار أصل الكلام , متعلق بمشيئته وقدرته صحيح باعتبار آحاد الكلام وأفراد الكلام , قالوا (له ابتداءٍ في ذاته) من هنا انزلقوا , كلام الله تعالى باعتبار الأصل ليس له ابتداء قديم قِدم الذات إلا إذا فُسِر بآحاد وأفراد الكلام , قالوا (وأن الله لم يكن متكلماً في الأزل) تناقضوا مرة أخرى . ولتحقيق هذه المسألة يُراجع شرح الطحاوية , وقد اشتغل بمناقشة هذه الأقوال وإفسادها وإبطالها شارح الطحاوية [شرح ابن أبي العز ص (129 وما بعدها] . وفسادها واضح بالنسبة للدارس , بالمناسبة الآن لابد من دراسة العقيدتين للطالب المتمكن العقيدة السلفية والعقيدة الأشعرية ؛ لأنها دخلت خشية أن تقعوا في اللبس ؛ لتستبينوا سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين , إذا كان قبل هذه الفترة يكفيكم استبانه سبيل المؤمنين فقط مع ما في ذلك من النقص كما يبين ذلك العلامة ابن القيم

[الفوائد (167 - 170)] , ولكن الوقت غير الوقت , لو تمكن طلاب العلم من دراسة السنوسية بشرح إبراهيم البيجوري على أستاذ سلفي مع دراسته للعقيدة الواسطية أو العقيدة الحموية يكون جيد جدا ومفيدا إلا أن تلك الكتب ينبغي أن تُدرس في جلسة مغلقة لا يحضرها إلا كبار طلبة العلم , يعني عوام الناس وأشباه العوام يحضرون الواسطية والحموية فقط ثم ينصرفون فتغلق الحلقة للكتب الأشعرية , هذا مجرد تصور يمكن تطبيق ذلك لو وفق الله وجعل في الوقت بركة وهو على كل شيء قدير.

* « ومن أصدق من الله قيلا » « ومن أصدق من الله حديثا » / ليس أحد أصدق من الله حديثاً وقولاً , بل هو سبحانه أصدق من كل أحد من خلقه في كل ما يُخبِر عنه بما في ذلك إثبات الصفات لنفسه سبحانه , أخباره في التشريعات وفي الوعد والوعيد , أخباره في الأسماء والصفات , فكل ذلك صدق ليس فيه كذب ؛ لأن علمه أشمل وأضبط . ومن الفلاسفة من يعتقد أن الله إنما يعلم الكليات دون الجزئيات , ومن الفلاسفة من يعتقد بأن الله إنما يعلم الأشياء بعد وجودها لا قبل وجودها , وهاتان الفكرتان من الفلاسفة من الكفر البواح . فالله سبحانه يعلم الأشياء على ما هي عليه من كل وجه وعلم غيره ليس كذلك وعلمه شامل لجميع المعلومات , فكيف يُوصَف بأنه لا يعلم إلا الكليات وكيف يُوصف بأنه لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها ؟! فكيف يجهل سبحانه شيئا مما يخلق , كيف يخلق وهو لا يعلم ! { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ{14} سورة الملك } عقلاً مستحيل , كلام الفلاسفة مستحيل مردود عقلاً وفطرة سليمة وشرعاً , الإنسان لديه علم العبد محدود {وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً{85} سورة الإسراء } ثم إنه حادث اكتسب العلم بعد أن كان جاهلاً , علّمه الله وأعطى كل إنسان ما قدَّر له من العلم بعد أن كان هذا الإنسان جاهلاً لا يعلم شيء , ثم هذا العلم ليس محيطاً بجميع المعلومات ؛ لأنه علم قليل ثم هذا العلم عُرضه

للنسيان والغفلة والذهاب في النهاية , هذه مواصفات علم المخلوق , يستحيل أن تُطبق هذه المواصفات في علم الخالق , فعلم الله علمٌ قديم قِدم ذاته , علمٌ لا يزول ولا يذهب ولا ينسى الرب سبحانه وتعالى ولا يغفل ولا يطرأ عليه شيء من الآفات التي تطرأ على علم المخلوق , إذا كان الأمر كذلك فالله سبحانه عالم بجميع ما أخبر به من كل وجه .

* « وإذ قال الله يا عيسى أأنت .. » هكذا بالنداء , إنما قال (وإذ قال الله) ولم يقل (وإذ يقول الله أو سوف يقول) إنما عبر بالماضي لتحقق ذلك القول وتأكيد وقوعه سوف يكون لا محالة وذلك يوم القيامة , يعلم الله بأن عيسى لم يأمر النصارى أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله , هذا السؤال إنما صدر لإظهار براءة عيسى عليه السلام على رؤوس الأشهاد وتقرير عبوديته الخالصة لله , وتسجيل الكذب والبهتان على هؤلاء الضالين الأغبياء من النصارى , وهذا من عدل الرب سبحانه يُثبت أمام العباد براءة عبده وكلمته عيسى عليه السلام مما نُسِب إليه , وعيسى عليه السلام يتبرأ من عبادة من عبده , وكل صالح عُبِد من دون الله سوف يتبرأ من عبادة من عبده ولا يصيبه شيء من الإثم بسبب عبادة من عبده ؛ لأنه ليس هو الطاغوت . والطاغوت هو الشيطان الذي زيَّن للعباد عبادة عيسى عليه السلام وأمه وعبادة الشيخ عبد القادر وعبادة رأس الحسين وغير ذلك من الصالحين , هؤلاء الصالحون بُراء من عبادة من عبدهم .

* « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً » / جميع أخباره صدق , جميع أحكام الرب سبحانه عدل لا جور فيها ولا ظلم , صدقاً في أخباره وعدلاً في أحكامه , والله إذا أخبر خبراً بما في ذلك إخباره تعالى عن صفاته وأسمائه هذا من نوع الخبر فهي في غاية العدل والصدق , كلام الرب إما أخبار أو أوامر ونهي وكلها في غاية العدل الذي لا جور فيه , فالله لا ينهى عن شيء ولا يأمر بشيء إلا لحكمة , وفي ذلك رحمة للعباد .

المراد بكلمة هنا : المقصود كلمات وإن كانت الكلمة لفظها مفرد لكن بهذه الإضافة إلى الضمير تُعطى حكم الجمع ؛ لأنها نكرة أُضيفت لمعرفة فتفيد معنى الجمع كقولنا رحمة الله ونعمة الله ؛ بل كقوله {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا ..{18}سورة النحل }, أي نِعم الله ونعم الله لا تعد ولا تحصى لكن قال نعمة , ومن يعرف أسرار اللغة العربية أن النكرة إلى أُضيفت إلى معرفة أو إلى الضمير أنها تفيد الجمع .

* « وكلم الله موسى تكليماً » / الآية ترد على الأشاعرة الذين يجعلون الكلام معنًى قائما بالنفس , وفي الآية معنًى لغوي عظيم ولطيف هو تأكيد الفعل بالمصدر , وكلم الله موسى عليه السلام تكليماً أي تكليماً حقيقياً وليس بمجاز , والتأكيد دائما إذا أُوكد الفعل بالمفعول المطلق الذي هو المصدر معناه نفي لاحتمال المجاز , ولو قال قائل قتلتُ زيداً قتلاً لا يحتمل إلا إزهاقه , ولو قال قتلتُ زيداً يحتمل أنه ضربه ضرباً مبرحاً يكاد أن يموت والضرب قد يُطلق عليه القتل والقتال كما في " حديث المار بين يدي المصلي (فقاتله) " [أخرجه البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه برقم (509) ومسلم برقم (256)] , ليس معنى ذلك اقتله قتلا , إنما كناية عن العنف والشدة في الدفع ولو أدى ذلك للمقاتلة , ومعنى المقاتلة أنتَ تدافعه وهو يريد أن يمر ؛ لأن معه شيطان , لا يفيد هذا نفي المجاز إلا وجود المصدر {.. وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً{164}سورة النساء } , ضربتُ زيداً ضرباً وقتلته قتلاً لا يحتمل إلا المعنى الحقيقي الذي تدل عليه هذه الكلمة , ولو لم يذكر المصدر يحتمل المجاز, ونفى الله هذا المجاز , بل كلمه كلاماً حقيقياً ولكن الله ذكر المصدر وهو (تكليماً) .

هذه الآيات ترد على الأشاعرة – كلما نذكر الأشاعرة المراد الأشعرية الكلابية – أي الذين انتسبوا إلى الإمام أبي الحسن الأشعري عندما كان في طوره الثاني , والذين معه في طوره الأول هم معتزلة , والذين أخذوا ما دل عليه كتابه الإبانة هم من السلفيين

, إذن الأشاعرة على الصحيح هم الأشعرية الكلابية الذين ينفون عن الله الكلام اللفظي ويعتقدون أن هذا الكلام اللفظي المقرؤ المتلو المكتوب بين دفتي المصحف مخلوق وليس بكلام الله حقيقة , قلنا غير مرة هم والمعتزلة متفقون معاً على القول بخلق القرآن ولكن المعتزلة قالوا بخلق القرآن ولم يُثبتوا لله كلاماً آخر معنى يتكلم يخلق الكلام , وأما الأشاعرة اصطلحوا من عند أنفسهم اصطلاحاً جديداً لم يُسبقوا إليه وليس لهم سلف ولا لهم خلف إن شاء الله , وهو إثبات الكلام النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت , الكلام النفسي لغة ليس بكلام , فرقٌ بين حديث النفس وبين الكلام , لفظة حديث تشمل الكلام وما لم يصل إلى درجة الكلام كالوسواس والخواطر وما يجري في نفس الإنسان , والفرق بينهما واضح جداً ؛ لأن الكلام اللفظي لا يصلح في الصلاة يُفسد الصلاة , وحديث النفس تسميته كلاماً فيه تجوز حديث النفس لا يُفسد الصلاة .

وإطلاق الكلام على القرآن عندهم مجاز , وكلام الله الحقيقي في زعمهم ليس بحرف ولا صوت , فيقال لهم في المناقشة : كيف سمع موسى عليه السلام كلام الله الكلام النفسي هذا الكلام النفسي الذي في نفس الرب سبحانه وتعالى الذي أثبتموه أنتم ولم يُثبته الرب لنفسه ولم يُثبته له رسوله ﷺ كيف سُمِع ؟ فإن قالوا إنه إلهام وإن الرب ألقى في نفس موسى عليه السلام هذه المعاني . يقال ليس لموسى خصوصية في هذه الحالة كيف وهو كليم الله . وإن قالوا إن الله خلق كلاماً في الشجرة أو في الهواء أو نحو ذلك , وهذه طريقة المعتزلة ومقولتهم , إن قالت الأشاعرة كما قال إخوانهم المعتزلة , لزِم أن تكون الشجرة هي التي قالت لموسى { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ .. {12}سورة طه } , وهل قال لموسى عليه السلام { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ .. {12}سورة طه }إلا رب العالمين , حاشا ! لم يقل أحد ولا يقوى أحد أن يقول أنا ربك .

* « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » / الخطاب حدث عند مجيء موسى للميقات , سبق بيان أن الحادث والمخلوق بينهما عموم وخصوص , كل مخلوق فهو حادث وليس كل مُحدَث مخلوق , قد يكون الشيء محدثاً ككلام الرب , مفردات كلام الرب حادث بما في ذلك القرآن كله ؛ لأنه حدث بالتكلم والخطاب والإنزال والوحي وقبل ذلك غير موجود , ولكن صفة الكلام باعتبار أصل الكلام صفة قديمة ذاتية قدم الذات كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر تماماً , فلم يزل الله ولن يزال أن يوصف بصفة الكلام , ولا ينبغي ولا يجوز اعتقاد أن الله في وقت من الأوقات كان غير موصوف بصفة الكلام , وأن الكلام مستحيل في حقه ثم تحول من الاستحالة إلى الجواز هذا لا يجوز ؛ لأن في ذلك وصفه بالنقص , عدم الكلام نقص , يتكلم إذا شاء كيف شاء .

* « وناديناه من جانب الطور الأيمن .. » / النداء لا يكون إلا بصوت مسموع , إذا قلت نادى فلان فلانا , أي رفع صوته حتى يسمع كل من يسمع الكلام , ولو نوى بقلبه أو أجرى على نفسه أنه ينادي فلانا أو رغب في نفسه في مجيء فلان , هذا الكلام الذي في النفس لا يسمى كلاما كما تقدم فضلاً أن يسمى نداء .

* « وناداهما ربهما » / خطاب الله لآدم وحواء كان ذلك بعد حدوث الخطيئة , لا يصح للأشاعرة أن يلزموكم إن قلتم بأن القرآن حادث , لا يستطيعوا أن يلزموكم بأنكم تعتقدون أو تقولون بخلق القرآن ؛ لأننا فرقنا بين الحدوث والخلق , لا يلزم من الحدوث الخلق .

* « ويوم يناديهم » / فإن هذا النداء والقول سيكون يوم القيامة , القيامة لم تقع بعد , والكلام يحدث هناك والنداء والسلام على أهل الجنة والتجلي وتمكين عباده من النظر إلى وجهه , كل ذلك في الحياة الآخرة .

والكلام يقع من الرب لكل عبد يوم القيامة , قد يقع الكلام محاسبة الله يحاسب العبد , وعندما يحاسبه لا يسأله سؤال استفهام هل أذنبتَ وهل أخطأتَ هل فعلتَ يوم كذا وكذا ؟ وإنما يحاسب فيقال له لماذا فعلتَ لماذا ظلمتَ لماذا أذنبتَ لماذا لماذا , هذه محاسبة مناقشة في الحساب " من نوقش الحسب هلك " [أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها برقم (6536) ومسلم برقم (2876)] , " ما من عبد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان " [أخرجه البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه برقم (6539) ومسلم برقم (1016)].

* « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله .. » والآيات بعدها / أيها النبي فأجره يحضر عندكم ويحضر مجالسكم وتقرأون عليه القرآن كلام الله . لا توجد آية أصرح من هذه الآية في إثبات أن القرآن الذي نقرأه كلام الله . وهذا ما عليه سلف هذه الأمة , بل إجماع أجمع السلف على تكفير من يقول بخلق القرآن [الشريعة للآجري ص (63) , عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (19)] , ولكن ليس كل من يقول كفراً كافراً كفراً بواحا , قد يكون كفر ولا يكفر كفراً بواحاً ؛ لوجود عذر يعذر الله به هذا العبد القائل أن القرآن مخلوق أو لوجود شبهة أورثته أن يقول هذا الكلام , طالب علم صغير نشأ في بيئة أشعرية بدء دراسته من المرحلة الابتدائية إلى الدراسات العليا وهو يدرس العقيدة الأشعرية ولم يعلم أنه توجد في هذه الدنيا عقيدة أخرى غير هذه , ويحسب أن هذه العقيدة هي التي جاء بها الرسول ﷺ وهي التي اشتمل عليها الكتاب والسنة , نشأ على هذا , إذا سمعتَ مَن هذه نشأته يقول بأن القرآن مخلوق يجب أن تعذره لا يكفر ؛ لأن جهله هذا شبهة قائمة , دراسة الطريقة الأشعرية نفسها شبهة قائمة , يجب أن تقيم عليه الحجة قبل أن تكفره , قد لا تستطيع أن تقيم عليه الحجة أنت , قد يراك قاصر وضعيف بأن تقنعه وتقيم عليه الحجة , في

هذه الحالة إما أن تدله إلى المراجع في الكتب التي يُحسن الظن بمؤلفيها أو ترفع أمره إلى العلماء الذين يقتنع بكلامهم حتى يبينوا له , فإذا تبين له الهدى سواء بقراءة الكتب كما تبين الهدى بعد ضلالة لشارحنا هذا الشيخ محمد خليل هراس بعد أن كان في ضلالة أشعرية وعلم الكلام والمنطق والفلسفة .

الكلام الذي قرأه النبي ﷺ وأصحابه على المشركين وغير المشركين حتى على الجن وسمعوه هو هذا القرآن هذا الذي في المصحف ؛ لذلك ينبغي الاهتمام بهذه الآية عند مناقشة الأشاعرة لا للجدال بالباطل وإنما للجدال بالحق , الجدال بالحق مطلوب ومرغوب , بل قد يكون واجباً , وكونك تجادل على الباطل ومن يريد أن يُلبس على الناس الحق , تجادل بالأدلة ؛ لإظهار الحق هذا واجب .

والأشاعرة في كتبهم عندما تقرأون , ولعلكم تضطرون الآن أن تقرأوها قد يسمون القرآن عبارة ويسمون حكاية ويسمون ترجمة ويسمون دليل أربع كلمات , أي عبارة عن كلام الله أو حكاية لكلام الله أو ترجمة لكلام الله أو دالٌ على كلام الله , في كلمة دال يختلفون إما أنه دال على كلام الله النفسي , يكون كلام الله الحقيقي النفسي في زعمهم مدلول عليه بهذا الكتاب بهذا القرآن , القرآن دال عليه أو دالٌ على ما دل عليه الكلام الحقيقي النفسي الذي ليس هو بحرف ولا صوت , بمعنى لذلك الكلام النفسي دلالة , الكلام النفسي يدل على شيء والكلام اللفظي هذا أيضاً يدل على ما يدل أيضاً الكلام النفسي ؛ لذلك يزعمون فيقولون إن الكلام النفسي يدل على الأمر والنهي والوعد والوعيد هذا الكلام اللفظي تماماً , بحيث لو رُفِع عنا الحجاب لفهمنا من الكلام النفسي ما نفهمه الآن من الكلام اللفظي . هذا خيال كلام غير حقيقي كلام غير واقعي وإنما يقولون خيالات يحفظها صغار الطلبة ويحسبون أنه علم , لو ناقشناه بهذه الخطبة لا يجد له مدخل , يقول هكذا قال شيوخنا هكذا قرأنا في كتب الأشاعرة . هل هذا هو الدين ؟ مصدر الدين واحد هو الوحي وخصوصاً في باب العقيدة , في باب

الأحكام قد تتجدد أمور مُحدَثة , وربما ما خطر على بالنا الآن ما التي تتطلب أحكاماً شرعية يتولى فقهاء الأمة إدخال ما يتجدد من المسائل المستحدثات إدخالها في الفقه الإسلامي إما في الكليات العامة أو بقياس العلة , هذا كله يقال في المسائل الفرعية , أما ما يتعلق بالعقيدة وبصفات الرب وأسمائه وبذاته العلية لا يقال شيء من هذا إلا بالتوقيف والوحي , مصدر التلقي واحد الوحي يشمل الكتاب والسنة , الله أخبر { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {9} سورة الحجر } , هذا المصدر محفوظ , الذكر هنا في الدرجة الأولى القرآن وتدخل السنة دخولاً ثانوياً ؛ لأنها تفسير للقرآن , إذا كان المفسَر محفوظاً فالتفسير أيضاً ؛ لأن السنة صنو القرآن وتفسير القرآن , إذن كما أن القرآن محفوظ فالسنة محفوظة , والواقع يشهد على ذلك , أنتم ترون كيف حفظ الله سنة نبيه كما حفظ كلامه إلى هذا الوقت المظلِم حُفظت السنة , بل في هذا الوقت الغريب انتشرت السنة تدخل عليهم في بيوتهم فيدرسونها ويتعلمونها ويعملون بها , هكذا حفظ الله كتابه وتفسير كتابه . وللحفظ أسباب , ومن أسباب حفظ القرآن أن يقيض الله من يحفظه في صدره ومن يحفظه في المصحف فيُكتب ويُطبع ويُنشر بين الناس وإنشاء مدارس تحفيظ القرآن وكليات القرآن من أسباب حفظ القرآن , ومن أسباب حفظ السنة أن يقيض الله من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية وغربلة تبين الضعيف من الصحيح ومن الموضوع والمتواتر من الآحاد والحديث القدسي من الحديث النبوي , ومن أسباب حفظ السنة إنشاء مدارس الحديث وكليات الحديث وهكذا , هذا العمل مستمر اليوم إلى ما شاء الله حتى يُرفَع هذا القرآن من صدور الحفاظ ومن داخل المصحف إذا جاء ذلك الوقت . ولله في خلقه شؤون كيف حفظ هذه السنة في هذا الوقت ؟ تستغرب ! والسنة اليوم انتشرت في البلدان غير العربية وغير الإسلامية كانتشارها في هذه البقاع .

إضافة الكلام إلى الله ليس عبارة كما تقول الأشاعرة , معنى العبارة إذا قلتَ فلان عبَّر عن فلان بمعنى عبَّر ما عند فلان بكلام نفسه , والعبارة قريبة من الترجمة , فالعبارة ليست كلام المتكلم وإنما كلام المعبِر , وأما الحكاية يحكي كلام غيره حكايةً وهو مطابق لكلام المتكلم وليس غيره ,هذه الحكاية والترجمة معروفة كحكاية كلام العجم باللغة العربية والعكس وبيَّنا معنى الدلالة . وإضافة القرآن إلى الله (حتى يسمع كلام الله) مضاف ومضاف إليه , فكلام مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه , أما قول ناقة الله أو بيت الله أو عبد الله أو حبل الله أو رسول الله إضافة أعيان , وإضافة القرآن لله إضافة معنًى إلى الذات وإضافة المعنى إلى الذات تدل على ثبوت المعنى لتلك الذات , أي هذا المعنى قائم بتلك الذات كلام الله سمع الله بصر الله حياة الله , هذه المعاني إضافة المعاني من باب إضافة الصفة إلى الموصوف .

لك أن تقول أن المضاف إلى الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام : إضافة المعاني من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك كلام الله سمع الله , الثاني إضافة المخلوق إلى الخالق , كأن تقول هذا خلْق الله , الثالث إضافة تشريف , يكتسب المضاف الشرف من المضاف إليه وهو الله سبحانه , كأن يضيف الله بعض مخلوقه إلى نفسه كروح الله رسول الله عبد الله وناقة الله , فالقسم الثاني والثالث من إضافة الأعيان .

كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ , أي أن الله هو الذي تكلم به لا غيره , وإليه يعود هذا القرآن , " سوف يُرفع من صدور الناس ومن المصاحف ويعود إلى الله في آخر أيام الدنيا " [أخرجه ابن ماجه عن حذيفه رضي الله عنه برقم (4049) والحاكم (4 / 473) والدارمي برقم (3209) , وذكر ذلك ابن تيميه في الفتاوى (3 / 198) , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (87)] .

وكتابة الناس ونقل الناس القرآن إلى المصاحف إلى ألواحهم وحفظهم إياه لا يُخرجه من كونه كلام الله , وهذا هو المعقول والمعهود عند الناس ؛ لأن المتكلم قد

يتكلم بكلام نثراً أو نظماً فيكتب هذا الكلام ويُحفظ ويُنقل من كتاب إلى كتاب ولا تزال الناس تنسب هذا الكلام إلى القائل الأول لا إلى الذين نقلوه , فعندما يُقرأ القرآن فالكلام كلام الباري والصوت صوت التالي .

قد وُجِدَ في القرآن إضافة القرآن أحياناً إلى جبريل وأحياناً إلى محمد عليهما الصلاة والسلام , عندما قال تعالى { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ{40} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ{41}وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ{42}سورة الحاقة }, ثم قال { تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{43}سورة الحاقة } , فجملة { تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{43} }, تؤكد بأن الإضافة هنا إضافة تبليغ ليست إضافة القول إلى قائله , ومما يؤكد هذا إضافة القرآن مرة أخرى إلى جبرائيل عليه السلام في قوله تعالى { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ{19} ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ{20} مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ{21}سورة التكوير}, هذا جبرائيل عليه السلام , فإضافة القول أحياناً إلى جبرائيل وأحياناً إلى محمد عليهما السلام دليل واضح بأن كلاً منهما لم يلفظه من عند نفسه وإنما أُضيف إلى جبرائيل ؛ لأنه بلَّغه عن الله , ثم أُضيف لمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه بلَّغه لأمته بعد أن بلَّغه حبرائيل عليه السلام , إذن كل منهما مُبلِغ , وها التوزيع توزيع الإضافة دليل قاطع بأن كل منهما لم يقله من عند نفسه , فلم يكن القرآن قول جبرائيل عليه السلام ولا قول محمد صلى الله عليه وسلم , ثم هذا التأكيد الذي جاء { تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{43} }, تأكيد لما فُهِمَ من توزيع الإضافتين أو من إضافة القول مرة إلى جبرائيل عليه السلام ومرة إلى محمد صلى الله عليه وسلم , وليس في ذلك متمسك للقائلين بأنه كلام جبريل عليه السلام أو كلام محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الإضافة كما قلنا مرة إلى جبرائيل عليه السلام ومرة إلى محمد صلى الله عليه وسلم تمنع هذا الوهم .

والقرآن كلام الله لفظه ومعناه , الألفاظ التي نقرؤها بحروفها والمعاني التي دل عليها القرآن كل ذلك من عند الله , ليس شيء من ذلك من عند جبرائيل عليه السلام أو من عند محمد صلى الله عليه وسلم , وإنما تكلم الله بذلك بلفظ نفسه وبصوته , والذين سمعوا كلام الله من

الأنبياء عليهم السلام الذين خاطبهم رب العالمين , خاطب آدم وحواء وخاطب نوحاً وخاطب موسى وخاطب كثيرا من أنبيائه عليهم السلام , كل هؤلاء سمعوا كلام الله بصوت الله ﷻ .

الحديث القدسي كلام الله لفظه ومعناه مثل القرآن تماماً في أنه كلام الله , المسألة مهمة جداً , وقد اختلط الأمر على بعض المؤلفين المعاصرين الذين نقلوا عقيدة الأشاعرة إلى علم المصطلح , ولم ينتبهوا بأنها عقيدة أشعرية وحسبوها مسألة اصطلاحية , وليس الأمر كذلك . الحديث كما تعلمون , حديث نبوي وحديث قدسي , الحديث النبوي معناه من عند الله والألفاظ من عند رسول الله ﷺ , فقوله ﷺ [بني الإسلام على خمس ..] [أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (8) ومسلم برقم (16)], هذا الحديث من أوله إلى آخره موحاً من عند الله – معناه– ؛ لأن النبي ﷺ لا يملك أن يقول من عند نفسه بأن الإسلام بني على خمس, ولكن الله أوحى إليه وعلَّمه بمباني الإسلام , وعبَّر عن ذلك بلفظ نفسه وبعبارته عما أوحى الله إليه هذا الحديث النبوي , أما الحديث القدسي هي الأحاديث الربانية التي يُخبر النبي ﷺ عندما يُحدِّث بها يقول فيها قال الله , فقوله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي " إني حرمت الظلم على نفسي .." [رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه برقم (2577)] , هذا كلام الله لفظه ومعناه تماماً , ليس فيه شيء من ألفاظ رسول الله رضي الله عنه , فإذا كان الحديث القدسي كلام الله لفظاً ومعنًى , والقرآن كلام الله لفظاً ومعنًى , إذن ما الفرق بينهما ؟ الفوارق : 1– القرآن متحداً به , تحدى الله العرب على فصاحتهم وبلاغتهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فأعجزهم , بل أنزل في أوائل بعض السور حروفاً مقطعة (آلم) مثلا , معناه إن القرآن يتألف من هذه الحروف العربية المعروفة لديكم فألفوا كلاماً كهذا من هذه الحروف وهي حروفكم فأعجزهم ؛ لأن القرآن مُعجِز بلفظه ومعانيه وما اشتمل عليه من القصص والوعد والوعيد وأخبار الماضين ونبأ من بعدنا , والأحكام التي اشتمل

عليها ونحن عليها , هذه كلها من معاني التعجيز , ولن يستطيع مخلوق ما أن يأتي بمثل هذا القرآن ؛ لأن الله أنزله بأسلوب خاص , ليس بنثر معروف عند العرب ولا هو بنظم معروف عندهم , أسلوب آخر وكلام آخر وهذا من أساليب التعجيز , بهذا أعجز الله العرب من أن يأتوا بمثل هذا القرآن , والحديث القدسي ليس كذلك .2- ثم إن القرآن كله متواتر , والأحاديث القدسية فيها المتواتر وفيها الآحاد . 3- القرآن لا تصح الصلاة إلا به بخلاف الأحاديث القدسية , فلو أن إنساناً قرأ بدل الفاتحة حديثاً قدسياً في الصلاة فصلاته لا تصح . وربما ذكر بعض أهل العلم غير ما ذكرتُ . وعلى كلٍ هذه هي الطريقة الصحيحة والمذهب الصحيح أن الحديث القدسي كلام الله لفظاً ومعنًى مع مراعاة هذه الفروق وليس هو كالحديث النبوي والله أعلم .

* « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » , « قل نزله روح القدس من ربك .. » / ابتداء تنزيل القرآن من عند الله ﷻ .

إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة :

وَقَوْلُهُ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ , إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}،{عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ} { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} ، وَقَوْلُهُ: { لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ }، وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

* « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » , « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » , « لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد » / ذكر ثلاث آيات فقط واقتصر على ذلك ؛ لأن الكتاب مختصر وإلا هناك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة . استوعب تحت هذه المسألة بأدلتها العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح [ص (361 –

372)] , وذكر أحاديث متواترة بأسانيدها , ومن أراد الاطلاع فعليه بذلك الكتاب [ص (373 – 408)] .

الرؤية بالجنة خاصة للمؤمنين بلا خلاف ؛ لأن الجنة دار المؤمنين لا يدخلها غير المؤمنين , إذن الرؤية في الجنة أعظم نعمة أنعم الله على أوليائه في دار الكرامة , وإنما الخلاف في الرؤية في عرصات القيامة هي خاصة بالمؤمنين أيضاً أو يراه المنافقون مع المؤمنين أو يراه سبحانه المؤمنون والمنافقون والكافرون جميعاً ثم يحتجب الرب سبحانه عن غير المؤمنين ؟ أقوالٌ لأهل العلم , الذي يُفهم من كلام شيخ الإسلام أن الرؤية خاصة بالمؤمنين حتى في عرصات القيامة [مجموع الفتاوى (6 / 466 – 468)] , وذهب إلى هذا القول الحافظ ابن حجر في الفتح وأيده [(13 / 434 – 435)] , والمسألة خلافية خلاف علمي ليس في الاعتقاد , الأصل الإيمان بإثبات الرؤية وهذا محل الاتفاق بين المسلمين , أما الاختلاف هل في عرصات القيامة خاصة بالمؤمنين أو يراه غير المؤمنين مسألة علمية خلافية لا يضر الاختلاف فيها .

نفت المعتزلة الرؤية بناءً على نفيهم العلو , قالوا العلو مستحيل على الله ؛ لأن اعتقاد العلو اعتقاد التحيز والله متحيز في جهة معينة – يجب أن نتقيد بالألفاظ الشرعية , الألفاظ الشرعية في هذا الباب استعمال العلو والفوقية وفي السماء أخذاً من الكتاب والسنة , ولفظة الجهة من الألفاظ المجملة : أولاً غير واردة في الكتاب والسنة , استعمال الجهة في حق الله لم يرد في كتاب ولا سنة لا نفياً ولا إثباتاً , هذه الألفاظ الجهة والتحيز والمكان والجوهر والعَرض , نبه شيخ الإسلام في بعض كتبه إلى عدم استعمال هذه الألفاظ في حق الله لا نفياً ولا إثباتاً أولاً لعدم الورود , ثانياً لأنها تحتمل الحق والباطل , وكل ما كان كذلك لا ينبغي استعماله في حق الله تعالى ؛ لأن الجهة قد تُطلق ويراد بها الجهة الوجودية كالسماوات السبع والعرش والكرسي , ويحتمل أن يُراد بها الجهة العدمية وهي ما فوق العالم كله ليس هناك شيء , فالله سبحانه وتعالى فوق جميع العالم , طالما

يحتمل اللفظ هذين الاحتمالين لا ينبغي استعمالها – قالوا العلو مستحيل , فإذا كان العلو مستحيلاً فالرؤية مستحيلة ؛ لأن المرئي لا بد أن يكون في جهة من الرائي, هكذا درسوا وهكذا نقلوا من شيوخهم ولم يلتفتوا إلى ما في الكتاب والسنة من إثبات العلو وإثبات الاستواء , إثبات علو الله على خلقه ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة والفطرة السليمة والعقل السليم , وكل من سَلِمَ من تلوث فطرته وعقله بآراء علماء الكلام وبقي هناك في باديته على فطرته ذكراً كان أو أنثى قلتَ له أين الله ؟ لا يتردد في أن يقول في السماء , وسؤال النبي ﷺ تلك الجارية العجمية راعية الغنم عن هذه القصة ليس من باب الصدف وإنما ذلك لمغزى ؛ لأن صفة العلو لا مشاركة فيها في المعنى العام , الصفات الذاتية الأخرى كالسمع والبصر قد تكون فيها المشاركة اللفظية والمشاركة في المعنى العام , لعل هذه هي الحكمة في أن الرسول ﷺ خص بامتحان الجارية السؤال عن علو الله ﷻ .

واحتجاج المعتزلة بالنقل احتجاجٌ شكلي , أي لا يعتمدون على الأدلة النقلية , بل حتى الأشاعرة وهم أقربهم لمنهج السلف يصرحون في كتبهم الأدلة النقلية إنما تُذكر من باب الاعتضاد بها لا من باب الاعتماد عليها , إذا احتجت المعتزلة أو الأشاعرة ببعض الآيات إما من باب المغالطة ليغالطوا الناس بالتحريف يريدون تحريف الأدلة التي استدلوا بها أو من باب تأييد ما عندهم إذا جاءت موافقة مؤيدة لما يعتقدون , ومما احتجت به المعتزلة { لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ..{103}سورة الأنعام }, الغرض من هذا الاحتجاج يريدون التحريف والتلبيس على الناس وليس إيمان منهم بالنقل ؛ لأن الأدلة النقلية لا يعتمدون عليها , فهم يريدون أن يقولوا لا تراه الأبصار , وليس المعنى كذلك الإدراك أمرٌ زائدٌ على الرؤيا والمنفي هنا الإدراك , والإدراك الإحاطة , فالآية نفت بأن الأبصار لا تحيط بالله , رؤية الله رؤية حقيقية , لكن بدون إحاطة , كذلك الرؤية تحصل رؤية حقيقية لكنها بغير إحاطة , كيف يحيط المخلوق بالخالق ؟ الله أكبر وأعظم

من أن تحيط به أبصار الخلائق . من هنا يتبين إنما احتجت المعتزلة بهذه الآية ؛ لأنهم يريدون التحريف ويريدون الإيهام بأن في القرآن ما ينفي رؤية الله , وليس الأمر كذلك . واستدلوا بقول الله سبحانه لموسى عليه السلام {.. قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي..{143}سورة الأعراف } , طلاب العلم يسمعون عن الزمخشري شيخ المعتزلة وعالمهم وهو بحرٌ متمكن باللغة العربية , ولكن الله لم يوفقه أن يعمل بعلمه في اللغة , بل استغل معرفته باللغة في تحريف كتاب الله وزعم أن (لن) للتأبيد دائماً (لن تراني أبداً) , هذا كذب متعمد على اللغة , تعمد الزمخشري أن يكذب على اللغة لتأييداً لعقيدته عقيدة الاعتزال . في اللغة (لن) لنفي المستقبل فقط , وأن التأبيد يُؤخذ من القرينة لا من اللفظ , قال ابن مالك :

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله

اردد وسواه فاعضدا

وهذا ينطبق على الزمخشري وأمثاله .

الأشاعرة والمعتزلة متفقون على نفي العلو , إذن عداوة الأشاعرة للمعتزلة مناورة غير سليمة , لا عداوة بينهما ؛ بل بينهما الاتفاق واتفقوا على نفي علو الله تعالى من أعظم الصفات الذاتية واتفقوا على القول بأن القرآن مخلوق أين العدواة إذن ؟ فالعدواة شكلية , لكن المعتزلة كما قلنا غيره عدو صريح لا تنخدع بكلامه , إذا كان خصمك صريحاً لا يعمل اللف والدوران خصم صريح ينفي ما ينفي ويثبت ما يثبت , لكن إذا كان خصمك يلف ويدورن تتعب معه , الأشاعرة اتفقوا مع المعتزلة بنفي العلو ثم زعموا بأنهم يثبتون الرؤية , كيف تثبتون ؟ رؤية بلا مقابلة , يعني رؤية بدون مقابلة لنفي العلو لئلا يلزمهم إثبات العلو , قالوا نثبت لله رؤية بلا مقابلة , فالعباد يرونه , لكن لا يرونه من فوقهم . فقولهم تكذيب لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ المتواترة , فاحتاروا ووقعوا في الحيرة تفسير تلك الرؤية التي أثبتوها أو زعموا في إثباتها فمنهم من قال يرونه من كل

الجهات , من الذي يستطيع أن يتصور بأن العبد يرى ربه من جميع الجهات , كم الجهات ؟! يعني يرونه من يمين و شمال وإمام وخلف , كلام لا معنى له , ولكن العباد يرونه من فوقهم يتجلى عليهم من فوقهم ويسلم عليهم ويضحك إليهم . اقرأ في حادي الأرواح كلاماً يُثلج الصدر ويزيل هذا اللبس وذكر أبيات عظيمة ساقها العلامة ابن القيم عند هذه المسألة : فبينما هُمُ في عَيشِهم وسرورهم وأرزاقهم تجري عليهم وتُقْسَم

تجلى لهم رب السماوات جهرة فيضحك فوق العرش ثم يُسلِّم

سلام عليكم يسمعون جميعهم بآذانهم تسليمه إذ يُسَلِّم

يقول سلوني ما اشتهيتهم فكل ما تريدون عندي إنني أنا أرحم

فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا فأنت الذي تُولِي الجميل وترحم

ولله أفراح المحبين عندما يخاطبهم من فوقهم ويُسلِّم

ولله أبصار ترى الله جهرة فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم

فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة أمن بعدها يسلو المحب المتيم

[حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص (31 – 32)]

, ومنهم من أثبت رؤية بالبصيرة لا بالبصر , من أين لكم البصيرة ؟ لو كانت لكم بصيرة لفهمتم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (أي الأشاعرة) , وقالوا المقصود زيادة الانكشاف والتجلي حتى كأنها رؤية عين , دعوى بلا بينة , يعني يَصِلون إلى درجة حتى ينكشف عنهم الحجاب , وكثيراً ما يدعون كشف الحجاب . لما قالوا إن كلام الله النفسي يدل على ما يدل عليه الكلام اللفظي قالوا ولو كُشِف الحجاب لفهمنا من الكلام النفسي ما نفهمه من الكلام اللفظي . فالكلام اللفظي نفسه لم تفهموه فضلاً من أن تفهموا من الكلام النفسي الخيالي الذي ليس بحقيقة , ما أكثر الدعوى !

قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) هنا بحث لغوي مهم جداً , عقيدتنا نصوص من الكتاب والسنة , والنصوص في اللغة العربية وليس فيها جفاف ولكنها ترقق القلوب , الذين يدعون الجفاف من النصوص فيهم الجفوة وفيهم المرض ؛ لذلك لا تلين قلوبهم لإثبات الله ويصفون النصوص بالجفاف من أين الجفاف ؟ تفسير بالجفاف ولم تُنَوَّر قلوبهم بنور الإيمان فوصفوا الكتاب والسنة بالجفاء لينفروا الناس عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . أصل هذه الكلمة أشعرية النسب ؛ لأن هذا القائل دراستة إما علمية أو أدبية – هذا التقسيم الجديد في التعليم – إن كانت دراسته أدبية إنما درس الدين على العقيدة الأشعرية ولم يقيموا وزناً لنصوص الكتاب والسنة , بل أدلتهم أدلة عقلية لا على الأدلة النقلية ؛ لذلك يرون في النصوص جفافاً وقسوة وعدم إفادة اليقين والقطع وإنما هي ظنية , إن كانت دراسته بهذا المعنى لا غرابة فيما قال , وإن كانت دراستهم علمية فإنه لا علم له بنصوص الكتاب والسنة ؛ لأن الدراسة العلمية ربما درس التجارة والصناعة ودرس الهندسة ودرس شيئا من هذه العلوم التي سموها علوم , لا علم له بالكتاب والسنة فليسمها ما شاء ؛ لأنه أجنبي عن نصوص الكتاب والسنة ,

والكتاب بين أيديكم ويحمل لقباً خداعاً (منهج الأنبياء) انظروا إلى هذا العنوان بهذا

الكتاب اتهم محمد سرور زين العابدين اتهم النصوص بأن فيها الجفاف فانتبهوا للسرورية فهي شرٌ كالحرورية .

* ناضرة : مضيئة , ناظرة : أي من النظر لوجه الله تعالى , اكتسبت الحسن والبهاء من النضارة والحسن والبهاء . الفعل (نظر) إن عُدي بـ(إلى) لا يكون إلا بمعنى الإبصار , وإن عُدي الفعل بنفسه { انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ..{13}سورة الحديد } , الواو : واو الجماعة فاعل , نا : مفعول , الفعل هنا عُدي بنفسه فيكون بمعنى الانتظار والتوقف , لا يكون إلا بهذا المعنى . وإن عُدي بـ(في) يكون بمعنى التفكر والاعتبار . لو فسر الإنسان (إلى ربها ناظرها) بغير الإبصار عطل القرآن أو حمَّل الآية ما لا تحتمل .

والمعتزلة يفسرون (إلى) بمعنى النعمة , ولا يُعرف في اللغة أن (إلى) تأتي بمعنى النعمة , هكذا يتجرأ القوم لما في قلوبهم من الجفاف , يتجرءون على كتاب الله ويتلاعبون في الألفاظ كما ترون .

* « على الأرائك ينظرون » / الله بعد أن يُكرِم أوليائه بدخول الجنة ويُمكّنهم على أسرتهم يتجلى عليهم من فوقهم ويسلم عليهم { سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ{58}سورة يس } , فيرفع كل إنسان رأسه من حيث هو فيرى ربه دون أن يكون هناك زحام أو تضرر .

* « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » / تفسير نبوي (للذين أحسنوا) أي في هذه الدنيا , أحسنوا بالعقيدة السليمة والعمل الصالح وإتباع رسول الله ﷺ , لا يكون الإنسان إلا هكذا وهو إخلاص العبادة لله وحسن متابعة رسول ﷺ .

* الحسنى : الجنة .

* وزيادة : الزيادة النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى هكذا فسَّر النبي ﷺ [أخرجه مسلم عن صهيب رضي الله عنه برقم (181)] .

* « ولدينا مزيد » / المزيد رؤية وجه الله , الويل كل الويل لمن ينفون وجهه , الذين لا يؤمنوا بوجه الله سوف لا يرونه ؛ لأنهم لم يؤمنوا به .

* « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » / يقول الإمام الشافعي رحمه الله (هذه الآية أقوى دليل لرؤية المؤمنين لربهم , ولما احتجب الرب من هؤلاء في حال الغضب فُهِم أنه يُمكِّن أوليائه من رحمته في حال الرضى) . [تفسير ابن كثير (4 / 625)]

والجواب على استدلالهم بقوله تعالى { لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ..{103}سورة الأنعام }, الآية مع ما قبلها وما بعدها تدل على ثبوت الرؤية من وجوه كثيرة منها :

1- طلب موسى عليه السلام للرؤية دليل على أن الرؤية ممكنة في ذاتها لولا المانع , ولكن هناك مانع يمنع في هذه الدنيا , لو كان موسى عليه السلام يعلم بأن رؤية الله مستحيلة لا تليق به لما طلب ؛ لأنه رسول من أولي العزم معصوم عليهم السلام .

2- إن الله علَّق الرؤية على استقرار الجبل (إن استقر الجبل مكانه بعد التجلي فسوف تراني) , علَّق الرؤية على استقرار الجبل والاستقرار ممكن عقلاً وليس بمستحيل , والمعلَق على الممكن ممكن , إذن الرؤية ممكنة وليست مستحيلة ؛ لأن الله علق الرؤية على شيء ممكن وهو استقرار الجبل أمام التجلي لو أراد الله ذلك , ولكن الله لم يرد ذلك .

3- إن الله تجلى للجبل بالفعل والجبل جماد , فلا يمتنع أن يتجلى رب العالمين لأوليائه في دار الكرامة , هذا ممكن عقلاً وواقع فعلاً ؛ لأنه ثابت بالكتاب والسنة , ما ثبت بخبر الله وخبر رسول الله ﷺ أمر واقع لا محالة , سوف يقع التجلي من الرب سبحانه

وتعالى والرؤية من العباد بغير إحاطة , هكذا تدل الآية بسياقها الكامل من أولها إلى آخرها على أن الرؤية ممكنة , لكن في غير هذه الدار , أما في هذه الدار لا تقع , أي ممكنة غير واقعة في الدنيا وواقعة في الآخرة , والسنة تُفسر القرآن , فأخبر النبي ﷺ في آخر قصة المسيح الدجال [اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا " [سبق تخريجه] , بل لم تقع حتى لخليله الثاني محمد ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج على أصح القولين لم يرَ النبي ﷺ ربه في تلك الليلة ؛ لأنه فور نزوله في مكة سُئِل هل رأيتَ ربك ؟ قال " نور أنى أراه , حجابه النور" [سبق تخريجه] , وما نُقِل عن بعض الصحابة ﷺ بأن النبي ﷺ رأى ربه تلك الليلة فُسِر بالرؤية القلبية وليست رؤية بصرية , الرؤية البصرية لا تقع في هذه الدار ؛ لأن العباد لا تتحمل قواهم البشرية في هذه الدنيا بالثبوت أمام التجلي , ولكن الله سوف يُنعِم عباده المؤمنين في الدار الآخرة قوة حتى يثبتوا أمام التجلي فتقع الرؤية , فيكون معنى الآية (لن تراني) أي في الدنيا . هكذا يتفق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على نفي الرؤية في الدنيا وإثبات ذلك في الآخرة , لا تناقض بين كلام الله وكلام رسوله ﷺ , فمن تمسك بالكتاب والسنة لا يتناقض ولن يقع الناس في التناقض دائماً إلا إذا تركوا المنهج منهج الأنبياء الصحيح العملي- لا منهج الأنبياء المدعى – لا يتناقض والتزم بنص الكتاب والسنة ورأى في الكتاب والسنة الخير والبركة والشفاء والرحمة لن يتناقض ؛ ولذلك لو تتبعتم كلام سلف هذه الأمة على اختلاف أزمنتهم تجدهم كأنهم ينقلون من أستاذ واحد ؛ لأن مصدر التلقي واحد وهو الوحي , إذا كان مصدر التلقي واحد لا يحصل التناقض . اقرأ لمن يعيشون في القرن الثاني والثالث ثم اقرأ لمن عاشوا ووجدوا في القرن الثاني عشر تجد كلامهم واحد , لكن تعال لغيرهم واقرأ , شخص واحد ينقض آخر كلامه في جلسة واحد أوله , ولقد تجد في مجلس واحد شخص يتحدث وهو غير ملتزم بمنهج الأنبياء الصحيح ينقض آخر كلامه أول كلامه , هذا هو الواقع .

وما يُدعى وينسب للإمام أحمد رحمه الله وغيره بأن فلاناً رأى ربه في المنام وأن فلاناً رأى ربه في اليقظة من مشايخ الصوفية كذب ليس بصحيح ونسبة هذا الكلام للإمام أحمد لا يثبت , مجرد نسبة عارية عن الصحة ؛ لأن قوله ﷺ " إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا " (لن) تفيد هنا التأبيد في الدنيا , والقرينة والسياق هنا دلا أن (لن) للتأبيد والقرينة , قوله (حتى تموتوا) فالموت لابد منه .

في آيات الصفات الكثيرة التي ساقها المؤلف يُؤخذ منها ضوابط وقواعد , وهذه عقيدتنا بحمد الله آيات وأحاديث يستنبط منها طالب العلم قواعد وأصولاً ؛ لأنها كلها متلقاه من رب العالمين بلَّغ عنه رسوله الأمين ﷺ وهي نصوص مفيدة شافية كافية رحمة وشفاء , يجب أن يُعتقد في نصوص الكتاب والسنة , ولا يجوز اتهامها بأن فيها الجفاف , وكم ستقرءون لبعض الناس المتطرفين في هذا الوقت الذين يتهمون النصوص بالجفاف وعدم الفائدة , وهذا الكلام قد يؤدي إلى الإلحاد ؛ لأن الطعن في آيات الله وأحاديث رسول الله ﷺ الثابتة يؤدي إلى الطعن بالذي أنزل الكتاب وأوحى بالسنة وذلك يؤدي إلى الكفر والإلحاد , قد يتكلم بالكلمة ويكتب كتاباً لا يُلقي له بال تؤدي للكفر والإلحاد وهو يحسب أنه يُحسن صنعاً .

القاعدة الأولى : الأسماء الحسنى ليست أعلاماً جامدة لا تدل على المعاني , بل أسماء الله تعالى من حيث دلالتها على الذات فهي أعلام , ومن حيث دلالتها على الصفات فهي أوصاف , أسماء الله تعالى تدل دلالتين : دلالة على الذات , اسم الله العليم مثلاً يدل على الذات الموصوفة بالعلم وبهذا الاعتبار فهو عَلَم ويدل على العِلم وبهذا الاعتبار فهو وصف , وكذلك اسم الله السميع البصير– الذي أخطأت فيه المعتزلة فيهما وفي غيرها – يدل دلالتين : الدلالة الأولى دلالة على الذات الموصوفة بالسمع (السميع) , والدلالة الثانية دلالة على السمع نفسه على الصفة , الصفات معاني الأسماء , اسم الله

البصير يدل دلالتين يدل على الذات ويدل على الصفة . الذي يحاول أن يُفرق بين الاسم والصفة فيزعم أنه يؤمن بالاسم دون الصفة يؤمن بأن الله عليم ولكن لا يؤمن بالعلم , يؤمن بأن الله سميع ولكن لا يؤمن بالسمع , يؤمن بأن الله بصير ولكن لا يؤمن بالبصر, هذا تناقض وعدم فقه في العقيدة فهي عقيدة المعتزلة , وقد يقع فيها من يأخذون علومهم من بطون الكتب ويُعرِضون عن أهل العلم وعن العلماء , العلم بالتعلم على العلماء لا من بطون الكتب , الطالب الصغير ليس مؤهلاً بأن يأخذ العلم من بطون الكتب , بل يجب أن يتربى على أيدي المشايخ والعلماء الذين يُفسِرون فيبينون ؛ لأن العلماء يمثلون- إن صح هذا التعبير- دور الأنبياء عليهم السلام , أي يقومون بدور الأنبياء في البيان , وكونك تترك العلماء وتزهد فيهم وتحاول أن تأخذ العلم من بطون الكتب مع قِصر علمك وضعف بصيرتك وربما لا تجيد فرعاً من فروع اللغة العربية , والعجيب من لا يُفرق بين الفاعل والمفعول وبين الحال والتمييز يدعي الاجتهاد فيأخذ علماً من بطون الكتب فيزهد في العلماء – هذه خيبة – أنت لم تتمكن من اللغة التي أُلِفت فيها الكتب هذه , كيف تأخذ العلم من بطون الكتب ؟ أنت لست لغوي تجيد اللغة , تعلم فروع اللغة العربية وتعلم الشريعة والعقيدة على أيدي العلماء . فيما مضى يرحل طالب العلم لطلب حديث واحد ومسألة واحدة من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وإلى العراق , الآن كثُر العلماء في كل مدينة في كل مكان , بينما الأولون يرحلون رحلة طويلة وينفقون أموالاً حتى يتعلموا مسألة واحدة , تتركون العلماء كبار العلماء أهل العلم والفقه وتزهدون فيهم وتجلسون إلى الأنصاف , الأنصاف الذين أخذوا العلم من بطون الكتب فتريدونهم بهذه التركة السيئة , اطلبوا العلم على أيدي العلماء , والعلماء موجودون والكتب مؤلفة وميسرة , قد تقرأ الكتاب على مؤلفه , الكتب الموجودة بين أيديكم الآن مؤلفوها موجودون وعلماء يُعتبرون , لكن للأسف زهد الشباب عن طلب العلم على أيدي العلماء , بل ربما تصدى بعض الشباب

للفتوى من عند أنفسهم , نصيحتي للشباب ألا يضيعوا هذا الضياع , هكذا يضيع العلم إذا قُبِض هؤلاء الموجودون الآن وهم عدد معين قُبِض العلم ورُفِع العلم , العلم إنما يُرفع بموت العلماء وبقبض العلماء . [دل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد .. " [أخرجه البخاري برقم (100) ومسلم برقم (2673)] .

الإيمان بالصفات يجب أن يكون إيماناً عاماً , لا يجوز أن يختار المرء من عند نفسه أو طائفة من الطوائف أو مذهب من المذاهب صفات معينة كما فعلت الأشاعرة , اختيار صفات المعاني السبع والصفات السلبية الخمس والصفة النفسية وعدم الإيمان ببقية الصفات تفريق بين ما جمع الله , يجب الإيمان بجميع صفات الرب سبحانه . والتفريق بين أفعال الله تعالى كالإيمان بالأفعال المتعدية كالخلق والرزق وعدم الإيمان بالأفعال اللازمة كالاستواء والنزول طريقة سيئة من طرق الأشاعرة , فيجب الإيمان بأفعال الله كلها . القاعدة الثانية : إذا استقرائنا تلك الآيات التي ساقها المؤلف من حيث الدلالة : منها ما يدل على الصفات الذاتية الملازمة للذات التي لا تنفك عن الذات , ومنها صفات فعلية تتجدد , القسم الأول الصفات الذاتية لا تنفك عن الذات ولا تتعلق بالمشيئة فلا يقال الله حيٌ إذا شاء حيٌ حياة أبدية أزلية كذلك العلم والقدرة والقوة والعزة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والجلال فهذه صفات لا تُقيَّد بالمشيئة , وهي باعتبار عين الذات بمعنى لا تنفك عن الذات , وباعتبار غير الذات أي أن لها مفهوما غير الذات , أشير هذه الإشارة ؛ لأنك قد تمر ببعض المطولات , هل الصفات غير الذات أو عين الذات ؟ وقد بحثها أهل الكلام وقد بحث فيها السلف الذين أدركوا زمن الأهواء , لتكونوا على بصيرة إذا قيل هل الصفات غير الذات أو عين الذات ؟ لا يكون الجواب نعم أو لا , بل لابد من تفصيل : باعتبار دلالة الصفات , الصفات تدل على غير ما تدل عليه الذات ومن حيث الدلالة بينهما فرق , للذات

معنى ودلالة وللصفات معنى ودلالة , بهذا الاعتبار الصفات غير الذات , وباعتبار ملازمة الصفات للذات وعدم انفكاكها هي عين الذات . القسم الثاني : منها ما يدل على صفات فعلية تتجدد إذا شاء , تحدث في وقت دون وقت , وهذه الأفعال هي التي أشكلت على كثير من الناس وبصفة خاصة في صفة الكلام , صفة الكلام كما تقدم تشترك في النوعين باعتبار أصل الصفة فهي ذاتية لم يزل الله موصوفاً بصفة الكلام , وفعلية ؛ لأن الله تكلم في أزمنة مختلفة وخاطب أشخاصاً مختلفين يعيشون في أزمنة مختلفة وسيتكلم يوم القيامة ويتكلم آخر كل ليلة , آحاد هذا الكلام صفات فعلية تتجدد وهذا التجدد هو الذي يُسمى بالحدوث أي يحصل في وقت دون وقت , فعلى المؤمن الإيمان بكل ما وصف الرب سبحانه من الأفعال المتعلقة بذاته كالاستواء والنزول والإتيان والضحك - الرب يضحك كما يليق به وثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة - والرضا والغضب والمحبة والفرح والكره , ليس لأحد أن يقول كيف محبته كيف ضحكه كيف فرحه ؟ إذا قلتَ هذا أنا أقول لك : كيف سمعه وبصره وأنتَ تؤمن بالسمع والبصر , تقول كما يليق به , كما قلتَ في السمع والبصر والقدرة والعلم كما يليق به قل في جميع الصفات . المهم أن تثبت عندك الصفة إما في الكتاب والسنة معاً أو في السنة أحياناً ؛ لأن بعض الصفات ثابتة في السنة الصحيحة غير موجودة في الكتاب , لا فرق من حيث الإيمان بين الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة وبين الصفات التي ثبتت بالسنة الصحيحة , هذا ما أجمع عليه سلف الأمة , والتفريق بين ما ثبت بالكتاب والسنة وما ثبت بالسنة , بل والتفريق ما ثبت بالسنة المتواترة وبين ما ثبت بالآحاد طريقة جهمية عصرية لا أصل لها عند سلف هذه الأمة , فالسلف ما كانوا يبحثون أبدا هذا الدليل متواتر أو آحاد , كانوا يبحثون عن شيء واحد الثبوت هل ثبت هذا الحديث عن النبي ﷺ أو لا ؟ لأن هذا الكلام الذي يقوله النبي ﷺ من عند الله من حيث المعنى , إذا أمنتَ أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى ولكن ينطق

بالوحي بإيحاء من الله , فأعلم أن السنة من عند الله كما أن القرآن من عند الله , {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ{9}سورة الحجر} , والذكر هنا يشمل الكتاب والسنة , يدخل دخولاً أولياً القرآن ويدخل دخولاً ثانوياً السنة , والسنة تفسير فيلزم من حفظ المفسَر حفظ التفسير حيث أن الله حفظ الكتاب وحفظ السنة , والسنة محفوظة كما ترون ؛ لأن الله قيض في كل وقت رجالاً تخصصوا بعلوم الحديث وخدموا ودافعوا عن السنة .

القاعدة الثالثة : إثبات صفات الكمال لله لا أحد يشارك الله في صفات الكمال , وتقدم البحث في المشاركة اللفظية والمشاركة في المعنى العام والمشاركة في المطلق الكلي , وهذه المشاركة إنما تقع قبل أن تخصص صفات الله بالله , فإذا خُصِصت صفات الله بالله , انفرد الرب سبحانه بصفات كماله , فلا يشارك الله أحد في كماله أبداً كما تقدم , بم يكون التخصيص ؟ بالإضافة .

القاعة الرابعة : أن صفات الله بالاستقراء – الاستقراء معناه تتبع النصوص واستنتاج الأحكام منها – تنقسم إلى قسمين : إثبات جميع صفات الله ﷻ سواء الذاتية , وتُسمى عند الأشاعرة صفات المعاني , والأشاعرة يثبتونها بالأدلة العقلية لا بالأدلة النقلية

, أما أهل السنة والجماعة يثبتون جميع الصفات بالأدلة النقلية , وتشترك بعض الأدلة العقلية في بعضها أي العقل يُدرِك حتى ولو لم ويرد النص بأن الله قادر وأنه عليم وأنه حتى لو لم يرد النص وأنه مريد ؛ لأن من نظر في هذا الكون وجود هذا الكون يدل على وجود الله أولاً ثم قدرته , وهذا الإبداع على غير مثال سابق دليل على القدرة , إذن بالدليل العقلي تستطيع أن تدرك أن الله على كل شيء قدير . والتخصيص تخصيص هذا العالم وجعل هذا السفلي والعالم العلوي , وجعل ذاك جاهلاً وهذا عالماً , وهذا غنياً والآخر فقيراً , فهذا يسمى تخصيص يدل على الإرادة والحكمة والعلم وهكذا

. هذه الصفات صفات عقلية وسمعية معاً , وهناك صفات سمعية محضة بمعنى لا مجال للعقل في إدراكها لولا السمع والنقل والخبر , فإثبات الوجه لله وإثبات اليدين وإثبات النزول وإثبات الاستواء هذه صفات سمعية فلولا ورود السمع لا يجرؤ أحد بأن يقول إن لله وجهاً وله يدان وأن ينزل وأنه مستوٍ على عرشه لا مجال للعقل لولا ورود النص . إذن الصفات تنقسم عدة مرات المرة الأولى كهذا التقسيم الذاتية والفعلية , ويأتي البحث في الصفات العقلية والسمعية , فإثبات الوجه لله وإثبات اليدين وإثبات الأصابع وإثبات القدم وإثبات الساق صفات ذاتية سمعية محضة , صفات فعلية خبرية محضة وإن شئت قلت سمعية محضة وإن شئت نصية محضة والمعنى واحد كالاستواء والنزول , والصفات الفعلية المتعلقة بالمشيئة وهي ليست قديمة بل تتجدد حسب حكمة الله ومشيئته , والأصل في إثبات هذه الصفات ورودها في الكتاب والسنة لا كما قال الشيخ الهراس (الأصل في الإثبات اتفاق أهل السنة) الأصل في الإثبات ورودها في الكتاب والسنة ثم اتفاق السلف , فهذا هو منهج السلف في الصفات , منهج السلف في هذا الباب إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ دون تأويل ودون تعطيل ودون تمثيل ولا تشبيه . المنهج الذي يتحدث به بعض الناس يقولون فلان منهجي السلف ليس منهجي العقيدة – هذا خطأ — التفريق بين المنهج والعقيدة خطأ , المنهج طريق إلى العقيدة من سلك منهج السلف وصل إلى عقيدة السلف إلى العقيدة السليمة , وكونه يكون منهجي السلف وخلفي العقيدة لا يجتمعان أبداً , هما أمران متلازمان .

وخالف في هذه القاعدة الجهمية والمعتزلة , والأشعرية داخلون , فالجهمية كيف يخالفون هذه العقيدة ؟ لأنهم ينفون جميع الأسماء والصفات جميعاً لا يثبتون لله شيئا , بل إثباتهم لله إثبات ذهني ليس إثبات خارجي ؛ لأن الذي لا يسمى ولا يوصف بأي صفة , وجوده وجود ذهني ليس وجوداً خارجياً ؛ لذلك الجهمية الأصلية لا تُعد من الفرق المنتسبة للإسلام , بل هم خارجون من الإسلام الجهمية أتباع الجهم بن صفوان ؛

لأنهم لم يثبتوا لله الوجود الحقيقي . والمعتزلة خالفوا القاعدة فإنهم ينفون جميع الصفات سواء ذاتية أو فعلية سواء خبرية أو عقلية كما تقدم ويدَّعون إثبات الأسماء , إثبات أسماء مجردة لا تدل على المعاني - إثبات كلا إثبات - من يقول هو عليم لكن لا علم له هو سميع لكن لا سمع له كلام غير معقول , إذن إثباتهم للأسماء إثبات شكلي ولكنهم أحسن حالاً من الذين قبلهم . وهل هذه الجهمية التي نصفها والمعتزلة موجودون ؟ لكم خصوم يقولون أنتم تنبشون القبور- قبور بالية من زمان تراب عظام غير موجودة -

ولا وجود لهم , الجهمية الأصلية غير موجودة كاسم جماعة قائمة , لكن عقيدتهم موجودة ودخلت على المعتزلة والأشاعرة من حيث لا يشعرون أو من حيث يشعرون بالنسبة لبعضهم , إذن الحديث عنهم لوجود عقيدتهم وإن لم يكونوا موجودين بالفعل , أما المعتزلة فموجودة جميع فرق الشيعة بما فيها أقربهم لأهل السنة والجماعة وهم الزيدية وأبعدهم الروافض كلهم على طريقة المعتزلة في العقيدة , إذن إنما نتحدث عن قوم لهم وجود بيننا خصوصاً بالنسبة للمعتزلة نتحدث عن قوم لعقيدتهم وجود في الكتب التي في أيدينا , أي في بعضها . وقول المعتزلة في غاية الفساد , إذا كان قول المعتزلة في غاية الفساد فما بالك بقول الجهمية فساد ما بعده فساد , والأشعرية ومن تبعهم وهم الماتوريدية (وهم يوافقون الأشعرية في كل شيء إلا في صفات معدودة لا تزيد على أصابع اليدين ليس هذا محل بيانها) فهم يوافقون أهل السنة في الجملة في إثبات صفات سبع يسمونها صفات المعاني (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام) لكن طريقة الإثبات عندهم مختلفة غير طريقة الإثبات عند أهل السنة والجماعة , كما تقدم أهل السنة يثبتون بالأدلة أي بالنصوص من الكتاب والسنة بالوحي , والأشاعرة يثبتون هذه الصفات بالأدلة العقلية ولا يلتفتون إلى الأدلة النقلية فإن ذكروها يقولون من باب الاعتضاد بها لا من باب الاعتماد عليها ولكن يُستأنس بها , ما أشبه الليلة

بالبارحة ! هذا الكلام يشبه كلام الذين يصفون النصوص بالجفاف . الأشاعرة يستخفون بالنصوص , بمعنى لا يعتمدون عليها في الإثبات , ولكن يذكرون من باب الاستئناس بها طالما وافقت الأدلة العقلية , العمدة الدليل العقلي عندهم , الأشاعرة ينفون ذلك باسم التأويل , التأويل الذي يؤدي إلى النفي , جميع الصفات الخبرية والصفات الفعلية يؤولونها تأويلاً يؤدي إلى النفي , إذن هم مخالفون وليسوا بموافقين ولا ينفعهم أبداً موافقتهم أهل السنة في إثبات الصفات السبع بالأدلة العقلية لا ينفعهم طالما نفوا علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ونفوا كون القرآن كلام الله ونفوا صفة الكلام وقالوا في القرآن أنه مخلوق كما قالت المعتزلة , لا ينفعهم إثبات هذه الصفات السبع , ولكن يُثبت لهم القرب النسبي أنهم نسبياً أقرب من غيرهم إلى منهج أهل السنة والجماعة . المطلع على كتب الأشعرية يثبتون خمس صفات أخرى يسمونها الصفات السلبية (الوحدانية ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه والبقاء والقِدم) وهي من حيث المعنى صحيحة , ويثبتون وجود الله ويسمونها الصفة النفسية , وبأضدادها العقيدة عندهم خمسون عقيدة . راجعوا السنوسية وحاشية البيجوري على السنوسية وجوهرة التوحيد . (صفات المعاني السبع يأخذون منها سبع صفات يسمونها الصفات المعنوية وأضدادها , والصفات السلبية الخمس وأضدادها , والجهل في حق الواحد , وصفات الأنبياء الأربع وأضدادها) خمسون عقيدة عند الأشاعرة , من لم يعرف هذه الخمسون عقيدة بأدلتها ليس بمسلم عندهم , ومن عرفها ولم يعرف أدلتها فهو فاسق . والعجيب أنهم يتهمون السلف أنهم يكفرون الناس , السلف لا يكفرون إلا من كفره الله وهؤلاء يكفرون الناس بكل سهولة , فعوام المسلمين عند الأشاعرة ليسوا بمسلمين ؛ لأنهم لا يعرفون الخمسين عقيدة التي يجب معرفتها على كل مسلم . الآن الكتب موجود ة عليك أن ترجع من باب الإستبانة ليستبين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين . وكل هذه الطوائف قامت عليهم الحجة بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة على

الإثبات العام دون تفريق بين الصفات الذاتية والفعلية والخبرية والعقلية , والأشاعرة من شهد بذلك , يعجبني دائما أن أُسمِع طلاب العلم بيتاً في جوهرة التوحيد وهو خير بيت في تلك المنظومة حيث يقول :

وكل خير في إتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

فهكذا أنطقهم الله بالحق .

الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من السنة :

فَصْلٌ: ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

* « فصل : ثم في سنة رسول الله ﷺ ... » / السنة إما مبينة وإما مُؤصِلة , وليس وظيفة السنة البيان والتفسير فقط , فقد تأتي مؤصلة بما لم يأتِ بالكتاب , والسنة سواء في باب الأسماء والصفات أو في باب الأحكام , والأصل في السنة البيان والتفسير والإيضاح لما أُجمِل في كتاب الله ؛ لأنها من عند الله في الأصل من حيث المعنى , والله يفعل ما يشاء قد يُجمِل أحياناً أحكاماً كثيرة في الوحي الذي يُتلى فيبين ويوضح ويفسر ذلك في الوحي الذي لا يُتلى , كلاهما من عند الله , أجمل أحكام الصلاة وبعض أحكام الصيام والحج وغيرها وفصَّل ذلك في السنة التي لا تُتلى , إذن الإجمال والتفصيل كلاهما من عند الله ؛ لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى . أقول هذا القول وأنبه هذا التنبيه لئلا يقول قائل كيف إن القرآن لم يبين ولم يُفسر بعض الأحكام وتأتي السنة تبين وتفسر ؟ الجواب القرآن والسنة كلاهما من عند الله , الله سبحانه لا يُسئل عما يفعل ,

لا يقال لماذا لم تفصل هذه الأحكام في القرآن بدلا من أن يأتي التفصيل والتفسير والبيان في السنة ؟ هل يُسئل هذا السؤال ؟ لا . المؤمنون يؤمنون بأن السنة الصحيحة من عند الله من حيث المعنى , إنما الألفاظ من عند رسول الله ﷺ بالنسبة للأحاديث النبوية , أما القدسية كالقرآن من عند الله لفظاً ومعنى , إذن إذا أُجمِلت بعض الأحكام وفُصِلت في السنة المجمِل والمفصِل هو الله ﷻ . وتأتي السنة أحياناً مؤصلة لأحكام لم يرد ذكرها في الكتاب والسنة , فالله حرَّم علينا الجمع بين الأختين في القرآن وبيَّن الرسول ﷺ " أن الله حرَّم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (5108) ومسلم برقم (1408)], هل لهذا ذكر في القرآن ؟ هذا تأصيل . " وحرم الرسول ﷺ الحُمر الأهلية يوم خيبر " [أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه برقم (5520) ومسلم برقم (1941)] هذا التحريم لا وجود له في القرآن . وإذا رجعنا إلى الصفة نجد صفات كثيرة ورد ذكرها في السنة لم يرد ذكرها في القرآن فالفرح والضحك وإثبات نزول الله وصفات كثيرة وردت في السنة الصحيحة وتلقت الأمة – الأمة السليمة الأمة المعتبرة – تلقت تلك الصفات بالقبول والعمل بها منها ما هو متواتر ومنها ما هو آحاد لكنه صحيح معمولٌ به من ذلك الوقت إلى يوم الناس هذا , هذه تُسمى سنة مؤصلة وليست مبينة . عند أهل السنة لا فرق بين ما ثبت في الكتاب وبين ما ثبت في السنة الصحيحة ولا يشترطون التواتر ويشترطون الثبوت فقط , فالسنة هي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه مع كتاب الله وليس بعد كتاب الله كما بينا إذ قد ترد سنة في الأحكام وفي الصفات ولم يرد ذلك في الكتاب ولا يقال بعد الكتاب , بل مع القرآن . والسنة صنو القرآن من حيث العمل بها و الإيمان بها وتطبيقها وإن كانت دون القرآن ؛ لأنها ليست من عند الله من حيث اللفظ ولكن من عند الله من حيث المعنى . {.. وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ..{113}سورة النساء } , الحكمة إذا جاء ذكرها مع الكتاب فإنها تُفسر بالسنة

وبيَّن هذا المعنى الإمام الشافعي في رسالته في الأصول أن الحكمة المذكورة في القرآن بمعنى السنة [ص (73)] , " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه " [سبق تخريجه] , أُنزِل عليه ﷺ القرآن وأوتي مع القرآن مثل القرآن فالسنة الصحيحة صنو القرآن وهي مثل القرآن في وجوب العمل بها . هذا الحديث يدل على السنة المؤصلة والمؤسسة , والسنة المفسرة الموضحة والمبينة كثيرة جداً مثل تفصيل صفة صلاة النبي ﷺ , الله أمرنا بإقامة الصلاة , هذا التفصيل من أين ؟ لذلك فشلت جماعة سمت نفسها طائفة القرآنيين وُجدت هذه الجماعة أول ما وُجِدت في باكستان ثم انتشرت في القارة الهندية ثم انتقلت في بعض البلاد العربية بدعوى أنها لا تعمل إلا بالقرآن , ولكن عملياً ما استطاعوا . فبم يصلون وبم يحجون ؟ فالأعمال التفصيلية كلها في السنة , القرآن أجمل أكثر الأحكام بُيِّنت بالسنة . وهناك سنة موافقة وهي السنة التي تأتي بصفات وأحكام واردة في الكتاب والسنة أو أحكام واردة في الكتاب وليس فيها زيادة بيان , فمثلاً صفة الاستواء والعلو جاءت في الكتاب وجاءت في السنة " إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب عنده فوق العرش " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (7554) ومسلم برقم (2751)], إثبات صفة العلو في السنة وجاء ذلك في القرآن , وأشار النبي ﷺ عندما سأل الصحابة رضي الله عنهم أنتم مسؤولون عني ماذا أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد بأنك قد بلغت ونصحت , قال النبي ﷺ هكذا اللهم اشهد ورفع إصبعه إلى السماء[سبق تخريجه] .

وكثيرة جداً السنن الموافقة للقرآن , وفي الأحكام أيضاً " إن الله يرضى لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا .. " [أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (1715)] سنة موافقة للكتاب حتى الصيغة صيغة الكتاب ليس فيها زيادة , إذن تقسيم السنة بالاستقراء ثلاثة أنواع : سنة مؤيدة ليس فيها زيادة بيان وسنة مفسرة مبينة وموضحة وسنة مؤصلة , لو درسنا السنة بهذه الطريقة

وتتبعنا كلام أهل العلم ككلام الشافعي في رسالته [ص (104)] وكلام ابن القيم في الصواعق المرسلة [ص (238)] وغير ذلك عرفنا مكانة السنة . أكثر المتأخرين لا يعرفون مكانة السنة , إن مكانتها عظيمة فهي كالقرآن تماماً في ثبوت العلم والاعتقاد ووجوب العمل إلا إنها لا يُتعبد بتلاوتها . { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }سورة النحل{44}} , وبيان رسول الله ﷺ يكون بالقول والفعل ويكون بالإقرار . وهناك من يرد السنة بحجة أنها آحاد ولا تُقبل إلا إذا وافقت العقول وهم العقلانيون ومركزهم الولايات المتحدة وهم الذين يمثلهم الغزالي وأمثاله الذين يردون السنن لمخلفتها للعقل , والسنة لا تزال تُرد الآن ليس فقط على أيدي المعتزلة الذين مضوا وهذا العمل تقوم به الأشاعرة أيضاً هذه القاعدة في كتبهم يقولون في مقدمة بكلام معسول فيقولون باب الاعتقاد باب عظيم وخطير (مقدمة مسلمة , كل إنسان يُسلِّم بهذه المقدمة , وكلام يعجب كل من سمعه) , إذن لا يثبت هذا الباب إلا بالدليل القطعي (ولا يزال الساذج يُسلِم بهذه المقدمة الثانية) فالنتيجة من المقدمتين السابقتين لا يُقبَل إلا الدليل العقلي . لذلك يقول شيخ الإسلام إنما يُؤخذ السلفي إذا سلم للخلفي في المقدمات قبل أن يفطن لها وقبل أن يعرف مرادهم , يقدم لك مقدمات وأنت تسلم للمقدمات فيأتي بالنتيجة ويلزمك أن تلتزم بها عقلاً في باب المناظرة . ولو سُئِل الأشعري بمراده بالدليل القطعي ؟ قال هو الدليل العقلي , قل له لا , الدليل العقلي لا يكون قطعياً ؛ لأنه محل خلاف , العقول تختلف وقد اختلفت عقول الجهمية وعقول المعتزلة ثم عقول المعتزلة وعقول الأشاعرة فإلى أي عقل نتحاكم ؟ إذن ثبت بالفعل أن العقول تختلف , الدليل العقلي لا يكون قطعياً , إذن ما هو الدليل القطعي ؟ يقال دليل خالق السماوات والأرض الذي وصف نفسه بنفسه أو اختار نبياً مختاراً فعصمه فرباه فأحسن تربيته ثم بعثه إلى الناس معصوماً ثم شهد له أنه لا ينطق عن الهوى فكلامه هو الدليل القطعي إذا صح , إذن الدليل القطعي باختصار هو الوحي ؛

لأنه من عند الله , إذا لم يكن ما عند الله قطعياً فأين يوجد القطعي ؟ ! وفي رد الآحاد لا فرق بين المعتزلة والأشاعرة والفلاسفة وزد عليهم العقلانيين المعاصرين , هؤلاء كلهم يردون الآحاد , ويزيد غلاة الفلاسفة برد أدلة الكتاب والسنة كلها ؛ بدعوى إن أدلة الكتاب والسنة أدلة لفظية يتطرق إليها النسخ والتخصيص والتقييد وما كان كذلك يجب ردها ما لم توافق الأدلة العقلية , فيجعلون حتى أدلة الكتاب والأحاديث المتواترة أدلة لفظية ، الأدلة اللفظية عندهم غير قطعية , إذن يُفرَق الناس إلى فريقين فريق يرد الآحاد وهم المعتزلة والأشاعرة والفلاسفة والعقلانيين , وفريق يرد الأدلة اللفظية كلها بما في ذلك أدلة الكتاب وهم الفلاسفة وغلاة المعتزلة , هؤلاء لا يُستدل عندهم في باب العقيدة إلا بالدليل العقلي وأنتم تلاحظون إذا نظرتم في كتب الأشاعرة يقولون العمدة في هذا الباب الدليل العقلي وإنما يُذكر الدليل النقلي من باب الاستئناس به , وهل معنى هذا آمنوا بالدليل النقلي ؟ لا , الدليل النقلي من حيث هو بما في ذلك القرآن . راجع لهذه المسألة لتحقيقها شرح الطحاوية [شرح ابن أبي العز , ص (166)] ؛ لعلك تجد هذا المعنى هناك أوضح . وتقسيم السنة إلى آحاد ومتواتر عند علماء الكلام له هدف غير التقسيم الذي عند علماء المصطلح , علماء المصطلح عندما قسموا الأحاديث إلى متواتر وآحاد مثل تقسيمهم صحيح وحسن وضعيف يعني يتفاوت في القوة ليس للرد , أما علماء الكلام لما قسموا السنة إلى متواتر وآحاد بقصد الرد والدفع والقضاء عليها .

* « وما وصف الرسول به ربه ﷻ من الأحاديث .. » / من الإيمان برسول الله ﷺ تصديق خبره , ومن تصديق خبره أن تصف الله بما وصف به رسوله ﷺ إذ لا يصف الله أعلم من الله ولا يصف الله من خلقه أعلم من رسول الله ﷺ , وتصديق خبر رسول الله ﷺ بما وصف به ربه بلا تحريف للألفاظ ولا تعطيل للمعاني ولا تكييف ولا السؤال بكيف ولا تمثيل إن يقال إنه مثل كذا وتشبيهه سبحانه بغيره .

* « كذلك » / مثل الإيمان بما جاء عن الله سبحانه .

ثبوت النزول الإلهي إلى سماء الدنيا على ما يليق بجلاله :

فَمِنْ ذَلِكَ: مِثْلُ قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ .(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) .

* « فمن ذلك قوله [ينزل ربنا ..] متفق عليه » / من ذلك أي من السنة التي أشارنا إليها . مما أُوذي من أجله شيخ الإسلام هذا الحديث , إذا افترى عليه بعض المعاصرين له وهو ابن بطوطة في روايته , ولكن الله فضحه فضيحة تاريخية , زعم ابن بطوطة أنه دخل دمشق فرأى شيخ الإسلام يخطب خطبة الجمعة فينزل الدرج ويقول ينزل ربنا كنزولي هذا , وتتبع علماء التأريخ المعاصرين فاثبتوا أن ابن بطوطة لم يلتقِ شيخ الإسلام ولا لحظة ولم يره . دخل ابن بطوطة دمشق وشيخ الإسلام في السجن فلم يخرج من ذلك السجن إلا إلى القبر رحمه الله . وذكر بهجت البيطار من كبار علماء دمشق [حياة شيخ الإسلام ابن تيميه للشيخ محمد بهجت البيطار ص (47- 48)] بأن من عادة شيخ الإسلام ما كان يخطب على المنابر أبداً , ولكنه يجلس للناس ويدرس أو يجاهد في الميدان أو يسافر بين الشام ومصر في تحريض المسلمين على قتال التتار , ليس عالم يجلس تحت السواري فقط عالم ومجاهد ؛ ولكن ليس من عادته أن يخطب خطبة الجمعة , إذن الرجل افتضح ؛ لأن شيخ الإسلام لم يكن خطيباً لا في دمشق ولا مصر وإنما مدرس ولم يجمعهما مجلس واحد ولا رآه . هذه الفِرية تناقلها الناس وانتشرت في الكتب ؛ لذلك نُسِب إليه التجسيم وأنه مُجسِم ومُشبِه , وشيخ الإسلام من الذين يكفرون المشبهة , فهذا الحديث من أسباب المحنة وإن كان السبب الكبير تأليف الفتوى

الحموية . الحديث ليس متفقاً عليه فقط . بل متواتر أثبت تواتره كثير من أهل العلم منهم الذهبي [العلو , ص (116)] ومنهم ابن عبد البر[التمهيد (7 / 128)] ذكروا أنه وصل إلى حد التواتر , ومع ذلك لتعلموا صدق ما قلنا قبل قليل الأشاعرة من أشد الناس إنكاراً حتى اليوم لصفة النزول , لو رأى أشعري أني أُشير بإصبعي إلى السماء لحكم عليَّ بالقطع هكذا قالوا , ونسبوا هذا الكلام للإمام مالك والإمام أحمد أنهما أفتيا من أشار هكذا إلى السماء عند قراءة قوله تعالى { أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء ..{17}سورة الملك} , يجب أن تقطع إصبعه , فِرية على الإمامين لم يقل أحد منهما , وعند الأشاعرة إلى يومنا هذا من أشار الإشارة الحسية معتقداً بأن الله في العلو فهو كافر . ما السلامة ؟ عدم الإشارة , وقد حكموا على تلك الإصبع الشريفة إصبع رسول الله ﷺ بالقطع وهو أول من أشار هذه الإشارة , هكذا الجهل بالسنة والتخبط في العقيدة مع دعوى أنهم من أهل السنة والجماعة . والقول بأنهم اشتغلوا بالتأويل ولم يردوا أحاديث الآحاد قول فيه تساهل كثير , هذا الحديث مردود عندهم وهو متواتر ولا يزال مردوداً ويعملون بخلافه إلى اليوم ويتشددون في إنكار نزول الرب ؛ لأنه مخالف للعقل ولأن النزول يلزم منه الانتقال من مكان إلى مكان , هذا ما قاله الجويني (لم يفهموا من النصوص إلا ما يليق بالمخلوق) – قاله بعد توبته– [نقل هذه الرسالة عنه الشيخ الجامي رحمه الله في كتابه الصفات الإلهية ص (415)] وهذا النزول الذي يُوصَف بالانتقال وأن يخلو المكان هذا نزول المخلوق , ونزول الخالق فلا نعلم كنهه كيف هو ؟ يتم ذلك لا نعلم , وكيف استوى ؟ لا نعلم . وقد خصص شيخ الإسلام مسألة خاصة في حديث النزول في مجموعه [(5 / 321 - 585)] .

يقول شيخ الإسلام في تفسير سورة الإخلاص – مجلد مستقل مهم جداً لطلاب العلم [المجلد السابع عشر من الفتاوى] – " فالرب إذا وصفه رسوله بأنه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة [سبق تخريجه] , وأنه يدنو عشية عرفه إلى الحجاج [سبق تخريجه]

(نزول خاص بأهل عرفه ولا يدنو من الموجدين بمزدلفه ومكة وشتى النواحي فهذه صفة لا يمكن أن يُدرِك الإنسان كيفيتها وكنهها , كيف يتم الدنو من الحجاج فقط الواقفين بعرفه دون عباد الله الآخرين الموجدين بالمنطقة فهذا فعل الرب سبحانه – لا تستغرب هذا فعل الرب ولا تسأل -) وكيف كلم موسى في الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ...) . والاستواء صفة فعلية متجددة متعلقة بالمشيئة , أما الصفة الذاتية لا تقول فيها إذا شاء , هل تقول إنه يعلم إذا شاء وأنه قادر إذا شاء ؛ لهذا أشكل على بعض المفسرين قوله تعالى {.. وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ{29}سورة الشورى } , ظن بعضهم أن الظرف هنا متعلق بـ(إذا يشاء) يعني قادر إذا شاء , وليس الأمر كذلك . الظرف متعلق بالجمع , أي قادر على جمعهم إذا شاء جمْعهم , الجمع فعل مصدر جَمَعَ , الظرف يتعلق بالمصدر كما يتعلق بالفعل ؛ لذلك الظرف في الآية متعلق بالجمع الذي قبل الظرف لا بـ(يشاء) التي بعد الظرف . والشاهد من كلام شيخ الإسلام : لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يقال ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر ؛ لذلك البحث , هل عندما ينزل الرب سبحانه هل يفرغ العرش أو لا ؟ بحث لا ينبغي ولا يرد ؛ لأنه يؤدي إلى محاولة التكييف لا ينبغي أن يرد تفرغ أو فراغ العرش أو عدم الفراغ (بل أسعد الناس بالدليل من أمسك عن السؤال) كما قال شيخ الإسلام [مجموع الفتاوى (5 / 366)] ؛ ولكن الذي يجب اعتقاده أن الله لم يزل في علوه قط ولن يزال لا في حال النزول ولا في حال المجيء يوم القيامة لفصل القضاء . صفة العلو دائمة وباقية ؛ لأنها صفة ذات لا يليق بالله إلا العلو ؛ لأن ضد العلو السفول , والسفول لا يليق بالله سبحانه ولا يليق أن يكون شيء فوقه , ولا يستغرب مستغرب كثرة تكرارنا لفظة الأشاعرة ؛ لأن القوم هم الذين لديهم الوجود الجماعي اليوم في العالم الإسلامي اليوم وقد غرهم هذه الكثرة وزعموا أنهم هم المسلمون وأهل السنة والجماعة ونحن نريد أن

نبين أن العبرة ليست بالكثرة العبرة بالإتباع , وقد أخبر النبي ﷺ " ما من عام إلا والذي بعده شر منه " [سبق تخريجه], لا تستغرب إذا كثُر اليوم الأشاعرة والمعتزلة والروافض والمرجئة والجبرية وهذا مصداق قول النبي ﷺ , وإذا قل السالكون لا تستغرب ولا تستوحش , لابد أن يقلوا في هذا الوقت وسيقلون أكثر وأكثر , لكن يقلون أحياناً ويكثرون أحياناً , أهل الحق يقلون في مكان ويكثرون في مكان إذا جمعتَ هؤلاء الذين هم على بصيرة , القليلون مع عوام المسلمين الذين هم على الفطرة وضممتهم إلى السواد الأعظم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى وسط عهد العباسيين هم الذين عندما يُبعث النبي ﷺ يكونون السواد الأعظم , فرسول الله ﷺ أكثر الأنبياء أتباعاً يوم القيامة يليه موسى عليه السلام , لك أن تسأل : من أين يأتي هؤلاء الناس وأهل الخير قلوا اليوم ؟ أهل السنة قلوا أهل البدعة كثروا و لكن السواد الأعظم الأول , المسلمون الأولون { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ {100}سورة التوبة }, والخير استمر وأخذ عهد الأمويين في الغالب وشيئا من عهد العباسيين وبعد ذلك أحياناً يكاد أن يُقضى عليهم كما كان ذلك بعد محنة الإمام أحمد , هذا المنهج يكاد أن يُقضى عليه ثم بعث الله من يُجدد فتجدد , اليوم في اللحظة التي نحن فيها هم كُثر جداً أهل السنة على الرغم من كثرة من يعارضهم ومن يعاديهم وكثرة أهل البدع والأهواء , لكن في هذا الوقت هم أكثر مما كانوا عليه في وقت العباسيين من الفترة التي من عهد المأمون الخليفة السابع إلى عهد المتوكل على الله الخليفة العاشر , في هذه الفترة كان وقت لم يمر على أهل السنة أشد منه حتى قال المقريزي في كتابه الخطط (كاد أن يُجهل منهج السلف) بعد ذلك إلى أن ظهر فُجاءة ابن تيمية بدمشق فتجدد بعد ذلك المنهج , فاليوم خير كثير لسنا في هذا المكان فقط , بل جميع الأماكن حيث تُدرس هذه العقيدة علناً بعد أن كانت تُعادى إلى وقت قريب قبل عشرين سنة (من وقت شرح الشيخ) لو دخل من يُتهم

بالوهابية في مسجد من المساجد في بعض الأقطار يُفرش , مساجد فُرِش فيها الدعاة واليوم يدرسون فيها ونحن نعرفهم , مساجد ضُرِبوا فيها وسُحبِوا من على المنابر فضُربوا في وسط المسجد وفي تلك المساجد اليوم يدرسون ولله الحمد والمنة .

وقد سبق بيان أن النزول ليس نزول الأمر والمِلَك كما تقول الأشاعرة , الأمر ينزل في كل لحظة , المِلَك لا يقوى ولا يقدر أن يقول هل من مستغفر فأغفر له , هل الملك يقدر ويعطي ؟ سبحان الله ما هذه العقول ؟! خواص المؤمنين يركعون ويسجدون ويدعون الله ؛ لأنهم يؤمنون بأن الله نازل ويقول هل من مستغفر ؟ والعبد الصحيح الصادق هو الذي يقول بلسان حاله يارب أنا المستغفر .

إثبات أن الله يفرح ويضحك ويعجب :

وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم : (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهُ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقَوْلُهُ: صلى الله عليه وسلم) : يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقَوْلُهُ: (عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ). حَدِيثٌ حَسَنٌ.

* « لله أشد فرحاً .. » / أثبت النبي ﷺ هذا المعنى بلام التوكيد , هذا الفرح في المخلوق لا مثيل له , فرح يُخطئ فيه العبد حتى يسمي نفسه رباً ويسمي خالقه عبداً من شدة الفرح ؛ لأنه فقد الشعور " لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن إذا تاب إليه .. " [سبق تخريجه] , وهذا رحمة منه بعباده وهو أرحم الراحمين , فالله ليس بمحتاج إليهم , هذا الفرح ليس لأنه قُضيت حاجته ولكن رحمةً بهذا العبد الآبق الذي شرد فترة من

الزمن وكاد أن يهلك بالمعاصي والذنوب والسيئات وكاد أن يهلك بيدِ عدوه الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء ثم يمنَّ الله عليه فيهدي قلبه فيرجع إليه فيتوب إليه فيفرح سبحانه , الله هو الذي فعل كل هذا , هو الذي قدَّر عليه الذنوب ؛ ليدرك أنه عبد ضعيف لا حيلة له ثم وفقه إلى التوبة بعد أن قدّر عليه الوقوع في المعصية ألهمه التوبة ووفقه فتاب إليه , ولما تاب قبِل توبته وفرح بتوبته فرحاً شديداً . إذن ليس في الأمر غرابة , ليس هناك شيء غريب على الله , بل هو الذي قدَّر المعصية عدلاً وهو الذي وفق العبد للتوبة فضلاً وهو الذي قبِل توبته فضلاً أيضاً , والكل منه وإليه سبحانه هذا الذي حدث لم تقع الذنوب والمعاصي التي شرَّدت العبد وانقطع إلا بتقدير الله وفعل الله خالق كل شيء لا يقع في ملكه إلا ما يشاء قدر المعاصي فوقع في هذه المعاصي حكمة منه , لله في خلق المعاصي وتقدير المعاصي لله حكمة في ذلك ؛ لأن هذا العبد بعد هذه التوبة قد يرجع ويصل إلى درجة لم يصلها قبل المعصية , ومن الحِكم التي أشار إليها بعض العلماء الذين يتحدثون في الحِكم - وربما صحت الأبدان بالعلل - [عجز بيت للمتنبي] فقد يمرض الإنسان فيتعاطى الأدوية والمقويات فتعود له صحة لا يعرفها قبل ذلك أحسن من الصحة التي قبل المرض , كذلك إذا صدق العبد بالتوبة بعد أن تلوث وثبت ورجع إلى الله يصل إلى درجة لم يصلها قبل ذلك , هذا من الحِكم , الله سبحانه وتعالى يفرح بهذه التوبة , وطبعاً لا يفرح إلا بالتائب الصادق ؛ لأنه يعلم التائب الصادق التوبة النصوح يفرح بتوبته هذا الفرح العظيم الذي لا مثيل له . الفرح صفة فعلية تتعلق بمشيئة الله تعالى . والطريقة الصحيحة إثبات الصفة وإثبات لازمها نثبت الصفة ونثبت لازم الصفة من العطاء والإحسان من إرادة الإحسان , بل تفسير ذلك بالإرادة خطأ ؛ لأنه تفسير الصفة بالصفة , الإرادة صفة مستقلة , والفرح والعطاء والإحسان صفة مستقلة . وفرح الله يليق به , ولكن فرحه ليس كفرحنا , نفهم المعنى العام فقط وأنه ضد الحزن , لكن كيف فرحه ؟ لا نعلم ؛ لأننا لا نعلم حقيقة ذاته ,

وإنما تُعلَم صفات المخلوقين وحقيقة صفات المخلوقين إذا كنتَ تعلم حقيقة الموصوف وكنهه , والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحذو حذوه , إيماننا بالله إيمان بالغيب لم نره ولكن آمنا به استدللنا على وجوده بمخلوقاته , والعبد نفسه الذي يتكلم آية ودليل على وجود الرب وفقر العبد دليل على غنى الرب وضعف العبد دليل على قوة الرب سبحانه وضعف علم العبد وعدم إحاطته بالمعلومات دليل على سعة العلم لله وأنه محيط بكل شيء علماً , هكذا تستدل بهذا الكون وبنفسك أنت على الله , من عرف نفسه بالضعف والظلم والحدوث والفقر والعجز عرف ربه أنه القوي العزيز الغني العليم هكذا يعرف ربه [الفوائد لابن القيم ص (205)] , وهذا الرب اقتضت حكمته أن يُحدِث هذا الحادث وأن يفعل هذا الفعل , لو تدبرتَ هذا لكفاك إيماناً . الفرح كغيره من الصفات الخبرية أو جميع الصفات ؛ لأنها تُساق سَوقاً واحداً من أنه صفة حقيقية لله ﷻ وليست مجازاً عن الإحسان وعن الإنعام وعن الرضا , هذا أسلوب الخلف الذين خالفوا السلف فيه افتيات على الله وقول على الله بغير علم . وزعم قوم أن هذه الأحاديث وإن كانت ثابتة , لكن ظاهرها غير مراد و ما دلت عليه هذه الأحاديث غير مراد لله , ما هو مراد الله ؟ شيء آخر . ما هو ذلك الشيء ؟ إرادة الإحسان وإرادة الإنعام . كيف فهمتم هذا المراد من خبرّكم بهذا المراد ؟ أأنتم أعلم أم الله , أأنتم أعلم أم رسول الله ﷺ ؟ ! كلما يأتي نص مخالف لعقيدتهم قالوا ظاهر هذا الحديث وظاهر هذه الآية غير مراد , لو نفوا كما نفت المعتزلة لأراحوا خصومهم ولكن القوم لم يكونوا صرحاء , قالوا نحن بهذه الصفة نعتقد أن ظاهرها غير مراد المراد غيرها , وهل يُفسِر كلام المتكلم إلا المتكلم نفسه المتكلم أعرف بمراده , هل الله بيَّن في الآيات التي أوّلوها أنه أراد خلاف الظاهر ؟ وهل بيَّن رسول الله ﷺ أن مراد الله ﷻ ومراده هو ﷺ غير مراد , اتهام لرسول الله ﷺ أنه لم يبين الحق الذي أراده , والصحابة لم يفهموا والتابعون لم يفهموا إلى أن دخل على الإسلام والمسلمين علم الفلسفة أو اصطلاح الفلسفة

والمنطق وعلم الكلام ودرسوا المجاز , زعموا بعد ذلك إن هذه النصوص يجب تأويلها ؛ لأن ظاهرها غير مراد . إذن هذا اصطلاح جديد بعد أن تقدموا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم من التابعين وتابعي التابعين , بعد أن انقرضت تلك العصور ودخل العلم الجديد على المسلمين على الأصح المصطلح الجديد على المسلمين تجرؤوا على تأويل هذه الصفات , فسروا هذه الصفات الفرح والضحك وغيرها كلها والأحاديث التي أمامنا بصفة واحدة وهي الإرادة . لو سُئِلوا : ما الذي حملكم على هذا ؟ يقولون هذه الصفات انفعالات نفسية تتجدد هذه الانفعالات مستحيلة على الله . إذن ما معنى الإرادة ؟ أليست انفعال نفسي يتجدد عندما يرى الإنسان شيئا يحبه أو يشتهيه , فكيف أثبتم الإرادة وأوّلتم بها جميع الصفات الخبرية ؟ قالوا لا , نحن نؤمن بالإرادة لأن الإرادة صفة عقلية نثبتها على ما يليق بالله . لماذا تُطيلون المشوار ؟! إذن قولوا فرح يليق بالله وضحك يليق بالله وإرادة تليق بالله وغضب يليق بالله ونزول يليق بالله , هذا هو الصحيح كل الصفات الثابتة في الكتاب والسنة كما يليق بالله لا كما نتصور في أنفسنا .

لا يُفهَم أن الصفات الفعلية تتجدد أو تحدث في وقت دون وقت لا يُفهم من ذلك أنها صفات مخلوقة ؛ لأن الحدوث شيء والخلق شيء آخر , الحدوث أعم يشمل حدوث خلق واختراع وحدوث نزول وحدوث خطاب وحدوث تكلم , هذه كلها من معاني الحدوث ؛ لذلك إذا قلنا القرآن مُحدَث وكلام الله مُحدَث معناه أحدثه بالخطاب والإنزال والتكلم وليس بقديم والقرآن ليس بقديم , صفة الكلام صفة قديمة وأفراد الكلام القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كلها تجددت وحدثت في وقت دون وقت , هكذا الفرح والضحك وما يتبع ذلك . وفرح الله مستلزم لرضاه فنثبت الصفة ولازمها . وأما القوم فيؤولون الصفة ويثبتون لازمها وهذا تناقض , أَثِبت الصفة وما تدل عليه الصفة , فلازم الفرح الرضا بمعنى طالما وفقه الله وقِبل توبته وفرح بتوبته فهو راضٍ عنه هذا معناه والمعنى

واضح . وفرح المخلوق قد يكون فرح أشر وبطر كمن يقتل ويظلم ثم يفرح وقد يكون عن خفة وطرب والله لا يُوصَف بهذه اللوازم , وفرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه لا في ذات الفرح ولا في أسبابه ولا في غاياته , فسبب الفرح كمال رحمته وإحسانه ؛ لأنه كما قلنا هو الذي وفقه إلى التوبة حتى أقلع عن الذنب وندم وعزم ألا يعود هذه شروط التوبة الثلاثة فلتُفهم , من أراد أن يتوب إلى الله من أي ذنب عدا حقوق الآدميين عليه أي يُقلع أي يترك الذنب الذي وقع فيه لا يقول استغفر الله وهو متورط بالمعصية فليقلع , بعد ذلك يندم ندماً صادقاً يعلم الله من قلبه بأنه صادق في ندمه ثم يعزم عزيمة شديدة صادقة يعلم الله منه أنه صادق لن يعود إلى هذا الذنب هذه الشروط الثلاثة إذا صدق فيها العبد قُبلت توبته , يصير كما أنه لم يذنب " التائب من الذنب كمن لا ذنب له " [سبق تخريجه], , لو فُرِض أنه بعد ذلك بعد هذه التوبة المقبولة زيَّنت له نفسه الأمارة بالسوء فوقع في المعصية في نفسها أو في غيرها . هل انتقضت التوبة الأولى ؟ الجواب لا , يحتاج إلى أن يجدد التوبة ؛ لذلك الله يحب التوابين , تواب فعال صيغة مبالغة ؛ لأن الذي يُكثر التوبة بمعنى لا يقف مهما يسرف وتتكرر منه المعاصي يكثر التوبة والندم والإقلاع ويبكي على نفسه , وبعد فترة يزين له الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وقد يساعد على ذلك قرناء السوء فيقع في المعصية لا يقف , الصراع يستمر بين النفس الأمارة بالسوء وبين شياطين الإنس والجن وبين المؤمنين . رجل كان يجالس النبي ﷺ شرب الخمر , لماذا ؟ صحابي يعصي ؟ نعم الصحابة رضي الله عنهم ليسوا بمعصومين المعصوم بينهم هو محمد ﷺ فقط الذي عصمه الله فيما يبلغ عن الله تعالى , هذا الصحابي شرب الخمر فجُلِد , إذن معنى الدولة الإسلامية لا تملك أن تفرض العصمة على المجتمع لا تملك لا على الحاكم ولا على المحكوم . جُلِد هذا الصحابي رضي الله عنه اسمه عبد الله ويُلقب حمار , ذهب شرب مرة أخرى فجُلِد وهو جليس رسول الله ﷺ يحب الله ويحب رسول الله ﷺ ولكن غير معصوم , يعلم الله كيف خلقه وكيف ركب فيه الشهوة وركب فيه

الهوى عدلاً وحكمة منه , وفي المرة الثالثة شرب فأوتي به وهو سكران , لما رآه بعض الصحابة قال لعنه الله ما أكثر ما يُؤتى به لرسول الله ﷺ وهو سكران (انتبهوا لكلام رسول الله ﷺ وموقفه من هذا الذي لعن) " لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله " [أخرجه البخاري عن عمر رضي الله عنه برقم (6780)], ولكن محبة الله ورسوله أحياناً تأتي غلبة الهوى والشيطان وينسى مراقبة الله فيتورط فيقع , هذا التمادي تكرار المعاصي منه وحدوث التوبة بعد كل معصية داخل في إنه يحب التوابين , أي الذين يكثرون التوبة ولا يقنطون , لكن الجاهل الذي يقنط فيقول ارتكبت المعاصي وأسرفت على نفسي كيف أتوب ؟ لن تقبل توبتي فيقنط فيقع في ورطة أعظم من المعصية التي وقع فيها , إذن العبد يجب أن يعلم بأن الله قد عَلِمَ الشيء وكتبه في اللوح المحفوظ لابد أن يقع لابد , ذلك الذنب الأول والثاني والثالث معلوم عند الله ولكن العبد الصادق لم يقنط ولن ييأس يعالج كل مرة بالتوبة مهما أسرف , الله يحب المكثرين من التوبة والاستغفار والإنابة إليه , هكذا يستمر الصراع ما بقيت الدنيا , إذ لا عصمة لأحد بعد الأنبياء عليهم السلام , العاصي عليه أن يخص كل ذنب بتوبة , وإذا كان من المسرفين الذين لا يحصون ذنوبهم التي أحصاها الله عليه , عليه أن يتوب التوبة العامة ويصدق في ذلك .

* « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الجنة .. » / لما سمع الأعرابي هذا الحديث أن الله يضحك قال " لن نعدم خيراً من رب يضحك " [أخرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه (4 / 12) والطيالسي برقم (1188) وغيرهم , حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2810)] , هذه الصفة التي قابلها الأولون بهذا الشعور وأنه يدل على الرحمة والإحسان ولن نعدم خيراً منه , قابلها الخلف بالتحريف وبالإنكار وبالجحود ؛ بدعوى أن هذه النصوص ليست على ظاهرها , انظروا الفرق بين الأولين (السلف) وبين الخلف !

الضحك صفة فعلية يحدث بمشيئة الله وحكمته عند وجود مقتضيه – الحالة المذكورة في الحديث حالة نادرة بالنسبة للمخلوق وغريبة ؛ لأننا نجهل الحقائق ونجهل العواقب , وبالنسبة للرب معلومة أزلاً إذ لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ولا يقع شيء في ملكه إلا ما يريد وكتب في اللوح المحفوظ وقدَّر وقضى أن كافراً ما , يقتل مسلماً وقبل أن يُقتص منه وقبل أن يُقتل يمُنَّ الله عليه بالتوبة فيُسلِم , ليس مجرد التوبة فقط , بل يجاهد في سبيل الله حتى يُقتل شهيداً , كل ذلك معلوم عند الله , إذن هذا ضحك معلوم عند الله , فلو قتل كافر مسلماً ماذا يُفهم ؟ نقول إنه تعرض لسخط الله , هذا ما يبدو لنا لكن الأعمال بالخواتيم لا ندري بم يُختم لهذا الكافر ؛ لذلك لا يجوز لعن المعين ولو كان كافراً لا يجوز لك أن تقول لعن الله هذا اليهودي وذاك النصراني وذاك المجوسي وذاك العلماني ؛ لأنك لا تدري قد يمُنّ الله عليه بالتوبة فيتحول بعد أن كان عدواً لله يتحول إلى ولي من أولياء الله . من كمال رحمته سبحانه ولطفه وإحسانه يضحك للرجلين كانا عدوين فإذا هما الآن يدخلان الجنة معاً هكذا اقتضت حكمة الله . نقول من يموت في معركة لا ينبغي أن نقول إنه شهيد نقول قُتِل ونرجو له الشهادة ؛ لأننا لا نعلم لماذا جاهد . من جاهد لإعلاء كلمة الله وفي سبيل الله حيث لا نعلم ذلك نقول قُتِل في معركة مع الكفار , نرجو له الشهادة هذا هو الأسلوب الصحيح . (تكلم الشيخ هنا عن جهاد بعض الشباب في أفغانستان ويوغسلافيا في أحداث حصلت ذلك الوقت مستنكرا على بعض من ذهب إلى يوغسلافيا من أجل السمعة والشهرة) .

والذين ينفون الضحك كلامهم خطير هذا نفي صريح وليس بتأويل , والتأويل يصل بنا إلى النفي لا فرق إذن بين الأشاعرة وبين المعتزلة ؛ لأن المعتزلة لم يُعلنوا بالتأويل بل نفوا نفياً , والأشاعرة أعلنوا بالتأويل ثم نفوا في النهاية , من قال ليس في الحقيقة ضحك ليس في الحقيقة فرح وليس في الحقيقة نزول فهو نافٍ معطل . وما أجمع عليه

السلف أن من نفى صفة ثابتة بالكتاب والسنة يكفر بل اتفقوا أيضاً على أن المشبه كافر والنافي كافر [العلو للذهبي ص (116)] , والمؤمن هو المتبع هو السا لم الذي يسلم ؛ لأنه سلّم لله ولرسوله ﷺ , القاعدة بعمومها لا تنطبق على الأفراد فرداً فرداً , إذ قد ينفي اثنان صفة من صفات الله ثابتة بالكتاب والسنة أو يُشبه اثنان يشبهون الله بخلقه يكفر احدهما ولا يكفر الآخر . ذلك باعتبار حاله وظروفه ونوع جهله ووجود الشبهة . [مجموع الفتاوى (3 / 229) , (12 / 180, 466 - 467) , (35 / 165)] .

* « عجب ربنا من قنوط عباده وقُرب غِيَره .. » / إذا اشتد ت بهم المصيبة يكادون أن يقنطوا من رحمة الله وهم لا يعلمون العاقبة فيظل الله سبحانه يضحك ؛ لأنه يعلم أن فرجهم قريب , فالله يفعل ما يشاء وهذا من أفعاله , كما أن صفة الضحك صفة فعل تليق بالله كذلك صفة العجب صفة فعل , كل ذلك أفعال مخالف لصفاتنا , العجب من صفات الأفعال المتعلقة بالمشيئة فلا يفعل الله إلا لحكمة .

* القنوط : هو اليأس , قَنَطَ يقنط من باب فرح يفرح .

* غِيَره : غيّر الشيء تغير تغيراً , والغِير اسم مصدر ؛ لأنه انتقص من الفعل .

* آزلين : جمع آزْل وهو الشدة والضيق .

إثبات الرِّجل والقدم لله سبحانه :

وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم : (لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ [وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَط قَط). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

* « لا تزال جهنم يُلقى فيها وهي تقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله .. » / جهنم تتكلم , بأي لسان ؟ وبأي لغة ؟ وأين مخارج الحروف ؟ ينبغي أن يفطن الإنسان عندما يقرأ النصوص لا يحاول أن يُطبِّق كل ما يسمع وكل ما يخبر عنه الرب سبحانه أو يخبر عنه رسوله ﷺ على واقعة حتى يزعم إن الكلام لا يتم إلا بمخارج الحروف , وعلمنا بهذه السنة جمادات تكلمت سبَّح الطعام والحصى وسلَّم على النبي ﷺ حجر , ولو راجع النصوص لوجد إثبات الكلام الكثير من الجمادات { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }سورة يس{65}} الأيدي والأرجل تتكلم يوم القيامة , بأي لسان بأي لغة ؟ أمور غيبية الواجب الإيمان والتسليم لا محاولة إدراك الحقائق والتحقيق , تحقق مع مَن ؟ !هذا أمر غيبي . أما كيف يُوصَف سبحانه بالرِّجل والقدم ؟ الجواب لو لم يثبت نص صحيح صريح من الله تعالى ومن رسوله ﷺ ما تجرأنا أن نصف الله بهذه الصفات الخبرية , الصفات الخبرية سواء ذاتية أو فعلية كلها إنما أثبتناها تصديقاً لخبر الله وخبر رسوله ﷺ , الإيمان بأن لله وجهاً وله يدان حقيقيتان وله أصابع وله رجل وله قدم صفات خبرية محضة وإن شئت سمعية ونصية , طالما ثبت ليس علينا إلا الإيمان والتسليم ولا سلامة إلا بالإيمان بهذه النصوص والتسليم لله ولرسوله ﷺ . ومن يقول لا يليق بالله إثبات الوجه وإثبات اليدين وإثبات القدم وإثبات الرجل وإثبات الأصابع ؛ لأن هذه أبعاض وأجزاء وأفراد تكون للمخلوق , وإثبات هذه الصفات يؤدي للتشبيه وما يؤدي للتشبيه فمستحيل فإثبات هذه الصفات مستحيل , هكذا يقررون , أولئك الذين ابتعدوا كل البعد عن النصوص فصاروا يقررون ويُقعّدون قواعد من عند أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان لا تستند إلى كتاب ولا سنة ولا لقول صحابي أو سلفي إنما قواعد قعّدها الخلف بعد أن ظهر علم الكلام ودرست الناس اصطلاح يسمى البلاغة وتأثروا بفلسفة اليونان ومنطقهم , وبهذه القواعد حاولوا القضاء على النصوص ؛ لئلا تُصدّق فيقال فيها ظاهرها غير مراد

, هذا إلحاد في آيات الله وإلحاد في أسماء الله وصفاته . إذا سلّمتَ أن لله وجهاً كريماً ويدان مبسوطتان لا تتردد في إثبات القدم والرجل ؛ لأنها من باب واحد , ولا يجوز التفريق بين الصفات بأن تؤمن ببعضها إذا رأيتَ أنها تستساغ عقلياً وترفض الصفات الأخرى ؛ بدعوى أنها لا تليق بالله عقلاً , وليس المعيار العقل , المعيار النص والخبر خبر الله وخبر رسوله ﷺ .

* قط قط : هذه اللفظة اسم فعل , ورد فيها ثلاث لغات / قطْ بالسكون , قطٍ بالكسر والتنوين , قطِ بالكسر بدون تنوين , أي حسبي يكفيني . فالقدم والرجل تُثبت لله على ما يليق به دون تكييف ودون أن يخطر ببالك عندما تتلفظ لفظة الرِجل والقدم لا يخطر ببالك قدمك أو رجلك ؛ لأنه لا ينبغي أن يخطر ببالك وجهك عندما تذكر وجه الله تعالى كما لا ينبغي أن يخطر ببالك السمع والبصر اللذين لك عندما تذكر لله تعالى السمع والبصر إذ {.. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11}سورة الشورى } , إن جاءك خاطر من الأشاعرة والماتوريدية وتَلبُسٍ منهم تذكر دائماً هذه الآية , ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في تشريعه ولا في وعده ووعيده ولا في كل شيء .

قول الشيخ الهراس رحمه الله (ولما كان مقتضى رحمته وعدله أن لا يعذب أحداً بغير ذنب وكانت النار قي غاية العمق والسعة حقق وعده تعالى فوضع فيها قدمه فحينئذ يتلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها ..) الجزم بأن هذه هي الحكمة فيه تسامح من الشارح عفا الله عنه , القطع بأفعال الرب بأن الحكمة كذا دون أن يثبت إشارة لذلك من الله ورسوله ولكن استنتاجاً فيه نوع من الجراءة , ولذلك لو عبّر بـ(لعل) يكون أخف , فرقٌ بين أن تقول لعل الحكمة كذا وبين أن تجزم فتقول الحكمة كذا , وفي كل حال نحن في غنًى عن هذا التصيد وهذا التكلف , كان ينبغي أن نقف كما وقف السلف ولا نبحث ؛ لأن الله سبحانه يعلم بعلمه السابق بأن جهنم عندما

وعد أن يملأ جهنم يعلم كيفية ملئ جهنم وكيفية ملئ الجنة , يعلم أزلاً وكتب أنه سوف يضع قدمه عليها فتنزوي وتقول قط قط ليس معنى ذلك شيء تجدد بعد أن دخل أهلها وبقي فيها سعة تجدد له بعد ذلك لا , بل هذا كان معلوماً عند الله ؛ لأن الله عَلِمَ حكمة منه بأن لا يملؤها بالداخلين ولكن يملؤها بأن يضع قدمه عليها حتى تنزوي ويلتقي طرفها بالطرف الآخر , هكذا يتم ملؤها , هذا شيء عُلِمَ وكُتِبَ أزلاً , وأسلوب الشارح عفا الله عنه ربما يوهم من لا يُدرك مراتب القدر أن ذلك أمر تجدد ولم يكن معلوماً من قبل ولكن تجدد وعند ذلك وضع الرب سبحانه قدمه عليها وليس الأمر كذلك , بل وعد الله بملئ الدارين لكن علم الله وكتب اختلاف كيفية ملئ الجنة بأن" يخلق خلقاً آخر غير أهل الدنيا الذين دخلوا بأسباب أعمالهم يخلق لها خلقاً جديداً فيدخلون الجنة وهم لم يفعلوا خيراً قط رحمة منه " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (4850) ومسلم برقم (2846)] , هذا كان معلوماً عند الله ومكتوباً وكذلك كيفية ملئ جهنم وهذا الإجراء معلوم عند الله قبل أن يخلق هذا الخلق , بل تسمية الله أنه الرازق أو الرزاق وأنه الخالق هذا الاسم لم يتجدد بخلق الخلق وإعطاء الرزق , بل هو الخالق قبل أن يخلق الخلق وهو الرازق قبل أن يرزق وهو المعطي قبل أن يخلق المعطى له . الأمر والشأن عظيم جداً فلا ينبغي أن يُقاس الرب سبحانه على المخلوق في كل شيء .

إثبات النداء والصوت والكلام لله تعالى :

وَقَوْلُهُ) :يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ). مُتَّفقٌ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ) .

* « يقول تعالى يا آدم .. » « وما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه » / سيكلمه ويرد المتكلم والمخاطب على الله , بأي لغة ؟ اللغة العربية بالسريانية بالعبرانية الله أعلم لا نخوض في هذا , يكلم الله الخلائق والذي يكلمه عبد من عبيده , بعض أهل العلم ذكر أن كلام أهل الجنة وأن السؤال في القبر كل ذلك باللغة العربية , والجزم بذلك يحتاج إلى نص صحيح صريح .

في الحديثين إثبات النداء والقول لله وأنه يتكلم , وقد سبق أن بينا في مذهب أهل السنة والجماعة في باب الكلام إنهم يثبتون لله كلاماً حقيقياً له حرف وصوت , وأن هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف كلام الله حقيقة , وأنهم يؤمنون بأن الكلام من صفات الأفعال باعتبار أفراده ؛ لأنه يُفعَل في وقت دون وقت , وباعتبار أصل الكلام صفة ذات , أي أن الله لم يزل متصفاً بصفة الكلام سواء تكلم بالفعل أو أمسك عن الكلام إذا شاء ذلك , فهو موصوف بصفة الكلام لم يعدم صفة الكلام ولم تكن صفة الكلام يوماً ما مستحيلة على الله ثم تحولت من الاستحالة إلى الجواز . والنداء لا يكون إلا بحرف وصوت يسمعه المنادى . والأشاعرة خالفوا أهل السنة وخالفوا إخوانهم المعتزلة وأتوا باصطلاح جديد , عند المعتزلة إذا قلت الله متكلم يقول لك نعم الله متكلم , ما معنى متكلم ؟ يقول خالق للكلام . عدو صريح وإلحاد صريح , لكن الأشعري يقول الله يتكلم لكن كلامه ليس بحرف ولا صوت كلام نفسي وقديم . من أنبأكم بهذا ومن أين ؟! لو سألت الأشعري هل الكلام النفسي يُسمَع هل الكلام النفسي يُتلى ؟ تناقضات ! ما جوابه ؟ الجواب هكذا قال شيوخنا . هذا دليل العاجز فهم عاجزون ليس لديهم دليل علماً بأنهم ينكرون التقليد في باب العقيدة وهم يقلدون وإلا من أخبركم بأن حديث النفس كلام , حديث النفس ليس بكلام ولا يكون الكلام كلاماً حتى تتكلم به وتنطقه , بعد ذلك يعتبر كلاماً تُحاسَب عليه , خالفوا اللغة وخالفوا الكتاب والسنة وخالفوا المنهج السليم فضاعوا .

إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه :

وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: (رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ).حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيرُهُ، وَقَوْلُهُ: (أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ). حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَقَوْلُهُ: (وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ .(حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، وَقَوْلُهُ لُلْجَارِيَةِ) :أَيْنَ اللهُ؟). قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: (مَنْ أَنَا؟). قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: (أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ

* « في رقية المريض : ربنا الله في السماء , تقدس اسمك .. » / رقية المريض جائزة وثابتة إذا كانت خالية من الشرك , والرقية عبارة عن قراءة آيات من كتاب الله على محل الوجع أو أدعية مأثورة يقرأها الإنسان إما على نفسه أو على غيره , ولكن الأفضل عدم طلب الرقية ليلحق الإنسان بكمال إيمانه بأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب الذين هم كُمل المؤمنين " الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون " [أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما برقم (6511) ومسلم برقم (220)] , الرقية وإن كانت جائزة إذا خلت من الشرك لكن الأفضل أن يرقي الإنسان نفسه وإلا الرقية فيها إلتفات إلى غير الله تعالى ينقص التوكل بهذا الطلب , والتوكل شعبة من شعب الإيمان , لا يضر التوكل طلب الرقية ولكن يُنقصه , في رقية المريض سواء رقى نفسه أو رقى غيره يقول النبي ﷺ " ربنا الله الذي في السماء " ربنا الله : مبتدأ وخبر , ربنا الله الذي في السماء : أي الذي في العلو , الذي في السماء ليست

محيطه به ولكن الذي فوق السماوات وفوق الكرسي وفوق العرش وفوق كل شيء ,
* تقدس اسمك : تنزه اسمك عن النقائص والعيب .
* رحمتك في السماء : رحمة الله تنزل من السماء , وهذه الرحمة المذكورة هنا رحمه مخلوطة , ليست الرحمة التي هي صفة من صفات الله بل رحمة مخلوطة .
* الحوب : الذنوب . في الحديث توسل بأسماء الله والثناء عليه .
* أنت رب الطيبين : خص الطيبين ؛ لأن الطيبون هم المؤمنون الصالحون الذين يخلصون في العبادة ويقومون بحق الربوبية وإلا هو سبحانه رب كل شيء .

كل من يريد أن يطلب من الله طلباً ينبغي أن يُقدِم بين يدي الطلب عملاً صالحاً كالصلاة والصيام والصدقة أو الاستغفار والثناء على الله بعد ذلك تطلب طلبك كما في الحديث بعد أن أثنى هذا الثناء يقول (أنزل رحمة من رحمتك وشفاء ..) .
وكما في قصة الأعمى لما طلب الأعمى من الرسول ﷺ أن يدعو الله أن يرد الله عليه بصره وقد تقدمت هذه القصة . فمن الحديثين وغيرها استنتج أهل العلم من ذلك كله مشروعية واستحباب تقديم عمل قبل الدعاء ؛ لذلك يُستحب أن يصوم المؤمنون إذا أرادوا أن يستسقوا قبل يوم الاستسقاء ثم يستسقون وذلك أقرب للإجابة . من توسل بها لا يكاد يرد طلبه إن صدق , ليس معنى إجابة الدعاء أن تُعط سؤلك حالاً , تعطى سؤلك إن لطف الله بك أو تؤجل فترة من الزمن فتعطى طلبك أو خيراً منه أو مثله وقد يُرد الله عنك ما لم تعلم من المصائب وقد تعطى خير من ذلك يوم الدين . يشير إلى ذلك عمر رضي الله عنه (إذا أُلهِمت الدعاء لا أحمل هم الإجابة) [اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميه ص (706) , الجواب الكافي لابن القيم ص (8)] , أي الإجابة محققة إذا دعوت الله بحضور القلب وعزم ولا تردد ولا شك أو تعلق بالمشيئة . لا يُقبل التوسل عند كثير منهم إلا خطر بباله التوسل بذوات الصالحين وحرمتهم وجاههم وكرامتهم , وهذا نوع من أنواع التوسل البدعي لا أصل له ؛ لأن التوسل عند الاستقراء وتتبع

نصوص الكتاب والسنة إما توسلاً بأسماء الله وصفاته أو توسلاً بدعاء الإنسان الحي الصالح أو توسلاً بالأعمال الصالحة , فجاه الصالحين ليس عملاً ولا معنى للتوسل بذاتهم وإنما هو من باب الإقسام على الله بهذا الذات أو الجاه أو الحرمة , ولشيخ الإسلام التوسل والوسيلة تحقيق الشيخ الدكتور ربيع بن هادي له تحقيق لهذه الرسالة فينبغي لصغار طلبة العلم أن يدرسوا هذه الرسالة المحققة في هذه المسألة ليفهموا الفهم الصحيح لحقيقة التوسل . ومحل الشاهد (ربنا الذي في السماء) إثبات علو الله وفوقيته وأنه مستوٍ على عرشه .

* « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء » / قال للصحابة رضي الله عنهم في بعض الظروف " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء " [أخرجه البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه برقم (4351) ومسلم برقم (1064)] على الأموال وعلى العطاء حتى لا أُتهم أني أفضل زيداً على عمروٍ , الله سبحانه أمنّه على الوحي الذي هو الدين كله , إذا كان الله أمنّه على الوحي يبلغ دينه إلى عباده ويهديهم إلى صراط مستقيم , فيجب أن يُؤمنّ في كل شيء , بل الإيمان به صلى الله عليه وسلم اعتقاد أمانته وصدقه وفطانته وتبليغه ولا ينبغي التنقص وتنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم ردة . والحديث كالذي قبله " وأنا أمين من في السماء " , أي أمين من في العلو أو أمين من فوق السماء وتلك الفوقية تُفسر بقوله { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى{5}سورة طه } .

* « والعرش فوق الماء , والله فوق العرش , وهو يعلم ما أنتم عليه » / هذه القطعة من حديث الأوعال المعروف , والحديث بالجملة ضعيف [أخرجه أبو داوود عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه برقم (4707) والترمذي برقم (2354) وابن ماجه برقم (193) وغيرهم , ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (1247)] , لكن هذه القطعة

من آخر الحديث الذي اختاره شيخ الإسلام وذكْره هنا صحيح من حيث المعنى . في هذا الحديث جمع بين العلو وبين المعية , والله فوق العرش وعرش الرحمن مخلوق عظيم فوق جميع المخلوقات , ليس فوق العرش شيء فهو منتهى هذه المخلوقات والعالم العلوي , كل شيء من المخلوقات تحت العرش , والله سبحانه وتعالى فوق ذلك , خلق الله العرش وخصه بالاستواء عليه , والله لم يزل في علوه قبل خلق العرش وبعد خلق العرش ؛ لأن العلو صفة ذاتية , والعلو غير الاستواء استوائه على العرش علو خاص وهناك العلو العام وهو علو الله فوق جميع المخلوقات كما يليق به سبحانه .

* وهو يعلم ما أنتم عليه : أي هو معكم بعلمه وسمعه وبصره وتدبيره وبجميع معاني الربوبية , هذه المعية معية حقيقية وليست معية الذات , بل معية السمع والبصر فهي معية عامة , هي معية حقيقية كما أن معية الذات حقيقية , وكون الله معنا ومع جميع مخلوقاته أينما كانوا بعلمه وسمعه وبصره يعلم مِن كل إنسان ظاهره وباطنة , بل يعلم من الإنسان ما لا يعلم من نفسه , هذه المعية أبلغ من معية الذات للذات , أي من معية أحدنا للآخر الذي يجاوره , فكيف يقال بمعية من لا تخفى عليه خافية أنها معية مجازية ؟ لأن المجاز ما يجوز حذفه . وهل يجوز اعتقاد أنه ليس معنا حقيقة ؟ لا يجوز إذن معية الله العامة معية حقيقية , والمعية الخاصة من باب أولى تزيد عن المعية العامة والعلم والاطلاع بالحفظ والكلأ والسداد والتوفيق كمعية الله لنبيه ﷺ والصديق رضي الله عنه في الغار .

* « وقوله للجارية .. » / المؤلف يذكر من الأحاديث محل الشاهد , جارية أعجمية لم تدرس ولا جلست بين يدي مدرس فعلمت بفطرتها السليمة ؛ لأن الفطرة السليمة كما أن العقل السليم يشهد بأن الله موجود وأنه ليس كمثله شيء وأن الله في السماء يُدعى من فوق , كل داعٍ يقول يا الله عربياً أو أعجمياً قبل أن يعلم شيء قبل أن يدرس وقبل أن يتصل بأهل الكلام , كل من أراد من ربه شيئا يرفع يده إلى الله . ومعرفة الجارية

تقوم مقام لا إله إلا الله , بقي الإيمان بالجزء الثاني من شهادة التوحيد محمد رسول الله ؛ لذلك قال لها النبي ﷺ من أنا ؟ قالت أنت رسول الله , فتم الإيمان وتمت المعرفة . (يُحكى عن بعض أئمة السلف أنه سُئِل ولعله ابن المبارك رحمه الله : بم نعرف ربنا ؟ قال نعرفه بأنه فوق سماواته مستوٍ على عرشه بائن من خلقه) [سبق] , شهادة عظيمة من رسول الله ﷺ لتلك الجارية " اعتقها فإنها مؤمنة " [سبق تخريجه].

يقول بعض شيوخ الأشاعرة إنه لا يتم إيمان العبد حتى يترك أربع كلمات , لا يسأل عن الله بأربع كلمات : لا يقول أين الله ؟ لا يقول كيف الله ؟ لا يقول متى هو ؟ لا يقول كم هو ؟ خلطوا خلطاً , الكلمة استعملها النبي ﷺ في ربه ﷻ جعلوا تركها من تمام الإيمان , أي المؤمن الكامل لا يسأل عن الله بأين ؟ , هذا معنى كلامهم , خطأ فاحش لعل الحامل على هذا الجهل عدم الاطلاع على السنة ؛ لأنهم أعرضوا عن السنة ولا يأخذون عقيدتهم من الكتاب والسنة , ولكن يأخذون من الأدلة العقلية . الإجابة عن هذه الأسئلة , أين الله ؟ في السماء . لا يجوز السؤال عن الله بكيف لا عن ذاته ولا عن صفاته . ولو قال لك متى هو ؟ يكون الجواب " هو الأول الذي ليس قبله شيء والأخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء " [سبق تخريجه] . فلا يجوز السؤال عن الله بمتى ليس لأوليته بداية وليس لأجريته نهاية , وإذ قال لك كم ؟ الجواب سورة الإخلاص .

ومحل الشاهد (في السماء) إثبات علو الله ؛ لأن رسول الله ﷺ أقر الجارية على الجواب بل شهد لها بالإيمان . في قوله تعالى { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء ..{16}سورة الملك }, (في) إما بمعنى (على) كما قال كثير من أهل العلم واللغة , فيكون المعنى (أأمنتم من على السماء) أي فوق السماء , و(في) بمعنى (على) في مواضع كثيرة ليس في باب الأسماء والصفات فقط مثل {.. وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ

..{71}سورة طه } , ولا يكاد يفهم أحدٌ أن الصلب يكون داخل النخل ولكن عليها , وقوله { قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }سورة الأنعام {11}, أي على ظهرها , وليس هذا تأويل بل حروف الجر تتناوب , فهو تفسير لغوي . والتفسير باللغة تفسير مقبول , إما أن تُفسر القرآن بالقرآن أو بالسنة ويسمى تفسير أثري , أو تفسير مفردات القرآن باللغة , والمرجع في ذلك أهل اللغة , وإنما التفسير المذموم التفسير بالرأي , الذين يزعمون أنهم يفسرون (استوى) بالملك والسلطان والهيمنة , فهذا تفسير بالرأي لا يوافق اللغة ولا يوافق النصوص الواردة في الكتاب والسنة , لكن قول على الله بغير علم بالرأي . أو يكون المراد في الآية { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء ..{16}سورة الملك }, العلو أي من في العلو . فالحديث نص في علو الله على كلا المعنيين , فلله العلو المطلق من كل وجه , له علو الذات (فوق جميع مخلوقاته) وعلو المنزلة والمكانة (ما يشعر به كل مؤمن في نفسه) وعلو القهر {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ{18} سورة الأنعام } . يؤخذ من الحديث في قصة الجارية أن العقيدة الإجمالية للعامي من المسلمين تكفي في حقه لا يطالب بالتفاصيل .

وقد ضل في هذا الباب خلق كثير من أهل الكلام حتى أقربهم إلى منهج السلف وهم الأشاعرة ضلوا في هذا الباب وباب الكلام ضلالاً مبيناً , فمن أنكر العلو فقد حُرِمَ الإيمان الصحيح وأنه لم يعرف ربه المعرفة الصحيحة .

والنفاة المعطلة يدخل فيهم دخولاً أولياً الجهمية ثم المعتزلة ثم الأشاعرة والماتوريدية معاً , الأشاعرة أحياناً يُطلَق عليهم المثبتة وليسوا من النفاة , وأحياناً يُطلق عليهم أنهم من النفاة ؛ ذلك لأنهم يثبتون بعض الصفات إثباتاً صحيحاً وإن كان طريق الإثبات غير صحيح , يثبتون بالأدلة العقلية معرضين عن الأدلة النقلية , أي جاعلين الدليل العقلي

هو الأصل والدليل النقلي إنما يُذكر من باب الاستئناس به والاعتضاد به لا من باب الاعتماد عليه , هذا من أخطائهم الطائشة .

والعقلانيون يردون الحديث المتواتر لمخالفته للعقل , والعجب كل العجب يروي محمد سرور زين العابدين أنه ضمّه قبل إحدى عشرة سنة (من تأريخ درس الشيخ رحمه الله) مجلس مع الدكتور الترابي – دليل في العقلانية والتجديد الجديد – يقول سمعه وهو يحكي نزول عيسى (أي الترابي) قال له زين العابدين كيف تنفي مسألة ثبتت بالأحاديث المتواترة ؟ سؤال غريب من عقلاني يسأل زميله هذا السؤال , فكان جواب الدكتور الترابي : أنا لا آخذ الأحاديث بأسانيدها حتى تعرض على العقل , وهذا الحديث يخالف العقل فهو مردود على الرغم أنه متواتر . ما هو الموقف الذي اتخذه محمد سرور زين العابدين بعد ذلك من الترابي ؟ تبجيل وتعظيم واعتراف له أنه زعيم من الزعماء المصلحين الذين يسعون في إقامة الدولة الإسلامية فوق كل أرض وتحت كل سماء , بالرغم من هذا الإلحاد كله , بمعنى ليس بينهم الولاء والبراء طالما خالفوا الحكام الجالسين على الكراسي وخرجوا عليهم ويريدون إسقاطهم ليقيموا دولة إسلامية عامة تحت راية واحدة , طالما يسعون في هذا فهم أصدقاء يروي هذه القصة محمد سرور في عام 1400 هـ . والعقلانيون الجدد كلهم ينكرون الأحاديث ويردونها ما لم توافق العقل ؛ لذلك كثير من الأحاديث التي يخبر بها الرسول ﷺ من الأمور الغيبية مردودة عندهم كحديث المهدي وكحديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام . قبل أن يقيموا تلك الدولة المزعومة , ما معنى الإيمان عندهم بالرسول ﷺ ؟! على طلاب العلم أن يُحصنوا أنفسهم بدراسة الكتاب والسنة , وأن يُقللوا من مطالعة ما يصدر من تلك الجهة وإن سمّوا ما يصدرون السنة أو البيان أو أو.. , ابتعدوا حتى تثبتوا لا يشوشوا عليكم , وللترابي كتاب جديد (تجديد الفكر الإسلامي) الفكر الإسلامي الدين الإسلامي , الدين الإسلامي تقادم مع الزمن وبليَ وبحاجة إلى تجديده , ليستُ أدري متى ينتهون من هذا التجديد

ومتى يُطبَق هذا التجديد ؟! هراء كلام يُضَل به الشباب وإلا هم يعلمون من صميم قلوبهم أنهم لن يفعلوا شيئا أبداً , ويعلمون تماماً أنه ليست هناك دولة يقيمونها وليست فيهم أهلية وكفاءة لنيل الإمامة , نيل الإمامة بالعلم والإيمان الصحيح والصبر الجميل على الأذى في سبيل الله .

إثبات معية الله لخلقه وأنها لا تنافي عُلوه فوق عرشه :

وَقَوْلُهُ: (أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ). حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَقَوْلُهُ: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم : (اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ). رِوَايَةُ مُسْلِمٌ. وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: (أَيُّهَا النَّاسُ! أرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا. إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

* « أفضل الإيمان : أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » / الإيمان يتفاوت والمؤمنون يتفاوتون في إيمانهم ؛ لأن الإيمان يزيد وينقص يضعف ويقوى , وأفضل الإيمان أن يصل

العبد إلى درجة اليقين وشدة المراقبة , أي يعلم أن الله معه لا يغيب عنه حيثما كان , ويصل الإنسان لدرجة الإحسان والقيام بأداء ما افترض الله عليه وهو أول ما يتقرب العبد إلى الله وأحب ما يتقرب العبد إلى الله , وما افترض الله عليه يشمل الأفعال والتروك , الأفعال كأداء الواجبات العينية والكفائية وهي كثيرة , ليست الأركان المعروفة كأركان الصلاة والصيام فقط , بل جميع ما أمر الله به ودل الأمر على الوجوب من أداء ما فرض الله عليك , والتروك من ترك جميع المنكرات المحرمة . ثم الإكثار من النوافل سواء نوافل الصلاة والصيام والإطعام والحج والعمرة وغير ذلك , فإذا فعل ذلك أحبه الله " .. فإذا أحبه الله كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به .. " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ برقم (6502)], هكذا يتدرج المرء إلى أن يصل لدرجة الإحسان وشدة المراقبة أو صدق المراقبة , بمعنى هذه الوَلاية , والوَلاية أمر مكتسب , فرقٌ بين الوَلاية والنبوة , النبوة بالاجتباء والاختيار والاصطفاء من عند الله سبحانه ولكن الوَلاية بالعمل , يصل العبد إلى درجة الوَلاية الصادقة بالإيمان الصادق والعمل الصالح والمواظبة على ذلك مع الالتجاء إلى الله بالثبات . والوَلاية ليست بيوت معينة , بيت الحسن بيت الحسين بيت الغضنفر , إنما بالإيمان والعمل , قد يكون الوالد ولياً ويُنجب فاسقاً وقد تنعكس القضية ؛ لذلك لا عبرة بالأصل والفصل ولا الجنس ولا النسب , ولكن المسألة أساسها راجع إلى توفيق الله . لا يغيب الرب سبحانه عن ذهنه ويذكره بلسانه وقبل ذلك يذكره بقلبه , وذكر القلب أفضل من ذكر اللسان وإن اجتمعا أفضل وأفضل , فإذا وصل لهذه الدرجة يستحي من ربه أن يراه حيث نهاه أو يفتقده حيث أمره , يكون بينه وبين ارتكاب المعاصي صغائرها وكبائرها والموبقات ومحقرات الذنوب , ومحقرات الذنوب أخطر ؛ لأن الإنسان قد يبادر بالتوبة إذا ارتكب معصية واضحة , لكن قد يستخف بمحقرات الذنوب كبعض النظرات وكالكذب الذي يسميه بعض الناس اليوم الكذب الأبيض , هذه المحقرات لا ينبغي للإنسان أن يتساهل فيها .

* « إذا قام أحدكم للصلاة فلا يصقن قِبل وجهه .. » / تعظيماً واحتراماً لربه سبحانه الذي يناجيه , ولا عن يمينه احتراماً للمَلك الذي على يمينه الذي يكتب الخير , ثم علل ذلك بقوله " فإن الله قِبل وجهه " فالله قِبل وجه المصلي كما يليق به , أما بذاته فهو فوق عرشه فهو قِبل وجه المصلي ؛ لأن المصلي يناجيه , ومن تناجيه فهو قِبل وجهك وإن لم يكن ذلك بلازم .

* ولكن عن يساره أو تحت قدمه : هذه آداب إن كنت في الصلاة ولم تتمكن أن تزيل البصاق أو المخاط بشيء كالمنديل واضطررت إلى البصق كأن كنت خارج المسجد مثلاُ لا ينبغي أن تبصق بين يديك قِبل وجهك ولا عن يمينك لكن عن يسارك أو تحت قدميك , هذه من الآداب التي ينبغي مراعاتها للمصلي الذي يناجي ربه سبحانه وتعالى .

قال شيخ الإسلام في الرسالة الحموية : أن الحديث حق على ظاهره , وهو سبحانه فوق العرش وهو قِبل وجه المصلي , بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات (قِبل وجه المصلي : لا بذاته ولكن بالمعنى الذي فهمناه من المعية العامة , ولكن تلك المعية هنا تزداد خصوصية بسبب المناجاة ؛ لأنك عندما تناجي الله سبحانه فإنك تخاطبه { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ{5}سورة الفاتحة } , تخاطب بكاف الخطاب للحاضر , لم تقل (إياه نعبد وإياه نستعين) ؛ لأن الله قِبل وجهك فأنت تخاطبه , فلا يليق أبداً أنك تناجيه وتخاطبه أن تبصق قِبل وجهك) . وقال شيخ الإسلام : فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضا قِبل وجهه [ص (107)] . (لو جعل يخاطب الشمس أيتها الشمس أيتها الآية العظيمة التي تضيء الدنيا وحدها , تكون الشمس قِبل وجهه بسبب هذا الخطاب وهذه المناجاة لا بذاتها , لم تنزل من كبد السماء حتى تكون بين يديه , لكن بالمعنى

المعنوي لا بالمعنى الحسي ؛ لأنه خاطبها ووصفها بصفاتها الخاصة) . ما بين القوسين تعليق الشيخ الجامي رحمه الله .

* « اللهم رب السماوات السبع ... » / خالق السماوات السبع وموجدها ومربي من فيها , ورب الأرض خالق الأرض وموجدها , ورب * العرش العظيم : أعظم مخلوق من مخلوقات الله .
* منزل التوراة والإنجيل والقرآن : هذا جاء من باب التمثيل لا من باب الحصر وإلا فإن الزبور منزل أيضاً وبعض الصحف لبعض الأنبياء عليهم السلام .
* أعوذ بك من شر نفسي : ليثبت لنا رسول الله ﷺ أن الإنسان في نفسه شر , يستعيذ أولاً قبل كل شيء من شر نفسه قبل أن يستعيذ من العدو الخارجي .
* دابة : كل ما يدب على وجه الأرض سواء كان يمشي على رجلين أو أربع أو على بطنه .
* آخذ بناصيتها : نواصي العباد ونواصي الدواب بيد الله , فالإنسان نفسه بيد الله , والكون كله بيد الله في قبضته كما يليق به سبحانه .
* أنت الأول : إثبات أسمائه (الأولِ والآخرِ والظاهرِ والباطنِ , بالكسر إذا أُعتبِرت بدل أو عطف بيان) أو(الأولَ والآخرَ والظاهرَ والباطنَ) يعني بتقدير أعني الأول .. جائز لك أن تنصب ولك أن تخفض , وقد فسرها النبي ﷺ بما لا يدع مجالاً للرأي , ماذا يقول القائل بعد هذا التفسير إذا قال النبي ﷺ " أنت الأول فليس قبلك شيء .. " يجب الإذعان لهذا التفسير ولا يُلتفَت إلى ما يقوله علماء الكلام إن كان لهم قول . الأول : بلا ابتداء , وفسر معنى الأول الذي ليس قبله شيء , وهذا الاسم عبّر عنه علماء الكلام بالقديم , والقديم ليس من أسماء الله , والأول أبلغ من القديم ؛ لأن القديم قد يُطلَق على القِدم المطلق الأول الذي ليس قبله شيء , وقد يطلق على القِدم النسبي

كالعرجون القديم , إذا جاء عرجون هذا العام عرجون العام الماضي والذي قبله يقال له القديم , أي بالنسبة للعرجون الجديد الحادث ؛ لذلك الأول أبلغ من القديم , وإن كان من باب الإخبار يُتوسع بالتعريف بالقديم والصانع والمريد والمتكلم , هذه الألفاظ قد يُتسامح أو يُتوسع في التعريف بها من دون اعتقاد أنها أسماء لله , ويقال باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات [مجموع الفتاوى (6 / 142 – 143) , بدائع الفوائد لابن القيم (1 / 161)] .

أنت الآخر : بلا نهاية . الظاهر : لأنه فوق جميع المخلوقات . الباطن : أي بالإحاطة الذي بطن الأمور كلها وعلم كل شيء , وهذا يشير إلى المعية العامة وهي معية العلم .

* اقضِ عني الدين واغنني من الفقر : بعد هذا التوسل والثناء العظيم طلب هذا الطلب .

* « أيها الناس أربعوا على أنفسكم .. » / ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم .

* سميعاً : الذي أحاط بسمعه جميع المسموعات .

*بصيراً : الذي أحاط ببصره جميع المبصَرات .

* قريباً : ليس بغائب , وقرب الله ومعيته معية العلم .

* عنق راحلته : كناية عن قربه منكم .

رفع الصوت إنما يُشرَع في مواطن معينة كرفع الصوت بالقراءة للإمام أو رفع الصوت بالأذان والإقامة أو التبليغ خلف الإمام إذا احتيج لمن يُبلغ أو لتبلغ الدرس والوعظ والإرشاد , وإلا إنسان عادي ليس في هذه المواطن لا ينبغي له أن يرفع صوته بالدعاء ولا الذكر , بل رفع الصوت في المساجد ممنوع , وكان عمر ﵁ في مسجد الرسول ﷺ يهدد بالضرب من يرفع صوته , وإذا جاء أعرابي يناجي أعرابياً في المسجد

إن كان من أهل البلد يؤدبه وإن كان غريباً يسامحه وينصحه .[أخرجه البخاري عن السائب بن يزيد عن عمر ﷺ برقم (470) , باب رفع الصوت في المساجد] .

إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة :

قَوْلُهُ) :إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

* « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر .. » / من الأحاديث المتواترة تواتراً لفظياً كما صرح بذلك كثير من أهل الحديث , أي بلغ من القوة والمتانة , علماً بأنه لا يُشترط أن يكون الحديث متواتراً في إثبات صفات الله ولا في الأحكام , وشرط الاحتجاج بالأحاديث –سواء كان ذلك في باب الأحكام أو العقيدة – الصحة والثبوت ، لكن إن وُجِدَ متواتر فهو أقوى . هذه الرؤية تقع في الدار الآخرة في موضعين اثنين , تقع في عرصات القيامة وهذه الرؤية محل خلاف بين أهل العلم في كونها هل هي خاصة بالمؤمنين أو تثبت للكفار والمنافقين مع المؤمنين ؟ ومثل هذا الخلاف لا يقال إنه خلاف في باب العقيدة ؛ لأنهم لم يختلفوا في إثبات الرؤية وإنما مَن الذين يتمتعون بالرؤية ؟ والموضع الثاني في الجنة . ورجح الحافظ ابن حجر رحمه الله الخصوصية وأنها خاصة بالمؤمنين كالتي في الجنة , ويُوجه هذا الترجيح أن الله سبحانه قادر أن يخص المؤمنين بالرؤية وإن كانوا هم والكفار والمنافقون مجتمعون جميعاً في عرصات القيامة كما " خصهم بالسجود ؛ لأن " المؤمنين إذا رأوا ربهم يسجدون , فيذهب المنافقون والكفار ليسجدوا فتصير ظهورهم طبقاً واحداً ولا يستطيعون أن يميلوا " [أخرجه البخاري عن أبي سعيد ﷺ برقم (4919)] , هكذا خص المؤمنين بالسجود في عرصات القيامة

عند رؤية الرب , فالاستدلال بالعمومات لا يمنع دعوى الخصوصية ؛ لأن هذه نعمة عظيمة ينبغي أن تكون خاصة بالمؤمنين , أما في الجنة فهي خاصة بالمؤمنين .

وهذه الرؤية على الرغم من أن الأحاديث فيها متواترة أنكرها كثير من علماء الكلام كالمعتزلة وغيرهم من غلاة علماء الكلام , والأشعرية يثبتون رؤية بغير مقابلة , يريدون بذلك التهرب من إثبات علو الله لا يؤمنون بأن الله في العلو وأن الله في سماواته مستوٍ على عرشه , هذه العقيدة لا تثبتها الأشاعرة مع وضوح وكثرة الأدلة من الكتاب والسنة , لما تورطوا في إنكار العلو والاستواء وآمنوا تقليداً بإثبات الرؤية اضطربوا كيف يثبتون ؟ قالوا نثبت رؤية بلا مقابلة , منهم من يقول يراه المؤمنون بجميع أجسادهم أي من جميع الجهات , - قول على الله بغير علم - وهو قول باطل . والصحيح إن الرائي يرى ربه من فوقه , فالله سبحانه يُشرف على أهل الجنة من فوقهم ويسلم عليهم { سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ{58}سورة يس } , ويضحك لهم , فيرفعون رؤوسهم كلٌ في موضعه فيرى ربه دون أن يكون هناك ازدحام وتلاصق ودون أن يكون هناك ظلم فلا يظلم بعضهم بعضاً في محاولة الرؤية ؛ لذلك شبه النبي ﷺ هذه الرؤية في أنها تثبت في العلو وفي وضوحها وحقيقتها وأنها رؤية حقيقية وثابتة شبه هذه الرؤية برؤية القمر ليلة البدر وبرؤية الشمس ليس دونها سحاب , أي الناس تؤمن بأن رؤية الشمس رؤية حقيقية ورؤية القمر أيضاً رؤية حقيقية وأنها واضحة وثابتة جداً ولا يحصل بين أهل الدنيا جميعاً زحام أو تضرر أو ظلم بعضهم بعضاً عند الرؤية , بل كلٌ يرفع رأسه حيث كان فيرى القمر والشمس فوقه وهما آيتان من آيات الله ومن مخلوقاته , هكذا يُقرب رسول الله ﷺ هذا المعنى ويقرره في النفوس بهذا التشبيه بتشبيه الرؤية بالرؤية , فالتشبيه بين رؤيتين وتلك الرؤيتين صفة أو عمل للرائي المخلوق وليس في ذلك تشبيه المرئي بالمرئي , ليس في ذلك تشبيه رب العالمين بالمخلوق الذي هو القمر والشمس , ولكن تشبيه رؤية المؤمنين ربهم في الجنة وفي عرصات القيامة برؤية الناس جميعاً الشمس والقمر

, فليس هناك أدنى شبه أبداً في أن الحديث يشير إلى تشبيه المرئي بالمرئي ؛ لأن تشبيه الله بخلقه كفر والحديث لا يدل على هذا المعنى الباطل .

* لا تضامون : تضامون بالتشديد من الضم , أي لا يحصل انضمام بعضكم إلى بعض بسبب الزحام , وبالتخفيف أي لا يلحقكم الضيم وظلم بعضكم بعضاً من الزحام .

* فإن استطعتم أن لا تغلبوا .. : أي حاولوا وجاهدوا أنفسكم على المواظبة على صلاة الصبح في جماعة وعلى صلاة العصر في جماعة , وميزتهما أنهما محل اجتماع الملائكة واقترابهم . وعلى كل هما صلاتان عظيمتان جداً والمواظبة عليهما في الجماعة مما يُرجى أن يكون سبباً في دخول الجنة والتمتع بتلك النعمة التي لا مثيل لها النظر إلى وجه الله , حتى يصبح جميع النعيم في الجنة لا شيء إذا رُزِقَ العبد النظر إلى وجه ربه , مما يساعد على ذلك طاعة الله بصفة عامة والمحافظة على الصلاتين بصفة خاصة .

فالحديث يدل على العلو والفوقية , ولا يزال الرب في علوه مطلقا حتى في حال نزوله وحتى في حال مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء فهو لا يزال في علوه , ليس لأحد أن يقول كيف نجمع بين النزول وبين العلو وبين المجيء وبين العلو؟ وهذه المحاولة ينبغي أن تتوجه إلى نزول المخلوق ومجيء المخلوق , أما نزول الرب الذي لا نعلم كيفيته ومجيء الرب الذي لا نعلم كيفيته , طالما أخبر الرب سبحانه أنه سيأتي يوم القيامة لفصل القضاء وأخبر النبي ﷺ بذلك وأخبر النبي ﷺ أيضاً عن النزول , إذن نؤمن بهذه النصوص كلها دون أن نبحث عن الكيفية ؛ لأن البحث عن كيفية صفات الرب سبحانه محاولة للإحاطة , فالمخلوق عاجز كل العجز أن يحيط بالخالق لا بذاته ولا بصفاته ولا بقضائه ولا بقدره , { وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً {85} سورة الإسراء } , هذا العلم القليل تفهم به معاني الصفات فقط دون كيفيات الصفات , أي كما عجزنا عن إدراك كيفية الذات وهذا العجز لم يمنعنا من الإيمان بالله كذلك عجزنا عن إدراك حقائق الصفات لا يحول بيننا وبين الإيمان بتلك الصفات ؛ لأن هذا من الغيب

ومن صفات المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب , ويحكى عن أبي بكر الصديق ﷺ إن صح عنه وإن كان صحيح المعنى (العجزُ عن الإدراكِ إدراكٌ) , عجزك عن إدراك ذات الرب وعن إدراك صفات الرب إدراك ؛ لأنك وقفتَ عن حدك , فمن عرف نفسه عرف ربه , إذا عرفتَ نفسك أنك عاجز لن تستطيع أن تحيط بالله قد عرفت قدرك وقدر علمك , هذا هو العقل والمنطق السليم , ومحاولة الإدراك أي محاولة الإحاطة بالله تُنتج أحد أمرين : التشبيه بأن يقول أنا لا أدرك ولا أعقل إلا ما أدرك من المخلوق إذن نزوله كنزول المخلوق وسمعه كسمع المخلوق وبصره كبصر المخلوق أو يقول طالما عجزتُ عن الإدراك إذن ظاهر هذه النصوص غير مراد فيقع في التعطيل ثم النفي فيهلك .

فالسلامة أن تسلم لله ولرسوله ﷺ ولا يسلم في دينه عقيدة وشريعة إلا من سلم لله سبحانه ثم سلم لرسوله الأمين على وحيه ﷺ , ولا يبحث عن مصدر ثالث أبداً , وإن شئت جعلتها المصدر الوحيد الوحي ؛ لأن الوحي يشمل الكتاب والسنة .

موقف أهل السنة من الأحاديث التي فيها الصفات الربانية :

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رِسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ؛ بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ .

* « إلى أمثال هذه الأحاديث .. » / يشير رحمه الله إلى أن الأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة وليست هذه المذكورة فقط في باب الصفات , وهذه الأحاديث لا يُشترط فيها التواتر كما قلنا , اشتراط التواتر في باب العقيدة دون اشتراط التواتر في باب الأحكام تفرقة قام بها أول من قام المعتزلة ثم تدرجوا إلى نفي الأحاديث كلها ثم إلى

إنكار دلالة القرآن ؛ بدعوى أنها دلالة لفظية ظنية , هكذا تدرجوا إلى أن قضوا على نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب وجعلوا العمدة الدليل العقلي .

مكانة أهل السنة والجماعة بين فِرق الأمة :

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ؛

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ .

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ(وَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ .

وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ .

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَ الْخَوَارِجِ.

* « فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل .. » / الأمم السابقة كاليهود والنصارى فقدوا الاعتدال , منهم من مال إلى الغلو الضار بعقيدتهم ودينهم بأن غلوا بالأنبياء وفي صالحيهم والرهبان واعتقدوا في المخلوقين علم الغيب والنفع والضر واعتقدوا الوساطة بين العباد وبين الله وهؤلاء هم النصارى . ومنهم من مال للتفريط وهو التبسيط وهم اليهود ." وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه أمة تتبع سنن من كان قبلها حذو القذة بالقذة " [أخرجه البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه برقم (3456) ومسلم برقم (2669)], وُجِدَ من غلا في بعض الصالحين أو في من يدعي الصلاح فوقف موقف النصارى بأن ينسب النفع والضر إلى بعض الصالحين أو يعتقد أنهم يعلمون الغيب فيطلبون منهم الشفاعة من الآن , وما يجري الآن في بعض الأقطار من الغلو في الصالحين كالغلو بعبد القادر , ومن يدعون أنه صالح وهم لا يعلمون كالبدوي أو كالغلو في بعض الأضرحة , وقد لا يكون فيها أحد لا صالح ولا طالح كالغلو في الضريح الذي يُسمى ضريح

الحسين , كل هذا تشبه بالنصارى , وهذا أمر جارٍ إلى يوم الناس هذا من الشرك الصارخ إلا من القليل النادر من أهل السنة والجماعة وهم قلة بين ذلك الجمهور ولا صوت يُسمع , وصوتهم قد يكون له تأثير ولكن ضئيل ؛ نظراً لقلة عددهم وكثرة المخالفين وكثرة المشجعين لأهل البدع من المنتسبين إلى العلم , لابد من وقوع ذلك ليصدق قوله ﷺ " ما من عام إلا والذي بعده شر منه " (تقدم) , , ولكن هذا لا يجعلنا نيأس ؛ لأن النبي ﷺ أخبر بأنه " لاتزال طائفة منصورة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله "[سبق تخريجه] وهم الفرقة الناجية الطائفة المنصورة . وكما وُجِدَ في هذه الأمة أهل الغلو وُجِدَ أهل الجفاء كالشيوعيين والماركسيين والعلمانيين الذين يحاولون لو استطاعوا إطفاء نور الله والقضاء على الإسلام , تقتيلهم للعلماء ومعاداتهم وتشويه سمعتهم , هذا تشبه باليهود . والأمة المحمدية وسط لا غلو ولا جفاء تؤمن بجميع الرسل { .. لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ .. {286}سورة البقرة } , هذا ما امتازت به الأمة المحمدية عدم الغلو وعدم الجفاء وعدم التفريق بين الرسل من آدم إلى آخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام يؤمنون بالجميع بدون غلو ولا جفاء إلا من أشرنا إليهم من بعض الجهال الذين يقعون بالتشبه . هذه الأمة توصف بأنها كاملة الكمال النسبي ؛ لأن الكمال المطلق لله تعالى كما يحصل كمال للرسل وأتباعهم وهو الكمال النسبي بالنسبة لغيرهم من المخالفين للرسل , كذلك أهل السنة والجماعة متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم , وهذه الفرق ليس معنى أنها انحرفت عن الصراط المستقيم أنها كافرة ؛ لأن الانحراف والإلحاد والزيغ قد يكون كفراً وقد يكون ما دون الكفر وهذه الفرق منها ما يصل لدرجة الكفر والخروج عن الملة كالجهمية وغلاة الرافضة والباطنية من القرامطة والفلاسفة ؛ لأن الباطنية أنواع وفِرق , باطنية الصوفية وباطنية الفلاسفة وباطنية أهل الكلام , جميع الباطنية خرجوا عن الإسلام ؛ لأن الباطنية تؤول الأحكام نفسها كما تؤول الصفات ,

أما الفرق الأخرى تتفاوت في الضلال ولكنها تُعدّ من الفرق المنتسبة للإسلام , أي لم تخرج من الانتساب للإسلام كالمعتزلة والأشاعرة والمرجئة والماتوريدية والجبرية , وإن كان يأتي التفصيل في كل من المرجئة (لا يوجد كلام عنها في المادة الصوتية) والجبرية ؛ لأن منهم من يكفر ومنهم من لا يكفر. ومن المفيد لطلاب العلم دراسة الفرق , كون طالب العلم يعرف أهل السنة والجماعة ومنهجهم فقط ولا يعرف الفرق الأخرى يصدق عليه أنه ممن استبان سبيل المؤمنين وجهل سبيل المجرمين وهذا نقص خصوصاً في هذا الوقت ينبغي الاطلاع على كتب الفرق , وأقرب كتاب في الفرق ولعله أسلم نوعا ما (اختلاف المصلين) لأبي الحسن الأشعري , وإذا كان يصعب عليه أن يستفيد منه وحده ليستعن بالله ثم بمن هو أعلم منه ليعرف الفرق من باب :

عرفت الشر لا للشر لكن لأتقيه ومن لم يعرف الشر من الخير وقع فيه

وإنما لبّس المهيجون على شبابنا ؛ لأن شبابنا يعرفون سبيل المؤمنين فقط ولا يعرفون شيئا عن سبيل المجرمين , ونشأوا في الخير والإيمان والإسلام متمسكين ملتزمين وجاءهم الشر وأحاط بهم من كل جانب فلم يستطيعوا التخلص من هذا الشر الذي جاءهم , وجاء المهيجون فأثروا في كبار الطلبة , فجعل كبار الطلبة الآن يهيجون صغار الطلبة , هذا ما نعيشه اليوم والله المستعان !

وأهل السنة والجماعة هم العاملون بالسنة والمتبعون للجماعة الأولى , السنة هنا الطريقة والهدي , أي الذين يتبعون سنة النبي ﷺ وهديه وطريقته ويقتدون بالجماعة التي اجتمعت على الحق وهم سلف هذه الأمة أهل السنة والجماعة الذين اتبعوا السلف , يقال لهم أهل السنة والجماعة ويقال لهم السلفيون, وإن كانت للأسف في هذه الأيام يُطلِق بعض المغرضين أن لفظة السلفية بدعة , وهذا تجاهل بالواقع , لفظة السلفية والأثرية وأهل السنة والجماعة والدعوة , هذه الألفاظ ظهرت بعد أن ظهرت الفرق وإلا

السلف الأول لا توجد عندهم هذه الألفاظ ؛ لأنه لا يوجد من المسلمين إلا حزب واحد على الخط وهم الصحابة والتابعون , وبعد عصر التابعين حصل التفرق والجماعات , عند ذلك أطلقوا على من يتأسى بالصحابة والتابعين إن هذا أثري وهذا سلفي ومن أهل السنة والجماعة , وقيل للإمام أحمد رحمه الله لما امتُحِن في مسألة خلق القرآن ونفي الصفات قيل له إمام أهل السنة والجماعة , بمعنى هذه الألفاظ اصطلاحية اصطلح عليها الأولون عندما ظهرت الفرق , والتفريق الآن بين لفظة السلفية وأهل السنة إما تجاهل أو تفريق مغرض , ولا ينبغي التفريق بين هذه الاصطلاحات ؛ لأنها اصطلِحت في وقت واحد . ذكر صاحب القاموس [(153)] يوجد في بغداد شارع يقال له شارع عبد الرحمن السلفي , بمعنى إن هذا المعنى كان معلوما من قبل منذ أن تفرقت الأمة , والأشاعرة من الخلف يثنون على السلف فيقولون :

وكل خير في أتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

وهذه النقطة أحب أن أقف عندها ؛ لأنه يجري في هذه الأيام نوع من المغالطات تنفيراً من لقب السلفية أو الأثرية أو أهل السنة والجماعة , ويذكرون أن من يتلفظ أو يدعو هذه الدعوى يُفرِّق بين المسلمين , عجباً هؤلاء هم المسلمون على الحق , السلفية تمثل الإسلام بمفهومه الصحيح , من خالف منهج السلف وعادى السلفيين يعادي المفهوم الصحيح للإسلام وهو(أي المنهج) لم يدعو إلى التفرق , وأساساً التفرق لابد منه , جاء القرآن ففرق الناس بين حزب الله وحزب الشيطان , وجاء محمد ﷺ وفرق بين الناس المؤمنين والكفار والمنافقين , افترقت الناس من دعوته ﷺ إلى هذه الفرق , والتفرق بهذا المعنى لابد منه , لكن كون أهل السنة تفرقت منهم فرق وقيل لمن بقي على الخط سلفي أو أثري أو من الفرقة الناجية , هذا هو الذي يُحارب الآن وينبغي الثبات على هذا الخط ولا تغتر بكثرة الهالكين الذين خرجوا عن الخط ولا تستوحش بقلة السالكين

الذين على الخط ولابد من ذلك . الحركيون يقولون من دخل المسجد فهو مسلم , وهذا غير صحيح في عهد النبي ﷺ المنافقون كانوا يدخلون المسجد ويصلون خلفه , هل هم مسلمون ؟ دعوى نخرج للخارج ندعو الناس إلى الإسلام , إذا قيل له هل أنت تفهم الإسلام ؟ قال أنا أدعوه وأُدخله المسجد وكفى . إذا أدخلتهم المسجد على جهل , ماذا استفادوا من دعوتكم ؟ ! لذلك تعلم أولاً قبل أن تكون تبليغياً , تعلم ثم بلغ وأوجد لهم سلفياً يجلس في المساجد ثم أدخلهم المساجد , السلفية منهج التربية بُني هذا المنهج على التربية وتعليم الناس معنى لا إله إلا الله وتعليم الناس نواقض لا إله إلا الله كما تعلمهم نواقض الوضوء , إذا أردت أن تدعو إلى الله ابدأ بنفسك ثم علم الناس (العلم قبل القول والعمل) [الباب العاشر من كتاب العلم , صحيح البخاري] تعلم ثم اخرج إلى الناس مع العمل لتدعوا الناس إلى الإسلام , الدعوة اليوم بالنسبة للمسلمين دعوة تصحيح وبالنسبة لغير المسلمين دعوة تأسيس , يوجد لدينا المسلمون وغير المسلمين , نصحح للمسلمين عقيدتهم وعبادتهم ومفهومهم للإسلام – المفاهيم الخاطئة كثُرت – جمهور المسلمين يحتاجون لدعوة تصحيح , فليس دخول المساجد هو الإسلام , بل الدعوة لا إله إلا الله وتعليمها ومعرفة معناها ونواقضها هذه الدعوة الصحيحة للإسلام .

في باب الأسماء والصفات الناس تفرقوا على ثلاث فرق : قوم زعموا أنهم لا يعقلون من نصوص الصفات إلا كما يعقلون في المخلوق وإن صفات الله كصفات المخلوق , سمعه كسمع المخلوق وبصره كبصر المخلوق استوائه كاستواء المخلوق ومجيئه كمجيء المخلوق إلى آخر الصفات , هؤلاء يقال لهم المشبهة , هذه المشبهة اليوم لا وجود لها بصفتها طائفة قائمة لها كيان ولها إمام ولها منهج ولها كتب لا توجد , ولكن عقيدتهم موجودة في بطون الكتب , وقد يوجد أفراد يشبهون, ولكن هناك تشبيه آخر وهو تشبيه المخلوق بالخالق وهذا هو الموجود بكثرة , يأتي هذا من الغلو في الصالحين

بأن يُمنَح المخلوق علماً كعلم الله , يُعتقد في مخلوق أنه يعلم كل شيء يعلم بذات الصدور ويعلم الغيب , هذه فِرقة . والفرقة الثانية المعطلة وقعوا في أول الأمر لما سمعوا النصوص ظاهرها فيها تشبيه تُثبت صفات لله كصفات المخلوق لم يقفوا مثل المشبهة عند هذا الحد قالوا إذن لابد من التأويل ؛ لأنه لا يليق بالله تعالى أن نصفه بسمع كسمع المخلوق وبصر كبصر المخلوق واستواء كاستواء المخلوق , إذن ما المخرج ؟ المخرج أن يقال إن نصوص الصفات ظاهرها غير مراد لابد من تأويلها ثم تفرقوا , منهم من نفى الأسماء والصفات معاً فلم يثبتوا لله إلا الوجود المطلق وهم أتباع جهم بن صفوان يقال لهم الجهمية , ومنهم من أثبت لله الأسماء , أسماء جامدة لا تدل على المعاني , فالله سميع بلا سمع بصير بلا بصر قدير بلا قدرة عليم بلا علم هؤلاء هم المعتزلة , وفريق آخر فرّق بين الصفات قالوا يجب تأويل الصفات التي لا مجال إلى إثباتها بالعقل- لوجود السمع والخبر والنقل - لا تثُبت كالاستواء والمجيء والوجه واليدين وغيرها فلابد من تأويلها عندهم , أما الصفات العقلية التي يمكن أن يُدرك الإنسان بعقله كالقدرة والحياة والسمع والبصر وغيرها يجب إثباتها لكن بالدليل العقلي لا بالدليل النقلي , وهؤلاء هم الأشاعرة والماتوريدية . لك أن تسأل هذه الطوائف التي ذكرتها هل هي موجودة حتى نتعلم ونعرف عنها شيء أو لا وجود لها ؟ الجواب الجهمية بصفتها طائفة قائمة بنفسها لا وجود لها , لكن عقيدتها موجودة في بطون الكتب وطلاب العلم عُرضة أن يطلعوا على هذه الكتب . والمعتزلة فموجودة جميع فرق الشيعة كلهم على طريقة المعتزلة . كان الإمام الشوكاني رحمه الله على طريقة الاعتزال ولكن هداه الله ووفقه وشرح صدره فتاب كما أن أبا الحسن الأشعري كان معتزلياً ثم تاب , إذن المعتزلة موجودة , لا يقال إننا ننبش القبور ونتحدث عن قوم غير موجودين , بل طائفة قائمة موجودة وقوية ومنتشرة في العالم . أما الأشاعرة فهم الذين لهم الوجود الجماعي القوي في العالم الإسلامي فكتبهم بكثرة موجودة في الأسواق , والمنتمون إليها موجودون في

جامعاتنا ومعاهدنا , إذن لابد من معرفة هذه العقيدة لئلا ينخدع الإنسان عندما يقرؤها ؛ لأنهم يدّعون أنهم من أهل السنة والجماعة . والماتوريدية توجد حيث يوجد الحنفية فهي مرتبطة بالحنفية ؛ لذلك أهل الهند وباكستان والمنطقة التي ينتشر فيها مذهب أبي حنيفة رحمه الله على طريقة الماتوريدية في الغالب الكثير وإن كانت توجد الأشاعرة ,. والأشعرية منتشرة في العالم كله , ولكن عندما حصل التجديد المبارك الأخير طهر الله هذه الجزيرة من هذه العقائد كلها , ولكننا اليوم نخاف كل الخوف أن تهجم بعض هذه العقائد على شبابنا من حيث لا يشعرون , اللهم سلم سلم .

أما الفرقة الثالثة والأخيرة أهل السنة والجماعة , بمعنى الذين يأخذون عقيدتهم من الكتاب والسنة مباشرة , أي يُثبتون لله ما أثبته لنفسه وما أثبت له رسوله ﷺ بالجملة أي بالمعنى دون البحث عن الحقيقة والكيفية والكُنه , يثبتون سمعاً يليق به وبصراً يليق به واستواءً يليق به و في كل ذلك يتلون قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11}سورة الشورى }, أي يثبتون إثباتاً لا يصل إلى درجة التشبيه وينزهون تنزيهاً لا يصل إلى درجة التعطيل , هذا معنى الوسطية فلا يشبهون ولا يعطلون ولا يكيفون ولا يمثلون فيمسكون الخط الوسط فهو إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل. نمثل بصفة الرحمة , كل من الجهمية والمعتزلة لا يثبتون والأشاعرة يؤولون يقولون معنى الرحمة إرادة الإحسان , أي يفسرون الصفة بلازمها , لازم الرحمة الإحسان ينفون الصفة ويثبتون اللازم , وأهل السنة يثبتون الصفة ولازمها , يثبتون الرحمة ويثبتون لازم الرحمة وهو الإحسان . واليد فسرت الأشاعرة بالقدرة وأهل السنة والجماعة يثبتون اليد صفة مستقلة والقدرة صفة مستقلة , لله يدان تليقان به {.. بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ .. {64}سورة المائدة }, {.. مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ..{75}سورة ص } , لله يدان تليقان به ليست اليد بمعنى القدرة أو بمعنى القوة أو بمعنى النعمة , بل صفة حقيقية كالقدرة تماماً . والعين ثابتة لله { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ..{14}سورة القمر} ,

جاءت في القرآن بصيغة الجمع وبصيغة الإفراد وفصّل الحديث الآيتين وأثبت لله عينين , وأما الجمع { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ..{14} سورة القمر }, إنما جُمعت العين ؛ لأنها أُضيفت إلى ضمير العظمة (نا) , ليس دائما ضمير الجمع يدل على الكثرة قد يدل على الكثرة وقد يدل على التعظيم , عندما تقرأ قوله تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ{9} سورة الحجر } هذه الضمائر يقال لها ضمير العظمة لا تدل على الكثرة , فالله سبحانه يخبر عن نفسه إما بضمير الإفراد {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1} سورة الإخلاص } أو بضمير الجمع , ولكن لا يخبر عن نفسه بضمير التثنية ؛ لأن التثنية نص في العدد , وضمير الجمع ليس نصاً في العدد قد يكون للعدد وقد يكون للتعظيم , هنا لما أُضيفت العين إلى ضمير العظمة ناسب الجمع فجُمعت , وجاءت بصيغة الإفراد {.. وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي{39} سورة طه }, لم يأتِ ذكر العين إلا هكذا في القرآن , وجاءت السنة فبينت ؛ لأن السنة تبين وتفسر القرآن في قصة المسيح الدجال جاء إثبات العينين بالإشارة النبوية , عندما أخبرﷺ عن المسيح الدجال بأنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية , فيه نقص والله موصوف بالكمال له عينان لا عين واحدة ولا جمع " وإن ربكم ليس بأعور " [سبق تخريجه] فالعين صفة والحفظ من لازم العين , والتفسير بالحفظ والرعاية تفسير باللازم , هذه طريقة الأشاعرة , وفسروا استواء الله على عرشه بالاستيلاء بمعنى الملك , مالك العرش وسلطان العرش مستولٍ للعرش وله هيمنة على العرش . سلطان الله وملك الله وهيمنة الله ليست خاصة بالعرش جميع خلق الله تحت سلطانه وملكه , هذا تحريف للآية . عندما يخطر ببالك أو تسأل عن كيفية صفة من صفات الله تذكر قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11} سورة الشورى }. والتفويض عند أهل السنة هو تفويض الكيفية والحقيقة وليس تفويض المعاني , المعاني معلومة . [شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (3 / 402) , عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص (14- 15)] .

* « فأهل السنة وسط بين هؤلاء الجهمية النفاة .. » / هم الذين المنسوبون للجهم رأس الفتنة الذي سُمِعَ منه لأول مرة في تأريخ الإسلام أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً , أي ينكر الخُلة والمحبة , فانتشرت الفِرق بعد ذلك فجاءت المعتزلة نفاة , ولكنهم أحسن حالا من الجهمية ثم الأشاعرة , ولفظة الجهمية بعد ظهور الفرق بعد عصر العباسيين إلى يومنا هذا تُطلق على كل من نفى أي صفة من صفات الرب , فتطلق الجهمية على المعتزلة والأشاعرة والماتوريدية , أي يتوسع أتباع السلف في إطلاق اسم الجهمية حتى على من دون الجهمية ممن وصفناهم بأنهم جهمية ؛ لأنهم يجمعهم مطلق النفي فيطلقون على الجميع النفاة والمعطلة . أهل السنة بين هؤلاء وبين أهل التمثيل المشبهة الذين يشبهون صفات الله بصفات خلقه ويمثلون . والتشبيه والتمثيل بمعنى واحد وقد يكون التمثيل أدق من التشبيه ؛ لأن التمثيل أن صفاته كصفات المخلوق , والتشبيه يقال صفاته تشبه صفات المخلوق , فرقٌ بين أن تكون صفاته مثل صفات المخلوق وصفاته تشبه صفات المخلوق . أما مشبهة الذات الذين شبهوا الله بذاته بذوات خلقه , هذه المشبهة وجدت في التأريخ ثم انقرضت وغير موجودة الآن إلا أن الذين يشبهون صفات الله بصفات خلقه هؤلاء لهم وجود , بل المعطلة أنفسهم مشبهة , كل من عطل صفات الباري ونفى فهو معطل مشبه في آن واحد , بمعنى أنه شبه أولاً ثم عطل ثانياً , وقد رد أهل السنة على الطائفتين { { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11}سورة الشورى } , وهكذا ينبغي أن يرد طالب العلم بهذه الآية , ليس كمثله شيء : لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا أفعاله ولا قضائه وقدره ولا في تشريعه , فهذه ترد على المشبهة . وهو السميع البصير : رد على المعطلة , فيرد على الطائفتين معاً بهذه الآية . وأهل السنة لا يبالغون في الإثبات إلى درجة التمثيل ولا يبالغون في التنزيه إلى درجة التعطيل . جاء عن شيخ الإسلام في بعض كتبه : أن أهل السنة جمعوا أحسن ما عند المشبهة وأحسن ما عند المعطلة , أخذوا التنزيه أحسن ما

عند المعطلة ؛ لأن المعطلة بالغوا في التنزيه فأهل السنة تركوا المبالغة فأخذوا التنزيه المأخوذ من الآية , والإثبات أحسن ما عند المشبهة ؛ لأن المشبهة أثبتوا ثم بالغوا في الإثبات حتى خرجوا إلى التشبيه , هكذا جمع أهل السنة أحسن ما عند الفريقين تركوا المبالغة وأخذوا الإثبات وتركوا ما أخطئوا فيه من المبالغة في الإثبات والتنزيه .[جاء في التدمرية لشيخ الإسلام قريب من هذا النقل ص (69 - 88)]

* « وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية » / الأفعال تضاف إضافتين , تضاف إلى الله وتضاف إلى العباد , تضاف إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق ؛ لأن الله هو خالق هذه الأفعال , وتضاف إلى العباد من باب إضافة المسبَب ؛ لأن العبد هو السبب في وقوع هذه الأفعال ؛ لذلك يقال باب أفعال العباد ويقال باب أفعال الله .

الأفعال التي يقوم بها العباد هي أفعالهم كسب لهم وفي الوقت نفسه هي خلق لله كما أنهم هم أنفسهم مخلوقون لله أفعالهم كذلك ؛ لأن الله خلق هذه الأفعال وجعل سبب الخلق فعل العبد , خلق العبد بقدرته وإرادته واختياره ومكّنه من العمل , وذلك العمل مخلوق لله ؛ لأن الله خلَقه بخلق الفاعل الذي فعله , فالعبد مخلوق وفعله مخلوق ؛ لذلك الأفعال تضاف إلى العباد قيامهم وقعودهم وعبادتهم طاعتهم ومعصيتهم تضاف إلى العباد , بها صاروا مطيعين وعصاة , أي يفعلون ما يفعلون باختيارهم , العباد لهم قدرة مخلوقه وإرادة مخلوقه تابعة لإرادة الله , هذه أدوات الفعل خلقهم الله وخلق لهم هذه الأدوات , هذا أمر ملموس لذلك تضاف الأفعال لهم , يفعلون ويعاقبون على ما يفعلون من المعاصي ويثابون على ما يفعلون من الطاعة ؛ لأنهم يفعلونها باختيارهم وبإرادتهم وليسوا بمجبورين , لم يجبرهم أحد ليطيعوا الله ولم يجبرهم أحد ليعصوا الله ,

يقال أفعال العباد بهذا الاعتبار , ويقال أفعال الله ؛ لأن الله خالق العباد وخالق أفعالهم .

الجبرية مأخوذة من الإجبار , أي الذين يعتقدون بأن العبد مجبور فيما يفعل من خير وشر ليست له قدرة ولا إرادة ولا اختيار كالشجرة التي تحركها الريح , ونسبة الأفعال إليه كنسبة الجري إلى الماء كقول سال الوادي , لا فرق بين هذه الإضافة وبين نسبة العبد , العبد صلى صام سرق نهب إضافة هذه الأفعال إليه كإضافة الجري للماء والحركة للشجرة وهي لم تتحرك باختيارها , هكذا تصورت الجبرية أفعال العباد , فعطلوا بذلك جميع الأحكام واسأوا الظن برب العالمين , أي يجبرهم على الكفر وفعل المعاصي ويؤاخذهم عليها , يتنافى هذا المذهب مع الحكمة أيضاً يجبرهم على الطاعة ولم يعملوا الطاعة باختيارهم ويثيبهم على ذلك , مذهب غير معقول قبل أن يقال أنه كفرٌ ؛ لأنه خروج على حكمة الباري وعلى شرعه . هنا توجد جبرية أخرى يجب أن نفهمها وهي الجبرية التي لا تسمي نفسها جبرية وهي جبرية الأشعرية , والفرق بين الجبرية المحضة وبين الجبرية الذين يتسترون بكسب الأشعري الفرق بينهم : إثبات القدرة وعدم إثبات القدرة للعبد , أي أن الأشاعرة يثبتون للعبد القدرة والاختيار وله مشيئة تابعة لمشيئة الله , لكن قدرته ليست هي المؤثرة وليست هي الفاعلة , الفاعل الحقيقي هو الله , فنسبة الفعل للعبد نسبة مجازية وليس هو الفاعل الحقيقي , الجبرية المتسترة باسم الكسب , أي العبد له كسب وليس له فعل . من الذي يستطيع أن يتصور الفرق بين الكسب والفعل ؟ ! كلام غير معقول , إذن الأشعرية جبرية يثبتون الكسب للعبد , الكسب في اللغة وفي اصطلاح الناس هو الفعل , فنفي الفعل وإثبات الكسب تناقض , فقدرة العبد عندهم عبارة عن جهاز معطل , الجهاز موجود لكن معطل , ما الفرق بين وجوده وعدمه ؟! لا فرق بين أن يقال العبد له قدرة لا تعمل وبين أن يقال ليست له قدرة فالنتيجة هي عدم الفعل , ويزعمون أن معنى الكسب عندهم أن يُوجه العبد إرادته إلى الفعل ليضرب

ليقتل ليفعل خيراً فيخلق الله ذلك الفعل الذي وجه العبد إليه إرادته – كلام لا معنى له – ولو طُلِبَ الأشاعرة أن يُعرِّفوا الكسب تعريفاً معقولاً يفهمه غيرهم ما استطاعوا , فالجبرية المحضة الذين حُكِمَ عليهم بأنهم كفار والجبرية المتسترة بكسب الأشعري لا فرق بينهم عند التحقيق . وقد قال علماء الكلام (مستحيلات الكلام ثلاثة : كسب الأشعري , وأحوال أبي هاشم , وطفرة النظام) , هذه الثلاثة مستحيلات لا تُفهم , يُمكن أن نمثل للطفرة والأحوال حتى نقرب الكسب , طفرة النظام : النظام إمام من أئمة المعتزلة – وأئمتهم كثير يختلفون في اجتهادهم في المعقولات – والنظام يقول خلق الله هذا الكون كله دفعة واحدة , آدم وأولاده كلهم خُلِقوا دفعة واحدة , ولكن عند الظهور إلى حيز الوجود يخرجون شيئا فشيئا , آدم خرج قبلنا ونحن خرجنا بعده ولكن خُلقنا معاً , كلام غير معقول حتى عند من يُسمَون علماء الكلام . وأحوال أبي هاشم : أبو هاشم من علماء المعتزلة له اجتهادات , ومن اجتهاداته بعد أن نفى الصفات كلها أثبت الأحوال , وإثبات الأحوال مع نفي الصفات لا معنى له , والأحوال هي الصفات المعنوية عند الأشاعرة وهي التي يقولون فيها كونه قادراً عالماً ًسميعاً بصيراً كونه مريداً , معقول إثبات هذه الأحوال عند الأشاعرة ؛ لأنهم أثبتوا القدرة والسمع والبصر والإرادة والعلم والحياة ثم أثبتوا الأحوال , إذا كان أبو هاشم لا يثبت القدرة من أين يأتي بكونه قادراً , لا يثبت العلم ويثبت كونه عالماً فكلامه متناقض .

القدرية : نسبة إلى القدر , وتطلق على فريقين اثنين , على نفاة القدر, هذا هو الغالب الذين ينفون علم الله السابق والكتابة والمشيئة العامة , ويقولون الأمر أُنُف , أي مستأنف جديد ؛ لأن العبيد يخلقون أفعالهم , إذا أطلِقت القدرية تنصرف لهذه الفرقة . وتطلق القدرية على الجبرية أيضاً المبالغين في إثبات القدر , يقول الجهم – الجهم جمع بين جيم الجبرية وجيم الجهمية التي هو رئيسها وجيم الإرجاء فهو واقع في كل هذه الجيمات – (فالفعل الذي يزاوله العبد مقدور للرب لا للعبد ؛ لأن العبد لا قدرة له ,

ولكن يُنسَب للعبد نسبة مجازية), وكذلك قال الأشعري وأتباعه (أن المؤثر في المقدور قدرة الرب دون قدرة العبد) أثبتوا القدرة للعبد إلا أن هذه القدرة لا تؤثر . المعتزلة عُرِفوا بنفي الصفات ثم انضموا إلى القدرية فوافقوا القدرية في نفي القدر , فجمعوا بين السيئتين نفي الصفات ونفي القدر , وإلا الأصل القدرية غير المعتزلة لكن المعتزلة جمعت بين نفي القدر ونفي الصفات . يُرجع لشفاء العليل لابن القيم رحمه الله وهو كتاب عظيم جداً في هذا الباب وهو المرجع الأساس في هذه المسألة [ص 209 وما بعدها] , ولشيخ الإسلام مجلد خاص في المجموع في باب القضاء والقدر [المجلد الثامن] . بعض المعتزلة كأبي علي الجُبائي شيخ أبي الحسن الأشعري وأبي هاشم صاحب الأحوال وبعض البصريين أثبتوا أن الله قادر على مثل مقدور العبد , فجعلوا قدرة الله تابعة لقدرة العبد , والبغداديون نفوا أن يكون الله قادر على مثل مقدور العبد , ما أحسن اختلافهم في باب النحو البصريين والبغداديين وما أسوء اختلافهم هنا ! فالله عاجز عن فعل ما فعله العبد فأوجده , قالوا لأنه مستحيل عقلاً أن يؤثر مؤثران في أثر واحد , العبد أثّر بقدرته في فعله فأوجده إذن مستحيل أن يوجد مؤثر آخر وهي قدرة الله , فلينفرد العبد بهذا الفعل . واتفقوا على أن الله لا يقدر على عين مقدور العبد , أي بمعنى الله يُوصف أنه غير قادر على هذا الفعل الذي أثرت فيه قدرة العبد , واختلفوا هل يقدر على مثل مقدور العبد , أي فعل يشبه فعل هذا العبد ؟ فأثبته البصريون ونفاه البغداديون كما تقدم والكل ضلال في ضلال . جعْل العبد يستقل بفعله يخلق دون أن يكون لله علم أو قدرة أو قدر أو مشيئة سابقة , بل العبد بإنفراده وبقدرته الحرة يخلق أفعال نفسه , ثم يختلفون هل قادر على ذلك المقدور أو لا ؟ هؤلاء هم مجوس هذه الأمة , أثبتوا خالِقِين بل هم أسوء من المجوس , المجوس أثبتوا خالِقَين اثنين خالق الخير وخالق الشر , ولكن القدرية أثبتوا خالِقِين بلا حدود العباد والملائكة والجن والإنس كلهم خالقون فهم أكفر من المجوس . يمكن أن يسأل سائل هل هذه القدرية موجودة

الآن ؟ لا يوجد مذهب قائم بنفسه يقال له مذهب القدرية , لكن العقيدة هذه قد تنطلي على بعض الناس , أما الجبرية موجودون ؛ لأن الأشعرية جبرية وهم موجودون , وإن كانوا لا يقولون عن أنفسهم أنهم جبرية . فلنترك هذا البلاء ؛ لنفهم مذهب أهل السنة والجماعة , قال خلفي وهو صاحب جوهرة التوحيد :

فتابع السـنة ممن سلف

وجانب البدعة ممن خلف

وكن كما كان خيـــار الخلق

حليف علم تابع للحق

وكل خير في إتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

والحق أن العباد يفعلون باختيارهم وبقدرتهم , العبد يخرج من بيته ويتوضأ باختياره ويذهب للمسجد فيصلي باختياره , وعبد آخر يسمع الآذان ويجلس في بيته باختياره يترك صلاة الجماعة باختياره أو يترك الصلاة نفسها باختياره , فالعباد يفعلون أفعالهم خيراً وشراً باختيارهم وبقدرتهم المحدودة وبمشيئتهم التابعة لمشيئة الله , بها صاروا عصاة ومطيعين , من فعل خيراً وأطاع الله وأطاع رسوله ﷺ صار مطيعاً يستحق الأجر والثواب فضلاً من الله لا وجوباً , ومن عصى الله وعصى رسوله ﷺ استحق العقوبة عدلاً لا ظلماً , فأفعال الله تدور بين الفضل والعدل , إن وفقك فأطعت وعملت خيراً وقَبِلَ منك هذا العمل وأثابك وأدخلك جنته كل هذا فضل من الله وليس واجباً عليه , وإن خذلك ولم يوفقك تركك بدون توفيق وتخبطت وعصيت , كفر من كفر وعصى من عصى فآخذهم بذلك عدل منه لا ظلم , ولا يُتصور الظلم في حق الله سبحانه ؛ لأن الظلم من منعك حقك الذي تستحقه , فمن أخذ مالك ومنعك حقك فهو الظالم , أنت لك حق واجب على الله منعك إياه حتى يُوصف بأنه ظلمك :

ما للعباد عليه حق واجب

كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عُذِبوا فبعدله أو نُعِموا

فبضله فهو الكريم الواسع]

البيتان ذكرهما ابن القيم في مدارج السالكين (2 / 338)]

وأفعال العباد مخلوقة لله وليست مخلوقة للعبد , أي أن العبد هو السبب , إذا قلنا أفعال العباد صلاة العبد وصيام العبد وسرقة المجرم ونهبه , هذه الإضافة من باب إضافة المسَبب إلى السبب , الله خلقه وخلق أفعاله , ولا يقال لأحد أنه خالق فالله هو الخالق وحده كما أنه هو المشرِع وحده سبحانه . قوله تعالى { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ{96}سورة الصافات } , (ما) يحتمل أن تكون موصولة والمعنى والله خلقكم وما تعملونه أي الذي تعملونه , واسم الموصول يدل على العموم , أي جميع ما تعملونه . ويحتمل أن تكون (ما) مصدرية فيكون المعنى والله خلقكم وعملكم , فالمعنى واحد . وهناك رسالة ألفها الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في هذا المعنى ينبغي البحث عنها وهي غير منتشرة .

عقيدة الجبرية بدأت تنتشر في بعض الجامعات بواسطة الدكاترة من الأشاعرة , وسمعتُ شريطاً يقول نسبة الأفعال إلى الله نسبة مجازية , الله وحده هو الفاعل والعبد ليس بفاعل حقيقة , وهذا خطأ بدأ ينتشر مع هذا الانفتاح العظيم الذي نعيشه .

* « وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية » / أوسع من تكلم عن الإرجاء شارح الطحاوية [ص (314 – 350)] وشيخ الإسلام في كتابه الإيمان [المجلد السابع من مجموع الفتاوى] (لا يوجد في المادة المسموعة كلام عن المرجئة في هذا الموضع , وإن كان الشيخ تكلم عنها لاحقاً) .

الوعيدية / نسبة إلى الوعد , الوعيد ضد الوعد , والله لا يخلف الميعاد , خُلْف الوعد حتى للمخلوق نقص وعيب , لكن تأخير الوعيد مكرمة في حق الله وفي حق المخلوق , من أوعدته بالضرب والقتل والمنع ثم تجاوزت عنه تلطفاً معه فهذا كرم , ولكن وعدته أن تعطيه فمنعت هذا لا يجوز , فرقٌ بين خُلْف الوعد وتأخير الوعيد وعدم تنفيذه . الوعيدية القائلون بأن الله يجب عليه عقلاً أن يعذب العاصي , وهذا كلام جريء . من الذي يُلزِم رب العالمين إلزاماً , لو قدروا الله حق قدره ما قالوا هذا الكلام , لكن القوم خالفوا ما جاء به النبي ﷺ وحكّموا العقل ؛ لذلك قالوا يجب على الله عقلاً ولم يقولوا شرعاً , عندهم الاستحسان والاستقباح والإيجاب والإلزام كل ذلك بالعقل . وأهل السنة يقولون إن الله إن عذب العاصي عذبه عدلاً وإن أثاب المثيب أثابه فضلاً , وليست الطاعة ثمناً للجنة ولكنها سبب لدخول الجنة { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{43}سورة المرسلات } , { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ{24}سورة الحاقة } الباء هنا باء السبب وليست باء الثمن , وباء الثمن منفية ؛ لقوله ﷺ " لا يدخل أحدكم الجنة بعمله "[أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (5673) ومسلم برقم (2816)] الباء هنا باء الثمن , لا تعارض بين الآية وبين الحديث , في الحديث لا تكون أعمال العباد ثمناً لدخول الجنة . فالله جعل أعمالنا أسباباً ؛ لأن الله جعل لكل شيء سببا, إذا دفع المشتري الثمن وجب على البائع دفع المثمن وإن لم يفعل فهو ظالم , الله جعل أعمالنا سبباً لدخول الجنة ولنيل رضاه ولم يجعلها أثماناً , فأعمالنا لا تستحق أن تكون ثمناً للجنة ؛ لأن أعمالنا أرخص وأضعف أن تكون ثمناً لسلعة الله , سلعة الله غالية الجنة , الجنة التي فيها " ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (3244) ومسلم (2824)] , الجنة التي أعظم نعيمها النظر إلى وجه الله تعالى , كيف تكون أعمالنا أثماناً للجنة ؟ ! هذه عقيدة أهل السنة حتى لا تعتقدوا بأنكم إذا

عملتم كثيراً وصليتم كثيراً وتصدقتم كثيراً وصمتم كثيراً وقمتم كثيراً قد أوجبتم على الله أن يدخلكم الجنة .

الوعيدية من الخوارج والمعتزلة من لم يتب من الخطأ لا يجوز عندهم أن يغفر الله له , ومذهبهم باطل مخالف للكتاب والسنة , يقول الله تعالى { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً{48}سورة النساء } , فالله لا يغفر لمن مات على الشرك الأكبر , جميع الكبائر بما في ذلك قتل النفس داخل في هذا العموم .

* « وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية » / هذه الفِرق منها ما هو خارج عن دائرة الإسلام وأغلبها تنتسب إلى الإسلام بصرف النظر هل هذه النسبة صحيحة في حد ذاتها وهل هي مقبولة عند الله أو إنهم من المؤمنين أم لا ؟ يخطئ كثير من الناس عندما يسمعون الفِرق ويسمعون قوله ﷺ " ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة " [سبق تخريجه] يظنون من يستدل بهذا الحديث أنه يُكفّر جميع الفِرق ويحكم عليهم بالردة ؛ لذلك يتهمون السلفيين اليوم بأنهم يكفرون جميع الناس , هذا خطأ في التصور وخطأ في الفهم .
السلفيون من أشد الناس تحفظاً في باب التكفير لا يكادون يكفرون إلا من كفره الله ورسوله ؛ لذلك إذا كفروا فرقة من الفرق يقيمون الدليل على كفرهم وليس ذلك بالهوى والتعصب , فمثلا غلاة الروافض خارجون عن الملة [خلق أفعال العباد للبخاري ص (125) , الفرق بين الفِرق للبغدادي ص (357)] ؛ لأنهم ألهو علياً رضي الله عنه وقالوا أنت إلهنا ورفضوا أن يرجعوا عن هذا التأليه ؛ لذلك اضطر علي رضي الله عنه أن يُحرِّق رؤسائهم بالنار , اضطر إلى ذلك اضطراراً وإن كان هناك بعض الناس انتقدوا هذا الموقف , لكنه مضطر ومتأول رضي الله عنه. ثم الجهمية من الفِرق التي أجمع السلف على كفرهم أتباع الجهم بن

صفوان [السنة لعبد الله بن أحمد (1 / 106) , سير أعلام النبلاء للذهبي (6 / 26)], انتبهوا الجهمية لها اطلاقات الآن , الأصل في الجهمية أتباع الجهم الذين لم يثبتوا لله ﷻ إلا الوجود الذهني لا وجود لله في خارج الذهن عندهم فلم يثبتوا لله لا الأسماء ولا الصفات , الموصوف أو الموجود الذي ليس له أسماء ولا صفات فلا وجود له إنما يتصوره الذهن تصوراً ؛ لأن الذهن قد يتصور المستحيل , فالذهن حرٌ قد يتصور الشريك والصاحبة والولد , لا وجود لله عندهم ؛ لذلك هم كفرة . الفرقة الثالثة التي يجمع أتباع السلف على كفرهم هم الفلاسفة , الفلاسفة أكثرهم باطنية ؛ لأنهم يعتقدون قِدم العالم وهم كفار [الرد على المنطقيين ص (114) , الفتاوى (4 / 98 – 104)] . غير هؤلاء الثلاثة من الفِرق الأخرى على ما فيها من خلاف واضح بينهم وبين منهج السلف ومخالفتهم لنصوص الكتاب والسنة لم يجرؤ السلف على إطلاق الكفر عليهم عامة , وإن كان سلفنا بدءً من التابعين وتابعي التابعين إذا تركنا الصحابة رضي الله عنهم ؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم بحمد الله في أيامهم لم تظهر الفِرق إلا الفرق السياسية التي سوف نتحدث عنها إن شاء الله التي ظهرت في عهد علي رضي الله عنه , أما فرق أهل الكلام ظهرت بعدهم , هذه الفرق كالمعتزلة والأشاعرة والماتوريدية والمرجئة لا يحكمون بكفرهم , لكن عندهم هناك قاعدة يقعدونها استقراءً – ومن أبى إلا أن يدخل في القاعدة فليدخل – مثلاً من نفى صفة ثابتة في الكتاب والسنة فهو كافر هذه قاعدة , من قال بخلق القرآن فهو كافر هذه قاعدة , بيد أننا باجتهادنا كدنا نقيد هذه القاعدة بقيود , وهذه القيود استفدنا من دراستنا لمنهج شيخ الإسلام ابن تيمية الذي هو أعرف الناس بهذه الفرق وأكثر الناس مخالطة بهم ومحاججتاً ومناظرة لهم يرى : لابد من تقييد هذه القاعدة , من دراستنا لكلامه فهمنا هذا الفهم وهو العذر بالجهل وبالشبهة , من قال بخلق القرآن فهو كافر, فهل يا ترى لو أن طالباً صغيراً أزهرياً أشعرياً تربى في أحضان كبار الأشاعرة ودرس هذه العقيدة , فيما يدرس أن كلام الله الحقيقي هو الكلام

النفسي , والكلام اللفظي مستحيل على الله ؛ لأن إثبات الكلام اللفظي يلزم منه إثبات مخارج الحروف , هكذا ألقنوه وشحنوه وهو صغير فارغ الذهن ولم يعلم غير هذا , لم يخطر بباله أنه توجد عقيدة إسلامية غير هذه العقيدة , هل نحكم عليه – وهو بعيد عن منهج السلف ومن يدرسون منهج السلف – بالكفر ولم يعلم شيء ولم يتبين له الحق , هذا ليس من الإنصاف , إذن نعذره حتى يتبين له الهدى , فإن تبين له الهدى سواء بانتقاله من تلك البيئة أو قيض الله لم من يشرح له مذهب السلف وهو هناك أو وقع في يده كتاب يشرح باب الأسماء والصفات على منهج السلف فدرس فتبين له الهدى لكن مع ذلك قال لا , لن استطيع أن أخالف قومي ومشايخي , فهو أصر ويحكم بكفره , والأدلة الواقعية الحية على ما أقول كثيرة , كثير من الأزهريين الذين تابوا كالشيخ حامد الفقي رئيس أنصار السنة المحمدية الذي أنشأ هذه الجماعة المباركة , هذا الرجل تخرج من الأزهر وهو أشعري متمكن , لكن الله قيض له سبباً من الأسباب , وقع في يده كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية فدرسه وفهمه , بعد أن فهم الحق بدأ يجتهد ويتوسع فهداه الله واتصل في حدود الستينات بعلماء السعودية فاستفاد منهم وكان متمكناً بالدراسة وفروع اللغة العربية وكان قوياً شجاعاً يوجه خطبة الجمعة إلى الأزهر بمكبر الصوت ويخاطبهم – أزهري جريء – , ومثال أوضح من هذا مثال هذا الشارح الذي شرح الواسطية محمد خليل هراس , هذه الأمور تؤكد أن كثيراً وكثيراً جداً من علماء الكلام وأولئك الذين يطوفون بالأضرحة إنما أوقعهم في ذلك الجهل وعدم تبين الهدى ولابد من التأني معهم والصبر معهم حتى يتبين لهم الهدى فيحكم بكفرهم بعد ذلك كفراً بواحاً , وقبل ذلك كفرهم كفر دون كفر , عملهم كفر ولكن ليسوا بكافرين , فكم من قائل للكفر وليس بكافر هكذا يفهم شيخ الإسلام [مجموع الفتاوى (12 / 180)] , وهي فكرة اقتنعتُ بها بعد دراسة منهج هذا الإمام , علماً بأن الجمهور لا يعذرون بالجهل في أصول الدين ويُعذر المرء بالجهل في الفروع ,

الجمهرة ليست دائماً دليلاً على الفهم والصواب , ولكن فهم النصوص وتطبيق النصوص أهم شيء ؛ لذلك شيخ الإسلام يكرر دائما في أثناء مناظراته وحواره مع علماء الكلام قوله تعالى { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً{115}سورة النساء } , محل الشاهد (من بعد ما تبين له الهدى) , هذه المسألة يجب أن تكون معلومة لدى طلاب العلم خصوصاً في وقتنا هذا ؛ لأننا نعيش انفتاحاً عظيماً على هذا العالم , والعالم جاء هنا ويجب أن نعرف كيف نعاملهم خصوصاً طلاب العلم , أما غير طلاب العلم واجبنا نحوهم التعليم وأن نصدق في تعليمهم وهدايتهم , وطلاب العلم ينبغي التأني معهم وإن زعموا أنهم علماء دكاترة كبار , لكنهم جهال كما يقول شيخ الإسلام لمن يناظرهم من فطاحلة علماء الكلام (لو كنتُ أنا مكانكم لحكمتُ على نفسي بالكفر ولكنكم جهال) , وهذه رحمة بهم وشفقة عليهم , فعلى الداعية أن يكون لديه نوع من الرحمة والشفقة على عباد الله الذين تورطوا في كثير من الجاهليات جهلاً منهم , أما من يدعي الإصلاح والدعوة وإن الإسلام انتهى ولا يوجد إسلام اليوم وتوقف منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض بما في ذلك هذا البلد - أرض التوحيد - عند هذا القائل ليس فيها إسلام , وهو يهدف إلى أن ينشئ الإسلام من جديد , لستُ أدري من أين يأتي بهذا الإسلام وهو لم يفهم كلام الله ؟! تعرض لتفسير كتاب الله فلم يفهمه فسره تفسيراً بالرأي , ليته تفسير لغوي لو كان تفسيراً لغوياً لهان الأمر , ليس بلغوي وليس بأثري , ولكنه تفسير بالهوى والرأي , وما زاد على ذلك بآراء وحدة الوجود , من قرأ في أول تفسير سورة الحديد وفي تفسير سورة الإخلاص في ذلك الكتاب الذي أشير إليه - وهو من أضخم الكتب التي ألفها - يعرف حقيقة ما قلتُ . (يقصد الشيخ تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب) .

* وفي باب أسماء الإيمان والدين .. / بدأت مسألة الأسماء بسبب الأحداث السياسية بين علي ومعاوية رضي الله عنهما , علي ﷺ آخر الخلفاء الراشدين الذي انتهت إليه خلافة النبوة ؛ لأن خلافة النبوة ثلاثون عاما ومن بعده ملوك , وإن أُطلِق عليهم أنهم خلفاء لكنهم ملوك كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ " بعد ثلاثين عاما يؤتي الله ملكه من يشاء " [أخرجه أبو داوود عن سفينة ﷺ برقم (4646) والترمذي برقم (2226) والنسائي برقم (52) وغيرهم , وصححه ابن حبان برقم (1534) والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (459) والوادعي في الجامع الصحيح في القدر برقم (310)] لأن الله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء , معاوية ﷺ ومن بعده من خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس إلى يومنا هذا في اصطلاح الإسلام هم ملوك . الملوك درجات : ملوك يعدلون ويتمسكون بالكتاب والسنة وهم من الزعماء المسلمين الذين تجب مبايعتهم الآن , ومن أعرض عن الإسلام ورفع شعار الجاهلية كالديمقراطية وغيرها , وأما اختلاف الألقاب رئيس جمهورية , أمير, ملك , خليفة , هذه ألقاب لا تقدم ولا تؤخر لا تتعلق بها الأحكام لا مدح ولا ذم , المدح والذم يتعلق بالأفعال , من كان منهم محباً للإسلام متمسكاً بالإسلام محتفياً بالإسلام عقيدة وشريعة ينشر العقيدة بين رعيته ويُحكِّم شرع الله في رعيته وغيرهم ويوظف القضاة الشرعيين ليحكموا بين عباد الله بشريعة الله فهو حاكم مسلم كائناً من كان سواء اسمه رئيساً أو أميراً أو إماماً أو ملكاً أو خليفة لا يُنظر إلى هذه الألقاب , الذين يتوقفون عند هذه الألقاب معلوماتهم ضحلة في الإسلام لم يفهموا فهماً صحيحاً , ومن يزعمون أيضاً أن الخلافة يجب أن تكون عامة , فإن لم تكن عامة فلا بيعة ولا طاعة هؤلاء أخطئوا خطأً فاحشاً , دعوة إلى الفوضى , أي إن لم يتيسر إقامة ولاية عامة وخلافة عامة تبقى الأمة في فوضى , لا حاكم ولا بيعة ولا طاعة – لا أعلم دعوى أبطل من هذه الدعوى – كيف فاتهم قوله تعالى { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ..{16} سورة التغابن

} , { لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ..{286}سورة البقرة } , { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ {104}سورة آل عمران }, هذه الآيات إذا فهمناها ليس بواجب أن تكون الولاية عامة , إذا استطاع مسلم ما أو عدد من المصلحين إقامة دولة إسلامية في قطعة من الأرض فطبقوا الإسلام هناك , من قُدِّم ليكون ولياً للمسلمين في تلك القطعة من الأرض وجبت مبايعته وطاعته , أما لا طاعة ولا بيعة حتى تكون ولاية عامة على الدنيا كلها , كيف يتصور أن يكون الوضع قبل ذلك ؟! الأمة ترفض البيعة والطاعة ليعيش الناس فوضى , هذا كلام خطير يُستكثر أن يصدر كلام كهذا من طالب علم .

ظهر هذا الخلاف في عهد علي رضي الله عنه , هذا الخلاف جعل الناس تتسأل سُئِل علي رضي الله عنه لماذا اختلف الناس فيك ولم يختلفوا على من قبلك ؟ وكان جواب علي رضي الله عنه (إنّ من كان قبلي كانوا يحكمون مثلي ومثلي بطانتهم ؛ لذلك لم يختلفوا عليهم , ولكن أنا أحكم مثلك أيها السائل ؛ لذلك اختلفوا) , العيب عيب المحكوم وليس عيب الحاكم , من الذي فيه العيب وقد دافع دفاع المستميت إلى أن اضطر إن يُحرِّق رؤساء الروافض , ووافق من أراد أن يحاور الخوارج ويستتيبهم ؟! وبعد أن استتابهم عند اجتماعهم في حروراء استتابهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فتاب ألفان من ستة الآف مقاتل [البداية والنهاية لابن كثير (10 / 564)] , أين التقصير في علي رضي الله عنه ؟! ولما ظهرت القدرية قاموا كلهم علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم كلهم قاوموا ذلك الشر , بمعنى أن سلفنا لم يقصروا في مقاومة أهل البدع , وأهل البدع يجب أن يُقاوموا ويجب التشهير والتحذير منهم . ذُكِرَ أن الفرق السياسية وهي الخوارج والرافضة والقدرية ظهرت من الحروب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما , وهذه الفرق لها أثر كبير في ذلك النزاع , والمسألة معروفة لدى من يدرس إلا أن الذي يجب أن يُمسك عنه ولا يُخاض فيه محاولة التحقيق معهم من المحق ومن المخطئ , اليوم في هذا الوقت من ينصب نفسه حكماً بين الصحابة رضي الله عنهم , انتهى الأمر بما انتهى , قدر الله وما شاء فعل , الذي يجب اعتقاده

بأن الخلاف الذي وقع بين الصحابة خلاف في الاجتهاد لا أتباع للهوى ولا بالتعصب , اجتهدوا فاختلفوا , من أصاب الحق منهم له أجران أجر الاجتهاد وبذل المجهود وأجر الإصابة , ومن أخطا - لأنهم ليسوا بمعصومين- له أجر الاجتهاد وفاته أجر الإصابة , هذا ما أجمع عليه أتباع السلف ووافقت الأشعرية أهل السنة في هذا الموقف . من الإنصاف أن نعلن في هذه المناسبة , الأشاعرة قال قائلهم :

وما جرى بين الصحابي نسكتوا عنه

وأجر الاجتهاد نثبتوا

هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة أمسك ولا تخض , طالما صان الله سلاحك وسيفك ورمحك من دمائهم صُن قلبك ولسانك من أعراضهم .

الأسماء : من الذي يستحق لفظ مسلم ومن الذي لا يستحق , ومن الذي يستحق لفظ مؤمن ومن الذي لا يستحق , ومن الذي يطلق عليه كافر ومن الذي لا يطلق عليه وكذلك الفاسق , هذا محل الخلاف .

الأحكام : أي أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة هل هم في الدنيا كفار أو مؤمنون , وفي الآخرة هل هم من أهل النار أو من أهل الجنة ؟

الخوارج الحرورية : يقال لهم الخوارج ؛ لأنهم خرجوا على علي ﷺ , ويقال لهم الحرورية نسبة للمكان الذي اجتمعوا فيه , والحرورية صفة للخوارج . الخوارج والمعتزلة قالوا : لا يستحق الإيمان إلا بالتصديق بالقلب والإقرار باللسان وفعل جميع الطاعات واجتناب جميع الكبائر . فالتصديق بالقلب والإقرار باللسان كلامهم صحيح , أما التعبير فعل جميع الطاعات واجتناب جميع الكبائر بهذا التعبير خالفوا أهل السنة والجماعة , فأهل السنة والجماعة يرون إن الأعمال من الإيمان , أي امتثال المأمورات والإتيان بالواجبات واجتناب المنهيات وتجنب الصغائر والكبائر معاً من الإيمان ؛ لئلا يلتبس عليك الأمر بين تعريف الخوراج والمعتزلة وتعريف أهل السنة والجماعة , أهل

السنة والجماعة يرون إن هذه من الإيمان , لكن الإيمان عندهم شعب تتفاوت " الإيمان بضع وستون شعبة أو سبعون شعبة " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ برقم (9) ومسلم برقم (35)] , على اختلاف في رواية الحديث أعلاها لا إله إلا الله , إذ ذهبت هذه الشعبة ذهب الإيمان كله لا يبق شيء , أدناها إماطة الأذى عن الطريق , بالإجماع من لم يمط ولم يزل الأذى من الطريق إيمانه ينقص ولا يذهب , ومن أماطه أتى بشعبة من شعب الإيمان . والحياء شعبة من شعب الإيمان , هل من فقد الحياء أو ضعُف حياؤه يكفر؟ ! بين أعلى شعبة وأدنى شعبة شعب كثيرة متفاوتة الصلاة والصيام والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعلم العلم الواجب وتعليم العلم الواجب وأشياء كثيرة كلها من الإيمان تتفاوت ولم تكن بدرجة واحدة . شبهة الذين قالوا الإيمان شيء واحد قالوا لو قلنا إن الإيمان يتكون من عناصر عديدة إذا زال بعضه زال كله ؛ لأن زوال عنصر من العناصر يؤدي إلى زوال بقية العناصر , ما فهموا مقاصد الشارع عندما قال ﷺ " أعلاها وأدناها " بيّن أن هذه العناصر تتفاوت , إذن هذا هو الإيمان .

أما عند المعتزلة والخوارج لم يتقيدوا بهذه النصوص , أخطئوا وقالوا تجنب الكبائر من الإيمان والإتيان بجميع الواجبات من الإيمان , من ترك واجباً أو ارتكب كبيرة خرج من الإيمان , اتفقوا على خروجه من الإيمان , اتفق كل الخوارج والمعتزلة على إن السارق والشارب والزاني والمنتهب خرج من الإيمان . إلى أين يذهب ؟ عند الخوارج خرج من الإيمان ودخل في الكفر فهو كافر , وعند المعتزلة قالوا يخرج لكن في هذه الدنيا ننزله في مكان معين ينتظر الموت , إن مات وهو في ذلك المكان فهو كافر وإن رجع فهو مؤمن , قالوا في منزلة بين المنزلتين وهذه المنزلة وهمية لا وجود لها إلا في أذهان المعتزلة , الشارب والسارق خرج من الإسلام لكنه لم يدخل في الكفر بمعنى لا يحل ماله ولا دمه . كيف لا يحل ماله ولا دمه وأنت أخرجته من الإسلام ؟ ! يقول نعم أخرجته من

الإسلام لم أدخله في الكفر , إذن الخوارج والمعتزلة مختلفون في أحكام الدنيا ومتفقون في أحكام الآخرة , المقصود من الإيمان هو أحكام الآخرة فإن مصيره إلى النار عند الجميع بهذا خالفوا أهل السنة والجماعة . الكبيرة ليس لها ضابط أو ليس لها عدد معين , ولكن يختلفون في الضوابط : ذوات الحدود التي يكون الحد فيها في الدنيا كلها من الكبائر , عند الخوارج والمعتزلة من ارتكب ذوات الحدود خرج من الإسلام . وما خُتِم بالبراءة : الله بريء ممن فعل ذلك أو بريء منه ﷺ أو بالعذاب الأليم والغضب والعقاب , فهذه من الكبائر . ومن ارتكب كبيرة واحدة فاسق , ومن أصر على الصغيرة فهو فاسق , الصغيرة مع الإصرار عليها تتحول كبيرة , (ولا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) [أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما برقم (7268) وغيره] - يكاد يكون هذا قاعدة - . مرتكب الكبيرة عند الخوارج والمعتزلة لا فرق بينه وبين اليهودي والنصراني , ولهذا كفروا علياً ومعاوية وأصحابهما رضي الله عنهم , ليس معنى ذلك أنهم ارتكبوا كبيرة معروفة , لكنهم ارتكبوا كبيرة في تفسيرهم (الخوارج) ؛ لأن علياً رضي الله عنه لما حكّم الرجال في الدين بزعمهم ارتكب كبيرة , يقولون ما للرجال وللأحكام ؟ جهلاً منهم بأن الله حكّم الرجال في جزاء الصيد وفي ما يجري من الإصلاح بين الزوج والزوجة . قالوا عندما قاتل خصومه إن كانوا كفاراً يجب أن يغنم ويسبي وإن كانوا مؤمنين لا يجوز له القتال , جهلوا بأن قتال علي رضي الله عنه قتال تأديب , فرقٌ بين القتل وبين القتال , الحاكم قد يحارب القوم في شؤون سياسية حرب تأديب ؛ ليكسر شوكتهم , في حرب التأديب لا سبي لا يُسبَى ولا يُغنَم , ومن تولى لا يُلحَق , ومن عجز عن القتال لا يقاتل , هذا قتال تأديب هذا الذي جهله الخوارج ويعتبر محض اسمه بالمصالحة , كلمة أمير المؤمنين تعتبر عندهم كبيرة , وابن عباس رضي الله عنهما أقنعهم بأن هذه ليست بكبيرة ولا تؤثر مجرد محض اسمه , لم يُخرج ذلك رسول الله ﷺ من الرسالة والنبوة عندما مُحِيَ اسمه محمد رسول الله في صلح الحديبية وكتب من محمد بن عبد الله ,

ورسول الله ﷺ أفضل , إذا كان محو كلمة رسول لم تؤثر في رسالته ونبوته لا يؤثر ذلك في علي بن أبي طالب رضي الله عنه , هذا يسمى تطرفاً في الفهم , والخوارج من المتطرفين وإن كان بعض المهيجين الآن يستنكرون كلمة التطرف ويحاولون أن يهولوها تهويلاً ليحولوا بين الناس وبين استعمالها , التطرف واضح كل من بالغ في فهم شيء وتطرف في فهم وتصور أمر ما , فهو متطرف . فالخوارج كفروا عليا ومعاوية رضي الله عنهما بعد تفسيرهم ما استنكروه أنه من الكبائر , ولا يلزم من هذا أو لا ينبغي أن يُفهم أن علياً ومعاوية وغيرهم الصحابة رضي الله عنهم قد ارتكبوا كبيرة , إنما مسائل اجتهادية وقعوا فيها .

* « وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة وبين الخوارج » / تقدم الكلام .

<u>إثبات وجوب الإيمان باستواء الله على عرشه وعُلوه على خلقه ومعيّته لخلقه وأنه لا تنافي بينهما :</u>

فَصْلٌ: وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَن رَّسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } .

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: { وَهُوَ مَعَكُمْ } أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ، اللُّغَةُ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرُ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ،

مُطَّلِعٌ عَلَيْهِم إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ. وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ مِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: { فِي السَّمَاء} ، أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ؛ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ.

* « فصل : وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله ...أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عليٌّ على خلقه وهو سبحانه معهم .. » / العلو علوان : علو عام مطلق وعلو خاص , وأما العلو العام المطلق صفة ذات , وأما العلو الخاص وهو استوائه على عرشه كما يليق به صفة فعل , وأن الإيمان بالعلو العام والعلو الخاص ليس هذا من المسائل التي تخص طلاب العلم , بل الإيمان بأن الله فوق جميع المخلوقات يُدعى من فوق ويُراقب من فوق ويُشرِف على أهل الجنة في دار الآخرة من فوقهم ويرونه من فوقهم هذا الإيمان أمرٌ عامٌ لجميع المسلمين , ولا يجوز أن يُعتقد بأن الله معنا بذاته أو في كل مكان بذاته كما يقول أهل الكلام كالأشاعرة , هذه العقيدة عقيدة فاسدة لا يليق بالله سبحانه وتعالى أن يكون ممتزجاً بخلقه لا بالعالم السفلي ولا بالعالم العلوي , ليس معنا بذاته في الأرض ولا مع ملائكته في السماوات , بل هو بائن من جميع خلقه , هذا العلو العام أو علو الذات أنه بذاته فوق جميع المخلوقات . أما العلو الخاص استوائه سبحانه وتعالى على عرشه كما يليق به . والإيمان بهذا العلو مطلقاً إيمان عام , وقد يستصعب بعض الناس هذا البحث ويظنون أنه بحث يخص طلاب العلم وليس الأمر كذلك بدليل حديث الجارية المتقدم , ويستفاد من هذا الحديث الصحيح أنه يكفي بالنسبة للعامي الإيمان الإجمالي ولا يجب عليه ما يجب على أهل العلم من تفاصيل هذه

المسألة وغيرها من مسائل الإيمان . إذا آمن العامي بوجود الله تعالى مستدلاً على وجوده بهذا الكون بل مستدلاً على وجوده سبحانه بوجود نفسه أي العبد , وآمن بأن الله منزه بأن يكون مختلطاً بخلقه بل هو فوق جميع المخلوقات , وشهد لرسول الله ﷺ بأنه رسول الله ولم يرُدّ شيئا مما جاء به ولم يُنكر , هذا الإيمان الإجمال يكفي بالنسبة للعوام .

السماء في اللغة : هذا اللفظ له اطلاقات كثيرة , يقال للمطر سماء ويقال للسحاب سماء ويقال لهذه الأجرام السبعة التي فوقنا سماء والكرسي سماء والعرش سماء وهذا السقف الذي فوقنا سماء , كل ما علا رأسك فهو سماء , علو الله ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة والفطرة السليمة والعقل السليم وإجماع السلف الصحابة والتابعون وأئمة تابعي التابعين والأئمة الأربعة ومن في طبقتهم كالأوزاعي والثوري والليث بن سعد وغيرهم , من أعظم الإجماعات في الدنيا كما قال شيخ الإسلام (محل إجماع عند السلف لا تردد فيه) [التوحيد لابن خزيمه (1 / 254) والرد على الجهمية للدارمي ص (21 – 22) الفتاوى (5 / 275) والصواعق المرسلة لابن القيم (4 / 1279)] , أجمعوا أن الله سبحانه وتعالى في العلو فوق جميع المخلوقات وعلمه في كل مكان لا يخلو مكان من علمه محيط بعلمه بكل شيء آخذين ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ , لكن السؤال بكيف لم يدور بخلدهم ولم يفكروا قط عن كيفية الاستواء وعن كيفية العلو والمعية , ولا منافاة بين أن يكون الله في العلو حقيقة وأن يكون معنا حقيقة , معية الله مع خلقه حقيقية وليست مجازية فلينتبه طلاب العلم , هذه مزلة القدم التي ارتبك فيها وتذبذب فيها بعض طلبة العلم حيث اسأوا فهم قول شيخ الإسلام عندما أعلن بهذه الرسالة وفي الحموية بأن الله معنا حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة [ص (103)] , يجب أن يُفهم هذا المعنى فهماً صحيحاً ؛ ليكون العبد على يقين في إيمانه بربه , رأس مالك إيمانك إذا كنت مضطرباً في إيمانك بالله ولا تدري أين الله ؟! مرة تقول معنا في الأرض ومرة تقول ليس له مكان ومرة تقول العلو والسُفل

عنده على حد سواء . مَن هذه عقيدة لم يعرف ربه . يزعم بعضهم فيقول هو معنا بذاته كما يليق به , فهذا خطأ وأي خطأ , لا يليق أن يكون معنا بذاته , لم يأتِ بجديد من يقول معنا بذاته كما يليق بذاته ؛ لأن السفول لا يليق به ولأن الاختلاط لا يليق به , هذا العلو يسمى صفة ذات بمعنى لم يزل الله سبحانه وتعالى في علوه قط ولن يزال وحتى في حال نزوله إلى السماء الدنيا كما أخبر الصادق الأمين ﷺ , نزوله لا يتنافى مع علوه واستوائه على عرشه ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء لا يتنافى مع علوه واستوائه على عرشه . البحث هل يفرغ المكان والبحث عن الانتقال وعدم الانتقال , هذه من لوازم صفات المخلوقين , ولوازم صفات المخلوقين لا تلزم صفات الخالق ؛ لأن المخلوق يُدرَك كنهه وحقيقته ؛ لأننا نعلم حقيقة ذاته ؛ لذلك استطعنا أن نعلم حقيقة صفاته , أما الرب سبحانه وتعالى جل شأنه الذي لا ندرك حقيقة ذاته , إيماننا بالله إيمان تسليم وإثبات ؛ لذلك كرر شيخ الإسلام كلمة هو معنا حقيقة وفوق عرشه حقيقة في عدة كتب من كتبه ؛ لأنه ألف هذه الرسائل في الوقت الذي انتشرت فيه الأشعرية انتشاراً عاماً وأعلن الأشاعرة أنهم على عقيدة أهل السنة والجماعة , يعنون بذلك أنهم على خلاف عقيدة المعتزلة , أدرك شيخ الإسلام خطورة هذه العقيدة كونهم يعلنون عنها أنها عقيدة أهل السنة والجماعة وفيها مخالفات ومخالفات كثيرة , منها هذه المخالفة الخطيرة اعتقادهم بأن الله في كل مكان , هذه العقيدة تأثر فيها حتى عوام المسلمين ؛ لكون الأشعرية سادت العالم الإسلامي , عندما حورب دعاة الحق كالإمام أحمد وابن تيمية وتلاميذه انتشرت الأشعرية الكلابية , كما أنه فيما مضى لو سألت عامياً أين الله ؟ لا يتردد أن يقول هو في السماء , ولكن اليوم للأسف لو سألت عامياً أين الله ؟ يقول في كل مكان . من أين جاءتهم هذه العقيدة ؟ من انتشار الأشعرية في العالم . أما الآن قد انتشرت العقيدة السلفية في العالم أيضاً منافسة للعقيدة الأشعرية وغالبة عليها في كثير من المناطق , فعلى دعاة الحق أن يقفوا موقف الدعاة الأولين الذين

دافعوا عن هذه العقيدة وصبروا عليها واستماتوا في سبيل الدفاع عنها وتحملوا الأذى في سبيل إثباتها ونشرها وألفوا في ذلك كتباً وانتشرت هذه الكتب التي بين أيدينا .

* « في كتابه وتواتر عن رسوله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة .. » / في كتابه (الدليل الأول) , وتواتر عن رسوله ﷺ (الدليل الثاني) , وأجمع عليه سلف الأمة (الدليل الثالث) , زد على هذه الأدلة الدليل العقلي ؛ لأن العقل السليم الصريح لا يخالف النقل الصحيح , وزد على ذلك دليل الفطرة كما علمنا من حديث الجارية . بهذه الأدلة كلها ثبت أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه .

فيما تقدم السلف الأول لا يزيدون على قولهم إن الله فوق عرشه وإن الله في العلو وإن الله في السماء , ولكن لما كثرت شبه المعتزلة والأشاعرة , جعلت هذه الشبه السلف الذين أدركوا زمن الأهواء يتوسعون في التعبير في هذه المسألة بأن يقولوا بائن من خلقه , ليس في ذاته شيءٌ من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيءٌ من ذاته , وأيضاً في صفة الكلام مثلا , أي في القرآن لا يزيدون على قولهم كلام الله , ثم زادوا غير مخلوق [شرح السنة للبربهاري ص (5) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (281)] . ثم زادوا منه بدأ وإليه يعود , [لمعة الاعتقاد لابن قدامة , شرح الشيخ الفوزان (122)] لهذا التفسير الموسع سببه وهو كثرة الشبه وخصوصاً في هاتين الصفتين صفة العلو مع المعية وصفة الكلام , ولا مانع أن يُفسِر الإنسان النصوص ويتوسع في الشرح ويعبر بالعبارات المختلفة التي لم يستعملها السلف الأول إذا دعت الضرورة إلى ذلك , سُئِلَ الإمام أحمد عن هذه الزيادات , فقال (لما زادوا زدنا) , أي لما زادوا في الشبه زدنا في الرد على الشبه . أما العلو الخاص استواء الله تعالى على عرشه علو خاص بالعرش , والاستواء صفة فعل , فعلٌ فعَلَه الله سبحانه وتعالى لما شاء أن يفعل ؛ لذلك أخبر بـ(ثم) أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما ثم قال : ثم استوى على العرش , والعرش

عل أصح القولين أول المخلوقات , والعرش سقف الجنة والجنة في السماء , والله سبحانه فوق ذلك كله دون حاجة للعرش ودون حاجه لحملة العرش , بل الله سبحانه وتعالى هو الذي يحمل العرش وحملة العرش والسماوات بقدرته وسلطانه , غني عن جميع المخلوقات , يكفي هذا المقدار من الإيمان بعلو الله سبحانه وتعالى واستوائه على العرش , وهذا المعنى لا ينافي كون الله معنا بعلمه . إيضاح ذلك : عندما يسافر المسافر في ليلة مقمرة يقول سافرنا والقمر معنا إلى الصباح , كيف كان القمر مع المسافر وغير المسافر ؟ ظاهرٌ و ضوئه متصل بهم , معهم بضوئه لا بذاته , هو بذاته في السماء . وهل قول المسافر أو قول أي إنسان ذهبنا في الليالي المقمرة والقمر معنا , هل هذا مجاز أم حقيقة ؟ بالاتفاق أي باتفاق العقلاء إن هذه حقيقة لا مجاز فيها ؛ لأن المجاز ما يجوز نفيه , وهل يجوز عقلاً ومنطقاً أن تنفي كون القمر معك في ليلة مقمرة لا يجوز ؛ لأن هذه مغالطة , إذن معية القمر مع المسافر حقيقة , ذكر هذا شيخ الإسلام وغيره من باب التقريب [الحموية ص (103)] ؛ لأن الأمثال تقرب المعاني وتجعل المعاني كالمحسوسات , إذا كان هذا يُتصور في حق المخلوق , وكون الله معنا بعلمه يرى كل واحد منا ويرى مكانه ويسمع كلامه ويعلم ما في نفسه , أليست هذه معية حقيقية ؟ معية الذي لا يعلم إلا القليل منك وهو جليسك معية حقيقية بالإجماع , فكيف يقال لمعية من يعلم منك ما لا تعلم من نفسك كيف يقال أنها مجازية ؟! هذا ما يعنيه شيخ الإسلام بأن الله فوق عرشه حقيقة وفوق جميع مخلوقاته بائن منهم وهو معهم حقيقة أيضاً, أي كما أن العلو بالذات حقيقة فمعيته بعلمه حقيقة . أرجو أن تُفهم هذه المسألة ويفهمها عامة الناس كخاصتهم ؛ لأنها مسألة إيمان وليست بحثاً علمياً يخص طلاب العلم , لا يمكن أن تعرف ربك حق المعرفة وتطمئن إليه دون شك إلا إذا فهمت هذا الفهم للعلو والمعية معاً .

* « وأجمع عليه سلف الأمة ... » / وقال في آية أخرى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ{7}سورة المجادلة } وهذه أبلغ من التي قبلها ؛ لأن الله بدء بالعلم وختم بالعلم , تأخذ من مجموع الآيتين أن المعية معية العلم لا معية الذات .

* « وليس معنى قوله { وهو معكم } أنه مختلط بالخلق ؛ فإن هذا لا توجبه اللغة .. » / القول أن الله مختلط بخلقه مخالف للكتاب ومخالف للسنة ومخالف للفطرة ومخالف لإجماع سلف الأمة , إذن قول باطل ومخالف للغة .

* ولا توجبه اللغة : يريد أن يشير شيخ الإسلام إلى أن البحث حتى لو بُحِثَ بحثاً لغوياً , لفظة (مع) لا تقتضي الشخصية أو المخالطة الذاتية . ما معنى (مع) في اللغة ؟ مطلق المقارنة بصرف النظر هل المقارنة بالذات كزيد وعمرو , أو المقارنة بالعلم مقارنة علم الله بجميع مخلوقاته , أو المقارنة بالضوء كمقارنة القمر مع المسافرين وغيرهم , وكقولك أنا مع الإمام مالك في قوله (الاستواء معلوم والكيف مجهول ..) هذه حقيقية , أي أنتَ معه في هذه العقيدة قارنت عقيدتك عقيدته , وأنا مع الإمام أحمد في مسألة القرآن أنه غير مخلوق قارنت عقيدتك عقيدته وعقيدة جميع المسلمين مقارنة حقيقية , أولاً ندرك أن معنى (مع) مطلق المقارنة , ثم السياق والقرائن هي التي تُعيّن المراد بالمقارنة , إذا قلت زيد كان معنا أمس في هذا المجلس هذا السياق يدل على أن المقارنة مقارنة الذات , وإذا قال المسافر ذهبنا والقمر معنا هذا السياق يدل أن مقارنته إياهم بالضوء , وهكذا إلى آخر الأمثلة , إذن من زعم بأن (مع) نصٌ في المخالطة الذاتية أخطأ حتى من حيث اللغة قبل أن يخطئ في الشرع . الأشاعرة وافقوا إخوانهم من المعتزلة ومن قبلهم أن الله في كل مكان وهي عقيدة الحلولية .

* « وكل هذا الكلام الذي ذكره الله – من أنه فوق العرش وأنه معنا –.. » / يقرر شيخ الإسلام أنه لا منافاة بين علو الله على جميع مخلوقاته واستوائه على عرشه وبين أن يكون مع خلقه , ولا يقال أن المعية مجازية أو أن الاستواء معنًى مجازي , بل كل ذلك واقع حقيقة , وليس بلازم أن يدرك العباد حقيقة تلك الحقيقة وكنه تلك الحقيقة , ولكن الذي يصعب على العباد أن يتصوروا كيف يتم استواء الله على عرشه وعلوه على جميع مخلوقاته وبائن من خلقه كيف يتم هذا ؟ الجواب : إذا وصلتَ إلى كيف بعد أن أثبتّ العلو والاستواء والمعية والنزول والمجيء , كما أثبت الله لنفسه وأثبت له رسوله الأمين ﷺ , وبعد أن أثبتّ السمع والبصر والوجه إلى آخر الصفات فعلية أو ذاتية ووصلت إلى منطقة كيف توقف فكر جيداً إذ كيفية إدراك الصفات سر من أسرار الله . وفيما أعلم أول ما وقع هذا السؤال (كيف) في زمن تابعي التابعين ؛ لأن الأثر المروي عن شيخ الإمام مالك وأم سلمه في ثبوتهما نظر [قال الذهبي : عن أم سلمه لا يصح , أما عن ربيعة فذكره جمع من العلماء , كتاب العلو ص (65)] , بل الثابت أول سؤال ورد في هذه النقطة لما سُئل الإمام مالك كيف استوى ؟ فالسائل لم يسأل ما معنى الرحمن على العرش استوى , إذا كان السائل يجهل معنى (استوى) وسأل لأجابه الإمام بدون توقف , لكنه سأل عن أمر لا يعلمه أحد من خلقه سبحانه وتعالى .

وهذه الصفات معلومة المعنى ؛ لأنها ورد بها الكتاب المبين والسنة النبوية الصحيحة وبلغة العرب لغة القرآن , فالمعنى واضح معنى المجيء والنزول والاستواء ومعنى (مع) في لغة العرب , والإيمان بذلك واجب ؛ لأن في ذلك تصديقاً لخبر الله و لخبر رسوله ﷺ , وذلك من الإيمان , ولكن السؤال عن الكيفية بدعة حدثت في ذلك الوقت واستمرت وسمعنا بعد ذلك في وقتنا هذا ما هو أفظع من ذلك , إلا إننا من ضعف إيماننا نتحمل هذه الأسئلة التي تُوجه الآن إلى العقيدة إلى درجة أن يقول قائلهم إن العقيدة عقدّتنا ,

نسمع مثل هذا الكلام ولا نتأثر , إذ ليس إيماننا كإيمان ذلك القوم , والإمام مالك اندهش لما سُئِل كيف استوى ؟! استغرب كيف يسأل هذا المخلوق الضعيف الذي لا يدري كيف روحه التي هو بها إنسان , أين روحه ؟ ما صفاتها ؟ لا يدري , وهو إنما يُسمى إنساناً بروحه , هذه الروح لا يعلم حقيقتها ومقرها ومع ذلك يؤمن بأنها موجودة وجوداً حقيقياً , ومع ذلك كيف يسأل عن كيفية استواء الرب سبحانه وتعالى , هذا وجه استغراب الإمام مالك , وبعد أن أخذ فترة في الاستغراب والحياء من الله وأخذته الرُحضاء (الرشح) حياءً من رب العالمين بعد ذلك أجاب بما تعلمون , ورأى من المصلحة في ذلك الوقت إخراج المبتدع من بين طلاب العلم ؛ لئلا يعديهم – العدوى هنا واردة – فطرده من مجلسه . أريد أن أقول لا ينبغي أن يحاول العبد أن يدرك حقائق الصفات , ومن يحاول أن إدراك حقيقة صفات الرب سبحانه يحاول أن يحيط بالله علماً , والعباد لا يحيطون بالله علماً ؛ لأن علمهم قليل لا يحيط بجميع المعلومات , من المعلومات التي يحيط بها علمنا معرفة المعاني لا نفوض , نصوص الصفات لا نفوضها من حيث المعنى ؛ لأننا أُمرنا بتدبر الكتاب , والتدبر يستلزم معرفة المعاني , وإنما التفويض الذي يجب أن نفوض تفويض الكيفية .

* « ولكن يصان عن الظنون الكاذبة ... » / ليس ظاهر قوله تعالى { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء ..{16}سورة الملك } , أنه في داخل السماوات , بل إما تُترك (في) على بابها السماء بمعنى العلو , فيكون المعنى (أأمنتم من في العلو) , أو بمعنى (على) أأمنتم من على السماء على حد قوله سبحانه { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ..{42}سورة الروم } , أي سيروا على وجه الأرض لا في باطنها , وهكذا تصان النصوص من الظنون الباطلة كما قال شيخ الإسلام , ومن إساءة الفهم ما يقوله بعض الناس هو معنا بذاته على ما يليق به , هذا تناقض لفظة (بذاته) زيادة خلفية أشعرية حلولية لم يقل

بها أحد من سلف هذه الأمة , فالذي يتفلسف في هذه المنطقة تزل قدمه فعليه أن يرجع إلى فهم السلف , ولا ينبغي أن نستقل بفهم جديد خلاف ما فهم السلف .

* « وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان .. » / أهل العلم والإيمان الذين يُعتد بإجماعهم هم السلف , وقد صرح شيخ الإسلام الإجماع المعتد به ويكون الحجة في الدين ويكون الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة هو إجماع السلف [ذكره في نهاية العقيدة الواسطية ص (38)] ؛ لأن ذلك واقع ومعقول , السلف الصحابة رضي الله عنهم عندما كانوا مجتمعين في الحجاز عاصمتهم المدينة ينضبط كلامهم , إذن ضبط الإجماع ومعرفة ما أجمعوا عليه إنما يُتصور قبل انتشارهم في العالم وكانوا مجتمعين في الحجاز , أقوالهم محفوظة , أما ما يسميه الأصوليون من الإجماع إجماع أهل كل عصر لا يصح ؛ لأن المسلمين أهل العلم والإيمان والمعرفة انتشروا وتفرقوا في العالم , ليس بالإمكان ضبط إجماعهم , هذا الإجماع الذي يكون حجة في الدين .

* « فإن الله قد وسع كرسيه .. » / إذا كان كرسيه والكرسي موضع القدمين كما في أثر ابن عباس رضي الله عنهما الذي يُعطى حكم الرفع , كيف يكون الرب سبحانه داخل هذه السماوات ؟! يُنزه الرب سبحانه عن ذلك ومستحيل عقلاً .

* « وهو يمسك السماوات .. » / لأنه بائن منها , وهو فوقها .

* « وهو يمسك السماء أن تقع على الأرض .. » / سبحانه ما أعظم شأنه ! الحلولية إذا تطورت تنتقل لوحدة الوجود ؛ لأن الحلولية اعتقاد أن الله حالّ في خلقه , إما حالّ في الصالحين , حالّ في بعض الأماكن , حالّ في كل مكان , لكن منفصل ثم تتطور إلى وحدة الوجود إلى أن يقال إنه اتحد مع جميع خلقه , ويؤدي إلى نفي الإثنينية ويكون الكون كله حقيقة واحدة لا خالق ولا مخلوق ولا رب ولا مربوب , بل كله من

عين واحدة , بل هو عين واحدة , هكذا تقول وحدة الوجود وهو دين ابن عربي الطائي الذي أتى بكفر لم يعرفه أبو جهل ؛ لأن أبا جهل لم يدّعِ يوماً ما أنه هو الله , بل يعتقد بأن خالق السماوات والأرض غيره , يؤمن بتوحيد الربوبية وابن عربي ادعى أن الرب عبد والعبد رب ويحتار من المكلف إذ يقول :

العبد رب والرب عبد

ليت شعري من المكلف

اسأل نفسك هذا دينك الذي أتيت به ولم تُسبق إليه !

وجوب الإيمان بقرب الله من خلقه وأن ذلك لا ينافي علوه وفوقيته :

فَصْلٌ :وَقَد دَّخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بينَ ذَلِكَ في قَوْلِهِ: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ...} الآيَة، وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنقِ رَاحِلَتِهِ). وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

* « وقد دخل في ذلك الإيمان .. » / أي بالإيمان بالله , قريب من عبده مجيب دعوته .

* « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب .. » / فأجاب الرب سبحانه وتعالى بنفسه ولم يقل لنبيه (فقل) ولكنه قال (فإني قريب) هذا هو الجواب اللطيف يدل على لطف الرب سبحانه وتلطفه بعباده , فالله قريب من كل أحد قُربَ سماع وإجابة يسمع كلام كل داعٍ ويجيب دعوة كل داعٍ يجيب دعوته ويعطيه سؤله حالاً أو يؤجل الإجابة إلى

وقت بعيد أو إلى يوم القيامة أو يدفع عنه السوء , والدعوة مستجابة قطعاً بوجه من الوجوه .

* « إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » / لما رفع الصحابة ﷺ أصواتهم بالذكر والدعاء , فهذا تقريب بما يفهمونه , الراكب يدرك تماماً أن عنق راحلته أقرب شيء إليه يُنال بيديه , وقرب الله قرباً يليق به لا يُسأل عن كيفيته , فسّر أهل العلم هذا القرب في قوله تعالى { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ{16}سورة ق } , بتفسيرين اثنين وكلاهما حق لا منافاة بينهما : (نحن) الله سبحانه وتعالى يُعبِر عن نفسه بالضمير , ظاهره ضمير الجمع وهو ضمير العظمة ؛ لأن الضمائر إما لجماعة أو لمعَظم , يُعظِم نفسه ويُعظَم عند خلقه وهو سبحانه وتعالى , فالإنسان إذا كان معظماً تعظيماً نسبياً عند الناس له أن يقول نحن فعلنا , نحن كتبنا , نحن أرسلنا , ولك أن تقول لشخص واحد أنتم قلتم أنتم فعلتم , هذا أسلوب عربي معروف قديماً وحديثاً ؛ لذلك لفظة (نحن) قد تطلق على الله وحده (ونحن أقرب) , أي على الكيفية التي لا يعلم العباد , قريب من هذا الشخص . أو قريب بملائكته الموكلين بكتابة أعمال العباد ؛ لأن الملك العظيم المعظم الذي له جنود في السماوات والأرض له أن يضيف الفعل إلى نفسه وله أن يضيف الفعل الذي له لجنود السماوات والأرض له أن أن يضيف لنفسه وله أن يضيف الفعل لجنوده , كأن يقول السلطان بنينا المدينة الفلانية وهزمنا الجيش الفلاني والسلطان في قصره , ولكنه هزم وغلب بجنوده وأتباعه , له أن يضيف الفعل إلى جنوده وله أن يضيف إلى نفسه , وكلتا الإضافتين حقيقة عند العرب , العبرة بالعرب الأولين . أنتم لاحظوا كما أن العقيدة دخل فيها ما دخل بعد عصر العباسيين , كذلك الكلام العربي فسد بعد ذلك ؛ لذلك عند العلماء لا يُحتج بالشعراء الذين من

عهد العباسيين إلى اليوم مهما يكون الشاعر بليغاً , ليس في كلامه حجة في اللغة , يُحتج بالشعراء الأولين ؛ لذلك هذا الأسلوب عند العرب معروف لا يقتضي الكثرة .

* « وما ذُكر في الكتاب والسنة من قربه .. » / شبه إعادة أو تكرار مع ما تقدم .

* « فإنه سبحانه ليس كمثله شيء .. » / الذي يقرب لك هذا المعنى ويُثبتك إن شاء الله على الإيمان يجب أن تتصور أن لوازم نعوت المخلوقين لا تستلزم نعوت الخالق , أو لوازم صفات المخلوقين لا تستلزم صفات الخالق , إذا فكرت في سمعك وبصرك وقربك ونزولك ومجيئك هذه الصفات لها لوازم , النزول عندنا من لوازمه الانتقال وفراغ المكان الذي كنت فيه , هذه اللوازم لا تلزم صفات الخالق ؛ لأن لوازمك ذاتك لم تنطبق على ذات الرب – ثبتني الله وإياكم على الإيمان واليقين – والإيمان بالله يجب إلى درجة اليقين حتى لا يتذبذب المرء في إيمانه , من تذبذب في إيمانه بالله وتردد ولم يكن على يقين لا تنفعه العبادة ؛ لأن ذلك دليل على عدم إيمانه أو ضعف إيمانه ضعفاً بيّناً كما تؤمن بوجودك أنت يقيناً يجب أن تؤمن بوجود الرب سبحانه وتعالى وصفاته وحدوثك دليل على قِدم الله وضعفك دليل على قوة الله , وهكذا تستدل بنفسك على ربك سبحانه .

* « فهو عليّ في دنوه , قريب في عُلوه » / في الوقت الذي هو عليٌّ فوق جميع مخلوقاته فهو قريب منك . وهذا من عِظم شأنه {.. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ{11}سورة الشورى } .

وجوب الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة :

وَمِنَ الإِيمَانِ باللهِ وَكُتُبِهِ الإيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه

وسلم هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لاَ كَلامَ غَيْرِهِ. وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا. وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ.

* « ومن الإيمان بالله وكتبه .. » / هاتان الصفتان , صفة العلو والاستواء وصفة الكلام , هما الصفتان اللتان ضلت فيها الأشاعرة أكثر من كل الصفات , ضلالهم في الصفتين بيّنٌ جداً ويُلِحِقهم بالجهمية .

* « منزل غير مخلوق » / قلتُ لكم غير مرة السلف الأول قبل ظهور الفتن لا يزيدون في هذه المسألة على قولهم القرآن كلام الله ؛ لأنهم كانوا في عافية , لم يحصل في ذلك الوقت التهييج من علماء الكلام الذين هيجوا الناس ضد صفات الله وضد كلام الله ؛ لذلك كانوا في عافية تامة مجتمع موحَد وموحِد ليس بينهم فتن , لكن بعد أن دخل علم الكلام في المطالب الإلهية اضطروا أن يشرحوا المسألة شرحاً يفهمه الحضور .

* « منه بدا » / هو الذي تكلم به , وليس معنى ذلك أن أوحى المعاني إلى النبي ﷺ أو إلى جبرائيل عليه السلام فعبّر جبرائيل أو محمد عليهما الصلاة والسلام لا , بل هو الذي تكلم به .

* « إليه يعود » / هذا القرآن سوف يُرفع ويُمسح من صدور الحفاظ ومن المصاحف ويعود إلى الله سبحانه .

هذه العبارات (غير مخلوق) (منه بدا) (وإليه يعود) ذكرها السلف تأكيدا بأن القرآن كلام الله حقيقة .

* « وأن الله تكلم به حقيقة » / لا مجازاً , المجاز ما يجوز نفيه , وهل يجوز أن يقال أن الله لم يتكلم وهو يخبر أنه تكلم ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ..{6}سورة التوبة ﴾ , أصرح آية في كتاب الله بأن القرآن كلام الله ؛ لأن هذه الآية تُفحِم كل خصم منصف , ومن نِعم المناظرة أن يكون خصمك أولاً عالماً ليس بجاهل منصفاً ليس بمعاند , كل خصم منصف إذا سمع هذه الآية يقتنع ويعلم بأن هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف كلام الله حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة .

* « لا كلام غيره » / لا كلام محمد ولا جبرائيل عليهما الصلاة والسلام ولا كلام غيرهما .

* « لا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله .. » / يحكي كلام الله , أي يشبه كلام الله وليس هو بكلام الله . الأشاعرة قالوا بالكلام النفسي تستراً ؛ ليوهموا خصومهم أنهم يخالفون المعتزلة , قال الإيجي صاحب المواقف (الفرق بيننا وبين المعتزلة إثبات الكلام النفسي وعدم الإثبات) .

* « أو عبارة عنه » / تعبيرٌ عن كلام الله النفسي كما يقولون , عند الأشاعرة كلام الله كلام نفسي وليس بحرف ولا صوت , وهذا القرآن يحكي ما في كلام الله الحقيقي أو عبارة عما في نفس الله , فيقال : من الذي عبّر عما في نفس الله جبرائيل أو محمد ؟ السؤال مفتوح , ولا جواب !

* « بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف .. » / إذا قرأت أبياتاً من شعر شعراء الجاهلية أو من بعدهم , تقول هذا كلام امرئ القيس وهذا كلام المتنبي مكتوب في ورقة

, وهل كونه كُتِب في ورقة أخرجه من كونه كلام المتنبي أو مثله من الشعراء ؟ لا , أمرٌ واقع – هذه مناقشة عقلية – لم يخرج بذلك عن كون الله حقيقة ؛ لأن الكلام يُتكلم به ويُتلفظ ويُنطق ويُكتب , وأما ما في النفس عند التحقيق ليس بكلام . ولك أن تفرق بين الكلام وحديث النفس , حديث النفس ما يجري في نفسك قد لا تؤاخذ بذلك ولا يسمى بكلام حتى تتكلم به وتلفظ .

* « إنما يُضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً , لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً » / إن أُضيف إلى المبلغ أو المؤدي يقال هذا إضافة تبليغ , عندما أضاف الرب سبحانه القرآن إلى جبرائيل بقوله { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {19} ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ {20} سورة التكوير } , أُضيف القول إليه إضافة تبليغ ؛ لأنه يُبلِغ عن الله , الذي يؤكد هذا المعنى إضافة القرآن مرة أخرى إلى محمد ﷺ { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {40} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ {41} وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ {42} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {43} سورة الحاقة } , إضافة القول أحياناً إلى جبرائيل عليه السلام وأحياناً إلى محمد ﷺ دليل على أن الإضافة إضافة تبليغ وليست إضافة حقيقية أنه تكلم به , لو كان جبرائيل هو الذي تكلم به ما يكون محمد ﷺ تكلم به أيضاً , مستحيل عقلاً , إذن كل منهما إنما يُبلغ عن المتكلم الحقيقي .

* « وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني .. » / هذه النقطة مما يكرره كُتاب الأشاعرة , فدخلت هذه المسألة على صغار طلاب العلم عند التفريق بين الحديث القدسي والحديث النبوي , حتى قال بعض المؤلفين المعاصرين (إن الحديث القدسي ألفاظه من عند رسوله الله) , إذا كانت ألفاظه ومعانيه من عند الرسول ﷺ , ما الفرق بينه وبين الحديث النبوي ؟! الحديث حديثان حديث نبوي " إنما الأعمال

بالنيات " [أخرجه البخاري عن عمر ﵁ برقم (1) ومسلم برقم (1907)] , " بني الإسلام على خمس " [سبق تخريجه] حديث نبوي لفظه من عند الرسول ﷺ والمعاني من عند الله , الله أوحى إلى نبيه ﷺ أن يقول للناس " بني الإسلام على خمس " ؛ لأن النبي ﷺ لا يملك أن يقول ذلك من عند نفسه قال ذلك بوحي من الله , أما الحديث القدسي فلا , فهو مثل القرآن لفظه ومعناه من عند الله , الله هو الذي قال " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً .." [سبق تخريجه] , اللفظ والمعنى من عند الله ؛ لذلك يضطر طالب العلم أن يعلم الفروق بين القرآن والحديث القدسي , وقد تقدم ذلك . وقد أكد الله أن القرآن كلامه { وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً{164}سورة النساء } , فأكد الفعل بالمصدر المؤكد (المفعول المطلق) وإذا جاء بعد الفعل يؤكد معنى الحقيقة ؛ لأن الله تكلم حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ كلام الله حقيقة . والكلام له اعتباران : اعتبار باعتبار أصل الصفة فهو صفة ذاتية , أي أن الله لم يزل ولن يزال متصفاً بصفة الكلام , لم يكن الكلام يوما ممتنعاً ثم تحول من الامتناع إلى الجواز , الله سبحانه وتعالى موصوف بأنه متكلم في حال تكلمه وفي حال إمساكه عن الكلام , وهذا أمر معهود ومعروف لدى الناس , إذا قيل فلان كاتب لا يلزم من ذلك أن يكون دائما باستمرار كاتب , كاتبٌ إن كتب وكاتب إن أمسك عن الكتابة , طالما اتصف بصفة الكتابة وأنه يجيد الكتابة فهو كاتب , وفي حال مباشرة للكتابة كاتب بالفعل , وفي حال إمساكه عن الكتابة كاتب بالقوة . فالله سبحانه وتعالى خاطب نوحاً وكلم كليمه موسى وكلم خاتم أنبيائه محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بدون واسطة – سمعوه بصوت الله نفسه – وأنتم ترون الكلام الذي وقع مع نوح ومع موسى ومع محمد عليهم الصلاة والسلام ليس بواحد , هذا حدث في وقت وذاك حدث في وقت آخر , هذا الحدوث يقال حدوث خطاب وتكلم وإنزال ليس محدَث مخلوق , كلام الله باعتبار أفراده حادث ولكن ليس بمخلوق , معنى الحدوث

أحدثه بالإنزال وبالخطاب وبالتكلم ؛ لأنه يتكلم إذا شاء ومتى شاء , شاء الله أن يكلم موسى عليه السلام فكلمه , شاء الله أن يأمر نبيه وخاتم رسله ﷺ أن يُعرَج به إلى ذلك المكان حيث يسمع صريف الأقلام (تقدم) فخاطبه وكلمه وسيكلم أهل الجنة وسيشرف عليهم من فوقهم فيسلم ويكلمهم ويسمعون كلامه ويرون وجهه سبحانه , فكلام الله متجدد وهو الذي يُعبَر عنه بالحدوث , يتجدد في وقت دون آخر بهذا الاعتبار صفة فعل . قولنا القرآن كلام الله والتوراة كلام الله والإنجيل كلام الله والزبور كلام الله وغير ذلك , ليس معنى ذلك إن كلام الله ينحصر في هذه الكتب السماوية , بل كلام الله لا نفاد له ؛ لأن الكلام من الكمالات وكمالات الله لا نهاية لها { قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً{109}سورة الكهف } .

* وهو كلام الله حروفه ومعانيه : هذا التفريق لا معنى له , الحروف والمعاني كل ذلك من عند الله { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1}سورة الإخلاص } , هذه الحروف من القاف إلى آخر الحروف التي نطقتُ بها ومعانيها من عند الله (يقصد الشيخ الآية : قل هو الله أحد) . أما شبهة الأشاعرة في نفي الكلام اللفظي قالوا لو أثبتنا الكلام اللفظي يلزمنا أن نثبت لله سبحانه وتعالى مخارج الحروف , هذه الجُرأة من الأشاعرة على الله . ألم تعلموا أيها الأشاعرة بأن الله أنطق بعض المخلوقات في هذه الدنيا وفي الآخرة كتسليم الحجر وتسبيح الطعام والحصى . قل للأشاعرة أين مخارج الحروف في الحجر والطعام والحصى ؟! إذا كان الله قادراً على أن يُنطِق المخلوقات من غير أن يكون لها مخارج للحروف , هل هو عاجز أن يتكلم بهذا الكلام ؟! هذه جُرأة ما كان يفكر السلف أبداً بهذا , يُسلِّمون أنه كلام الله لا يفكرون في مخارج الحروف أو غير مخارج الحروف ؛ لقوة إيمانهم وتعظيمهم لربهم سبحانه , ولما ضعُف الإيمان وقلت صفة الحياء عند هؤلاء خاضوا هذا الخوض .

علق الشيخ الجامي على تفريق الشيخ محمد خليل هراس رحمهما الله بين الأشعرية وبين الكلابية : في النفس منه شيء , الأشعرية التي نتحدث عنها هي الأشعرية الكلابية , أبو الحسن قبل أن يكون كلابياً كان معتزلياً يقول بخلق القرآن ولا يُثبت الكلام النفسي , ولما صار كلابياً بعد أن تاب من الاعتزال ومكث عند الكلابية وتأثر بهم يقال لها الأشعرية الكلابية , لا فرق بين الأشعرية الحديثة وبين الكلابية ؛ لأن الأشعرية تأثرت بالكلابية وإنما اختفت الكلابية وظهرت الأشعرية ؛ لأن أبا الحسن اشتهر بالعلم وبالصيت الطويل , عاش في الاعتزال نحو أربعين سنة ثم كانت له ميزة كان له نسب معروف عالي ينتسب إلى أبي موسى الأشعري الصحابي ﵁ ؛ لذلك الناس أحبته وطار صيته وغطى على أستاذه وعُرِفت العقيدة بالعقيدة الأشعرية وإلا هي في الواقع هي عقيدة كلابية . والفرق بين عقيدة الأشاعرة وبين المعتزلة في كلام الله إثبات الكلام النفسي وعدم الإثبات , بمعنى المعتزلة صرحاء يقولون القرآن خلق من خلق الله خلقه كما خلق جميع المخلوقات ولم يثبتوا الكلام النفسي , أما الأشاعرة قالوا بقولة المعتزلة بأن القرآن مخلوق لكنهم أثبتوا الكلام النفسي تستراً ليخالفوا كما يزعمون خصومهم , يقول صاحب المواقف الآيجي (الفرق بيننا وبين المعتزلة إثبات الكلام النفسي وعدم الإثبات) .

وجوب الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ومواضع الرؤية :

وَقَد دَّخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ :الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ. يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهَ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى.

* « وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به ..يرونه في عرصات القيامة » / يُفهم من كلام شيخ الإسلام أنه يجعل الرؤية في الموضعين خاصة , رؤية المؤمنين لرب العالمين في عرصات القيامة خاصة ولا يراه الكافرون والمنافقون كما أنها خاصة في دار الكرامة , وهي مسألة خلافية , وقد تقدم الكلام عن ذلك .

ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر:

فَصْلٌ: وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ. فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَن رَّبُكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّك؟

فيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمؤْمِنُ : رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم نَبِيِّي .وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ. ثُمَّ بَعْدَ هّذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ .

وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهُ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ .فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ . فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِباد ، { فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ | وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ .{ وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ

بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَّرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: { وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا , اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا }.

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا.

* « فصل : ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ .. » / هذه تسمى أمور المعاد , فيؤمنون أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار , وهذه من الأمور الغيبية , من صفات المؤمنين { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ..{3}سورة البقرة } .

فيقال للرجل : المراد بالرجل الإنسان جرياً على القاعدة بأن أكثر الأحكام يُخاطب بها الرجال , والنساء داخلات وإلا ليس هذا خاصاً بالرجال .

* من ربك ؟ : من ربك الذي خلقك ورباك .

* وما دينك ؟ : الذي كنت تدين به . (ما) هنا بمعنى (من) , تستعمل (ما) بمعنى (من) كما تستعمل (من) أحياناً بمعنى (ما) ؛ لأن (ما) في الأصل لغير العاقل و (من) للعاقل .

* ومن نبيك ؟ : نبيك الذي تتبعه .

* فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت : القول الثابت كما قال ابن القيم رحمه الله لا إله إلا الله [إعلام الموقعين (1 / 230)], الله يثبت المؤمن الصادق بالقول الثابت

بلا إله إلا الله يعتقد معناها ويعمل بمقتضاها في هذه الحياة , ويثبته الله لقاء ذلك في الآخرة ؛ لأنه مات على القول الثابت .

* ربي الله : المعبود الذي كنتُ أعبده في الدنيا .

* الإسلام : الدين الذي أدين الله به الإسلام , والإسلام في الأصل عام { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ..{19}سورة آل عمران } , لكن أصبحت كلمة الإسلام بالغلبة على ما جاء به محمد ﷺ إذا أُطلقت , كنتُ أدين الله بالإسلام أي بالاستسلام لله بالتوحيد والانقياد هذا ديني .

* ومحمد : النبي الذي كنتُ اقتدي به , أطيعه ولا أعصيه وأصدقه ولا أكذبه , وإن كان تصديق جميع الرسل والإيمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام واجب , لكن النبي الخاص الذي علينا أن نعبد الله بما جاء به فقط , ثم الالتفات إلى ما جاءت به الرسل إن وافقت ما جاء به النبي ﷺ فذاك وإلا لسنا مسئولين ومطالبين إلا بما جاء هذا النبي الكريم ﷺ , هكذا يجيب المؤمن إذا ثبّته الله عزّ وجلّ .

* « وأما المرتاب فيقول (هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته .. » /

المرتاب : الشاك الذي إيمانه تقليدي بالإسلام وبالدين وبالنبي ﷺ , ليس لديه يقين وثبات على معرفة الله ومعرفة دينه ومعرفة رسوله ﷺ يُخشى أن يكون من المرتابين الذين لا يدرون أين ربهم , إذا قيل له أين الله ؟ قال في كل مكان , ليس على يقين لا يعرف الله ولا يؤمن بعلو الله , وهذا الذي أجمع عليه السلف كما قال ابن المبارك , شدد أئمة تابعي التابعين كالإمام مالك والليث بن سعد والثوري والأوزاعي وقبلهم التابعون الزهري ومكحول شددوا على هذه المسألة ؛ لأن اعتقاد بعض الناس في العلو خطأ , واعتقاد عامة الأشاعرة اليوم الأشاعرة المعاصرة من أن الله في كل مكان هي عقيدة الحلولية , وللأسف عوام المسلمين تأثروا بهذه العقيدة الأشعرية , لو سألت عامياً في الغالب الكثير

يقول في كل مكان ؛ لأن الأشعرية أصبحت عقيدة المسلمين منذ أن حورب منهج السلف الصالح في عهد المأمون العباسي , يقول المقريزي في الخطط بعد فتنة ومحنة الإمام أحمد (جُهِل منهج السلف) جهله كثير من الناس إلى أن جدد الله لنا هذا الدين في القرن السابع والثامن بالإمام أحمد ابن تيميه , وقبل ذلك في الفترة التي تقع بين الأحمدين أصعب العصور والفترات التي مرت على المسلمين , لما انهزمت المعتزلة بإعلان المتوكل على الله برفع فتنة المحنة القول بخلق القرآن , ونادى الإمام أحمد رحمه الله بهذه العقيدة لم يجد إلا الأقلية القليلة من أتباع السلف قد تفرقوا في أنحاء الدنيا , من هنا ضعُف منهج السلف فجاءت الأشعرية وزعمت أنها ترد على المعتزلة ولقبت نفسها أهل السنة والجماعة وأنصاع لها الناس واتبعوهم وعُرِفت أخيراً عند جمهور المسلمين أنها عقيدة أهل السنة والجماعة , وليس الأمر كذلك وقد فضح هذه الدعاية الباطلة الإمام ابن تيميه عندما ظهر فُجاءة في دمشق واشتبك مع جميع الفرق الموجودة وناظرهم وأفحمهم جميعاً بتوفيق الله تعالى , صدع بالحق وانتصر لمنهج السلف ؛ لذلك الفضل لله ثم له في ما نعيش فيه اليوم ؛ لأن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إنما تخرج على كتب شيخ الإسلام وكتب تلميذه وإن كان كثير من الناس لا يدرون – وهو يتتلمذ في الظاهر على والده في الفقهيات والعلوم الأخرى – لكنه كان عاكفاً على كتب الشيخين وامتلأ فهماً من هذه الكتب ثم ظهر , الشاهد القول بأن الله في كل مكان يُوقع الإنسان بعدم اليقين في وعرفة ربه .

* هاه هاه سمعت الناس يقولون شيئا فقلته : سمعت الناس يقولون الله في كل مكان فقلت كما قالوا . والمرتاب أيضاً لو سُئِلَ عن الدين لا يدري ما هو الدين , قالوا له أنت مسلم وأُعطي شهادة ميلاد أنه مسلم وكفى , المسلمون الرسميون الذين لا يعلمون من الإسلام شيئا إلا مجرد الانتساب , هؤلاء هم المرتابون والذين لا يعرفون من رسول الله ﷺ إلا أنهم يقولون اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله . سُئِلَ مسلم

من المسلمين : ما الفرق بين الله وبين رسول الله ؟ قال هما شيء واحد , هذا مسلم معدود في عداد المسلمين . الواجب على الإنسان أن يحرص على معرفة هذه الأصول ؛ لذا نحرص كل الحرص في هذا الوقت على تدريس الأصول الثلاثة – التي يستخف بها كثير من الناس – ؛ لأن هذه الرسالة تعلمك جواب الامتحان الذي في القبر , وأنت تعلم أن هناك امتحان في القبر ؛ لذلك لما جُدِدت هذه العقيدة كان الأولون من أئمة الدعوة يُحفّظون عوام المسلمين وأطفالهم هذه الرسالة نصحاً منهم للمسلمين , ولا تغتر بالهمسات الخبيثة التي تقول يمكن تعلم العقيدة في عشر دقائق , المطالب الإلهية وشؤون المعاد والنبوات , نوجز العقيدة في هذه العناوين الثلاثة نتعلم جميع المطالب الإلهية وما يتعلق بالنبوات وما يتعلق بشؤون العباد في عشر دقائق , لا في عشر دقائق ولا في عشر سنوات , بل لو أفرغ حياته كلها وتفرغ لدراسة العقيدة , دراسة العقيدة لا تنتهي لا في المرحلة الابتدائية ولا المتوسطة ولا الدراسات العليا , دراسة تلازمك طول حياتك ؛ لأنك تدرس الذات العلية وصفاتها والأسماء والأفعال هذا هو الإيمان , والإيمان لا ينتهي فالعقيدة لا تنتهي إلا إذا كان الإيمان ينتهي , الإيمان تصديق القلب وعمل الجوارح وقول اللسان , طالما الإيمان لا ينتهي ويتجدد ويزيد وينقص فالعقيدة تستمر معك طول حياتك , لا تحاول تتخلص منها في عشر دقائق أو في عشر سنوات . إذن ابتعد عن هذه العبارات الرخيصة , أليس هذه تغريراً بالناس واستخفافاً بالعقيدة وصرف الناس عن العقيدة بأنها لا قيمة لها . والغريب من أمر هؤلاء استدلالهم على هذه الدعوى الباطلة بقصة الجارية , قالوا الجارية ما جلست بين يدي النبي ﷺ أكثر من عشر دقائق , افرض أنها أقل من عشر دقائق , من قال لك أن تلك الجلسة جلسة تعليم ؟ جلسة اختبار, طُلِبت لا لتتعلم العقيدة ولكن لتُختَبر هل تعرف ربها أم لا ؟ هل تعرف نبيها أم لا ؟ ؛ لذلك لم تُسأل أكثر من سؤالين : أين الله ؟ ومن أنا ؟ فعندها عقيدة الفطرة ؛ لأن معرفة الله عقيدة فطرية وإنما تغيرت وفسدت هذه بسبب انتشار العقيدة الأشعرية التي

درسها الناس وأثرت على المسلمين المعاصرين . هكذا ضاع أهل الكلام وضاع الذين قلدوهم معهم , ولكن الله في آخر الوقت أسعفنا بهذه العقيدة , الفضل لله ثم فيمن جددوا لنا هذا الدين بدءً من عهد الإمام أحمد إلى وقتنا هذا المستقبل بيد الله , هذه العقيدة عقيدة عزيزة وغالية يجب أن تعرفوا مكانتها فتدرسوها وتحفظوا المتون وتتقنوها ولا تلتفتوا إلى أصحاب عشر دقائق .

* « فيضرب بمرزبة من حديد.. » / هذا المعنى يجب أن نؤمن به ولا نستغرب كما قلنا بل كما قال الله , من صفات المؤمنين { { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ..{3}سورة البقرة } . عليك أن تتأكد من صحة الحديث إذا صح الحديث ولو لم يصل إلى درجة التواتر يجب عليك تصديقه والعمل به .وكما تقدم تقسيم الأحاديث في باب العقيدة إلى متواتر وآحاد ؛ ليُستعمل المتواتر فقط في باب العقيدة ولا يُستدل بالآحاد اصطلاح أهل الكلام انطلى على كثير من الأصوليين وأهل المصطلح وهو اصطلاح باطل . أهل الحديث عندما قسموا الحديث إلى متواتر وآحاد لبيان القوة فقط . وقد رد على هذا الزعم الإمام الشافعي في رسالته المعروفة رسالة الشافعي .

* « ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب .. » / تؤمن بهذه الحقائق كلها ولا نُكذِّب ولا نقول نعرض هذه النصوص على العقل كما يقول العقلانيون , عند العقلانيين الأحاديث كلها تُعرَض على العقل , ومن الكتب التي تحمل هذه العقيدة المسمومة كتب المودودي وخصوصاً التي لم تترجم وبدأت الآن بعضها تُرجِم , يظهر من كتبه أنه لا يقبل الأحاديث إلا بعد عرضها على العقل , والعقلانية هي التي استمد منها الشرَ الغزالي .

* « فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين .. » / ذكر بعض أهل العلم عندما يقوم الناس من قبورهم , أول شيء يردونه حوض رسول الله ﷺ , جعل الله الحوض إسعافاً للناس وهم يخرجون من قبورهم عطاشى , والحوض ينصبُّ من الكوثر في الجنة وهو في عرصات القيامة يرده الذين يُبعثون من قبورهم بشرط أنهم لم يغيروا ولم يبدلوا هدي رسول الله ﷺ , أما الذين بدلوا فيُطردون من الحوض طرداً , الملائكة تطردهم فيقول رسول الله ﷺ " أصحابي أصحابي أمتي أمتي , فيقال له لا تدري ما أحدثوا بعدك غيروا وبدلوا " [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (6582) ومسلم عن عبد الله رضي الله عنه برقم (2297)] , هذا الحديث مما يُستدل به بأن رسول الله ﷺ لا يعرف من شؤون عباد الله بعد أن التحق بالرفيق الأعلى لا يعلم من غيَّر أو بدل لأنه غيب {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ{65}سورة النمل } , ورسول الله ﷺ إنما يعلم من الغيب ما علمه في حياته , وبعد ذلك لا يدري عنا من غيّر وبدل ومن بقي على الهدي . وهناك في الظاهر حديث يعارض هذا الحديث لو صح وفي صحته كلام , حديث عرض الأعمال على رسول الله ﷺ " إنه إن رأى خيراً حمد الله وإن رأى خلاف ذلك استغفر الله " , هذا الحديث ضعفه كثير من أهل العلم , [ضعفه الألباني رحمه الله , وذكر طرقه في السلسلة الضعيفة برقم (975) , ونص الحديث " حياتي خير لكم , تحدثون ويحدث لكم , ووفاتي خير لكم , تعرض عليّ أعمالكم , فما رأيت من شرا استغفرت الله لكم "] , وعلى فرض صحته إنما يعرف بالجملة لا بالتفصيل . يرجع في هذا البحث إلى شروح الحديث كفتح الباري لتحقيق مثل هذه المسألة خصوصاً في هذه الأيام وقد كثُر العقلانيون والمتأثرون بهم . ينبغي لطلاب العلم أن يدرسوا دراسة فاحصة في كتب السنة وفي كتب العقيدة ؛ لأن الحاجة ماسة اليوم أكثر من كل وقت مضى , فيما مضى الذي يُعارض الإسلام ويحارب الإسلام الكفار, ولا يُنتظر من المسلمين محاربة العقيدة ومحاربة السنة – المسلمون

والكفار كانت هكذا القسمة - أما اليوم ففي داخل المسلمين أعداء للعقيدة أعداء للسنة , الذين يعادون السنة والعقيدة في الكثير الآن من المنتسبين إلى الإسلام , بل من المثقفين والدارسين دراسة عالية يحملون شهادات عالية وهم ضد العقيدة وضد السنة النبوية .

ومجرد الدعوى بأنه يؤمن باليوم الآخر لا يكفي لابد أن يؤمن بكل هذه التفاصيل وبكل ما أخبر به النبي ﷺ من الأمور الغيبية دون أن يعرض ذلك على عقله أو عقل شيخه , يجب الإيمان بالغيب ليثبت إيمانك , بل الإيمان بالله من الإيمان بالغيب .
والأصل أن العقل السليم الصريح لا يخالف النقل الصحيح , هذه القاعدة ألف فيها شيخ الإسلام كتاباً كبيراً مستقلاً (درء تعارض العقل مع النقل) , العقل إذا كان سليماً ولم يتلوث بآراء علماء الكلام والفلسفة لا يكاد يخالف النقل الصحيح .

ولا سبيل إلى معرفة ما يجري بعد البعث , الناس تؤمن بالموت ؛ لأن هذا شيء مشاهد . لكن ما الذي يجري بعد الموت في القبر؟ وما الذي يقع بعد البعث ؟ وهل يقع البعث ؟ وما الذي يجري في عرصات القيامة ؟ هذه الأمور لا يمكن أن يدرك الإنسان بالعقل , لا سبيل وطريق إلى معرفة هذه الأمور إلا من طريق رسول الله ﷺ إما في كتاب أنزله الله عليه أو في سنة أوحاها إليه ﷺ , كما آمنا بالأمور المحسوسة نؤمن بالغيبيات , وعدم الإيمان بما غاب عنا وعن علمنا يتنافى مع الإيمان بالغيب .

وأهل السنة والجماعة الذين يثبتون سنة رسول الله ﷺ والذين يتأسون بالجماعة الأولى يريدون أن يفهموا دين الله بمفهوم الجماعة الأولى التي هي بالجملة معصومة وإن كان أفرادها ليس بمعصوم ؛ لأن النبي ﷺ شهد لها بالخيرية " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " [سبق تخريجه] , الذين يريدون أن يقطعوا صلتهم بالسلف الصالح الجماعة الأولى بأن يوجدوا لهم جماعات معرضين عن الجماعة الأولى , جماعة الصحابة والتابعين وأئمة تابعي التابعين , الذين يُعرِضون عما كانت عليه تلك الجماعة

ويُحدِثون فرقاً وجماعات أخرى بصرف النظر هل الجماعات المحدَثة تتبع الجماعة الأولى أم تخالف .

وأهل الإلحاد في آيات الله وصفاته ينكرون هذه الأمور , فالإلحاد قد يصل لحد الكفر وقد يقف دون ذلك , الفلاسفة كفار سواء من الفلاسفة اليونانيين أو من سموهم بالفلاسفة الإسلاميين , لا فرق بين الفلاسفة اليونانيين أرسطو وأمثاله وبين الفلاسفة الإسلاميين كالفارابي والكندي هؤلاء كلهم فلاسفة , الفلاسفة لا يؤمنون بالنبوات , بل يفضلون حكمائهم على الأنبياء ويسمون كبارهم بالحكماء ويسمون غيرهم بالعوام ولو كانوا من أهل العلم , العمدة عندهم في كل شيء العقل . لا غرابة إذا نفت الفلاسفة هذه الأمور الغيبية ؛ لأنهم لم يؤمنوا بالمصدر نفسه إي بالنبوة , وإنما الغرابة فيمن يدعي الإيمان بالأنبياء ثم يذهب مذهب الفلاسفة في إنكار هذه الأمور كالمعتزلة , وكل من الفلاسفة والمعتزلة لتكونوا على علم موجودون في عالمنا اليوم , بمعنى لا نتحدث عن جماعات وفِرق غير موجودة , ليسوا كالفِرق التي مضت بل الفلاسفة موجودون والفلسفة تُدرس في كثير من الجامعات في العالم العربي والإسلامي وكتب الفلسفة موجودة , والمعتزلة موجودون جميع فرق الشيعة كلهم على طريقة المعتزلة ؛ لئلا يقول قائل أنتم دائما تتحدثون خلاف الواقع وتتركون الواقع , لا نتحدث إلا عن الواقع ومن لم يعلم يسأل , بل دخلت عقيدة المعتزلة على كثير من شبابنا من حيث لا يشعرون من دراستهم للعقيدة الأشعرية ؛ لأن العقيدة الأشعرية متأثرة بعقيدة المعتزلة , القول بخلق القرآن ونفي العلو ونفي الاستواء إنما دخل على الأشاعرة من طريق المعتزلة , إذن كل هذه العقائد المنحرفة موجودة , ونحن لا ننكر العقل ولا ننكر أن العقل محل التكليف , لكن العقل له حد يقف عنده :

وللعقول حدود لا تجاوزها

والعجز عن الإدراك إدراك

هذا كلام عظيم قاله بعض الفضلاء , العقول عبارة عن آلة والعقل نور قذفه الله في قلوب العباد , فجهاز العقل تستعمله لتفهم به عن الله وعن رسوله ﷺ , لكن لا نعارض الله ورسوله ﷺ بالعقل , أما تترك خبر الله وخبر رسول الله ﷺ وتحاول أن تدرك كل شيء بالعقل حتى في الأمور الغيبية . هل العقل يستطيع أن يُحدثك عما في عرصات القيامة – العقل عاجز – وظيفة العقل تصديق خبر الله وخبر رسوله ﷺ إن كان العقل سليماً سَلِمَ من التشويش ومن التلويث بآراء علماء الكلام و الفلاسفة , لما تأثرت المعتزلة بآراء الفلاسفة أنكرت هذه الأشياء , ولما خفَّ تلوث الأشاعرة بآراء الفلاسفة صدقت الأشاعرة هذه الأشياء فوافقت أهل السنة والجماعة , فلا ينكرون عذاب القبر وسؤال القبر وما يجري في عرصات القيامة , وتأثرت الأشاعرة بالفلاسفة ليس مباشرة بل بواسطة المعتزلة , وإن كان أخيراً كما هو واقعنا اليوم قرروا دراسة الفلسفة في كثير من الجامعات في البلاد العربية والإسلامية خارج هذا البلد ؛ ليكون التأثر بالفلاسفة تأثراً مباشراً هذا هو الخطر الذي يهدد شبابنا الذين يدرسون الفلسفة الآن . والعقلانيون ينكرون هذه الأمور تماماً كالمعتزلة والفلاسفة .

وأما عذاب القبر ونعيمه فيدل عليه قوله تعالى في حق آل فرعون { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ{46}سورة غافر } , (يعرضون عليها) أي في البرزخ , الحياة البرزخية هي محل عذاب القبر , البرزخ معناه الفاصل , فهي الحياة الفاصلة بين الحياة الدنيا وحياة الآخرة , أما قوله عن قوم نوح عليه السلام { مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً{25}سورة نوح } , هذه الآية ليست صريحة في عذاب القبر, بل الجمهور على أن المراد هنا (بالنار) نار جهنم نار الآخرة , روى الإمام الشوكاني رحمه الله هذه الرواية بصيغة التمريض قال : وقيل عذاب القبر[فتح القدير 5 / 428] , أي الآية ظاهرة وليست بنص في عذاب القبر بل ظهورها في عذاب جهنم أوضح من

ظهورها في عذاب القبر, وحديث " القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار " [أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (8613) وغيره , قال الألباني موضوع في السلسلة الضعيفة برقم (4990)] , هذا الحديث من حيث الصناعة الحديثية ضعفه بعض أهل العلم , لكن ذكر صاحب المقاصد الحسنة [وهو السخاوي ص (359)] , لهذا الحديث عدة روايات مرفوعة فلم يضعفها ولم يتكلم عليها , والمعنى صحيح .

* « وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه .. المسلمون » / المسلمون الذين لم يتأثروا بآراء الفلاسفة .

* ويلجمهم العرق : يتفاوتون في العرق , كل في عرقه وبعمله , أمر غيبي دقيق يجب الإيمان به كلهم في أرض واحدة في عرصات القيامة , عرق زيد لا يصل إلى عمرو وهكذا , وهناك أناس لا يصيبهم هذا العذاب الذين هم تحت ظل عرش الرحمن " كالسبعة الذين أخبر عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (660) ومسلم برقم (1031)] .

* فتنصب الموازين : أنكر الملاحدة الموازين , بل عبروا بتعبير يدل على خراب القلب , قالوا إنما يحتاج إلى الميزان البقال والفوال . هذا دليل على خراب قلوبهم وعدم تقديرهم لله سبحانه وتعالى حق قدره . إنما تنصب الموازين يوم القيامة عند الله ليُظِهر عدله لعباده يُحاسب الإنسان وتوزن أعماله فيُقرر بنفسه ما ارتكب وما قصر فيه وما فعل , إذ لا يُحكم عليه غيابياً بل يُحضَر فيعلم فيُقِر أنه المقصر وأنه الذي فعل هذا والذي ترك هذا , الله عليم حكيم في تشريعه ووعده ووعيده وخلقه وكل فعل الرب صادر عن حكمه لا عبثاً , ولكن بعض أفعال الرب لا يدرك العباد الحكمة منها , ولا يتوقف الإيمان بالله وبأفعاله بإدراك الحِكم , ونحن نصلي صلوات تتفاوت في عدد ركعاتها , لماذا ما الحكمة

؟ أدركت أم لم تدرك يجب أن تعلم بأن الله ما فوّت بين ركعات هذه الصلوات إلا لحكمة يعلمها ليست عبثاً , كون تنصب الموازين لله في ذلك حكمة ولا يجوز إنكار ذلك ؛ لأن إنكار ذلك يعتبر ردة .

* « فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{102} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ }» / الكفتان ثابتتان أما اللسان , فلم أجد من أثبت اللسان للميزان بقدر ما بحثتُ , فهو حقيقي له كفتين أما اللسان فالله أعلم . ورد في السنة ما يدل على أن الأعمال نفسها توزن كما في الحديث الصحيح آخر صحيح البخاري " كلمتان خفيفتان على اللسان .. " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (6406) ومسلم برقم (2694)] . وورد ما يدل على أن العامل نفسه يوزن كما في قصة ابن مسعود رضي الله عنه " لما كان يجني سواكاً من أراك فوقع على الأرض من الريح لدقة ساقيه فضحك الصحابة رضي الله عنهم عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم علامَ تضحكون ؟ قالوا على دقة ساقيه , قال هما أثقل في الميزان من جبل أحد " [أخرجه أحمد عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رضي الله عنه (7 / 98-99) والطيالسي برقم (355) والطبراني في الكبير برقم (8452) وابن أبي شيبه (12 / 113) وغيرهم , وهو حديث حسن , إرواء الغليل (1 / 104)] وقال في رجل آخر " يؤتى برجل عظيم كثير الشحم ويوضع في الميزان ولا يزن جناح بعوضه " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (4729) ومسلم برقم (2785)] . وهناك نص آخر يدل على الصحائف نفسها التي توزن كحديث " البطاقة والسجلات " [أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (2 / 213) والترمذي برقم (2639) وابن ماجه برقم (4300) وصححه ابن حبان برقم (2524) والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (135) والوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين برقم (1650)] .لا تعارض

بين هذه النصوص كلها يقع هذا وذاك والثالث ولا تعارض من النصوص هكذا يتم الميزان , وبالله التوفيق .

* « وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال .. » / وهي مكتوبة بأيدي الملائكة تنشر على العباد يقرأ كل إنسان بنفسه .
* « فآخذ كتابه بيمينه , وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره » / (أو) هنا بمعنى الواو , أي وآخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره , أي يتناول بالشمال من وراء الظهر .

* « وكل إنسان ألزمناه .. » / منشور يقرأه , لا يحسب الحاسب ولا يظن الظان أن الأمور تنتهي بالموت , بعض العوام يظن إن المشاكل كلها تنتهي بالموت . المشاكل كلها بعد الموت , الموت هو الفاصل بين الحياتين , " من مات فقد قامت قيامته " [أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه (6 / 267) وابن عساكر في تاريخه (37 / 214) وغيرهم , ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (1166) وقال موضوع برقم (5462)] والأعمال مكتوبة منشورة محفوظة , إنما يُسأل العبد لما فعلت لما تركت ؟ لا يُسأل هل فعلت هل قصرت هل صليت ؟ لأنها كلها أحصاها الله وكتبها عليك .
ولا يجوز التردد في الإيمان بأمور المعاد ؛ لأن التردد في جزئية من جزئيات شؤون المعاد يؤدي إلى الردة , بل يجب أن يكون الإنسان على يقين في ذلك .

* « ويحاسب الله الخلائق , ويخلو بعبده المؤمن , فيقرره بذنوبه .. » / يقرره بذنوبه بدون ترجمان ليس بينك وبين الله واسطة أو ترجمان , لا تستغرب الله سبحانه وتعالى ينفرد بكل عبد فيقرره بذنوبه حتى يعترف ويعلم أنه هالك إن لم يأخذ الله بيده , فالله لا يسألهم سؤال استفهام فالله عالم بكل شيء , { ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا

كَانُواْ يَعْمَلُونَ{108}سورة الأنعام } , وإن كان في بعض المواضع يُسألون { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ{24}سورة الصافات } , ذلك سؤال توبيخ وتقريع .

وفي الحديث " من نوقش الحساب عُذِب " [سبق تخريجه] , لما سمعت عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله أوليس الله يقول { فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً{8}سورة الإنشقاق } - هذا سؤال طالب علم - فقال " إنما ذلكِ العرض " [أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها برقم (6536) ومسلم برقم (2876)] ولكن من نوقش الحساب عُذِب وهلك , ومن خفف الله عنه الحساب يكون الحساب في حقه مجرد العرض – عرض الأعمال – فنسأل الله لنا ولكم السلامة .

* ويخلو بعبده المؤمن : الله يستره ويلطف به ويحاسبه فيما بينه وبينه لا يسمعه أحد ولا يطلع أحد لا يطلع العباد على فضائحه وذنوبه , ويقرره بذنوبه فيسأله ألم تفعل كذا كذا , كل مؤمن على حده حتى إذا ظن أنه هلك لكثرة ذنوبه يقول الله " سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم " [أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (2441) ومسلم برقم (2768)] , هذا حديث لا يقال بالرأي ولكن بالسماع , ابن عمر رضي الله عليهما سمع هذا من رسول الله ﷺ كما تشهد لذلك نصوص أخرى . هكذا يثبت أمام الجميع فضل الله وعدله .

* « وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته .. » / كل ذلك كما قلنا لإظهار عدل الرب سبحانه , الكافر سوف يعترف بكفره وبجميع أعماله ثم يجازى بها , فلا يؤاخذون حتى يقرر كل مذنب بذنبه .

* « فإنه لا حسنات لهم .. » / لأنه فقد الشرط الأساسي وهو الإيمان , {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً{19}سورة الإسراء }, هذه الجملة الحالية (وهو مؤمن) يقال الحال وصف لصاحبه قيد لعامله , لا ينفع

العمل إلا بقيد الإيمان ولا يستفيد العامل إلا إذا كان مؤمناً ؛ لذلك أعمال الكفار لا قيمة لها { مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ{18}سورة إبراهيم } , والصحيح أن أعمال الكفار يجازون بها في الدنيا كسعة الرزق وكثرة الولد والتنعم بهذه الدنيا ؛ لأن الدنيا جنتهم فهي " جنة الكفار وهي سجن المؤمن " [أخرجه مسلم عن أبي هريرة برقم (2956)] , إذن يجازى عن هذه الأعمال في الدنيا لا في الآخرة , وقيل يخفف عن الكفار العذاب إما لكثرة أعمالهم التي عملوها في الدنيا وهي غير مقبولة أو بشفاعة الشافعين وهذا يحتاج لدليل خاص , والدليل الذي نملكه حتى الآن في حق أبي طالب فقط بشفاعة النبي ﷺ ؛ لأن أبا طالب قيضه الله للنبي ﷺ فصار له مؤازراً في أول الإسلام ويدافع عنه ويستميت دونه ؛ لذلك الله لم يضيع ذلك الكفاح والمؤازرة والدفاع عن الدعوة الحق ورسول الحق جازاه الله بالتخفيف , وإن كان {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ{48}سورة المدثر} , أي الكفار بخروجهم من النار. أبو طالب كثير من الناس خاصة العاطفيين يزعمون إيمانه , ومن يدعي إيمان أبي طالب فهو مخطئ لعله لم يبلغه هذا الحديث عندما " سُئِل النبي ﷺ كان أبو طالب يدافع عنك هل نفعته بشيء ؟ قال وجدته في قعر النار فأخرجته في ضحضاح من النار يلبس نعلين يغلي دماغه منهما , وهو يحسب نفسه من أشد أهل النار عذاباً وهو من أخف أهل النار عذاباً " [أخرجه البخاري عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه برقم (3883) ومسلم برقم (209)] .

حوض النبي ﷺ ومكانه وصفته :

وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، ماؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَّشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا.

* « وفي عرصات القيامة (الحوض) المورود .. » / العَرَصة : المكان الواسع , اختلف أهل العلم في موضع الحوض : ذكر القرطبي في تذكرته [ص (338)] - لعل ذلك من باب الاجتهاد والاستنباط - أن الحوض يكون في أول عرصات القيامة قبل الحساب وقبل الميزان و قبل الصراط ؛ لأنه إسعاف من رب العالمين للناس الذين قاموا من فورهم عطاشى . وهذا الحوض العظيم الذي" طوله شهر وعرضه شهر " [أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما برقم (6579) ومسلم برقم (2292)] هذا الحوض يزداد عظمة لوجود النبي ﷺ " أنا فرطكم على الحوض " [أخرجه البخاري عن اين مسعود رضي الله عنه برقم (6575) وعن جندب رضي الله عنه برقم (6589) ومسلم عن جندب رضي الله عنه برقم (2290) وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه برقم (2296)], فيسبقهم ﷺ على الحوض فيسقيهم من حوضه لكل من لم يغيّر ولم يبدل ولا عطش بعد ذلك مطلقاً " من شرب منه لا يظمأ بعده أبداً " [أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما برقم (6579) ومسلم برقم (2292)], هكذا يرحم الله عباده إلا من سبقت شقاوته فغيّر وبدل بعد النبي ﷺ هذا الدين ولم يثبت على الصراط المستقيم .
عندما يرد الناس الحوض فيريد النبي ﷺ أن يسقيهم جميعاً تأتي الملائكة تختطف بعض الناس فتطردهم عن الحوض لئلا يشربوا , فيقول النبي ﷺ " أصحابي أصحابي أمتي أمتي " [سبق تخريجه] فيقال له لا تدري ما أحدثوا بعدك , فيقول النبي ﷺ " سحقاً سحقاً لمن بدل وغيّر " [أخرجه البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه برقم (6584) ومسلم برقم (2291)] ؛ لذلك الإنسان يطلب من ربه السلامة من الوقوع بالتغيير والتبديل

ويسأله الثبوت على الصراط المستقيم على هدي رسول الله ﷺ , ويتم ذلك إذا درستَ ما عليه الأولون الذين أخذوا هذا الدين من في رسول الله ﷺ , الصحابة ﷺ ثم التابعون الذين تتلمذوا على الصحابة , يجب أن تعرف كيف كان سيرهم وتسير سيرهم فتسلم بذلك , أما من يريد أن يقطع صلته بالمسلمين الأولين ويتنقصهم ويزعم أنه لا يسعه اليوم أن يقول كما قال الأولون ؛ لأن المتأخرين درسوا من العلوم التي كانت غير معروفة ولا معهودة عند السلف , تجددت علوم فدرسوها فهذه العلوم جعلتهم يخالفون بعض ما كان يقول السلف الصالح ؛ لأنهم فيهم قصور في العلم على زعم هؤلاء , ولا أعلم إلحاداً كهذا الإلحاد وانتقاصا مثل هذا الانتقاص , وهذا يعلن عن نفسه أنه على غير سبيل المؤمنين { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً{115}سورة النساء } , فلينتبه الشباب الذين يدرسون بعض فروع اللغة العربية لا تكبر رؤوسهم , لا يحسبوا أن السلف لم يفهموا , السلف كانوا يجيدون هذه العلوم بدون دراسة على سليقتهم بالنطق فهم أحسن نطقاً من الذين يتكلفون الآن بعد الدراسة وليسوا بحاجة إلى دراسة هذه الاصطلاحات , هذه الاصطلاحات إنما تجددت لما احتاجت الأمة إلى هذه الاصطلاحات , وهي نافعة غير ضارة إلا إذا ركب الإنسان الغرور وانتقص أولئك الذين شهد لهم النبي ﷺ أنهم خير الناس , انتقاص هؤلاء الخيرة ودعوى أنك اليوم أعلم منهم هذا هلاك وأي هلاك .

* « ماؤه أشد بياضاً من اللبن .. » / هذا الكلام ليس من عند نفسه رحمه الله وإنما يروي الأحاديث بالمعنى , صحت الأحاديث في هذه المعاني .

أحاديث الحوض متواتراً رواها بضع وثلاثون صحابياً [البداية والنهاية لابن كثير (19 / 466) , ابن أبي العز شارح الطحاوية ص (199 - 200)] . وقد جاء

في الحديث " إن لكل نبياً حوضاً " [أخرجه الترمذي عن سمرة ﷺ برقم (2560) والطبراني في الكبير (7 / 212) وغيرهم , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1589)] , ذكره شارح الطحاوية , وذكر الذين علقوا على شرح الطحاوية إن هذه الأحاديث هي في الأصل أحاديث ضعيفة , لكن لكثرة الطرق تكون لها أصل , أي في إثبات الحوض لغير النبي ﷺ .

الصراط , معناه ومكانه وصفة مرور الناس عليه :

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمَنْهُم مَن يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسرَ عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم .

* « والصراط منصوب على متن جهنم .. » / ثبوت العبد هنا على الصراط المعنوي بإتباع رسول الله ﷺ وهديه عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقاً واقتصادا وسياسية وفي جميع الشؤون , من وفقه الله السير على الصراط المستقيم هنا وفارق الدنيا على ذلك علامة على أنه سوف يثبت على الصراط الحسي في الآخرة , وتفاوت الناس في لزوم هذا الصراط المعنوي وعدم اللزوم وضعف اللزوم والتمسك الكامل , كل هذا يُعبَر عنه عند المرور على الصراط الحسي كما جاء في الحديث .

والصراط : الطريق الواسع إما حسياً كالطرق التي تمشي بها الناس التي تبلع الناس لسعتها إذا شرعوا فيها , ويستعمل الصراط في الطريق المعنوي وهو ما جاء به محمد ﷺ من دين الله . والصراط : الجسر الممدود على متن جهنم , وهو حق يجب الإيمان به

وتصديقه سواء تصورنا وضعه أم لم نتصور , لا ريب فيه لورود خبر الصادق به , ومن الإيمان برسول الله ﷺ تصديق خبره , جاء أنه " أدق من الشعر وأحد من السيف " [أخرجه مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه برقم (183)] , ليس لقائل أن يقول إذا كان هذا وصفه كيف تمشي عليه الناس وكيف يمرون ؟ وهذه من الأمور الغيبية , موجودات الآخرة تخالف موجودات الدنيا وإنما تتفق معها في الاسم فقط , صراط وصراط , لبن وخمر وماء ؛ لذلك إذا أردتَ أن تؤكد إيمانك بالصراط بهذا الوصف تذكر ما وصف الله وما أعده للمؤمنين في الجنة , هناك أنهار من خمر , وهل تلك الخمر كهذه الخمر ؟ ! وأنهار من عسل , لو جُمِعَ عسل الدنيا كله هل يكّون نهراً واحداً , إذن مادة العسل التي عندنا خلاف مادة العسل التي في الجنة , كذلك اللبن وكذلك الماءِ , كلها حقائق هذه المواد التي عندنا حقيقة وتلك حقيقة , ولكن الحقائق تختلف , كذلك وصف الصراط بما وُصِف به حق ولكن ليس بلازم أن يحيط علمك بكيفية تلك الأشياء .

* « ويمر الناس على قدر أعمالهم في الدنيا.. » / على قدر أعمالهم في هذه الدنيا ولزومهم هذا الصراط .

* « فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق .. » / هؤلاء الموفقون الذين وفُقِوا للسير على الصراط المعنوي في هذه الدنيا .

* « تخطف الناس بأعمالهم » / بسبب أعمالهم .

القنطرة بين الجنة والنار :

فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصَّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّة .

وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ .

* « فمن مر على الصراط دخل الجنة » / استحق دخول الجنة , فدخول الجنة لا يكون إلا بشفاعة النبي ﷺ , ولكنه يُعتبر أنه تجاوز القنطرة , بقيت قنطرة أخرى للتهذيب والتصفية .

* « وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار » / بعض الناس يظن هذا صراطاً ثانياً .

* « فيقتص بعضهم من بعض » / هذا محل اقتصاص , من ظلم ومن أخذ أموال الناس ومن اغتاب الناس ومن عليه حقوق , في هذه المنطقة تُصفى الحقوق .

* « أذن لهم في دخول الجنة » / بشفاعة النبي ﷺ .

* « وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ .. » / النبي ﷺ له أوليات فهو أول من تنشق عنه الأرض (أول من يبعث) , وهو أول شافع وأول مُشفَع , وهو أول من يستفتح باب الجنة , وهو أول من يدخل الجنة , هذه من أوليات رسول الله ﷺ التي يجب أن يحفظها طلاب العلم ليزدادوا إيماناً به ومحبة له ﷺ فمحبته من الإيمان .

والفقراء من أول من يدخل الجنة ؛ لأن حسابهم يسير لقلة المسؤولية المالية ؛ لذلك يتقدمون قبل غيرهم بعد دخول الرسل عليهم الصلاة والسلام .

شفاعات النبي ﷺ :

وَلَه صلى الله عليه وسلم فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ: أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى؛ فَيَشفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ. وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَن لاَّ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَخْرُجَ مِنْهَا.

* « وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات : أما الشفاعة الأولى .. » / هي الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون ويحمدونه فيه ﷺ , فيشفع ﷺ في أهل الموقف ليريحهم من هول الموقف حتى يُقضى بينهم , وهذه الشفاعة بعد أن يتراجع عنها الأنبياء عليهم السلام . طلب الدعاء من الحي الصالح حياة دنيوية أو طلب الدعاء من الأنبياء بعد البعث فهذا توسل وشفاعة , وفيما عدا ذلك لا تُطلب الشفاعة إلا من مالكها { قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً..{44}سورة الزمر } , الآن لا تُطلب الشفاعة من النبي ﷺ ولا يُتوسل به , توسَلَ به من أدركه في حياته , أي طلبوا منه الدعاء . التوسل بالصالحين باقٍ لكن الكيفية كما طلب عمر من العباس رضي الله عنهما أن يدعو الله أن يسقيهم فقال (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك برسولك فتسقنا والآن نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) [سبق تخريجه] فعمر رضي الله عنه يسمي طلب الدعاء من النبي ﷺ توسلاً فهذا هو معنى التوسل بالصالحين . ولو فهمنا موقف عمر رضي الله عنه تماماً وفَهِم المسلمون لتصوروا معنى التوسل بالصالحين وخرجوا من هذا الخلط والخبط . مثل هذا هو الذي يقع يوم القيامة يلهم الله العباد ليطلبوا الدعاء ويستشفعوا ويتوسلوا بالأنبياء عليهم السلام يبدأون بالترتيب الطبيعي بأبي البشر عليه السلام آدم يقولون ألا ترى ما نحن فيه ألا تشفع لنا عند الله , يطلبون منه هذا الطلب فآدم عليه السلام يقول نفسي نفسي لست لها فيحيلهم إلى نوح عليه السلام فيعتذر فيحيلهم إلى إبراهيم عليه السلام ويعتذر ويحيلهم إلى موسى عليه السلام ثم إلى عيسى عليه السلام حتى يصل الأمر إلى رسول الله ﷺ سيد الشفعاء , كل ذلك ليُظهر الله تعالى مكانته وجاهه العظيم , وهو المقام المحمود فيقول النبي ﷺ أنا لها [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (3340) ومسلم برقم (193)] لأن الله أعلمهم بذلك , لكن إذا قال أنا لها كيف يشفع ؟ لتعلم بأن الشفاعة ملك لله ليس لرسول الله ﷺ , الذي يريد الشفاعة يطلب من الله أن يُشفِّع فيه نبيه والأنبياء

والصالحين والشهداء , فيقول اللهم شفع فيّ نبيك محمد ﷺ واجعلني من أهل شفاعته . سأل أبو هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة يا رسول الله ؟ قبل أن يجيب النبي ﷺ عن هذا السؤال العظيم علق تعليقاً قال هكذا كنت أظن يا أبا هريرة لا يسألني هذا السؤال أول منك , ثم قال " أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قبله " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (99) وبرقم (6058)], إذن أهل الإخلاص أهل العقيدة الخالصة والتوحيد السليم والموحدون هم أسعد الناس بالشفاعة , وهنا سبب يسير على من يسره الله عليه يكون سبباً لنيل شفاعة النبي ﷺ من إذا سمع الآذان تابع المؤذن حتى ينتهي ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو للنبي ﷺ فيطلب للنبي ﷺ الفضيلة " حلت له شفاعة النبي ﷺ " [أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه برقم (614) ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما برقم (384)] , ما أيسره لكن ما أكثر غفلتنا عن هذا السبب العظيم الميسر , يزين الشيطان للإنسان يبدأ المؤذن ويبدأ الزميل مع زميله في الحديث يشغله حتى ينتهي المؤذن وربما حتى تقام الصلاة , العاقل يحرص على مثل هذه الأسباب بدلاً من أن يقع في طلب الشفاعة من غير مالك الشفاعة , إذا قال ﷺ أنا لها كيف يشفع ؟ " يذهب ويسجد سجوداً, الله يتركه في السجود زمناً طويلاً ويفتح عليه ما لا يحفظ قبل ذلك كيف يثني على ربه وكيف يدعوه وكيف يتضرع إليه , بعد فترة طويلة يقال له يا محمد : ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع , يقول النبي ﷺ فيحد الله لي حداً (عدد معين من الناس يشفع في هذا العدد) ثم يرجع ويسجد مرة أخرى فيُحد له حداً ومرة ثالثة , هكذا تكرر الشفاعة والاستئذان , فينصرفون إلى فصل القضاء . [أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه برقم (3340) ومسلم برقم (193)] .

* « وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة . وهاتان الشفاعتان خاصتان له » / زد عليها شفاعته في تخفيف العذاب عن أبي طالب , فتكون له ثلاث شفاعات خاصة .

* « وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار.. » / لكثرة ذنوبه وسيئاته كأصحاب الكبائر , وهذه الشفاعة له ﷺ ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم . هذه الشفاعة أنكرها الخوارج والمعتزلة ؛ لأنهم يُوجِبون على الله بزعمهم أن يُدخِل النار من استحق النار ويجب على الله أن يُدخِل الجنة من استحق الجنة . وهذا تطفل من هؤلاء الخوارج والمعتزلة الذين يُلزِمون الله إلزاما ؛ لأنهم لم يقدروا الله حق قدره , من الذي يُلزم رب العالمين ؟! دخول الجنة بمحض رحمته , يقول النبي ﷺ " لن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته " [سبق تخريجه], أعمالنا ليست أثماناً للجنة ودخول الجنة , لا تستحق ذلك , ما هي أعمالنا لتكون ثمناً لتلك السلعة العظيمة الغالية العزيزة (الجنة) . إذن موقف الخوارج والمعتزلة إساءة أدب مع رب العالمين . من يعتقد أن من ارتكب كبيرة لا تنفعه الشفاعة ولا بد أن يدخل النار فهو خارجي ولو كان يعيش اليوم وإن اعتقد أنه إذا دخل النار لا يخرج ويخلد أيضاً خارجي , الخوارج لا توجد فرقة قائمة بنفسها , ولكن توجد فروع تفرعت منهم كالإباضية وبعض من يتطرف ويذهب مذهبهم وهو لا يدري أنه خارجي فهو خارجي إذا اعتقد عقيدتهم يُلحق بهم , والمعتزلة موجودة كما تقدم .

قال ﷺ " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " [أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه برقم (2552) وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه برقم (4310) , صححه الألباني في المشكاة برقم (5598- 5599)] أهل الكبائر لا يُقطع بأنهم لابد أن يدخلوا النار كما يُفهم من كلام بعض أهل العلم , ولكن يقال إنهم تحت مشيئة الله إن شاء عذبهم وهو

مستحقون للعذاب وإن شاء أسعفهم بشفاعة الشافعين وإن شاء عفا عنهم ويفعل الله ما يشاء ولكنهم تحت الوعيد الشديد ؛ لأنهم استحقوا النار فعملوا موجبات النار ولكن إن شاء الله أن يقيض من يشفع لهم وإن شاء عذبهم فطهرهم , فنار الموحدين ليست سجناً وإنما السجن المؤبد نار الكافرين والمشركين بالشرك الأكبر .

ويشفع أيضاً فيمن تساوت حسناتهم مع سيئاتهم كما ذُكِر في باب الشفاعة لترجح حسناتهم على سيئاتهم , وهذه ليست خاصة .

* « ويشفع فيمن دخل النار أن يخرج منها » / إذ لا يبقى في النار من كان في قلبه أدنى أدنى ذرة من إيمان , فيصير مصير الموحدين إلى الجنة . فرسول الله ﷺ يشفع فيمن استحق النار ألا يدخل النار , ويُشفِّعه الله فيهم فيتحولوا إلى الجنة بعد أن استحقوا النار , ويشفع رسول الله ﷺ فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم لترجح حسناتهم على سيئاتهم , ويشفع رسول الله ﷺ بالنسبة لمن لم تنلهم الشفاعة قبل دخول النار ليخرجوا من النار إلى الجنة , فهذه ست شفاعات لرسول الله ﷺ . راجع باب الشفاعة في الصحيحين لتضبط هذه الأنواع من الشفاعات والإيمان بها واجب والتصديق وتُطلب من مالكها وهو الله سبحانه وتعالى .

وهناك نصوص عامة كقوله تعالى { فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ{48}سورة المدثر } , { فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ{100}سورة الشعراء } , والقرآن يبين بعضه بعضا ويفسر بعضه بعضا , ويجمل القرآن أحياناً الحكم في موضع وهذا الإجمال يفسره في موضع أخر , هذه الشفاعة المنفية بالإجمال , هذه النصوص ليست على إجمالها وعمومها بل خُصِصت , الشفاعة المنفية شفاعة الكفار , الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين , والمشرك الذي مات على الشرك الأكبر لا تنفعه شفاعة الشافعين اللهم إلا إذا ثبت أنه قد تنفعه في التخفيف لا في الخروج من النار كما في قصة أبي طالب .

كذلك من الشفاعات المنفية الشفاعة بلا إذن . ومن الشفاعات الشركية كالتي يثبتها

المشركون لأصنامهم , ويثبتها أتباع مشايخ الطرق لمشايخهم فيطلبون منهم الشفاعة مِن الآن كما تعودوا أن يطلبوا منهم الطلبات في الدنيا , قد يكون الشيخ في الشرق والمريد والخليفة والدرويش في الغرب ويناديه من بعيد كأنه يسمعه , أي يمنحه سمعاً كسمع الله وعلماً كعلم الله وقدرة كقدرة الله , يدعوه ليقضي له حاجته وليدفع عنه الضر وليجلب له الخير وليرده إلى بلده إن كان مسافراً , ومما يؤسف له جداً أن يأتي الإنسان حاجاً فيقف بعرفه وينادي شيخه في بلده , يا شيخنا يا سيدنا خذوا بأيدينا فردونا لأوطاننا , لا إله إلا الله , أين الله ؟! هذا هو الكفر البواح , شرك في الربوبية والألوهية معاً . الذي يعتقد أن الشيخ كان معه في سفره سراً وهو جالس في بيته هناك في الحضرة, لكن معه سراً يرافقه في تنقلاته إلى أن يصل إلى عرفه يناديه من هناك ؛ لئلا يصيبه شيء حتى يرجع إلى وطنه , فإذا رجع بتوفيق الله وحفظه لا بحفظ الشيخ ولا بتوفيق الشيخ ينسى رب العالمين – وقد جعل النذر في ماله قبل أن يسافر إن رجع بالسلامة – فيأخذ كبشه فيجره إلى ضريح الشيخ ليذبح للشيخ عند ضريحه ؛ لأنه رجع بالسلامة بحفظ من الشيخ . أين الإسلام قبل أن نقول أين الحج ؟! جمهور المسلمين بهذا المعنى , ما أكثر المسلمين وما أقلهم ! إذا كان المسلم يصل به الفهم في محبة الصالحين واعتقاد كراماتهم إلى هذه الدرجة هذا هو عين الكفر , وربما غلب هؤلاء مشركي قريش الذين كانوا يشركون بالله سبحانه وتعالى , أي يطلبون من أصنامهم وأوثانهم أن يكونوا شفعاء لهم عند الله , لا يعتقدون فيهم أنهم يضرون وينفعون أو يعطون ويمنعون , أي لا يشركون بالله بالربوبية , أبو جهل لم يجهل توحيد الربوبية وإنما جَهِلَ أو تجاهل توحيد العبادة , ولكن جمهور المسلمين الذين ينتسبون للإسلام الذين يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله يجهلون هذا الجهل المخيف المحزن , فعند الشفاعة هؤلاء معتمدون على شيوخهم تماماً اعتماداً كاملاً ؛ لأن الشيخ ربما همس في آذانهم أنه سوف يحملهم على ظهره على الصراط , الشيخ يحمل أتباعه على ظهره , ما أوسع ظهره وما أقواه ! والله المستعان .

وتفسير المقام المحمود أن الله يجلسه ﷺ معه على عرشه تفسير باطل لا يليق , أولاً : الأثر الذي يُنسب إلى مجاهد في معنى الاستواء , إن الله مستوٍ على عرشه أي جالس على عرشه خطأ وغير ثابت , ولو ثبت ما قُبِل ,[ذكر البخاري في صحيحه (مع الفتح) بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة (8 / 509) وذكر ابن كثير في تفسيره (3 / 76 – 82) بعض الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم في تفسير المقام المحمود بأنه الشفاعة العظمى , وضعف الشيخ الألباني أثر مجاهد (مختصر العلو ص (22) , وهناك قول لبعض أهل السنة في تفسير المقام المحمود أنه الجلوس على العرش , السنة للخلال 1 / 234 وما بعدها) , مجموع الفتاوى (4 / 374)] ليس أحد قوله حجة في هذا الباب إلا المعصوم محمد ﷺ , لو قال صحابي قولاً اجتهاداً فأخطأ يُرد خطؤه , ولو قال تابعي فمن باب أولى , لو ثبت عن مجاهد رحمه الله تفسير الاستواء بالجلوس رُدّ هذا التفسير ؛ لأن سلف هذه الأمة أجمعوا أن الله بائن من خلقه ليس فوق عرشه إلا الله , دعوى أن الله يُجلِس نبيه ﷺ معه على العرش دعوى باطله ولو رووا في ذلك أحاديث لما قُبِلت , وأخطر من هذا ما سمعناه هذه الأيام في الدرس السابق من بعض الشباب الذي يروي حديثاً بأن الله على صورة شاب أمرد أو على صورة شخص كذا , من قال إن الله مثل الشاب الأمرد أو الشاب الحسن أو الشاب الملتحي كافر كفراً بواحاً ولو روى في ذلك أحاديث وركب لها أسانيد كالجبال قوة وكالشمس إشراقاً فاعلم بأنها مصطنعه فدمرها بقوله تعالى {.. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{11}سورة الشورى } , { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً{65}سورة مريم } , { وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ{4}سورة الإخلاص } , قرر أهل العلم من علامات الأحاديث الموضوعة أن تأتي مخالفة لنصوص الكتاب وهذه الأحاديث التي كان يقول لي أحد الشباب الأسانيد بين يديك ويمد لي كتاباً , لا تنطلي علينا مثل هذه الدعايات , هذا الكلام ينطلي على إنسان ليس على يقين في عقيدته وفي منهجه , في هذه الأيام

الفتن كثُرت فباستطاعة بعض الناس أن يركبوا أسانيد صحيحة لأحاديث باطلة والعكس حاصل , والذي يعصمك من هذا أن تكون على يقين من عقيدتك وفي منهجك ولا تعتمد على قول زيد وعمرو تأخذ عقيدتك من الكتاب والسنة . ومن باب المناسبة لعلكم تطلعون وتُشَوَشون أخطاء مجاهد رحمه الله وهو تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما الذي يقول (عرضتُ المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره أُوقفه عند كل آية فأساله عنها) مع ذلك اجتهد فأخطأ ففسر قوله تعالى { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ{22} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ{23}سورة القيامة } بأنها تنتظر ثواب ربها [مجموع الفتاوى (20 / 34)] . قال المحققون هذا من أخطاء المجتهدين , ووقع في مثل هذا شريح رحمه الله القاضي المعروف من التابعين حيث أنكر صفة العجب [مجموع الفتاوى (12/ 492) , (20 / 34)], إذا وقع من أفراد من التابعين مثل هذه الأخطاء لا ينخدع طالب علم ثابتٍ في عقيدته ومنهجه بمثل هذا , يتذكر ما قال إمام دار الهجرة رحمه الله الإمام مالك عندما كان يُدرس في مسجد رسول الله ﷺ بجوار الروضة يقوي (كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر) [منهاج السنة النبوية لابن تيميه (3 / 503)] مشيراً إلى قبر النبي ﷺ , مجاهد مع جلالة قدره وسعة علمه وفقهه في كتاب الله يؤخذ من قوله ويرد عليه ؛ لأن إثبات الرؤية بالقيامة ثبت بأحاديث متواترة وبالكتاب والسنة والإجماع , إن اخطأ هو نعتبر خطئاه لكن لا نقول كما تقول الموجه الجديدة بين الشباب إنه مبتدع لا يُترحم ولا يُستغفر له , خطأ طائش يدور بين الشباب هذه الأيام , اخطأ الإمام أبو حنيفه ففسر الإيمان بالتصديق والقول وأخّر الأعمال عن الدخول في مسمى الإيمان , لم يقل له أحد من علماء المسلمين قديماً وحديثاً بأنه مبتدع وأنه لا يُترحم عليه ولا يُستغفر له , اخطأ الذهبي واخطأ البيهقي واخطأ الحافظ ابن حجر واخطأ النووي واخطأ الشوكاني , أئمة خدموا الإسلام وخدموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ , أهل العلم يقولون نرجو أن تكون

أخطاؤهم مغمورة في بحر علمهم وخدمتهم للكتاب والسنة , لم يقل أحد قبل هذه الموجه الجديدة التي تجددت هذه الأيام إنهم مبتدعة , كلام خطير الذي لا يُستغفر له كافر أو مشركاً شركاً أكبر , والذي يقع في الابتداع ولم تكن بدعتهم مكفرة يُعدون من عصاة الموحدين , وعصاة الموحدين بالإجماع يُترحم عليهم ويُستغفر لهم وهم أحوج الناس للاستغفار , كيف لا يُستغفر لهم , يُستغفر لمن إذن ؟ ! أريد أن أقول الأخطاء حصلت من بعض التابعين وتابعي التابعين ومن بعض الأئمة في باب الأسماء والصفات في التأويل , وقبلنا أئمتنا الذين تركوا لنا هذه الثروة العلمية عرفوا أولئك وعرفوا موقفهم وعرفوا أخطائهم , لم يقولوا فيهم ما قال فيهم بعض الشباب اليوم , وكل الذي اذكر أن الإمام أحمد كان يُحذِّر تلاميذه من مجالسة الحارث المحاسبي [طبقات الحنابلة (1 / 234)] ؛ لأن مجالسة من عنده نوع من الابتداع إما في باب الأسماء والصفات وإما في باب التصوف يؤثر في من جالسه وخصوصاً إذا كان يطلب عليه العلم , لا يلزم من هذا إنه لا يجوز الترحم عليه ولا يجوز الاستغفار له , الحارث المحاسبي عالم جليل مع ذلك رأينا الإمام ابن تيميه ينقل من كتبه في كتابه الفتوى الحموية نقولاً , نستنتج من هذا إذا كنتَ تخاف من مجالسة عالم فيه ابتداع لا تجالسه , ولكن إذا كانت له كتب نافعة استفد من كتبه كما استفاد شيخ الإسلام من كتب المحاسبي , وشيخه قبله إمام أهل السنة والجماعة يحذر تلاميذه من مجالسته ؛ لئلا يؤثر فيهم بما وقع فيه من بعض الابتداع في التصوف وعلم الكلام , وعلى كلٍ أيها الشباب أنتم صغار وهناك من هم أكبر منكم سناً وأكثر منكم اطلاعاً وانضج منكم عقلاً عندكم كبار العلماء , من الخطأ أن يستقل طالب صغير برأيه وفهمه وعقله الصغير , فيفتي ويحكم , ربما بعضهم بالغ إذا قال قائل قال شيخ الإسلام هكذا قال ابن القيم كذا قال فلان كذا أو كذا , قال نحن رجال وهم رجال , ونحن لم نستفد بعد من بعض علومهم , هذا الكلام قاله الإمام أبو حنيفه بمناسبة , قال (ما جاء عن الله على الرأس والعين , وما جاء عن

رسول الله على الرأس والعين , وما جاء عن الصحابة على الرأس والعين , وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال) [المبسوط (13 / 23)] فأبو حنيفه قال هذا في زملائه وفي أقرانه من التابعين , لكن هل لتابع التابعين أن يقولوا في التابعين نحن رجال وهم رجال ؟ لا . فلا تتعجلوا تريثوا واستفيدوا من أهل العلم ومن كتبهم , لا يؤدي هذا إلى الحرمان من الاستفادة من كتبهم .

إخراج الله بعض العصاة من النار برحمته وبغير شفاعة :

وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ .

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

* « وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب .. » / أي هذا أمر اتفقت عليه الكتب السماوية كون الإنسان يُحاسب وهناك ثواب وعقاب , وهناك داران الجنة والنار وتفاصيل ما يجري في عرصات القيامة , وما أعد الله لعباده المؤمنين في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر , كل ذلك مذكور في الكتب المنزلة من السماء كلها , أي الإسلام إسلامان عام وخاص , الإسلام العام يُطلَق بالقرينة على كل الأديان السماوية { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ..{19}سورة آل عمران } , ما جاءت به الرسل عليهم السلام كله إسلام , أما الإسلام الخاص وهو الذي جاء به محمد رسول ﷺ الرسالة العامة المهيمنة على جميع الأديان السماوية , فإذا أُطلق الإسلام

بعد أن بُعِث النبي ﷺ بهذه الرسالة العامة ينصرف إلى ما جاء به الرسول ﷺ ولا يُطلَق على الأديان الأخرى إلا بقرينة , أي أصبح الإسلام علماً بالغلبة على ما جاء به رسول الله ﷺ , وإلا فالأديان كلها متفقة في أصول الدين وفي المطالب الإلهية وفي شؤون المعاد , إلا إن الله لحكمة منه جعل لكل أمة شِرعة ومنهاجاً تناسب حياتهم وظروفهم وأزمنتهم وأمكنتهم وإلا فالكتب كلها متفقة على هذا الأصل .

* « من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار .. » / الله لم يخلق الخلق عبث , بل هناك حكمة , وسيرجع العباد إلى الله فيحاسبون ويُسألون . وإنكار الحكمة وصْفٌ لأفعال الرب وتشريعه بالعبث , وهذا مما يُنزه عنه الرب ؛ لذلك يُخطئ بعض المتأخرين من الأشاعرة الذين ينكرون الحكمة في أفعال الرب سبحانه وتعالى , وطالما أمر الله العباد بالطاعة والعبادة ونهاهم , إذن لابد من أن يترتب على ذلك جزاء أو عقاب , وكل يُعامل بعمله { أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ{28}سورة ص } , تحديد الثواب والعقاب لا يدرك إلا بالسمع , والعقول لا تستطيع مقادير الجزاء والعقاب .

* « وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذلك ما يشفي .. » / بعد ما جاء محمد ﷺ ليس لأحد أن يطلب الهدى والعلم بغير شريعته , وإن اتفقت الشرائع السابقة مع شريعتنا أُخِذ ما وافق لكون ذلك موافقاً للرسالة النبوية الآخِرة وإلا فجميع الأديان نُسِخت وبُدِلت وحُرِفت , وقبل التبديل والتغيير نُسِخت " لو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي .. " [أخرجه أحمد عن جابر رضي الله عنه (3 / 87) , حسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (177)] , كل من أدرك النبي ﷺ بعد أن بُعِث لا يسعه إلا الإيمان به وأتباعه – هذا ما استُدِل به على موت الخضر وأنه مات قبل النبي ﷺ , ولو كان حياً لجاءه وأتبعه وبايعه وآمن به , وما لم يحصل شيء من ذلك دل على أن الخضر

مات قبل مبعث النبي ﷺ - وعلى كلٍ لا يجوز الآن اعتقاد أن الأديان كلها حق فينبغي إتباعها هذا خطأ , أما الكتب السماوية صحيح أنها كتب كلها من عند الله ومن كلام الله , ولكن التدين بها وإتباعها وطلب الهدى منها باطل , ومن يرون بأن الأديان كلها كالإسلام هذا تهجم على الإسلام وعدم اقتناع بالإسلام , لا دين يُتبع ولا شريعة تُتبع بعد أن جاء النبي ﷺ بهذه الشريعة ولا نبي يُتأسى به ويُقتدى به ويُتبع إلا هذا النبي الكريم ﷺ . إذن ما معنى إيماننا بالكتب السماوية وإيماننا بالرسل ؟ يجب أن نفهم جيداً معنى إيماننا بالكتب السماوية أن نؤمن بأنها من عند الله وأنها من كلام الله وأنها حق وصدق , ولكن لا يلزمنا إتباعها إلا ما وافق كتاب الله الأخير القرآن , كذلك إيماننا بالرسل نصدق أنهم رسل الله أمناء على وحي الله , الله اجتباهم واصطفاهم وبعثهم إلى الناس , أما كوننا نحاول أن نتبع شريعتهم لا ؛ لأن تلك شريعة نُسِخت ؛ لذلك ما يفعله بعض الناس في بعض الأقطار يسمون عندهم إدارة الشئون الدينية , تشمل الدين الإسلامي والدين المسيحي (الأصح أن يقال النصراني) , أي جهة مختصة كما تبني المساجد تبني الكنائس , هذا خطأ وتخبط في مفهوم الإسلام , وأما كوننا نخدم الأديان الأخرى كما نخدم الإسلام , معنى ذلك لم نؤمن بأن هذه الرسالة هي الرسالة الخاتمة وبأن محمداً خاتم الأنبياء , ينبغي أن يُفهم هذا جيداً .

الإيمان بالقَدَر , ومراتب القدر:

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَينِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ. فَالدَّرَجَةُ الأُولَى :الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ

بِالْخَلْقِ، وَهُمْ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ. فَأَوَّلُ مَا خلقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ :اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِّيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِّيُصِيبَهُ، جفَّتِ الأَقْلامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } ، وَقَالَ : { مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ. وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ.. وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ .

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ؛ إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، مَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ .

وَالعِبادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُم. وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ .وِلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتَهُمْ وَإِرَادَتَهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ | وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن

يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } .

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ (: مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حُكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

* « وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر .. » / فسر الفرقة الناجية بقوله أهل السنة والجماعة , ويقال لهم الطائفة المنصورة , ويقال لهم السلف الصالح , فهذه الألقاب كلها لمِلَقب واحد , الفرقة الناجية التي لا يضرهم من خالفها ولا من خذلها , وتصدق هذه الألقاب للمتبعين لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ , وهم الجماعة وهم الذين صبروا على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

والإيمان بالقدر : يختلف أهل العلم أيهما أسبق القدر أم القضاء ؟ الذي عليه الأكثر القدر هو الأسبق , القدر هو التقدير , إن كان القدر من الفعل قَدَرَ فهو المصدر { وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ..{91}سورة الأنعام } , وإن كان القدر من قدَّر تقديراً فهو اسم مصدر , هذا التقدير يُشبِهه بعض الناس من باب التقريب – لله المثل الأعلى – بعمل الخياط الذي يُقدر القماش قبل أن يفصل فيقطع يقدر تقديراً طوله وسعته ثم بعد ذلك يقطع فيفصل , هذا التقطيع والتفصيل هو القضاء , هكذا يقرب بعضهم , وبعضهم يعكس , على كل الذي يهمنا أن الله علم كل شيء كان وسيكون قبل أن يخلق هذا الكون , علم ثم كتب .

ومراتب القدر أربعة : المرتبة الأولى : العلم السابق بجميع المخلوقات , عَلِمَ الله أزلاً فيما مضى من غير ابتداء – بأن الله هو الأول الذي ليس قبله شيء – عَلِمَ كل ما سيكون من خير وشر ونعمة ونقمة وصحة ومرض وفقر وغنى وكفر وإيمان وطاعة ومعصية , ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ وهذه المرتبة الثانية من مراتب القدر , ثم شاء

الله بمشيئته العامة وقوع ذلك , أن تقع هذه الأشياء كما علم وكتب فهذه المرتبة الثالثة , أما المرتبة الربعة : الإيجاد والخلق على ما عَلِمَ وكتب وشاء , خلق وقدَّر وأوجد , ولا يلزم من ذلك أن كل ما يخلقه الله ويُوجده في هذا الكون أنه محل رضا الله سبحانه وتعالى , يخلق الشر والخير والكفر والإيمان والطاعة والمعصية بعلمه تعالى وتقديره ومشيئته , ما كان من إيمان وطاعة فهو محل رضا الرب سبحانه , وكل ما كان من كفر معصية فهو محل سخطه تعالى , هذا ما يسمى (سر القدر) , سر القدر الذي قال عنه علي بن أبي طالب ﷺ وغيره (القدر سر الله فلا نكشفه) [شرح الطحاوية لابن أبي العز ص (225)], أي لا نحاول كشفه ولو حاولنا ما استطعنا , لو حاول الإنسان لماذا خلق الله الخير والشر , لماذا خلق إبليس ؟ خلق جبرائيل وبمقابلة خلق إبليس , خلق المؤمنين وخلق الكفار , يسّر للمؤمن الإيمان والطاعة وخذل الكفار وأمسك عنهم التوفيق فوقعوا في الكفر والعصيان , لماذا كل هذا ؟ لحكمة يعلمها ولا نعلمها , ولكن لو تصيدنا من الواقع قد ندرك الحكمة ؛ لأن الله سبحانه قادر على أن يجعل الناس جميعاً مؤمنين مطيعين وأن يجعل عندما بعث النبي ﷺ كفار قريش أجمعين مؤمنين مطيعين مرة واحدة دون معارضة ودون مخالفة , ولكن لله حكمة . لو لم يخلق إبليس بمَ تجاهدون ؟ أنتم الآن تطيعون الله بمجاهدة النفس الأمارة بالسوء ومجاهدة ومخالفة وعصيان الشيطان , خلق الله الكفر والكافرين فشرع لنا الجهاد , وجعل لمن يجاهدهم فيقاتلهم مخلصاً له الدين درجة ليس بعدها درجة بعد النبوة جعلهم أحياء يرزقون عند ربهم , هذا ما يمكن أن يُدرِك الإنسان كما يستنبط بعض أهل العلم من الواقع , ولكن الحكمة الدقيقة لا يعلمها إلا الله , ما أدركنا الحكمة ازددنا بإدراك الحكمة الإيمان وما خفي علينا سلمنا الأمر لله , علمنا القليل الضعيف المحدَث لا يحيط بجميع المعلومات والذي علمه يحيط بجميع المعلومات هو علم الله وحده سبحانه :

وللعقول حدود لا تجاوزها والعجز عن

الإدراك إدراك

* « وبالإيمان بالقدر على درجتين .. » / هذا أسلوب جديد عند شيخ الإسلام , مراتب القدر هكذا ساقها .

* « بعلمه القديم .. » / لا نقول إن الله لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها , كيف خلقها وهو لا يعلمها ؟! حتى عقلاً مستحيل , يجب أن تعلم أن الله علم جميع الأشياء ثم خلقها , وصف العلم بأنه قديم وأحياناً وصف الله بأنه القديم هذا من باب الإخبار [مجموع الفتاوى (9 / 301)] , لا لأن القديم من أسماء الله , باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات , يقال لله في باب الإخبار بأنه قديم وأنه صانع هذا الكون , ويقال متكلم ويقال مريد فهي ليست من باب الأسماء .

* « الدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى عليم بالخلق .. أزلاً وأبداً .. » / أزلاً في الماضي : الذي لا نهاية له , أبداً : في المستقبل أبد الآبدين الذي لا نهاية له , فليس الأمر أُنفاً أي مستأنفاً , بل معلوم عند الله كل شيء . ثم كتب الله : المرتبة الثانية .

* « فأول ما خلق الله القلم قال له اكتب .. » / " قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء .. " [أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما برقم (2653)], عندما أمر الله القلم أن يكتب هذه المقادير , عرشه على الماء مخلوق وموجود على الماء , وكما قال " أول ما خلق الله القلم قال له اكتب , قال ما اكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة " [أخرجه أحمد عن عبادة بن الصامت ﷺ (5 / 317) والطيالسي برقم (578) وأبو داوود برقم (4686) والترمذي برقم (2244) وأخرجه البيهقي موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما (9 /3) وغيرهم , صححه الوادعي في الجامع الصحيح

في القدر برقم (134) والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (133)] . يختلفون في إعراب (أولَ) ما إعرابه ؟ من أعرب أول على أنه منصوب على الظرفية والعامل فيه قال , وقد روي بالرفع على أنه مبتدأ وخبره القلم , رواية الرفع تدل على إن القلم هو أول المخلوقات , والخلاف في مثل هذا غير ضار ؛ لأن الاحتمال قائم ولا يضر المرء أن يعلم هل أول المخلوقات العرش أو القلم ؟ لا يضره ذلك , ورجح ابن القيم رحمه الله أن العرش خُلِق أولاً , وقد اختار غيره أن القلم أول ما خُلِق , وقد أخذ ابن القيم ترجيحه من قوله [وكان عرشه على الماء] ؛ لذلك قال :

والحق أن العرش قبلُ　　　لأنه وقت الكتابة

كان ذا أركان [النونية]

لا حظوا إن شيخ الإسلام يسوق في هذه الرسالة معاني الأحاديث , أي كأنه يروي الأحاديث بالمعنى , كل هذا ليس من ألفاظه ولكن كلام يصاغ من معاني الأحاديث الصحيحة .

* « اكتب .. فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه » / كُتِب أن فلاناً يُخلق ويؤمن ويطيع فيعيش سعيداً فيموت سعيداً فيكون من أهل الجنة , كل ذلك مكتوب , وفلان يُخلق ويكفر ويعيش شقياً ويموت شقياً فيدخل النار , ما أصاب الإنسان في علم الله لم يكن ليخطئه , وما أخطأه في علم الله أي لم يعلم الله أنه يصيبه لم يكنه ليصيبه , إذا علم العبد هذه الحقيقة وأن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن وبقي على ذلك بقية حياته إلى لحظة الموت , هذا المؤمن بالقضاء والقدر وهي السعادة , يكفي في باب الإيمان بالقضاء والقدر هذا القدْر؛ لأن هذه المسألة ليست مسألة خاصة بطلبة العلم , هذا إيمان بركن من أركان الإيمان , وليس للعامي أن يعلم التفاصيل بل عليه أن يعلم أن ما أصابه في علم الله لا يخطئه وما أخطأه في علم الله لا

يصيبه وأن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن , من رزقه الله الإيمان بهاتين الجملتين آمن بالقضاء والقدر وكفى , وليس عليه أن يبحث بعد ذلك في التفاصيل .

* « جفت الأقلام وطويت الصحف » / أي أن الأمر منتهي .

* « ألم تعلم أن الله يعلم .. في كتاب .. » / المرتبتان هنا : العلم والكتابة .

* « إن ذلك على الله يسير » /عِلم ذلك وكتابة ذلك على الله يسير.

* « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا أنفسكم إلا في كتاب » / في اللوح المحفوظ .

* « من قبل أن نبرأها » / من قبل أن نخلق تلك المصيبة أو النفس , والمعنى واحد .

هكذا يبين القرآن مراتب القضاء والقدر .

* « وهذا التقدير .. ما شاء » / ما شاء أن يكتبه حتى تقوم الساعة , كل ذلك مكتوب ؛ لذلك على الإنسان ألا يعتب بل عليه أن يسلم , وإذا أراد أن يغضب على ما يقع عليه يجب أن يتذكر بأن ذلك مكتوب فيسلم لله .

* « شقي أم سعيد » / " السعيد من سَعِدَ في بطن أمه , والشقي من شقي في بطن أمه " [أخرجه البزار في كشف الأستار عن أبي هريرة رضي الله عنه (3 / 23) , صححه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين برقم (410)] , هذا هو التقدير الخاص , أي كل ذلك كُتِب عليه , والمرء لا يُدرك ذلك ؛ لذلك ليس له أن يحتج بالقدر ؛ لأنه لا يعلم هل كُتِبَ سعيداً أو كُتِبَ شقياً [إنما الأعمال بالخواتيم] , إذا علمنا فيما يظهر لنا من ختم الله له بحسن الخاتمة رجونا له خيراً " من مات على خير عمله فأرجوا له " [تقدم] , ومن مات على سوء خشينا عليه , لكن ليس لنا أن نحكم لأحد لا بالجنة ولا بالنار إلا من شهد له النبي ﷺ , نحن موقفنا الخوف والرجاء نرجو للمحسن ونخاف على المسيء .

قال تعالى{ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ{222}سورة البقرة } , كلمة التوابين من صيغ المبالغة , يحب المكثرين من التوبة ؛ لأن الله يعلم أنهم سوف

يقعون في المعاصي كثيراً , إذن الذين يرجعون دائماً كلما يعصون يرجعون إلى الله .
ينبغي أن يدرس طلاب العلم في هذا الباب بعض كتب ابن القيم التي أجاد فيها إجادة في هذا البحث العظيم كطريق الهجرتين [1 / 355 وما بعدها] ومفتاح دار السعادة [1 / 444 وما بعدها] حتى يطمئن قلب المؤمن إلى الله لا يكون متذبذباً يتبع كل ناعق .

* « فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية .. » / الذين ينكرون هذا القَدَر قليل اليوم إلا أن بعض الناس يقعون في ذلك جهلاً منهم .
القول بأن الله يخلق الخير فقط لا يخلق الشر في زعمهم أنهم يريدون التنزيه قول على الله بغير علم وإثبات خالق غير الله , الخالق هو الله وحده خالق الخير والشر كما يخلق الخير لحكمة يخلق الشر لحكمة . وكل الأحداث التي تقع في هذا الكون وخصوصاً أحداث كثيرة الآن وفتن , كل ذلك بعلم الله وكتب عنده فلابد أن يقع , ولكن على العباد أن يجمعوا بين الإيمان بالقدر وبين الإيمان بالشرع , تؤمن بالقدر وتعمل بالشرع , شرع لك أن تطيع ولا تعصِ أن تؤمن ولا تكفر أن تفعل الخير ولا تفعل الشر ؛ لذلك كان للإمام الشافعي أبيات يترنم بها في خلوته :

ما شئتَ كان وإن لم أشاء وما
شئتُ إن لم تشاء لم يكن

خلقتَ العباد على ما علمت ففي
العلم يجري الفتى والمسِن

على ذا مننتَ وذا خذلتَ وهذا
أعنتَ وهذا لم تعن

وهذا شقي وهذا سعيد وهذا قبيح

وهذا حسن

فعليك أن تؤمن وعليك أن تطلب من الله أن تكون سعيداً " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " [أخرجه البخاري عن علي رضي الله عنه برقم (6605) ومسلم برقم (2647)] , " إنما الأعمال بالخواتيم " [أخرجه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه برقم (6607)] , هكذا يعيش المرء مع الله خائفاً طامعاً حذراً .

القدرية بالنسبة إلى نفي القدر, وقد تطلق القدرية على الذين يبالغون في إثبات القدر وهم الجبرية كما سيأتي مثل معبد الجهني وغيلان الدمشقي فكانوا ينكرون القدر فكانوا ينكرون علم الله السابق والكتاب السابق وأن الأمور لا تُعلم عند الله إلا بعد إيجادها وإنما يعلم الله بالجملة المخلوقات بعد أن يوجدها , ولم تكن والمقادير والموجودات معلومة مكتوبة عند الله , ومنكر هذه المرتبة كافر , أولاً : لأنه أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة – وهذه قاعدة كل من ينكر معلوماً من الدين بالضرورة كافر – [المغني لابن قدامه (8 / 131)] , العلم الضروري الذي لا يستطيع الإنسان أن يدفع عن نفسه ويُدعى فيه الجهل بأن الله عليم بكل شيء وأن الله عَلِمَ ما كان وما سيكون قبل أن يكون وأن ذلك مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ , كل مسلم متعلم أو غير متعلم يعلم بالجملة هذا العلم الضروري . ثانياً : لأنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف , إذا أُطلِق الإجماع فهو إجماع السلف , والإجماع الذي يكون حجة هو إجماع الصحابة والتابعين ؛ لأن بعد عصر التابعين تفرق المسلمون في أنحاء الدنيا لا ينضبط الإجماع بعد ذلك , إنما الإجماع الذي ضُبِط وعُلِم إجماع الصحابة رضي الله عنهم عندما كانوا مجتمعين في المدينة وما يقرب من المدينة ويتبع ذلك إجماع التابعين , أما بعد التابعين لا إجماع , أي لا يُحتج بالإجماع بعد ذلك ؛ لأنه من الصعوبة بمكان ضبط الإجماع بعد أن توسعت الفتوحات الإسلامية وتفرق المسلمون في إنحاء الدنيا ؛ لذلك

نص شيخ الإسلام في بعض كتبه على أن الإجماع الذي هو حجة وهو أحد أصول الإسلام إجماع الصحابة , وقد فطر الله العباد على ذلك أن الله يعلم كل شيء , فهذا هو السر في تكفير من أنكر هذه الدرجة والمرتبة من القدر .

* « أما الدرجة الثانية فهي مشيئة الله النافذة .. ما شاء الله كان .. » / كان هنا تامة وليست ناقصة , الفعل (كان) إذا كان يرفع وينصب يقال لها كان الناقصة كان زيد قائماً , وإن كان يكتفي بالمرفوع يقال كان التامة , و(كان) هنا تامة بمعنى بأن ما شاء الله كان , أي وقع وحصل ووجد , ما شاء الله وقع وحصل ووجد وما لم يشاء لم يكن ولم يوجد ولم يحصل .

* « وأنه ما في السماوات وما في الأرض .. » / ليس هناك خالق آخر يخلق ويوجد ويخترع ويُحدِث . * «

الموجودات » / إنما وجدت بقدرته تعالى ومشيئته .

* « المعدومات » / إن أراد الله إيجادها وُجِدت وإن أراد عدم وجودها لم توجد .

* « لا خالق غيره , ولا رب سواه » / الخالق والرب هنا بمعنى واحد , والرب هو الخالق المربي المستحق للعبادة .

* « وطاعة رسله » / { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ ..{64}سورة النساء } , والإذن هنا الإذن الشرعي لا الإذن الكوني , لو كان ذلك الإذن الكوني ما عصاهم احد , وللرسل طاعة مطلقة .

* « وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين .. » / بعد أن يخلق ويوفق من يشاء , فيؤمن فيعمل بطاعته فيحبه سبحانه وتعالى ؛ لأنه له حكمة في توفيق من يريد أن يوفقه , وله حكمة في عدم توفيق من لم يوفق , فإذا أراد الله كوناً أن فلاناً يؤمن

فأمره بالإيمان ووفقه اجتمعت في هذا المؤمن الإرادة الكونية والإرادة الشرعية . وتجتمع الإرادتان في إيمان المؤمن وطاعته , أي علم الله وكتب عنده أن أبا بكر يؤمن فيبادر بالتصديق , الإرادة الشرعية تستلزم الأمر والمحبة , أي أمره الله فوفقه فآمن فأحب الله إيمانه وطاعته , اجتمعت فيه الإرادة الكونية الأزلية التي هي بمعنى المشيئة والإرادة الشرعية الدينية . والتفريق بين الإرادتين أمر مهم جداً , من لا يفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية يتخبط في هذا الباب وهو ما وقعت فيه الأشاعرة . أما الإرادة الكونية هل تنفرد ؟ نعم , انفردت الإرادة الكونية بمعنى المشيئة العامة في كفر أبي لهب علم الله أزلاً وكتب عنده أن أبا لهب لا يؤمن ولا يطيع , ذلك سبق في علم الله وكتب عنده ومع ذلك أمره الله بالإيمان بالنبي ﷺ فيطيعه فأبى , ولم تتحقق فيه الإرادة الشرعية , أي لم يطع وعصى , بمعنى مراد الإرادة الكونية لا يتخلف أبداً لابد من وقوعه , ومراد الإرادة الشرعية قد يتخلف , فأمر الله الناس جميعاً بالإيمان منهم من امتثل فآمن فاجتمعت في حقه الإرادة الكونية والشرعية , ومنهم من عصى ولم يطع فانفردت في حقه الإرادة الكونية , أي ما علم الله وقوعه يجب أن يقع وما علم الله عدم وقوعه لا يقع ومع ذلك بعد أن خلق العباد أرسل إليهم رسلاً فأمرهم بالإيمان وبالطاعة ثم بعد هذا إنما يؤمن العباد فيطيعون بتوفيق الله تعالى .الله خلق جبرائيل النفس الطيبة كما أنه هو الذي خلق إبليس النفس الخبيثة كل ذلك بمشيئة الله العامة وقدرته , لكنه لا يحب إبليس وجنوده وأعمالهم فهو يخلق ويُوجِد ما لا يحبه , ويحب ما لا يشاء وجوده وحصوله كمحبة إيمان الكفار وطاعة الفجار وإيمانهم , لم يقع وهو محبوب عند الله لو وقع . هنا يأتي سؤال : لماذا وفق زيداً ولم يوفق عمراً ؟ هذا السؤال الذي تفرقت من أجله الخلائق , أي دخول في سر القدر , لله حكمه في أن وفق أبا بكر من أول وهلة فآمن وبادر بالتصديق فأطاع وله سبحانه حكمه في عدم إيمان أبي لهب وأبي جهل وأمثالهما وعصيانهما , هل إذا لم يوفقهما ظلمهما ؟ الجواب لا . من المظلوم ؟ من مُنِع

حقه , فيكون الإنسان ظالماً إذا منعك حقك , لكن لو منعك الإنسان فضله هل تتهمه بأنه ظلمك , له مال أمسك ماله لم يعطك ليس بظالم , الله سبحانه إذا وفق من وفق حتى يؤمن ويطيع ذلك فضل منه ليس بواجب عليه , فضل منه , لكن إن أمسك هذا الفضل عن بعض الناس لا يسمى ظالماً وليس للعباد حق واجب على الله وهو المالك المتصرف في مملكته سبحانه وتعالى لا أحد يعترض عليه , ومع ذلك كله لا يخلو فعله وتوفيقه وخذلانه لمن خذله لا يخلو من حكمه ؛ لأن من أسمائه العليم الحكيم .

* « ويرضى عن الذين آمنوا » / يوفقهم فيرضى عنهم .
* « ولا يحب الكافرين » / لم يوفقهم فخذلهم ولا يحب الكفر والكافرين .
هكذا قسم الله العباد قسمين وفق من شاء وخذل من شاء حكمه يعلمها ولا نعلمها .

* « والعباد فاعلون حقيقة , والله خالق أفعالهم » / هذا يسمى باب أفعال العباد – وفي صحيح البخاري باب أفعال العباد – أو باب أفعال الله كلها بمعنى واحد , فأفعال العباد تضاف إضافتين : تضاف إلى العباد من باب إضافة المسبَب إلى السبب ؛ لأن العبد هو السبب والعمل المسبَب , فالعبد هو الذي صلى وهو الذي صام وهو الذي أحسن وهو الذي أساء , ويقال أفعال الله ؛ لأن الله هو الخالق , خالق للعباد وخالق لأفعالهم . والله خلق العباد وخلق لهم القدرة والإرادة والاختيار والمشيئة ومكّنهم من العمل , فالعباد هم الذين باشروا وفعلوا باختيارهم ومشيئتهم .

والله أمد المؤمنين بالأسباب حتى تمكنوا من الإيمان والعمل الصالح وصرف عنهم الموانع من النفس الأمارة بالسوء والشياطين التي تمنعهم من الإيمان والعمل الصالح كل ذلك تفضلاً منه لا وجوباً عليه " اعملوا فكل ميسر لما خلق له .. " [سبق تخريجه] ,

فمن خلقه الله للجنة يسره لأعمال أهل الجنة وفقه إلى ذلك ومات على ذلك , ومن خلقه للنار خذله ولم يوفقه لأعمال أهل الجنة , بل يُسِّر لأعمال أهل النار فدخل النار , فلا يتصور الظلم من الله عقلاً وشرعاً سبحانه كما تقدم .

ما للعباد عليه حـق واجب كلا ولا
سعي لديه ضائع
إن عُذِبوا فبعدله وإن نعمـوا فبضله
وهو الكريم الواسع

كل ذلك لا يمنعك الطلب , بل واجب عليك الطلب وفتح الله لك باب الطلب ؛ لذلك يجب على العبد أن يطلب من الله الثبات وحسن الخاتمة " الدعاء هو العبادة " [سبق تخريجه] .

* « والعبد : هو المؤمن , والكافر , والبر , والفاجر » / المؤمن هو الموصوف بأنه مؤمن , آمن باختياره دون أن يجبره أحد على الإيمان , وكل ما في الأمر الله وفقه فضلاً منه , دُعيَ ووجه ثم وُفِق فآمن .
* والكافر : أُمِر بالإيمان فأبى ولم يوفقه الله فبقي كافراً .
* البر والفاجر : هذه أوصاف للعباد , بمعنى لم يكونوا مجبورين على ذلك , فالعبد فاعل حقيقة , وإذا سمعتَ من يقول العبد ليس بفاعل حقيقة والفاعل الحقيقي هو الله والعبد مجبور, هذه طريقة الجبرية التي غلت في إثبات القدر وسلبت العبد إرادته وقدرته , ولكنه كالريشة في مهب الريح يتحرك بدون اختياره , هذه القدرية توجد في مجتمعنا توجد بصوره غير واضحة وهي ما يسمى بكسب الأشعري , الأشاعرة لا يعلنون بأنهم جبرية ولكنهم كسبية , أي يثبتون للعبد الكسب , ولكن يوافقون الجبرية بأن العبد ليس هو الفاعل الحقيقي . فمن الذي صلى وصام وسرق , تنسبون هذه الأفعال إلى من ؟! إذا

قلتم إن الفاعل الحقيقي هو الله يلزمكم أن تنسبوا هذه الأفعال كلها إلى رب العالمين – حاشا– , وكل إنسان يحس عندما يصدر منه فعل , خيراً أو شراً يحس أنه يصدر منه هذا الفعل باختياره وليس بمجبور .

* « وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية .. » / وقد دخلت هذه العقيدة إلى بعض جامعاتنا , استمعتُ إلى شريط يقول فيه الدكتور للطلاب الفاعل الحقيقي هو الله والعبد ليس له فعل , سمعتُه في هذا البلد مع هذا الانفتاح واستقدام الدكاترة دخلت الأشعرية الجبرية من حيث لا يشعر المسئولون عن الجامعات ؛ لأنه في الغالب الكثير المسئولون عن الجامعات غير دارسين لهذه العقيدة وإنما على الفطرة كشبابنا تماماً , يأتي الأستاذ ويقف أمام الطلاب ويظهر لهم تقدير الله حق قدره فيقول الله وحده هو الفاعل الحقيقي والعبد لا فعل له ويُسلِّم الطالب . ولكن لو قيل أنتَ عندما أتيتَ من منزلك راكباً سيارتك دخولك الفصل ووقوفك أمام الطلاب أليس فعلك ؟ الطالب لا يقوى أن يسأل هذا السؤال ؛ لذلك الجبرية متناقضة , إذا تعبتَ مع الجبري الطمه لطمه , وقل له هذا ليس فعلي لا تلُم , إن عاتبك فقد حُجِج وإلا عليه أن يُسلِّم .

والسر في ضلال القوم لم يستطيعوا أن يُفرِّقوا بين إثبات الاختيار للعبد في فعله ومشيئته وبين ما دلت عليه النصوص من عموم خلق الله ومشيئته , فخصصوا النصوص فجعلوا أفعال العباد غير داخلة في خلق الله , فهم أسوء حالاً من المجوس الذي أثبتوا خالقاً مع الله وهؤلاء أثبتوا خالِقِين بلا حساب مع الله من الإنس والجن والملائكة , جاء في الحديث مرفوعاً وموقوفاً " القدرية مجوس هذه الأمة " صح الحديث مرفوعاً , [أخرجه أبو داوود عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (4677) والبيهقي في السنن (10 / 203) وغيرهم , قال الألباني (إسناده ضعيف لكن له طرق يتقوى بها) ظلال الجنة في تخريج السنة برقم (338- 342)] .

حقيقة الإيمان , وحكم مرتكل الكبيرة :

فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ .وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ .

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : { فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ } ، وَقَالَ: { وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ | إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ }.

وَلاَ يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمِ الإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ. بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَان؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: { فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} ، وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى } :إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}، وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ .(وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.

* « ومن أصول أهل السنة والجماعة » / في هذا المبحث في غاية الأهمية قد ضل في هذا المبحث خلق كثير وزلت الأقدام ولا يزالون يضلون إلا من عصمه الله وقليل ما هم .

* « أن الدين والإيمان قول وعمل .. » / هذا التركيب في النفس منه شيء ونحن لم نُتعبد بالألفاظ , ولكن العبارة المعروفة عند أهل السنة والجماعة يتألف من ثلاثة عناصر : العنصر الأول المهم :عمل القلب , العنصر الثاني : قول اللسان , العنصر الثالث : عمل الجوارح . إذن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل الجوارح , هذا الكلام المختصر والمأثور عن السلف . وكُتب شيخ الإسلام نُسخِت عدة مرات وكُتِبت ونُقِلت ؛ لذلك نجد أخطاء كثيرة في المجموع الكبير مجموع الفتاوى أخطاء في الألفاظ , طالما الإنسان على يقين في عقيدته وفي منهجه , الألفاظ تُصحح , وعلى كلٍ الإيمان عند أهل السنة والجماعة أو على الأصح عند جمهور أهل السنة والجماعة يتألف من هذه العناصر الثلاثة , وإنما قلتُ جمهور أهل السنة والجماعة ؛ لأن من أهل السنة والجماعة من خالف الجمهور وجعل الإيمان إما مجرد التصديق أو التصديق والقول معاً كما عليه الإمام أبو حنيفة وأصحابه كما سيأتي إن شاء الله , فالأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان , هذا الذي قاله الإمام أبو حنيفة وأصحابه وأخطئوا في ذلك , ويعتبر ذلك من خطأ المجتهدين لا ينفيهم ولا يخرجهم من كونهم من أهل السنة والجماعة , مِن أهل السنة والجماعة أخطئوا في بعض الجزئيات , أهل السنة والجماعة ليسوا بمعصومين إلا في جملتهم فهم على الحق , ولكن يوجد من أفرادهم أخطاء , أبو حنيفة من التابعين وقبله شريح وقبله مجاهد تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما الذي عرض المصحف من أوله إلى آخره على ابن عباس يوقفه عند كل آية ويسأل ومع ذلك اخطأ ؛ لأنه ليس بمعصوم . والناس في هذا الباب أي أهل السنة أي إذا تركنا المبتدعة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ,

أهل السنة أنفسهم انقسموا إلى قسمين : في تعريف الإيمان , أي إدخال الأعمال في مسمى الإيمان .

القول المشهور عند جمهور أهل السنة والجماعة وهو القول الذي تؤيده الأدلة من الكتاب والسنة إن الإيمان يتألف من أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقول اللسان , هذا هو الصحيح الذي يكاد يكون محل إجماع لولا ما ذُكِر عن الإمام أبي حنيفة وهو إمام من الأئمة المشهود لهم بالإمامة ذُكِر عنه قولان اثنان , القول الأول أنه مجرد التصديق والقول الثاني قول باللسان واعتقاد بالقلب , هذا هو المشهور, وينكر شيخ الإسلام ابن تيميه غير هذا القول , أي لا يثبت عن الإمام أبي حنيفة القول بأنه مجرد الاعتقاد أو مجرد التصديق [مجموع الفتاوى (7 / 180 - 297)] , ولكن الثابت عنه الإيمان هو الاعتقاد والأقوال , أي أعمال القلوب مع قول اللسان ولا يُدخِل الإمام أبو حنيفة الأعمال في مسمى الإيمان , أي لا يجعل الأعمال ركناً في الإيمان ولكنه يجعل الأعمال شرطاً في صحة الإيمان ؛ لذلك وضح الإمام ابن تيميه في كتابه الإيمان الكبير [ص (171)] بأن الخلاف بين الإمام أبي حنيفة وبين جمهور أهل السنة والجماعة خلاف لفظي ليس خلافاً جوهرياً ؛ لأن الإمام لم يُهدر الأعمال كما أهدرت مرجئة أهل الكلام بل اعتبر الأعمال شرطاً , إذا قال الجمهور الأعمال جزء من الإيمان وشطر من الإيمان , وقال الإمام الأعمال شرط في الإيمان , ما هو محصل الخلاف ؟ خلاف لفظي , كاختلاف الفقهاء مثلاً في النية في الصلاة : من أهل العلم من يجعل النية ركناً من أركان الصلاة , ومنهم من يجعلها شرطاً من شروط الصلاة , أليس الخلاف لفظياً ؟ الكل يُطالَب بالنية ولا تصح الصلاة إلا بالنية كذلك هنا , إذا قال الإمام ومن ومعه من فقهاء الكوفة وعليه أكثر الأشاعرة بأن الأعمال شرط في صحة الإيمان وليست الأعمال شرطاً أي جزءً من الإيمان أصبح الخلاف لفظياً لا يؤثر ؛ لذلك لو قال قائل بأن هذا التعريف الإيمان يتألف من أعمال القلوب والجوارح واللسان وهو محل إجماع لم

يبعد النجعة لم يذهب بعيداً , لكن يجب أن يُفهَم بأن الذي يدعي الإجماع في هذا إنما اعتبر الخلاف خلافاً لفظياً ولا يُنكَر وجود الخلاف اللفظي , وإنكار وجود الخلاف اللفظي غير وارد وغير موجود وغير واقعي , وهذا الذي عليه أهل العلم قديماً وحديثاً , مذهب الإمام أبو حنيفة معلوم , والذي عالج المسألة باهتمام وبعلم وبتحقيق هو الإمام ابن تيمية في كتاب يكاد أن يخصص الكتاب في هذا المبحث , أي توسع فيه جداً في كتابه الإيمان وهو المجلد السابع في مجموع الفتاوى .

أول من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص حماد بن أبي سليمان وكثير من فقهاء الكوفة , وإنما يُنسب هذا المذهب للإمام أبي حنيفة لشهرته ؛ لأنه هو الإمام الذي دُوِن مذهبه كالمذاهب الثلاثة , هؤلاء الأربعة إنما امتازوا بتدوين مذاهبهم وإلا أئمة المسلمين لا ينحصرون في أربعة , بل أكثر, يوجد في عصر تابعي التابعين مع الإمام مالك عدد مشهور من أئمة المسلمين كلهم متفقون مع الأئمة الثلاثة في هذه المسألة كالليث بن سعد بمصر والأوزاعي بالشام والثوري بالعراق في تعريف الإيمان بالتعريف المشهور .

* « قول اللسان » / شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ , تلاوة القرآن , ذكر الله , جميع ما يؤديه العبد باللسان وكذلك التسبيح والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , كل ما تؤديه بلسانك عنصر من عناصر الإيمان , أو شعبة من شعب الإيمان .

* « اعتقاد بالقلب » / اعتقاد وحدانية الله , الإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ , كل ما تؤديه بقلبك , أعمال القلوب من المحبة والتعظيم والرغبة والرهبة , كل ذلك من شعب الإيمان .

* « وعمل الجوارح » / كل ما تؤديه بجوارحك من الفعل والترك كله من الإيمان , فعل الواجبات وترك المنكرات .

فالإيمان الكامل المطلق يدخل فيه الدين ظاهره ما تؤديه بجوارحك ولسانك وباطنه بقلبك وأصوله وفروعه . الأصول : المطالب الإلهية والنبوات وشؤون المعاد , الفروع التي تؤديه بجوارحك كالصلاة والزكاة وغير ذلك . وشعب الإيمان كما تعلمون أخبر النبي ﷺ " أن الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .. " [سبق تخريجه] , لا إله إلا الله هذه الشعبة التي يزول الإيمان بزوالها , لو أن إنساناً رأى صخرة في الطريق ولو أزالها لارتكب شعبة من شعب الإيمان , يدل ذلك على رحمته بإخوانه المسلمين , ولو تركها ترك شعبة من شعب الإيمان , وبين الشعبتين شعب عظيمة وكثيرة من صلاة وزكاة وحج وجهاد وطلب علم وغير ذلك .

* « وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية » / هذا مما امتاز به جمهور أهل السنة والجماعة آخذين ذلك من الكتاب والسنة , ينقص الإيمان بالمعصية ويزيد بالطاعة , وهذا شيء يلمسه الإنسان من نفسه , يقول أبو ذر رضي الله عنه (من لم يعرف أن إيمانه يزيد وينقص ليس بفقيه) [وجدتُ عن أبي الدرداء رضي الله عنه كلامه عن الإيمان بلفظ (من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص , ومن فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه) الإبانة لابن بطه (2 / 849) وفي سنده ضعف] , إذا رأيت من نفسك الإقبال والرغبة فيما عند الله والنشاط في العبادة ومحبة الصالحين ومجالس العلم , هذه أمارات وعلامات على قوة إيمانك وزيادة إيمانك , وإذا رأيت منك الإدبار والكسل وعدم الرغبة في تلاوة كتاب الله وفي ذكر الله ورأيت نفسك دائماً في تأخر في العبادة وفيما عند الله هذا دليل على نقص إيمانك , عالج نفسك بالطب النبوي أكثر من ذكر الموت وزيارة القبور , ولو زار قبر سيد ولد آدم لنفعه ذلك ؛ لذلك يرى بعض أهل العلم أن زيارة قبر النبي ﷺ أفضل الزيارات للقبور ؛ لأن الهدف من زيارة القبور تذكر الموت والاستعداد للآخرة والزهد في الدنيا . أيُ قبرٍ يُحقق هذا المعنى كما يحقق ذلك زيارة قبر النبي ﷺ ؟ لا يوجد , فيحمله هذا للعمل لآخرته , زيارة قبر النبي ﷺ من غير شد للرحال , لكن

الزيارة للمسجد ؛ لأن النبي ﷺ رغبنا في زيارة المساجد ونهانا عن شد الرحال إلا للمساجد الثلاثة " لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (1189) ومسلم برقم (1338)], شد الرحال إلى مكة باسم الحج والعمرة وشد الرحال إلى المدينة باسم زيارة المسجد , ومعنى الزيارة التعبد بالصلاة إذا دخل المسجد وصلى يقصد زيارة القبر , لا ينبغي أن يفعل ما يفعله بعض الكسالى - إن صح التعبير - أن يصلي في مصلاه ثم يتوجه إلى القبر وهو في مصلاه حيثما كان ولو كان في مؤخرة المسجد بدعوى أنه يسلم على النبي ﷺ من هناك , هذه البدعة انتشرت في الآونة الأخيرة في المسجد النبوي , وأنا أسميها بدعة العمال ؛ لأنها ما انتشرت إلا بعد ما كثُر العمال وإلا السنة تذهب للقبر وتسأل عن الشباك الموجه لقبر النبي ﷺ وتقف أمام الشباك وتقف متدبر وتذكر أنك واقف أمام سيد ولد آدم ويسمع سلامك ويرد عليك السلام وأنت لا تسمع , هذه الوقفة والتدبر ينقلك إلى جو آخر تعمل لآخرتك وتزهد في الدنيا وتقلل مما يجري الآن في بيوت الناس مما يجري الآن من هذه الملاهي التي تبيت الناس أمام ذلك الجهاز وقد ركبوا مضلات فوق بيوتهم باسم هذه الدشوش يبيتون أمام الجرائم الخُلقية التي تدعو الناس إلى الرذيلة , وقوفك أمام قبر النبي ﷺ قد يحول بينك وبين هذه الجرائم لتعود لمنزلك وتزيل هذه الأشياء وتحول بيتك بيت مسلم , هكذا تزور قبر النبي ﷺ وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما , وانتهت الزيارة لا قراءة هناك ولا تمسُح للشبابيك وللأعمدة , وأيضاً يكثر قراءة القرآن ومجالسة العلماء ليزيد إيمانه .

* « وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة .. » / لا يكفرون المسلمين بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج , إذا ارتكب مسلم كبيرة أو ابتدع بدعة أو ترك واجباً لا

يكفرونه , ولكن يحكمون عليه بنقص إيمانه , أي أنه يكفر كفراً عملياً أو كفراً دون كفر وليس بالكفر البواح .

* « بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي .. » / عصاة الموحدين لا تنقطع الأخوة الإسلامية بينهم وبين المؤمنين , ولو شرب الإنسان خمراً فسكر فحُدّ , هذه العملية لا تقطع الأخوة , وكذلك السارق والزاني والمنتهب وغيرهم .

* « فمن عُفي له من أخيه شيء .. » / أثبت الله الأخوة بين القاتل وبين المقتول وأولياء الدم , وليس هناك ذنب أعظم من القتل , والقتل لا يزيل الأخوة .

* « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » / محل الشاهد (من المؤمنين) . أصلحوا بينهما ؛ لأنهم إخوة , كلام الله واضح , الله يسمي المسرفين { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ{53}سورة الزمر } لم يقل أيها الكفار أيها الفساق أيها المجرمون ؛ ترغيباً لهم في التوبة يسميهم عباده ويضيفهم إلى نفسه (يا عبادي) ما ألطف هذه الإضافة ! ومع ذلك يجهل الجاهلون ويُكفرون مرتكب الكبيرة أو يسلبون منه الإيمان فيخرجونه من الإيمان ثم لا يدخلونه في الكفر في زعمهم , يبقى في مرحلة انتقالية بين الإسلام وبين الكفر حتى يموت وهذا عند المعتزلة , وعند الخوارج يخرج من الإسلام ويكفر كفراً بواحاً . ما الفرق بين الطائفتين ؟ فرق شكلي صوري , بمعنى عند المعتزلة في أحكام الدنيا لا يُحكم على ماله بالحِل ولا على دمه حتى يموت , وعند الخوارج حلال الدم والمال , ينتظر المعتزلي حتى يموت فإذا مات ألحقه بالكفار مع الخوارج خالد مخلد , مهما تقاتل المسلمون فيما بينهم ومهما بغى بعضهم على بعض ومهما ارتكبوا الأخوة باقية . وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا..{1}سورة الممتحنة } , ناداهم باسم الإيمان مع وجود الموالاة , وموالاة الكفار قد تصل إلى الكفر وقد لا تصل , من والى كافراً راضياً بدينه

وملته وجاعلاً ملة الكفر كملة الإسلام فهو كافر , أما من والاهم مجاملة وضعف في إيمانه ورغبة في المصالح في الحياة وهو يعتقد كفر ملتهم وبطلان ملتهم وصحة ملة الإسلام هذا الذي يكون كفره كفراً دون كفر . والذي عليه كثير من الناس اليوم الذين انجرفوا في تيار الديمقراطية صحة ملة الكفار اليوم ؛ لذلك يرون أن الأديان السماوية كلها على حد سواء كلها تحارب الرذيلة وتدعو إلى الفضيلة وقِيم الدين , ما أفظع هذا الكلام وما أكذبه , هل الكفر يحارب الإلحاد ؟! اليهودية والنصرانية تحارب الإلحاد , كيف الكفر يحارب الكفر ويحارب الرذيلة ؟! وهل يجوز اعتقاد صحة ملة بعد أن بُعِث محمد ﷺ ؟ إذن القائل لا يؤمن بختم النبوة وبأن هذا الدين خُتِم ونسخ جميع الأديان , ودعوة الناس إلى مساواة الأديان وصحة الأديان دعوة إلى النصرانية واليهودية , لا فرق بين هذا الموقف وبين موقف المبشرين . المبشرون الذين يدعون الناس إلى النصرانية وإلى اليهودية ليسوا أسوء حالاً من مسلم يزعم أنه من القادة يوهم الناس بأن الأديان السماوية على درجة واحدة وأنها كلها صحيحة ؛ ليؤمن الناس من جديد باليهودية والنصرانية إيمانهم بالإسلام , إنها دعوة مضللة وتبشر باليهودية والنصرانية , وهذا ما ينشر في هذه الأيام بالصحف وللأسف .

* « ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية .. » / أهل السنة والجماعة لا يسلبونه الإسلام بالكلية ولا يخلدونه في النار , الفاسق الملي أي الفاسق الذي خرج عن الطاعة عن طاعة الله وعن طاعة رسوله ﷺ , ولا يلزم بمجرد خروجه عن الطاعة الخروج من الملة إلا إذا نص الشارع , والفاسق الملي الذي يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاد حرمتها فهو مؤمن ناقص الإيمان .

* « بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان .. » / هذه نقطة يجب أن يفهم طلاب العلم , ما الفرق بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان ؟ الفاسق يدخل في اسم مطلق الإيمان , الإيمان المطلق هو الإيمان الكامل , ومطلق الإيمان أي الإيمان الناقص , والذي يُطلق عليه الإيمان لا يخرج إلى الكفر .

* « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله .. » / هؤلاء لديهم الإيمان المطلق الكامل , من رزقه الله أنه إذا تلى كتاب الله وَجِل قلبه وإذا ذُكر الله وجِل قلبه وإذا تلى القرآن زاده إيماناً على إيمان , هؤلاء هم المؤمنون حقاً , من لم يصل إلى هذه الدرجة لديه مطلق الإيمان .

* « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .. » / يجب أن نعرف ما نوع هذا النفي , هذا يقال نفي كمال الإيمان , مَن تجرأ وارتكب فاحشة الزنا ليس بمؤمن إيماناً كاملاً , ومن سرق ليس بمؤمن إيماناً كاملاً , نقص إيمانه بفاحشة الزنا والسرقة وشرب الخمر والنهب ؛ لأن هذه من الكبائر وهي من ذوات الحدود بالإجماع , من ارتكب الكبائر نقص إيمانه فبقي في مطلق الإيمان , أي فيه إيمان ضعيف يحفظ له اسمه ويُحرِّم دمه وماله ويحفظ له الأخوة الإسلامية بينه وبين الآخرين , والأمثلة توضح ذلك : ما حد السارق ؟ قطع اليد , وهل جعل الله حد السارق حد الردة ؟ لا , لو كان السارق كافراً يكون حده حد الردة , وقِس على ذلك جميع هذه الأشياء التي فيها الحدود , إثبات الحدود فيها دليل على أنهم لا يزالوا في حظيرة الإسلام ولكن يُعاقبون بهذه العقوبات , وأوضح من هذا كان يوجد في مجلس رسول الله ﷺ صحابي لطيف محب لرسول الله ﷺ ويُكثر من مجالسته – من لطافته قدّم عُك من عسل أو سمن فقال يا رسول الله هذه هدية وهو يعلم بأن النبي ﷺ يقبل الهدية فأخذه , فجاء في اليوم الثاني فقال يا رسول الله أعطني ثمن العُك , فقال يا عبد الله ألم تقل أنها هدية ؟ قال هدية ولكن ليس معي نقود

أخذته بالدين , ضحك رسول الله حتى بدت نواجذه فأعطاه الثمن - هذا الصحابي ﵁ قدر الله عليه أن شرب الخمر فأوتي به فجُلِد فشرب المرة الثانية فجُلِد فأوتي به المرة الثالثة , فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله ﷺ وهو سكران , قال النبي ﷺ " لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله " [سبق تخريجه], على الرغم مما وقع فيه . إذن من ارتكب الكبيرة قد لا يخرج من قلب مرتكب الكبيرة محبة الله ومحبة رسوله ﷺ , وكلكم تعلمون قصة ماعز ﵁" الذي ارتكب فاحشة الزنا وهو محصن فأبى إلا أن يُطهَر, كان النبي ﷺ يريد أن يرجع ويتوب فيما بينه وبين الله , كل ما يُعرِض عنه النبي ﷺ يأتي من الطرف الثاني ويقول طهرني يا رسول الله فاعترف بفاحشة الزنا وهو محصن , وكان يقول ﷺ شموا فمه لعله شرب , هل هو كامل العقل اسألوا أهله ؟ أصر ماعز إلا أن يُطهر فطُهِر بالرجم حتى شرد وقُتِل بالحرة , فأخبر النبي ﷺ أنه تاب توبة لو وُزِعت على أهل المدينة لوسعتهم " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﵁ برقم (6815) ومسلم برقم (1691)] , لو كفر بمجرد أن ارتكب الكبيرة فاحشة الزنا لم يُعامَل هذه المعاملة , " جاءت الغامدية وهي حبلى من الزنا , فقالت يا رسول الله لا تردني كما رددتَ ماعزاً ها أنا حبلى أقم عليَّ الحد , فقال ارجعي لبيتك حتى تضعين فرجعت لبيتها حتى وضعت , فلفت الطفل في خرقة فجاءت تطلب إقامة الحد , انظروا إلى هذه الطهارة وهذا الإيمان , فأمر الرسول ﷺ أن ترجع إلى بيتها حتى يطعم الطفل ويستغني عن اللبن فجاءته في يده كسرة خبز , فطُهِرت بالرجم "[أخرجه مسلم عن بريدة ﵁ برقم (1695)] فأخبر أن النبي ﷺ أنها تابت توبة لو وُزِعت على أهل الدنيا لوسعتهم , لو أن المرأة كفرت مِن أول ما ارتكبت فاحشة الزنا هل يقال فيها هذا الكلام هل تعامل بهذه المعاملة ؟ إذن مرتكب الكبيرة ينقص إيمانه ولا يكفر لا يزال مسلماً ناقص الإيمان , بهذه النصوص تعلمون تخبط الذين يتخبطون من المعتزلة والخوارج .

* « ويقولون » / معشر أهل السنة والجماعة .
* « ناقص الإيمان » / بارتكاب الكبيرة .
* « أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته , فلا يعطى الاسم المطلق » / محل الشاهد (فلا يُعطى) الاسم الكامل الإيمان الكامل ولا يُسلب مطلق الإيمان .
* « مطلق الاسم » / أي مطلق الإيمان بكبيرته .

فهذا هو تحقيق المسألة عند أهل السنة بمسألة الأسماء والأحكام , المراد بالأسماء مؤمن كافر فاسق , والأحكام الكفر والإيمان والفسق .

وأقوى دليل لأهل السنة والجماعة في أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان آية الأنفال { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ{2}سورة الأنفال } , في أول الآية عدد من أعمال القلوب (وجلت قلوبهم , زادتهم إيماناً , يتوكلون) ثم قال (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) من أعمال الجوارح .

وكذلك " الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله , وأدناها إماطة الأذى عن الطريق , والحياء شعبة من الإيمان " [سبق تخريجه] , وبين الشعبتين شعب كثيرة متفاوتة , وليست الشعب بدرجة واحدة حتى لو قلنا إن الإيمان يتألف من أجزاء كثيرة يلزم من ذلك زواله بزوال جزء من تلك الأجزاء احتجاج باطل ؛ لأن النبي ﷺ بيّن هنا فقال (أعلاها) لم يجعل الشعب في درجة واحدة , بزوال لا إله إلا الله زال الإيمان بالكلية وهي مفتاح , والمفتاح يحتاج إلى الأسنان , من أتى بنواقض الإسلام لم يُركب الأسنان لمفتاحه , لا يفتح له هذا المفتاح الجنة أبداً بل هو كافر كالذي يأتي بناقض من نواقض الوضوء لا تصح صلاته , من قال لا إله إلا الله واتخذ من لا إله إلا الله وِرداً يعد هذا الوِرد على سبحة طويلة مئة حبة أو مائتين , ومع ذلك يأتي بناقض من نواقض

الإسلام كأن يقول لا فرق بين المسيحية واليهودية والإسلام كلها أديان سماوية , كفر بالإسلام ولا تنفعه كلمة لا إله إلا الله , ونواقض الإسلام كثيرة نحث شبابنا دراستها .

فرق بين من يأتي كبيرة وبين من يُنكر حرمة الكبيرة , من يأتي كبيرة لا يكفر بإتيانها ينقص إيمانه ويصبح فاسقاً مؤمن بقدر ما فيه من إيمان وفاسق بكبيرته , أما من أنكر وجوب الصلاة والزكاة مثلاً أو أنكر حرمة السرقة وحرمة شرب الخمر وما في معناهما من الكبائر ومن المحرمات يكفر بهذا الإنكار , أي الإنكار والاستحلال والإباحة يكفر المرء ولو لم يتعاطَ المرء ذلك الشيء ولو صلى , يصلي مع الناس , يقول مع الناس نمشي ونصلي معهم لكن يقول إيش هذه الصلاة هي التي أخّرتنا والناس تقدمت راحت وصعدت إلى القمر ونحن الصلاة الصلاة كل وقتنا نتردد إلى المساجد , فهو كافر وهو في المسجد وفي الصلاة وواقف مع الناس في الصلاة فهو كافر بهذا الاعتقاد .

لتفرقوا بأن مسألة الإنكار والاستخفاف والسخرية بما جاء به الرسول ﷺ , من الردة ومن نواقض الإسلام , هذه النواقض التي سماها أئمة الدعوة في الآونة الأخيرة نواقض الإسلام , ماذا يسميها الفقهاء سابقاً ؟ يسمون الأمور التي يرتد بها الإنسان من الإسلام , بمعنى إن هذه النواقض ليست أمور جديدة , ومن درس باب الردة في كل مذهب من المذاهب يجد هذه النواقض مذكورة ولكن ليست بهذا الاسم , وتجدد الاسم والاصطلاحات لا تغير ولا تتبدل , أريد أن أقول لا تحسبوا إن ذكر نواقض الإسلام أمر جديد بل مذكورة ومعروفة في كتب الفقه , ينص الفقهاء لو أن إنساناً قال الخبز حرام يكفر ؛ لأنه معلوم من الدين بالضرورة أنه مباح حلال من الطيبات ؛ لذلك مسألة إتيان الكبيرة وترك الواجبات من الأشياء التي تجعل المرء فاسقاً لا تخرجه عن الملة , الفاسق عند أهل السنة والجماعة , من ارتكب كبيرة أو أصر على صغيرة إذ لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار , الصغيرة التي لم يأتِ فيها وعيد شديد من ذوات

الحدود , لكن إذا أصر ولم يتب تتحول إلى كبيرة , والكبيرة إذا ارتكبها مرة واحدة فهو فاسق حتى يتوب , لو مات بعد أن ارتكب الكبيرة قبل أن يتوب أو أصر على الصغيرة فمات قبل أن يتوب أهل السنة لا يخلدونه في النار بل يخافون عليه , لا نجزم أنه خالد بالنار بل لا نجزم بدخوله النار , إذ قد يسعفه الله بشفاعة الشافعين , ويحتمل أن هذا الذي ارتكب كبيرة له أعمال صالحة كبيرة وكثيرة ترجح بكبيرته فيدخل الجنة , ومن أنواع الشفاعة شفاعة رسول الله ﷺ لقوم تساوت سيئاتُهم مع حسناتهم يشفع فيهم لترجح حسناتهم على سيئاتهم , ويشفع في أقوام رجحت سيئاتهم على حسناتهم واستحقوا دخول النار , ثم إن لم يُسعفوا بالشفاعة قبل دخول النار فدخلوا [حديث أخرجه مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه برقم (184)] , من عقيدة أهل السنة والجماعة الاعتقاد بأنه " يخرج من النار كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان " [سبق تخريجه] , هذا الحديث بالإضافة لما نحن بصدده يدل على أن الإيمان يضعف وينقص ويضمحل حتى لا يبقى منه مثقال ذرة , فيزيد ويقوى ويضعف فينقص فهذا شيء يعلمه المرء من نفسه .

فائدة : إذا كان الإسلام شرعياً وهو الاستسلام والانقياد , وإذا كان الإيمان شرعياً وهو الاعتقاد والأقوال والأفعال , لا يمكن أن يوجد إيمان معتدٌ به وهو اعتقاد القلب إلا ومعه إسلام بالجوارح وقول باللسان , وقد يُستغنى بأحدهما عن الآخر فيذكر الإيمان ويُثنى على المؤمن ولا يأتي ذكر للإسلام ؛ لأن احدهما إذا ذُكِر دخل في الآخر , يقولون القاعدة (إذا افترقا اقترنا , وإذا اقترنا افترقا) [شرح الطحاوية ص (488) , فتاوى ابن تيمية (7 / 252)] إذا ذُكِر معاً افترقا في التفسير والمعنى , وإذا ذُكِر احدهما دون الأخر اتحدا في المعنى , إذا أثنيت على مسلم فإنما أثنيت على مسلم مؤمن والعكس , وقد يكون إسلام بدون إيمان { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ

أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{14}سورة الحجرات } , هذه الآية اختلف أهل العلم - أهل العلم بالمفهوم الصحيح - من المفسرين والمحدثين والمحققين اختلافاً واضحاً بيناً وليس بلفظي بل جوهري , كثير من المفسرين يرون أن هؤلاء الأعراب من المنافقين , وفي مقدمتهم الحافظ ابن كثير[كلام ابن كثير أنهم ليسوا بمنافقين التفسير (4 / 277)] (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا في الظاهر حفظاً لدمائنا وأموالنا كالمنافقين تماماً , وذهب غيرهم إلى أن الإيمان المنفي هنا هو الإيمان الكامل وليسوا بمنافقين , وقوله تعالى (قل لم تؤمنوا) لم تؤمنوا الإيمان الكامل الذي تستحقون عليه المدح , ولكن لديكم إيمان ضعيف , مثل نفي الإيمان عن الزاني والسارق والشارب " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن .. " [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ برقم (2475) ومسلم (57)] النفي هنا الكامل لا نفي الأساس , يرى كثير من المحققين أن الآية مثل هذا الحديث تماماً , وأيدوا ذلك بقولهم (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) أي لا ينقصكم من أعمالكم شيئا , قال شيخ الإسلام (لا يقال في المنافق مثل هذا القول) المنافق يُكذَب , ولكن الذي يقال له (إن تطيعوا الله ورسوله ..) هو المؤمن الناقص الإيمان ؛ لذلك يرى شيخ الإسلام ومن معه من المحققين أن هؤلاء الأعراب ليسوا بمنافقين ولكنهم مؤمنين ناقصو الإيمان بدليل هذا الوصف , ثم بعد ذلك جاءت آية بعدها تصف المؤمنين الصادقين حقاً وهي { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ{15}سورة الحجرات }, وأنتم لستم بالمؤمنين الصادقين فيكم تردد ونقص في إيمانكم , والاستدلال بآخر الآية (وإن تطيعوا لله ورسوله ..) أقوى في أن القوم ليسوا بالمنافقين ولكنهم ناقصو الإيمان بهذه الآية (إنما المؤمنون ..) . وعلى كل حالٍ هذان قولان مشهوران لأهل العلم , ومن أطمئنت نفسه إلى قول من القولين فأخذ

فليأخذ به , ولكنني أميل إلى القول الثاني , وليس لي حق في الترجيح ولكنني أميل ؛ لأن شيخ الإسلام رحمه الله ناقش مناقشه علمية مقنعة , راجع المجلد السابع في مبحث الإيمان في فتاواه تجد هناك علماً شيقاً تتلذذ به إن كنتَ طالب علم . [ص 377 وما بعدها]

مراتب الدين الإسلامي ثلاثة : المرتبة الأولى أوسع والتي بعدها أضيق والثالثة أضيق وأضيق , أي بالنسبة لأهلها لا بالنسبة لمعناها , الإسلام أوسع إذ يدخل في الإسلام المؤمن الكامل والمؤمن ناقص الإيمان , بل حتى المنافق في الظاهر مسلم , كان كبار المنافقين يصلون خلف رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ وهم في الدرك الأسفل من النار , ظاهرهم الإسلام ," قيل للنبي ﷺ ألا نقاتلهم ؟ قال لا ؛ لئلا يقال أن محمداً يقتل أصحابه " [أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه برقم (4905) ومسلم برقم (63)] , وهذه من السياسة الشرعية , افهم جيداً الذين يزعمون ليس في الإسلام سياسة , هذه أدق سياسة ارتكاب أخف الضررين , بقاؤهم بين المسلمين وهم يصلون خلف النبي ﷺ مع ذلك هم عيون للمشركين ضد المسلمين , لكن أخف من أن يُقتَّلوا ويكونوا سبباً في صد الطريق على الناس الذين يريدون أن يدخلوا في الإسلام , فليبقوا فلنصبر على شرهم فليدخل الناس في دين الله أفواجاً , هذه هي السياسة الشرعية في الظاهر , يُطلق عليهم مسلمون وهم في الباطن كفار , وهذا معنى أن الإسلام أوسع . والإيمان أوسع من الإحسان ؛ لأن يشمل المؤمنون الذين وصلوا إلى درجة الإحسان والمؤمنون الذين لم يصلوا إلى تلك الدرجة أي المقتصدين , يشمل الإيمان المقتصد والسابق بالخيرات , ولكن المحسنون نخبة من المؤمنين الذين وصلوا لدرجة المراقبة الخاصة الذين عبدوا الله كأنهم يرون الله , إذن الإحسان أدق وأهله أقل , ومن

حيث المعنى أوسع ؛ لأن الإحسان يشمل إحسان العمل فيما بينك وبين الله والإحسان إلى عباد الله يشمل كل ذلك , إنما كونه ضيق من حيث أهله .

الواجب نحو الصحابة ﷺ , وذكر فضائلهم :

فَصْلٌ : وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِـهِ تَعَالَى }:وَالَّذِينَ جَاؤُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَاغِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ { ، وَطَاعَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي قَوْلِهِ: (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهُ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ). وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسَّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ .وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ . وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ . وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ .وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ. وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ . وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ.: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُم. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ). وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَة . وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَـهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قِيْسِ بن شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ .

وَيُقِرُّونَ

بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا : أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانُ فِي الْبَيْعَةِ. مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا . بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى

تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ . أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا. لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ .وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ . مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ . لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

* « فصل : ومن أصول أهل السنة و الجماعة سلامة قلوبهم .. » / أصحاب رسول الله ﷺ نخبة اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وهم خير هذه الأمة وإن لم يكونوا معصومين , قد يخطئون وتحصل منهم أخطاء وهفوات ولكن لسبقهم للإسلام وما بذلوا في نصرة رسول الله ﷺ ونصرة الإسلام وما بلّغوا عن رسول الله ﷺ من الكتاب والسنة , وهذا الخير الذي نحن فيه ما جاء إلا على أيديهم ؛ لذلك لا يذكرون مساوئهم ولا يطعنون فيهم وكلهم محل تقدير , فالعصمة لرسول الله ﷺ فقط , لكن شهد لهم المعصوم ﷺ " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .. " [سبق تخريجه] ؛ لذلك أهل السنة لا يحقدون عليهم ويتمتعون بسلامة ألسنتهم ولا يطعنون في أصحاب رسول الله ﷺ .

* « والذين جاءوا من بعدهم .. » / هذا قول يقوله اللاحق في السابق , التابعون يقولون هذا القول في الصحابة ﷺ , وتابع التابعين يقولون هذا القول في التابعين والصحابة , وهكذا إلى يومنا هذا , يجب أن يكون موقف المؤمنين أن يقولوا في موتاهم فيمن سبقهم من أهل الإيمان أن يقولوا هذا القول , لا يذكرون مساوئهم , إذ لا يخلو أحد من المساوئ ؛ لأنهم ليسوا بمعصومين , لكن يذكر محاسنهم قلّت أو كثرت . من

طريقة أهل السنة والجماعة تعدد محاسن الموتى الأولين والآخرين وتكتم مساوئ الموتى لا تذكر , هكذا أدبنا الإسلام لو تأدبنا بهذه الآداب عملاً بهذه الآية وطاعة للنبي ﷺ في قوله ﷺ بالنسبة لأصحابه " لا تسبوا أصحابي .." [أخرجه البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه برقم (3673) ومسلم برقم (2541)], قال النبي ﷺ هذا القول لصغار الصحابة , أي ألا يقولوا شيئا في كبار الصحابة الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا قبل الفتح وسبقوا إلى الإيمان , الذين أسلموا بعد الفتح وقاتلوا وأنفقوا لا يلحقون الذين قاتلوا وجاهدوا وأنفقوا قبل ذلك , أي السابقين الأولين إلى الإسلام , فما بال من لم يكن صحابياً ؟! وكل من يطعن في أصحاب رسول الله ﷺ سواء كانوا من الخوارج أو النواصب أو من المؤرخين الجدد المقلدين هؤلاء كلهم في ضلال , ومذهب أهل السنة كما قال الطحاوي (محبتهم إيمان ..) [الطحاوية مع شرح ابن أبي العز ص (475)] لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ , فهم قوم اختصهم الله لصحبة نبيه ﷺ لم تصلنا آية إلا مرّت عليهم ولا حديث إلا مرّ عليهم , حملة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ , قوم نطق بهم الكتاب وبه نطقوا قوم قام بهم الكتاب وبه قاموا , الصحابة رضي الله عنهم أكمل الناس إخلاصاً , الأعمال إنما تتفاوت بتفاوت الإخلاص , قد يعمل أناس عملاً واحداً يُكتب لأحدهم ما لا يُكتب للآخر مثل الصلاة , كل الناس تصلي منهم من تُكتب له صلاته كلها " ومنهم من يُكتب له النصف والربع والعشر.. " [أخرجه رواه أحمد عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما (4 / 321) أبو داوود برقم (785) وغيرهم , صححه الألباني في صفة الصلاة (1 / 15) وصحيح الجامع برقم (1626)] وهكذا ؛ ذلك لحضور القلب والخشوع والإخلاص , فأصحاب رسول الله ﷺ يفوقون الناس ؛ لإخلاصهم وصدق إيمانهم فإن العمل القليل منهم يفضل الكثير من غيرهم .

* « ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة .. » / للصحابة ﷺ فضائل , على طلاب العلم أن يقرأوا فضائل الصحابة ﷺ ومناقبهم في آواخر كتب السنة كالصحيحين والكتب الستة , عليهم أن يقرأوا ويبتعدوا من المؤلفات الجديدة التي تتحيز أحياناً إلى بعض الصحابة لتنال من الآخرين , هذا خطأ مع اعتقادنا أنه وقع بينهم قتال , ولكن قتالهم كان عن اجتهاد ؛ لذلك من قول أهل السنة والجماعة وإن كان القائل أحمد بن رسلان من علماء الشافعية وهو أشعري ولكنه قال الحق ويجب أن يُؤخذ الحق :

وما جرى بين الصحابي نسكتوا

عنه وأجر الاجتهاد نُثبِتوا

لا تقل لماذا تقاتلوا ؟ فلان مخطئ وفلان مصيب , لم تُحكَّم في ذلك , لماذا تنصب نفسك حكماً ؟! وبعد أن عصم الله سيوفنا يجب أن نحفظ ألستنا وأقلامنا من الخوض في أعراضهم , وهذه قاعدة عند أهل السنة , هذا ما أجمع عليه المسلمون غير المتأثرين بأفكار الخوارج والمعتزلة وكثير من المتأخرين الذين يتحيزون لبعض الصحابة ﷺ لينالوا من البعض الآخر . الأشاعرة وافقوا أهل السنة في هذا المقام في توقير الصحابة ﷺ والسكوت عما جرى بينهم ﷺ .

* « ويفضلون من أنفق من قبل الفتح .. » / الفتح صلح الحديبية على المشهور , وإن كانت المسألة خلافية وسورة الفتح نزلت عقيبه وفتح مكة أثر من آثار صلح الحديبية وآثار شروطه , ونص الآية { لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ{10}سورة الحديد } , أهل السنة والجماعة لا يخالفون الآية .

* « ويقدمون المهاجرين على الأنصار » / لأن المهاجرين أنصارٌ مرتين , الأنصار أنصار مرة , نصروا الله ونصروا رسول الله ﷺ ونصروا أصحاب رسول الله ﷺ , والمهاجرون نصروا رسول الله ﷺ وخرجوا معه ونصروا دينه وتركوا أموالهم وأهليهم واختاروا رسوله ﷺ على دنياهم , وأهل السنة والجماعة يحترمون الجميع ويقدرون الجميع ويحبون الجميع , وقد قدم القرآن المهاجرين على الأنصار وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء , وتقديم المهاجرين على الأنصار في الجملة وقد يكون بعض الأنصار أفضل من بعض المهاجرين . وقد قدم النبي ﷺ أبا بكر وهو المهاجرين فهذا تعيين وليس ترشيح , والذي يدل على هذا التعيين أمران اثنان , الأول : " قصة المرأة التي أتت النبي ﷺ فسألته سؤالاً فقال ائتني غداً , قالت إن لم أجدك ؟ (هكذا أنطقها الله , قال أهل الحديث أي لو متَّ أنت) , أي أتي من ؟ قال ائتي أبا بكر " [أخرجه البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه برقم (3659)] , فهذا تعيين بأن أبا بكر رضي الله عنه هو الخليفة بعده وهذا أمر صريح , ثم " تقديمه للناس ليصلي بهم في مرضه ﷺ " [أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها برقم (713) ومسلم برقم (418)] ؛ لهذا قال علي رضي الله عنه (وقد قدمه النبي ﷺ في ديننا أفلا نرضاه في دنيانا) [الشريعة للآجري ص (442)] , وكونه يصلي بالناس والنبي ﷺ حي دليل على أنه قد عينه للإمامة , وقد وقف موقفه الحازم والحاسم يوم السقيفة اعتماداً منه بعد الله على تعيينه من رسول الله ﷺ وأجمع المسلمين بعد ذلك على خلافته ثم على خلافة عمر ثم على خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهم . [عقيد السلف أصحاب الحديث للصابوني ص (91)] .

* « ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر .. » / هذا تطمين لهم وليس دعوة لهم إلى المعاصي وإنما معنى ذلك تشريف لهم ولو وقع منهم بعض ما وقع بدون قصد وبدون تعمد يغفر الله لهم . اعملوا ما شئتم : وذلك أن حاطب بن أبي بلتعه رضي الله عنه يعيش في

قريش وملصقاً بهم وليس منهم وأراد أن يجعل له يداً عندهم ليحفظوا أقاربه الذين تركهم بينهم وهاجر لأنه من المهاجرين , والقوم (المهاجرون) يحفظون من خلَفوهم ؛ لأنهم كلهم من قريش إلا هو وأراد أن يُثبت له يداً عندهم , هكذا لما صدق في الاعتذار قَبِلَ رسول الله ﷺ عذره , فكتب لهم , فالنبي ﷺ كتم لما أراد الغزو لم يخبر أحداً إلا أبا بكر , وأبو بكر رضي الله عنه قال يا رسول أليس بينكم عهد ؟ قال بلى , ولكنهم نقضوا , وذلك لما وقفوا مع بني بكر ضد خزاعة , نقضوا العهد ولكن استكتمه إلا أن الخبر تسرب وعَلِمَ حاطب رضي الله عنه , لما توجه النبي ﷺ ونادى بالناس بالجهاد والغزو لم يخبرهم إلى أي جهة يتوجه , وبأي طريقة عَلِمَ حاطب فكتب لقريش إن النبي ﷺ متوجه إليهم غازياً , وإنما فعل ذلك لما ذكرتُ , ولما صدق قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه " وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " [أخرجه البخاري عن علي رضي الله عنه برقم (3983) ومسلم برقم (2494)] , والرجل بدريٌ إذن لا يُقتل وإن أخطأ وهذا الخطأ باجتهاد , عندما يعدد الإمام ابن تيمية أخطاء المجتهدين يذكر في طليعة أخطاء المجتهدين خطأ حاطب [الفتاوى (7 / 523)] , هكذا أهل العلم يثبتون الأخطاء ويعترفون أن هذا الخطأ وقع باجتهاد لا عن كفر أو نفاق أو عن ابتداع ولا يمنعون الناس عن الترضي على من أخطاء ومن ابتدع . راجع هذه القصة في كتاب للعلامة ابن القيم رحمه الله طريق الهجرتين وباب السعادتين .[وانظر مفتاح دار السعادة (1 / 176)]

* « وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة .. » / شجرة الرضوان .

* « ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة » / أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح .

* « وغيرهم » / كخديجة وبلال , أفراد أخبر عنهم ﷺ , منهم من أخبر" أنه رأى له قصراً في الجنة " [وهو عمر رضي الله عنه , أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه برقم (3679) ومسلم برقم (2394)] , ومنهم من أخبر" أنه سمع خشخشة نعله في الجنة " [وهو بلال رضي الله عنه , أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (2458)] , وهؤلاء كلهم نشهد لهم بناءً على شهادة رسول الله ﷺ , وكل من ورد الخبر الصحيح انه من أهل الجنة , كل أولئك يجب التصديق أنه من أهل الجنة وتصديق ذلك من الإيمان برسول الله ﷺ , ومن يُكذِّب ذلك ويشهد بالنار على من بشره الله بالجنة فهو كافر ؛ لأنه مكذب لرسول الله ﷺ , من ارتكب مثل هذه المكفرات من نواقض الإسلام لا تنفعه صلاته , كثير من الناس يقولون كيف نكفر من يصلي ؟ كونه يصلي لا يمنع من تكفيره والحكم عليه بالردة بعد أن حكم عليه النبي ﷺ بالردة , وكل من كذب الله تعالى وكذب رسول الله ﷺ دل ذلك على فساد قلبه وخراب قلبه , وخراب القلب هو أساس الكفر ؛ لذلك ينبغي أن يتحفظ الإنسان في مثل هذا الموقف خصوصاً بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم , في هذا الوقت يكثر الكُتّاب العصريون الذين يطعنون في كثير من الصحابة رضي الله عنهم , وهذا الطعن ربما يترتب عليه الكفر .

* « ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .. » / هذا الأثر الذي اختاره شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الموقع موقعه ضربة شديدة ومفحمة للروافض الذين يزعمون أنهم شيعة علي رضي الله عنه الذين يقولون لأبي بكر وعمر صنمي أهل النار ويشهدون عليهما بالنار بعد أن شهد لهما النبي ﷺ بالجنة ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى وإنما بوحي من الله ؛ بدعوى أنه لا يتم الولاء لآل البيت إلا بعداء الآخرين . اسمع ماذا يقول علي رضي الله عنه (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ..) [إسناده حسن , السنة للإمام عبد الله بن أحمد (2 / 581)] ليفهم الروافض أن أصحاب رسول الله

ﷺ وخصوصاً الخلفاء لا يعادي بعضهم بعضا ويحب بعضهم بعضا ويقدر بعضهم بعضا ويشهد بعضهم لبعض بالخيرية بناءً على شهادة رسول الله ﷺ , وإذا كان من غلاة الروافض من يزعم أن الرسالة كانت لعلي رضي الله عنه فأخطأ بها جبريل لمحمد ﷺ , إذا كان جبرائيل ومحمد متهمان عند غلاة الروافض فلا يُستكثر أن يطعنوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم, من لم يستحي أن يطعن في أمين الله على وحيه ثم أمين الله من البشر ﷺ كيف لا يستحيي من الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ؟!

قال علي رضي الله عنه ذلك على منبر الكوفة أمام الجم الغفير , ربما اعتُبِر ذلك إجماعاً سكوتياً لم يُنكر عليه أحد , فالرسول ﷺ لم يترك الأمر ملتبساً , وقد علم المسلمون قبل وفاة النبي ﷺ أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه , فما بال من يتشيعون لعلي رضي الله عنه يطعنون في أبي بكر وعمر ؟! لم يقف غلاتهم عند تقديم علي فقط وإن كان تقديم علي على الشيخين رضي الله عنهما خطأ , ولكنهم نالوا من الشيخين بالسب والطعن فيهما والحكم عليهما بأنهما من أهل النار , وذِكْر كلام علي رضي الله عنه مناسب جداً للرد على الروافض وإلا فيكفي الشيخين وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ثناء الله عليهم وثناء الرسول ﷺ عليهم , لكن ذكر كلام علي رضي الله عنه المتواتر عنه لرد موقف الشيعة لعل الله يمنَّ على من شاء منهم بالتوبة بعد سماع ومعرفة موقف علي من الشيخين رضي الله عنهما , وهذه النقول مهمة جداً في إفحام الخصم وهو الرافضي .

* « ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي » / وإن لم يذكر علي الثالث , فأهل السنة يثلثون بعثمان . هنا مسألتان ينبغي التفريق بينهما : مسألة الفضل ومسألة الخلافة والبيعة , بالنسبة للخلافة ترتيب الخلافة على ما هو عليه أبي بكر وعمر وعثمان وعلي محل إجماع , والطعن في خلافة أحد من هؤلاء أو في هذا الترتيب ضلال مخالف لطريقة أهل السنة والجماعة , بقيت مسألة التفضيل تفضيل أبي بكر وعمر محل اتفاق ومحل إجماع

كما دل على ذلك الأثر السابق لعلي . والمسألة التي اختلف فيها أهل السنة أنفسهم في تقديم علي على عثمان أو تقديم عثمان على علي من حيث الفضل لا من حيث الخلافة وإن كان استقر أمر المسلمين أخيراً على تقديم عثمان , لكن ما السبب في اختلاف أهل السنة والجماعة أنفسهم بالنسبة للتفضيل بين علي وبين عثمان ؟ أما الذين يقدمون عثمان فالأمر واضح على ترتيب الخلافة وأنه هو الذي اختير من الستة (الذين اختارهم عمر رضي الله عنه وهم : عثمان وعلي وطلحة والزبير وأبو عبيدة وابن عوف رضي الله عنهم) وهذا رأي جمهور أهل السنة , لكن ما شبهة الذين يقدمون علياً على عثمان من حيث التفضيل ؟ أولاً لقربة من رسول الله صلى الله عليه وسلم , ثانياً لكثرة مناقبه , ذكر أهل العلم أن علياً أكثر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من حيث المناقب , فمناقبه كثيرة جداً , وهذه ما تكون علة قد تكون شبهة ؛ لأن المناقب قد توجد منقبة من المناقب في المفضول وهي غير موجودة في الفاضل , وبالاتفاق أبو بكر أفضلهم على الاطلاق ومع ذلك نجد لعمر بعض المناقب لم يأتِ ذكرها وإثباتها لأبي بكر , وهل يعني هذا أنه أفضل من أبي بكر ؟ لا , ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء , وكما يقال في المثل : قد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر , ومثال ذلك ورد منقبة من مناقب عمر رضي الله عنه " إن الشيطان لا يسلك فجاً سلكه عمر " [سبق تخريجه] الشيطان نفسه يخاف من عمر رضي الله عنه , ما ذُكِر مثل هذا في أبي بكر رضي الله عنه , وجاء في حديث صحيح " إن في من كان قبلكم محدثون (أي ملهمون) وليس بأنبياء , وإن كان في أمتي فعمر " [سبق تخريجه] وكون عمر رضي الله عنه ملهماً أمر واضح , من إلهامه " قد اقترح على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الاقتراحات فنزل القرآن موافقاً لاقتراحه , عمر رضي الله عنه شديدة الغيرة فلما رأى نساء النبي صلى الله عليه وسلم حوله والناس تدخل , قال يا رسول الله لو حجبت نسائك والناس تدخل عليك ونساؤك بجوارك فنزلت آية الحجاب بعد هذا الاقتراح " [سبق تخريجه] , وعمر رضي الله عنه هو الذي اقترح أن يُتخذ من مقام إبراهيم مصلى قبل نزول الآية فنزلت الآية موافقة لاقتراحه [سبق تخريجه

] , مثل هذه المناقب لم تذكر لأبي بكر رضي الله عنه , وبإجماع المسلمين (إذا استثنينا الروافض) أبو بكر رضي الله عنه خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ؛ لذلك تقديم علي رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه لكثرة مناقبه لا يكون حجة , بل الأولى أن يكون الأمر على ترتيب الخلافة .

* « اختفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما .. » / من حيث الأفضلية لا من حيث الخلافة والبيعة .

* « فقدم قوم عثمان وسكتوا » / انظروا كلام أهل العلم , كلام وتحليل علمي واضح لا تحيز فيه ولا تحامل ولا تبديع ولا تكفير ولكن تحليل علمي .

* « وإن كانت هذه المسألة – مسألة عثمان وعلي – ليست من الأصول التي يضلل فيها المخالف .. » / شيخ الإسلام يرى أن مسألة التفضيل ليست من المسائل التي يُضَلل فيها المخالف , أي لو اختلف اثنان أحدهما يفضل علياً رضي الله عنه والأخر يفضل عثمان رضي الله عنه ولكلٍ وجهه لا يُعنف هذا ولا ذاك ولا ينبغي أن تكون من المسائل التي يختلف فيها المسلمون . ينبغي أن يكون طلاب العلم على اطلاع على مثل هذه المسائل , والتفريق بين المسائل التي يُضلل فيها الإنسان وبين المسائل الفرعية التي لا يُضلل فيها الإنسان كالاختلافات التي تقع بين فقهاء المسلمين في المسائل الفرعية الفقهية التي هي مطرح الاجتهاد ولا تعد من الخلاف في الدين , وكل إنسان يجتهد ليعمل بالسنة فيصيب من يصيب ويخطئ من يخطئ ؛ لذلك يعذر بعضهم في مسائل الفروع , وإنما الخلاف المذموم في الأصول . في هذه المسألة ينبغي أن يطلع طلاب العلم على كتيب ألفه شيخ الإسلام سماه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) ؛ لتعلموا أن اختلاف الفقهاء الأربعة وغير الأربعة , ومذاهب المسلمين كثيرة وليست فقط هذه الأربعة , وهذه الأربعة ميزتها أن الله وفق تلاميذ الأئمة الأربعة فدونوا مذاهبهم وحافظوا

عليها وفرّعوا عنها وإلا يوجد عدد من الأئمة من أقران مالك كالليث والأوزاعي والثوري في عصر تابعي التابعين .

* « ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله » / شدد الإنكار رحمه الله على الذين يخالفون هذا الإجماع وجهلهم هذا التجهيل , الحمار يُضرب به المثل في البلادة , يعني هذا الشخص بليد الذي يخالف المسلمين في هذا الترتيب .

منزلة أهل البيت النبوي عند أهل السنة والجماعة :

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: (أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي). وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ . وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ . فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي). وَقَالَ: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) .

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بَأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) .

* « ويحبون آل بيت رسول الله ﷺ .. » / أهل السنة يحبون أهل بيت ويقال لهم آل بيت , أهل السنة والجماعة ميزتهم لا يرون البراءة من أي صحابي ولا يشترطون في ولاء آل البيت البراءة من الآخرين كما تزعم الروافض لا ولاء إلا بالبراءة , ولكن صدور أهل

السنة والجماعة وسعت لمحبة جميع الصحابة ﷺ من آل البيت وغيرهم ويحبون الجميع سواء كان الصحابي من آل البيت كعلي أو من غير آل البيت كعثمان مثلاً ؛ لأنهم كلهم من أولياء الله ومن أصحاب رسول الله ﷺ , من كان من أهل البيت يحبونه للأمرين للصحبة وللقرابة , ومن لم يكن آل البيت للصحبة وللسبق إلى الإسلام .

* « ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ .. » / (غدير خم) ذكر للعلامة في المكان الذي ذكر فيه النبي ﷺ هذه الوصية . * الغدير : جمعه غدران الماء الذي يبقى على وجه الأرض كالبرك والمنعطفات من المكان بعد مرور السيل أو بعد المطر , (خم) قيل اسم رجل يعمل صباغاً نُسِب إليه الغدير لعله كان يستعمل الغدير عندما يصبغ , وقيل غابة صغيرة كانت في ذلك المكان في منطقة رابغ , تأكيداً لهذا الخبر ذُكِر هذا المكان وإلا الغدير ليس بدائم , وذكر هذا المكان يحفظ لهذه الوصية مكانتها ويتذكر الناس بذلك .

* « أذكركم الله .. » / أهل السنة والجماعة عاملون بهذه الوصية تماماً ؛ لذلك لا يفرقون بين أصحاب رسول الله ﷺ ويحفظون لآل البيت مكانتهم .

* « يجفو بني هاشم .. » / عدم احترام لبني هاشم من بعض قريش .

* « والله لا يؤمنون حتى يحبوكم .. » / هذا أمر واجب على المسلمين امتثالاً لهذا الأمر المؤكد . انتبه للمعنى عند نفي الإيمان يجب أن تنتبه هل نفي الإيمان نفي لأساس الإيمان أو نفي لكمال الإيمان ؟ هذا هو الأمر الذي يختفي على كثير من الناس ويخطئ كثير من الناس فيفسرون نفي الكمال بنفي الأساس فيقعون في تكفير مسلم , الإنسان الذي لا يحب آل بيت رسول الله ﷺ ويقدرهم ويحترمهم إيمانه ناقص وليس معنى ذلك أنه كافر , وأولياء الله تجب محبتهم مطلقاً ولو لم يكونوا من آل البيت ؛ لأن هنا الولاية لله

, فما بالك إن كان ولياً من أهل طاعته ثم هو من آل البيت يجب أن يُحب لمكانتهم من رسول الله ﷺ واتصال نسبهم به .

* « وقال : إن الله اصطفى بني إسماعيل .. » / فهو ﷺ خيار من خيار من خيار , وهذا الخيار والتفضيل لا يتنافى مع الفضل المنفي " لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى " [أخرجه أحمد عن جابر رضي الله عنه (5 / 411) والطبراني في الأوسط (5 / 86) وغيرهم , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2700)] , كيف توفق بين هذا وذاك ؟ المنفي الفضل فالفضل غير وارد ؛ لأن الجميع من آدم وآدم من تراب , أي من حيث العنصر لأفضل لأحد على أحد من البشر كلهم من تراب , ولكن التفضيل والاختيار قد سبق في علم الله , فرسول الله ﷺ نبي في علم الله قبل أن يخلق آدم , ولكن التفضيل والاختيار هذا ظهر ظهوراً بالنسبة لنا فيما بعد وليس بأمر مستأنف ؛ لأن الأمور كلها معلومة عند الله ومكتوبة وهو أمر طارئ بالنسبة لنا , الذي أريد أن أقول أن التفضيل لا يتنافى مع الفضل , الله فضل بعض الناس على بعض { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم ..{253}سورة البقرة } , وفضل بعض الأماكن على بعض وفضل بعض الأزمنة على بعض , التفضيل غير الفضل , المنفي الفضل الذي هو فضل العنصر إذ لا فضل لأحد على أحد لاتحاد العنصر , وإذا كان الله اختار بعد ذلك , قد فضل في وقت من الأوقات بني إسرائيل على العالمين إذن هذا للإيمان والعمل الصالح وبما يكتسبه الإنسان ؛ لذلك لا تعارض بين الحديثين .

والله قد حرم الصدقة على محمد وعلى آل محمد , يتصيد بعض أهل العلم الحكمة فيقولون لو كانت الصدقة حلالاً لآل البيت محمد لقال قائل إنما أمر رسول الله ﷺ بالصدقة وحث عليها لينتفع بذلك قرابته وأهل بيته , أبعد التهمة بأن حرَّم الصدقة على

أهل بيته ﷺ [أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (1069 - 1070 - 1071)] والله أعلم .

* وآل البيت (آل علي , آل جعفر , آل عقيل , آل العباس , بنو المطلب) .

* « ويتولون أزواج رسول الله ﷺ .. » / أي أهل السنة يحبون أمهات المؤمنين ؛ لأنهن أمهات , وهن خديجة بنت خويلد , سودة بنت زمعة , عائشة بنت أبي بكر , أم سلمة بنت أمية , زينب بنت جحش , جويرية بنت الحارث , صفية بنت حي , حفصة بنت عمر , زينب بنت خزيمة , ميمونه بنت الحارث , أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهن .(لم يذكر الشيخ أسمائهن اكتفائا بما ذكر الشارح)

* « خصوصاً خديجة .. وعاضده على أمره » / على أمر الدعوة , آزرته وأيدته ودافعت عنه بنفسها ومالها , هكذا سنة الله فيمن يدعو إلى الحق ولو كان نبياً لا يظهر الحق بين الناس ويبقى إلا بين اثنين , داعية شجاع يجهر بالحق ويصدع بالحق ويصبر على ذلك , والأمر الثاني وجود مؤازر قوي شجاع يدافع عن الحق حتى يثبت الحق , هذه سنة الله ؛ لذلك كان رسول الله ﷺ مع أنه نبي مؤيد بمعجزة من الله يغشى القبائل في تجمعاتهم وأسواقهم ويطلب منهم من يؤازره " من يحميني حتى أودي رسالة الله " [سبق تخرجه], يطلب من يحميه ويؤازره , وإذا تتبعنا منذ دعوته ﷺ إلى يومنا هذا نرى إن الدعوات التي أثمرت وبقيت بين الناس ونفع الله بها العباد إنما تمت بين الداعية الواعي الشجاع وتهون عليه نفسه وبين مؤازر يتولى أمر هذه الدعوة وينصرها , راجع تأريخ الدعاة والمصلحين , وممن آزر النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها , وشخص من قرابته ﷺ وليس بمؤمن برسالته ولكنه كان مؤازراً لدعوته وهو أبو طالب لم يرد الله له الإيمان ومع ذلك وقف موقفاً لم يقفه كثير من المؤمنين من دعوة رسول الله ﷺ .

* « الصديقة بنت الصديق .. » / يكفي في شأنها أنه نزل فيها قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة , لا يوجد فضل أعظم من هذا , الله برأها من فوق سبع سماوات .

تبرؤ أهل السنة والجماعة مما يقوله أهل البدع والضلالة في حق الصحابة وآل البيت :

وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ. وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ .وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ . إِنْ صَدَرَ .، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ. ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ. ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَن نَّظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ

خِيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لاَ كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ.

* « ويتبرؤن من طريقة الروافض .. » / الروافض يكفرون أكثر الصحابة , والروافض من الفِرق التي ابتُلي بها علي ﷺ وابتُلي قبلهم بالخوارج , والخوارج مع ما فيهم من الشر , لكن شر الروافض أشد من شر الخوارج , الخوارج يقبلون المناظرة بالأدلة النقلية ويتأولون النصوص فيما يخطئون فيه وإن كانت تصرفاتهم خطأ لقصور علمهم في المسائل التي انتقدوها على علي ﷺ التي ناظرهم فيها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حتى تاب منهم خلق كثير ثم قاتل علي ﷺ البقية الباقية , ولكن الروافض غَلَو في علي إلى حد العبادة مما جعل علي ﷺ يضطر أن يُحرِّق كبارهم بالنار [أحوال الرجال للجوزجاني ص (4)] , هكذا امتُحِن علي بهذه الفِرق , وهم مع غلوهم في علي وآل بيته يبغضون كبار الصحابة ﷺ بل يكفرونهم ويعتقدون أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا القليل منهم , وأهل السنة يتبرؤن من ذلك ولا يرون فيهم الردة والكفر بل لهم مكانتهم كما أخبر النبي ﷺ أنهم خير القرون .

سماهم رافضة زيد بن علي رحمه الله , وسموا روافض ؛ لأنهم رفضوا الشيخين بل رفضوا أوامر الله تعالى وأوامر رسول الله ﷺ وخرجوا على دين الله في كثير من الأمور وتكفيرهم أولياء الله أبي بكر وعمر واعتقادهم أنهما صنمي أهل النار , وعدم تبرئتهم للصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما , ودعواهم تحريف القرآن الذي بين أيدينا , ودعوى إثبات مصحف فاطمة ومصحف علي , وفي مسألة التقية – إن التقية إلا النفاق – الرافضي لو كان في مجلس كله من أهل السنة يمكن أن يترضى على أبي بكر وعمر ولا يبالي , وعندهم مَن لا يجيز التقية ليس بشيعي , والتقية مبدأ عظيم عندهم أي الكذب والنفاق , أن يتظاهر أمام غيرهم بما يرضي الحاضرين مخالفاً لما في ضميره

وعقيدته , وموقفهم من السنة بأن السنة كلها غير صحيحة إلا ما جاء من طريق آل البيت , هذه من ضلالات الروافض , وما يجري هذه الأيام في بعض المناطق بدعوى التقريب بين السنة والشيعة تحت عنوان التقريب بين المذاهب هذا سعي وتضليل من الروافض ليضلوا الناس الذين لا يدركون حقيقة مذهبهم , ويقولون الخلاف بيننا كالخلاف بين المذاهب الأربعة , أي الأصول متفقة . وهذا كذب ليس بيننا وبينهم اتفق كامل في الأصول , بل الاختلاف في الأصول ليس في الفروع , وأصحاب المذاهب الأربعة متفقون في أصول الدين , ليس في الإسلام المذاهب الأربعة أو الأقل أو الأكثر في العقيدة بل مذهب واحد في العقيدة , ولكن الاختلاف في المسائل الفقهية الفرعية الاجتهادية كما تقدم وليس الأمر كذلك فيما بين السنة والروافض بل الخلاف أساسي وخلاف جوهري , ومن أراد الاطلاع على فِرق الرافضة عليه الاطلاع على كتاب الفرق بين الفِرق للبغدادي والملل والنحل للشهرستاني والفِصل لابن حزم ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري وغير ذلك , هذه الكتب ينبغي لطالب العلم دراستها ليعرف الفِرق المنتسبة إلى الإسلام منها ما هو باقٍ في حظيرة الإسلام ولا يصل لحد الكفر مع وجود الخلاف , ومنها ما يصل لحد الكفر كالجهمية وغلاة الروافض .

* « وطريقة النواصب » / منهم الخوارج , لا وجود للنواصب الذين هم على طريقة الخوارج , لا وجود لهم بصفة فرقة بذاتها وإن كان قد يوجد أفراد يمثلونهم في هذه العقيدة .

* « ويمسكون عما شجر بين الصحابة .. » / ما جرى بين الصحابة ﷺ من خلاف معلوم ولا أحد يُنكره والتأريخ يُثبت , لكن هل من العقل قبل أن يقال من الدين أن

تنصب نفسك الآن حكما بين الصحابة لتقول فلان مخطئ وفلان مصيب وفلان فيه كذا وفلان فيه كذا , من الذي كلفك بهذا ؟ الله عافاك لم تحضر لتشترك فيما وقع بينهم ؛ لذلك من كلام أهل السنة (طالما صان الله رماحنا وسيوفنا من دمائهم علينا أن نصون ألسنتنا وأقلامنا من أعراضهم) [تأريخ دمشق لابن عساكر (59 / 141) , تأريخ بغداد للخطيب البغدادي (6 / 44)] هذا هو العقل , ومن موقف أهل السنة السكوت التام والإعراض إذا قرأت القصص في التأريخ لما جرى بينهم , والسلامة كل السلامة أن تعرض عن ذلك وتمسك لسانك وقلمك ولا تخوض .

* « يقولون : إن هذه الآثار المروية .. » / فقد استغل بعض المغرضين فكتبوا أكاذيب , منهم من يكتب ضد معاوية ﵁ ومنهم من يكتب ضد علي ﵁ , وهكذا يقول شيخ الإسلام عن هذه الآثار المروية حتى لا يستدل الرافضي بحديث الحوض عندما كان يُطرد بعض الناس عن الحوض , يقول النبي ﷺ " أمتي أمتي أصحابي أصحابي , فيقال له لا تدري ما أحدثوا بعدك لقد غيروا وبدلوا " [سبق تخريجه] يريد الرافضي أن يستدل بهذا الحديث أن كثيراً من الصحابة ﵃ ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ , الحديث دليل عليه هو فالرافضي هو الذي يدخل في هذا الوعيد ؛ لأن الرافضي غيَّر وبدَّل وهو من الذين إذا مات على رفضه من الذين يُطرَدون من حوض رسول الله ﷺ ولا يشربون منه ؛ لأنهم غيروا وبدلوا , فأصحاب رسول الله ﷺ لا يُثبِت أحد - إذا استثنينا الروافض الذين هم محل اجتماع على الكذب - لا يوجد أحد من علماء التأريخ يُثبت بأن أحداً منهم ارتد ومات على ذلك , بل الذين ينبغي أن يستدل عليهم بهذا الحديث في مقدمتهم الروافض أنفسهم .

* « ومنها ما قد زيد فيه ونُقِص .. » / قد يكون له أصل ما قيل من المساوئ لكن زيد فيه وغُيِّر ونقص منه .

* « إما مجتهدون مصيبون » / له أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة .

* « وإما مجتهدون مخطئون » / له أجر الاجتهاد وإن فاته أجر الإصابة ,والقتال الذي جرى بينهم بالاجتهاد والكل مأجور على اجتهاده . إذن القوم على خير مطلقاً , إنما الخطأ والخطر على الذين يتحيزون لشخص دون شخص ولفئة دون فئة ليقع في أعراض أصحاب رسول الله ﷺ ويطعن فيهم ويسبهم .

* « وهم مع ذلك لا يعتقدون .. » / سواء من آل البيت أو من غيرهم , وتجوز عليهم الذنوب ؛ لعدم العصمة لا عن الصغائر أو من الكبائر . من يدرس حياة الصحابة ﷺ ويعرف مناقبهم وما قاموا به وأبلوا بلاءً حسناً في نصرة دين الله ونصرة رسول الله ﷺ يُقدِّر أنهم بشر اجتهدوا أخطا من أخطا وأصاب من أصاب .

* « ثم إن القدر الذي يُنكر من فِعل .. » / ما حصل من بعض الصحابة ﷺ ويُنكر عليهم شيء قليل جداً ومغفور ؛ لأنه عمل المجتهد وخطأ المجتهد مغفور .

* « في جنب فضائل القوم ومحاسنهم .. » / ذكر هنا صفات الصحابة ﷺ وأعمالهم .

* « خير الخلق بعد الأنبياء » / حتى أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الآخرين لا يصلون لدرجتهم , لا يفضل أصحاب رسول الله ﷺ إلا الأنبياء عليهم السلام .

* « لا كان ولا يكون مثلهم » / (كان) هنا تامة بمعنى لا كان لم يوجد في الماضي ولا يكون ولن يوجد في المستقبل مثلهم , وهي كان التامة التي تكتفي بالمرفوع ليست (كان)الناقصة التي ترفع الاسم وتنصب الخبر .

* « وأنهم الصفوة من قرون .. » / هكذا يقرر شيخ الإسلام مكانة الصحابة ﷺ .

موقف أهل السنة والجماعة في كرامات الأولياء :

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتَ الأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِّنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كالْمَأْثُورِ عَنْ

سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

* « ومن أصول أهل السنة : التصديق بكرامات الأولياء .. » / الأولياء : جمع ولي , والولي المحِب وقد تولى الله تعالى تعريف الولي ؛ لئلا يختلف الناس في ذلك { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ{62} الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ{63}سورة يونس }, وصفهم بالإيمان الصادق والتقوى . إذا ذُكرت التقوى مع الإيمان , ينبغي تفسير التقوى بامتثال الأوامر واجتناب المنهيات , هؤلاء هم الأولياء من آمن بالله وآمن برسله وآمن بكل ما يجب الإيمان به إيماناً صادقاً وعَمِلَ صالحاً فهو من الأولياء , وهم يتفاوتون الأنبياء والصحابة والعلماء العاملون والدعاة إلى الله بصدق وإخلاص وجميع المؤمنين طالما وُصِفوا بالإيمان والعمل الصالح فهم من الأولياء وليسوا بدرجة واحدة , لا النبي هو الذي يُظهر المعجزة ولا الولي هو الذي يُظهر الكرامة , ومن الغلو في الأولياء اعتقاد كثير من العوام من أن الولي هو الذي بنفسه يؤثر ويملك التأثير ويملك النفع والضر , ومن وصل إلى هذه الدرجة يقع في الإشراك بالله , والولي لا يملك شيئا قد يجري الله هذه الكرامة على يديه وهو لا يدري , المسكين يدعو ويتضرع إلى الله ولا يدري هل استجاب الله دعوته فيما يدعو ويطلب وأعطاه سؤله أم لا ؟ قد يعلم وقد لا يعلم ؛ لذلك هذا الأمر بيد الله سبحانه وتعالى وحده . والولي لم يستحق الكرامة استحقاقاً وإنما فضل من الله , والكرامة التي تحصل للأولياء ؛ لأنهم اتبعوا هدي أنبيائهم فلو أنهم خالفوا هديهم ما يحصل لهم لا يعتبر كرامة . إذن الكرامة ضمناً معجزة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . والكرامة لا تنقطع طالما يوجد الإيمان والتقوى في هذه الأمة وأتباع النبي ﷺ فالأولياء موجودون , إذن وجود الأولياء يستلزم وجود الكرامات , كل ذلك تفضلاً من رب العالمين .

* « والتصديق بكرامات الأولياء » / تصديقاً لخبر الله سبحانه وتعالى وتصديقاً لخبر رسول الله ﷺ وأخذاً من الواقع , تصديق كرامات الأولياء من الأصول ليست من الفروع .

وكرامات الأولياء على قسمين : قسم حقيقته التوفيق والاستقامة , ومن رزقه إتباع رسول الله ﷺ والاستقامة على ذلك دون ذبذبة أو تردد إلى يلقى الله ومات على ذلك فهذه كرامة عظيمة وهذا الذي حصل لأصحاب رسول الله ﷺ في الجملة . القسم الثاني الأمور الخارقة للعادة الأمور التي تجري على خلاف ما جرت به العادة في فعل الرب سبحانه , هذه الأمور إن حصلت على يدي من يدعي النبوة تسمى معجزة وتسمى آية في لغة القرآن (آيات الأنبياء) , وفي لغة أهل الكلام التي اصطلح عليها من أدرك المتكلمين وتأثر باصطلاحهم يسمى معجزة , ولا غضاضة في تسمية ذلك معجزة ؛ لأنه مجرد اصطلاح . أهل السنة والجماعة لا يحاربون كل اصطلاح , وإنما الاصطلاحات الضارة هي التي تُحارب وتُرد ككثير من اصطلاحات علماء الكلام , أما إذا كان مجرد اصطلاح كتسمية آيات الأنبياء بالمعجزات لا يردون ذلك ولا ينكرون . وإذا حصل أمرٌ خارقٌ للعادة على أيدي الصالحين من عباد الله من الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين إلى يوم القيامة هذه التي تعتبر كرامة , يُظهر الشيء ويجري على أيديهم إكراماً لهم وعوناً لهم على طاعته سبحانه وتعالى بأن يجعلهم مجابو الدعوة ليأثروا على أعدائهم بدعوتهم ويرزقهم الإلهام -الإلهام شيء غير الوحي- كل هذا حصل بالفعل ويقع كثيراً . وما قد يحصل من الأمور الخارقة للعادة على أيدي الفساق والكفار والكهان والعرافين والرمالين وأصحاب الحصى وأصحاب الفناجين والكفوف , هذا استدراج من الله تعالى لهم ؛ ليزدادوا إثماً ويزدادوا بذلك عذاباً . إذن ليست الأمور الخارقة دائماً معجزة ولا هي دائماً كرامة ولا هي دائماً استدراج , يُنظر إلى صاحب هذا

الشيء الخارق للعادة (ما حصل لعيسى عليه السلام من ولادته بدون أب كرامة وذلك قبل النبوة , وما حصل له بعد النبوة فهو معجزة) .

* « وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات .. » / هذا يسمى الإلهام , تحصل لهم علوم ومكاشفات وهو ما يُلقي الله سبحانه في روعهم وفي نفوسهم من الفهم الخاص الذي لا يفهمه غيرهم , وهذا يحصل كثيراً لعمر رضي الله عنه كما تعلمون .

* « وأنواع القدرة والتأثيرات » / كأن يرزق الله عبده ويكرمه أن يكون مجاب الدعوة , يدعو على أعداء الله وأعداء دينه وأعداء الإسلام يؤثر فيهم بدعوته , ويحصل له تأثير عجيب في صفوف الأعداء وخصومه .

* « والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف .. » / هذا الأمور موجودة وتبقى في الأمة إلى يوم القيامة بعد أن نعرف صفة من تظهر له هذه الأشياء وهذه الأمور " وما جرى لصحابيين اثنين رضي الله عنهما عندما تأخرا عند رسول الله ﷺ بعد العشاء في ليلة مظلمة مطيرة , والإنسان مضطر اضطراراً إلى الإضاءة في مثل تلك الليلة فخرجا قاصدين لمنازلهم فجعل الله مصباحاً في طرف عصا أحدهما ولما وصلا عند مفترق الطرق جعل الله للآخر مصباحاً ونوراً في طرف عصاه إلى أن وصل كل واحد منهما إلى منزله سالماً قبل أن يتضرر" [سبق تخريجه] , وهذه من أنواع الكرامات , يُقدِّر ذلك من كان يعيش ذلك الوقت ويعرف حاجة الناس إلى ذلك المصباح الضعيف لكن اليوم عندما تُذكر مثل هذه الأمور في جو نعيش فيه مساجدنا وبيوتنا مضاءة ليل نهار لا يقدِّر تلك الكرامة يحسب أنها أمر هين .

والفلاسفة أنكروا الكرامات ؛ لأنهم لا يؤمنون بالنبوات مع إيمانهم بالوَلاية (الوَلاية بالفتح هي المحبة بخلاف الوِلاية بالكسر فهي السلطان , وما نحن بصدده الوَلاية) , ولكن يؤمنون بمعقولاتهم ولا يقدرون الأنبياء بل على فرض وجودهم إنَّ حكمائهم أفضل عندهم من الأنبياء والأولياء . وأنكر الكرامات المعتزلة . وذكر شيخنا الشيخ الهراس أن بعض الأشاعرة أنكر الكرامة , وحسب اطلاعنا على كتب الأشاعرة التي بأيدينا لا نعلم أحداً من الأشاعرة أنكر الكرامات , ولكن شيخنا أعلم منا أو أكثر اطلاعاً على كلام أهل الكلام وخصوصاً الأشاعرة ؛ لأنه عاش بينهم وقد كان منهم فهو ممن يُؤخذ علمهم في هذا الباب .

وما يفعله بعض المتصوفة من أمور خارقة كدخول النار والضرب بالسلاح ليس من الكرامة وإنما أعمال شيطانية . التصوف نشأ هذا الاصطلاح وهذه البدعة في البصرة بعد القرون المفضلة , أصل نشأة التصوف من التقشف كما يقول شيخ الإسلام [مجموع الفتاوى (11 / 6)] بعض العباد ظهروا بالتقشف والزهد بالدنيا ثم بعد ذلك زين لهم الشيطان أن يلبسوا الصوف ويقاطعوا القطن والكتان وجميع الملابس إلا الصوف بزعمهم تزهداً في الدنيا , والشيطان له مداخل على ابن آدم فدخل عليهم من هنا بذلك تعلمون أن عبادة الجهال على خطر ؛ لأنهم يعبدون الله على جهل وبدون علم , زُيِّن لهم هذا التزيين ثم بعد ذلك دخلت فيهم الزندقة والإلحاد إلى إن غلا بعضهم في بعض وعبد بعضهم بعضا إلى أن ظهر منهم الملاحدة من وحدة الوجود واعتقدوا أن هذه الشريعة أمرٌ مرحلي ينتهي بالوصول إلى الله في زعمهم , والعارف بالله الذي وصل إلى الله بزعمهم تسقط عنه هذه التكاليف الصلوات والصيام وغير ذلك هذه الشريعة خاصة بأتباع الأنبياء الذين لم يصلوا , من هنا تزندقوا وخرجوا عن الشريعة ؛ لأن من اعتقد أن في إمكانه يصل إلى الله بغير طريق رسول الله ﷺ ويستغني عما جاء به النبي ﷺ يرتد عن الإسلام , هذا ما وصل إليه كبار المتصوفة من ابن عربي وابن الفارض وابن

سبعين وابن عجيبه وغيرهم وأمثالهم من الأبناء أبناء الصوفية الذين تطرفوا ووصلوا إلى كفرٍ لم يأتِ به كفار قريش ؛ لأنهم أنكروا الإثنينية وقالوا إن الكون كله شيء واحد عين واحدة لا يوجد هناك رب مربوب وعبد ومعبود , الكل من عين واحدة بل عين واحدة , هذا الكفر هو الذي يتزعمه ابن عربي الطائي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم , ولكون حكاياته حكاية غريبة عندما يحكي المؤلفون الذين ردوا عليه ينبغي لكبار طلبة العلم الاطلاع على كتب هذا الزنديق ؛ ليعرفوا حقيقته من كتبه لا بواسطة وإلا يكفي ما كتب عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله وكيل أنصار السنة المحمدية الذي توفي بمكة الذي كان رئيس قسم العقيدة في جامعة أم القرى له كتاب يسميه (هذه هي الصوفية) نقل الشيخ عبد الرحمن الوكيل في هذا الكتاب نقولاً كثيرة من كتبهم وممن قبله ينبغي أن يطلع على ذلك طلاب العلم ؛ لئلا ينخدعوا بالصوفية الموجودة الصوفية الموجودة الآن وإن لم يصلوا إلى هذا الإلحاد لكن إيمانهم بهذا الإلحاد واعتبار ابن عربي خاتم الأولياء وسلطان الأولياء وتقديسهم إياه يجعلهم يُلحَقون به ؛ لأن من أيد الكفر وظاهر الكفر يكفر .

فالصوفية يفعلون هذه الأشياء الدجل وخوارق العادات مع الاستعانة بالشيطان وهذا عمل الكهان والعرافين كثير إلى يومنا هذا , فيتفق ولي من أولياء الشيطان مع شيطانه والشياطين تخبره بأمور غائبة من المنطقة التي يعيش هو , الحوادث التي تقع في العالم , الشيطان في إمكانه أن ينقل إلى ولي من أولياء الشيطان في لحظة , ما وقع في باكستان ما وقع في إفريقيا يأتي بهذه الأخبار فينقل إليه وهو بدوره يجعل هذه كرامة فيُخبر والناس تنخدع , كذلك قد تضيع ناقة أو تُسرق سيارة وتحبس في مكان معين والشياطين تنقل هذه الأخبار وهذه الحوادث إلى الشيخ (شيخ الشياطين) وهو يخبر الناس بأن الضالة الفلانية والسيارة المسروقة في المكان الفلاني ويأخذ على هذا أموال باهظة والناس يحسبون عَلِمَ ذلك بالكرامة , ولكن بأخبار الجن والشياطين وهم لم يخبروا

عن الغيب ؛ لأن الشياطين لا تعلم الغيب { قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ{65}سورة النمل } , ولكن الشياطين تخبر عن المشاهدة , وربما يكونوا أعضاء في السرقة والاختطاف فيأتون فيخبرون هذا الدجال وهو يعيش على هذه الطريقة , ما أكثر هذا النوع في العالم اليوم الذين ينظمون في الرمل ويخبروا أشياء من المغيبات وينظروا في الكفوف فيقرأ في الكفوف والفنجان بأشياء غير موجودة وأنتم لا ترون شيء في الفنجان ولا في الكفوف وهو يدعي أنه يعلم من هذا أشياء , كثير رجال لهم هيئة لَما ترى مخدوعين بأمثال هؤلاء ويصدقونهم بناءً على أخبار الشياطين . يقول الإمام الشافعي رحمه الله (لو رأيت رجلاً يطير في الجو ويمشي على الماء لا تصدقه بأنه ولي من أولياء الله حتى تعرض أعماله على الكتاب والسنة) , قد يصل الإنسان استدراجاً من الله يطير في الجو ويمشي بقدميه على الماء قبل أن يغرق , يقول لا تصدقه وتجعل هذه كرامة حتى تعرض أعماله على الكتاب والسنة . إذن هذه الأمور واقعة من قبل واليوم أشد وقوعاً فلا ينبغي أن ينخدع الإنسان ينبغي أن يعلم كما يقولون علم الواقع في مثل هذا .

صفات أهل السنة والجماعة :

فَصْلٌ: ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، حَيثُ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ

بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ). وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، وَيُؤْثِرُونَ كَلاَمَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ. وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ .وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدينِ. وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِه الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ. وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلاَفُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ .

فَصْلٌ: ثُمَّ هُم مَّعَ هّذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ :وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ. وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا)، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ). وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ. وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا). وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ .وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ،وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا. وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ

وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم .

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ أُمَّتُهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّار؛ إلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الجْمَاعَةُ. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيومَ وَأَصْحَابِي)، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجْمَاعَةِ .

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمُ أَعْلامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَفِيهِمُ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لاَ يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ..

* « ثم من طريقة أهل السنة والجماعة إتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً .. » / باطناً : بأعمال القلوب من الاعتقاد والمحبة والخوف والرجاء والحب في الله والبغض في الله , كل هذه أعمال باطنية . ظاهراً : أعمال الجوارح وقول اللسان .

* « وإتباع سبيل السابقين الأولين .. » / من طريقة أهل السنة المتأخرين الذين جاءوا بعد السابقين الأولين ألاّ يُحاولوا الانفصال عن السابقين الأولين ويخطوا لهم طريقاً آخر غير طريقهم بل يجب عليهم أن يحاولوا إتباع ما جاء به النبي ﷺ بمفهوم السلف الصالح

, لا يمكن أن يُفهم الكتاب والسنة وهدي رسول الله ﷺ إلا عن طريق السلف الصالح السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ؛ لأنهم هم الذين أخذوا هذا الدين من في رسول الله ﷺ وأقواله وأفعاله وتقريراته , وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ شرط لقبول الأعمال بعد الإخلاص لله تعالى .

* « وإتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال : عليكم بسنتي .. » / أي التمسك بها وأكد ذلك بقوله (النواجذ) , سنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم هي سنة رسول الله ﷺ إلا أنهم قد يأتون مجتهدين ببعض الأحكام ويسنون بعض السنن مجتهدين متبعين لهديه ﷺ فيجب الأخذ بذلك [" عليكم بسنتي .. "[أخرجه أبو داوود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه برقم (4607) والترمذي برقم (2676) وابن ماجه برقم (42 , 43) وغيرهم , صححه الألباني في صحيح الجامع (2 / 346)] ومن أخذ ما سنَّه أحد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم يُعتير متبعاً لسنة رسول الله ﷺ , ولما سنَّ عثمان رضي الله عنه الأذان الأول للجمعة عَمِلَ المسلمون بذلك من ذلك التأريخ إلى يومنا هذا[أخرجه البخاري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه برقم (912)] , والأذان كان واحداً وهو الذي بين يدي الإمام لكن لما بدأ يكثر أهل المدينة وابتعد السوق عن المسجد سنَّ عثمان رضي الله عنه الأذان الأول , والبعد كان أمراً نسبياً , أي بالنسبة لما كان عليه الأمر سابقاً , فعثمان رضي الله عنه حصل له في عهد عمر رضي الله عنه ما حصل ولعله استفاد من ذلك الدرس , " عثمان رضي الله عنه جاء ذات مرة وعمر رضي الله عنه يخطب , فعاتبه عمر رضي الله عنه على تأخره ولم يأتِ إلا بعد أن صعد عمر رضي الله عنه المنبر , واعتذر أنه لما سمع الأذان لم يعمل شيء إلا أنه ذهب لمنزله فتوضأ فجاء , قال عمر والوضوء أيضا " [أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (878) ومسلم برقم (845)] , هذا العتاب يقول بعض أهل العلم لعل هذا هو الذي أثّر في عثمان رضي الله عنه , ولما جاء دوره فأصبح خليفة سنَّ هذا الأذان ؛ ليتمكن الناس

من الانصراف من أعمالهم في وقت مناسب فيتهيئوا لصلاة الجماعة فيأتوا مبكرين , على هذا ينبغي أن يكون بين الأذانين وقت كافٍ , أما أن يُجعل الأذان الأول كأنه أذان لصلاة ركعتين خفيفتين محدثتين غير معروفتين سابقاً ثم يؤذن الأذان الثاني حالاً بعد الانقضاء من الركعتين الخفيفتين , هذا لا يؤدي الغرض ولا يُعتبر اتباعاً لسنة عثمان ﵁ , إنما ينبغي على الأقل بين الأذانين نصف ساعة أو ساعة أو ساعة إلا ربع , المقدار الذي سيتمكن الإنسان يرجع إلى بيته ويستعد ويأتي للجمعة , هذه سنة عثمانية عمل بها المسلمون قديماً ولا يزالون يعملون بها وإن كان تطبيقها في بعض المناطق تطبيق غير صحيح اليوم .

* « وإياكم ومحدثات الأمور » / الأمور المخالفة لسنته ﷺ والخلفاء الراشدين ﵃ محدثة .

* « ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله » / يؤمنون بأن هذا القرآن من كلام الله ﷻ .

* « ويؤثرون كلام الله على غيره .. » / إيماناً وعملاً ودعوة , فيأخذون من كلام الله عقيدتهم وعبادتهم وأعمالهم ويجعلونه هو المصدر الوحيد والسنة شارحة , السنة والقرآن لا يختلفان لأنهما من عند الله , القرآن من عند الله لفظاً ومعنًى والسنة من عند الله معنًى والألفاظ من عند رسول الله ﷺ .

* « ويقدمون هدي محمد ﷺ .. » / لأن هديه ﷺ من عند الله ﷻ .

* « ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة » / المتبعون للكتاب والسنة وليس لهم مصدر آخر , وعندهم مصدر التلقي واحد (الوحي) , مصدر التلقي في العقيدة ومصدر التلقي في العبادة والأخلاق والسياسة والاقتصاد في جميع أعمالهم , لا يتبعون آراء الرجال واستحساناتهم لكن يتبعون هدي الرسول ﷺ .

* « وسموا أهل الجماعة » / أهل السنة وأهل الجماعة ,أي المتبعون للجماعة أصبح هذا اسماً للجماعة المجتمعين وهم الجماعة الأولى جماعة الصحابة رضي الله عنهم .

* « والإجماع هو الأصل الثالث » / أصول الإسلام الكتاب والسنة والإجماع .
* « وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة .. » / تقدم بأنهم يتّبعون سنة السابقين الأولين , السابقون الأولون إذ أجمعوا على شيء إجماعهم حجة , وإجماع من بعدهم ليس بحجة .
* « والإجماع الذي ينضبط .. » / قاعدة عظيمة , أي الإجماع المقصود هو ما كان عليه السلف الصالح عندما كانوا مجتمعين في المدينة وما حولها لم يتفرقوا في الأرض ولم يكثر الخلاف بينهم , الخلاف محصور وعددهم ينضبط وأماكنهم منضبطة ؛ لهذه الأسباب إجماعهم حجة , أصل اجتماعهم كان في المدينة بعد ذلك تفرق المسلمون في الشام والعراق واليمن وأقطار الدنيا وكثر الخلاف وانتشر الخلاف بينهم , من المستحيل أن يقع الإجماع بعد ذلك , ولكن يقال اتفاق ويقال قول الجمهور , أما الإجماع فهو ذلك الإجماع .

* « ثم هم مع هذه الأصول.. » / التي تقدم ذكرها , ختم شيخ الإسلام رحمه الله هذه الرسالة بأصول عظيمة جداً , وهذه الأصول ينبغي أن يحفظها طلاب العلم , وهذه الرسالة الصغيرة وإن كان جميع بحوثها وأبوابها نافعة , أى أن هذه الأصول التي ختم بها الشيخ هذه الرسالة أصول قد لا توجد مجتمعه في كتاب كهذا مع صغر حجمه , ثم يقول الشيخ وهو يصف أهل السنة وما يتحلون به من الأخلاق ومحاسن الأعمال قال :

* « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة » / جملة (على ما توجبه الشريعة) جملة مهمة ينبغي أن تفهم , الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب

, وقد عد بعض أهل العلم أنه من أركان الإسلام , على ما توجبه الشريعة ذلك إشارة إلى قوله ﷺ " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده .. " [أخرجه مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه برقم (49)] , إزالة المنكر باليد واجب بالنسبة لمن له سلطة سواء السلطة العامة أو السلطة الخاصة , الحاكم وولي الأمر ونوابه وأعوانه لهم السلطة العامة أن يغيروا المنكر بأيديهم حيث وُجِد وهذا واجب عليهم , والسلطة الخاصة كل إنسان له سلطته المحدودة في بيته في مكتبه في مؤسسته في شركته في إدارته كل مطالب بأن يُغيّر المنكر بيده في حدود سلطته , وأما إذا خرج من حدود سلطة صاحب السلطة الخاصة لا يجب عليه أن يغير المنكر بيده بل لا يجوز , قد يترتب على تغيير المنكر باليد لمن ليست له سلطة عامة أو خاصة قد يترتب على ذلك منكر أعظم أو منكر مثله ؛ لذلك يشير الشيخ إلى ذلك بقوله (على ما توجبه الشريعة) .

* « يرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء .. » / المقصود بالأمراء أصحاب السلطة من الملوك والسلاطين الذين جمع الله على أيديهم كلمة المسلمين بصرف النظر هل هم من الأبرار أو من الفجار , برهم وفجورهم يضرهم في أنفسهم , لكن المسلم الذي يعيش تحت هذه السلطة عليه أن يلتزم ويطيع ما لم يؤمر بمعصية , يقيم الحج تحت رئاستهم ويجاهد تحت رايتهم ويقيم الأعياد والجمعة تحت رعايتهم ولا يبحث عن صلاحهم أو عدم صلاحهم في أنفسهم , هذا شيء خاص فيما بينهم وبين الله عز وجل , " وعلى المسلمين السمع والطاعة ما لم يؤمروا بمعصية " [أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (7144) ومسلم برقم (1839)] , وهذا من السياسة الشرعية , والسياسة الشرعية تقتضي أن يسعى كل فرد من المسلمين بما يحفظ على الأمة أمنها ووحدتها واستقرارها وعدم انتشار الفتن في المجتمع .

* « ويدينون بالنصيحة للأمة .. » / الأمة كلها بحاجة للنصيحة من ولي الأمر إلى آخر فرد من أفراد الأمة , من النصح للأمة تعليم جاهلهم وتذكير غافلهم , وأن تبدي لهم النصح خالصاً وألا تغشهم ولا تُلبِس عليهم ولا تكذب عليهم , بل توضح لهم الدين الخالص الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ دون أن تلبس على العوام وتوهمهم الباطل حقاً والحق باطلاً , وهذا التلبيس ليس من صفات المؤمنين وليس من صفات أهل السنة والجماعة بل النصح هو الواجب .

* « ويعتقدون معنى قوله ﷺ : المؤمن للمؤمن كالبنيان .. » / المؤمن للمؤمن : ولم يقل المواطن للمواطن ولا ينبغي أن تحل المواطنة محل الإيمان , بل يستحق عليك أخوك المسلم النصح لكونه مؤمناً سواء كان مواطناً اصطلاحياً أم لم يكن .

* وشبك بين أصابعه : إشارة إلى أن المؤمنين يتناصحون ويتعاونون ويقوي بعضهم بعضاً .

* « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم .. » / هذا المثل العظيم حيث ما كان أخوك المسلم , سواء في وطنك أو في بلد آخر وسواء كان مواطناً رسمياً أو لم يكن , طالما يتمتع بصفة الإيمان يستحق منك كل هذا العطف والرحمة بصفته مؤمنا إذا صدقنا في إيماننا مع الله عز وجل .

* « ويأمرون بالصبر عند البلاء .. » / من سعادة المرء أن يستغفر إذا أذنب وأن يشكر الله إذا أنعم الله عليه وأن يصبر على البلاء ويرضى بمر القضاء والقدر . ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله أن من سعادة المرء أن يتمتع بهذه الصفات . ليس المؤمن ذلك الذي لا يعصي ولكن المؤمن من إذا أحسن سرّته حسنته وشكر الله وطلب المزيد من فضله , وإذا أساء أساءته سيئته فتاب واستغفر [حديث أخرجه الترمذي عن أبي موسى

الأشعري رضي الله عنه برقم (2254) وعبد الرزاق في المصنف برقم (20710) وأحمد (1 / 26) والحاكم (1 / 114) , صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (6294)] ورجع إلى الله تعالى , ليس بلازم أن يكون المؤمن معصوماً كما يوهم كلام بعض الناس (المؤمن ذلك الذي لا يعصي) هذا خطأ في التصور , لا يوجد مؤمن معصوم لا يعصي الله بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

* « ويدعون إلى مكارم الأخلاق » / الصدق في اللهجة من مكارم الأخلاق لا يكذب ولا يغش ولا يُلبس .

* « ومحاسن الأعمال » / من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاشتغال بالعلم النافع وتعليم الناس ونفع الناس " خير الناس أنفعهم للناس " [أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عمر رضي الله عنهما (12 / 453) وابن عساكر في تاريخ دمشق (41 / 292) وغيرهم , قال الألباني وهو حديث ثابت في رتبة الحسن , السلسلة الصحيحة برقم (906)] .

* « ويعتقدون معنى قوله ﷺ : أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » / الذين لا يؤذون عباد الله ولا يغشونهم ولا يحملونهم على التضليل ولا يكذبون عليهم ولا يلبسون عليهم أمورهم بل ينصحون ويحبون لإخوانهم المسلمين ما يحبون لأنفسهم ويكرهون لهم ما يكرهون لأنفسهم .

* « ويندبون إلى أن تصل من قطعك .. » / هذا موقف يقل جداً , من يقف هذا الموقف ويتصف بهذه الصفة أن تصل من قطعك وهجرك ولا تتأثر بما فعل من القطيعة والإساءة بل تتجاهل فتصِله ما لم يكن الهجران لله تعالى , الهجران في الله يكون آخر العلاج إذا عصى أحد إخوانك وهفا وأخطأ لا تبادر بالهجران والقطيعة بل ابداً بالنصح والتوجيه والدعاء له , وبعد تكرار النصح يحل لك أن تهجره بنِيّة الإصلاح ؛ لأنك

مُصلِح تعالج , والهجران كالكي آخر العلاج ؛ لذلك لا ينبغي أن يبدأ الإنسان متبعاً لعاطفته بأن يهجر كل من عصى وكل من ابتدع وكل من هفا .

* « وتعطي من حرمك .. » / إن كنتَ محتاجاً منعك وهو مستطيع ودارت الأيام فأصبحت يدك هي اليد العليا وأصبحت يده هي اليد السفلى ينبغي أن تعطيه لا تجازيه على ما فعل مِن أنه حرمك وأنت محتاج إلى العطاء بل تعطي وتحسن , بهذا تملك قلوب الناس وتقربهم وتربط بينك وبينهم صلة المحبة في الله , ولا ينبغي أن تكون فظاً غليظاً لا تتودد إلى إخوانك المسلمين , تتودد إليهم بالعطاء والكلام الطيب وطلاقة الوجه :

بُنيَّ إن البر شيء هينُ وجه طليق ولسان لينُ [ابن عمر رضي الله عنهما]

بهذا تحاول أن تعيش مع إخوانك المسلمين .

* « وتعفو عمن ظلمك » / وهذا موقف عظيم وعظيم جداً , قد يظلمك إنسان في نفسك ويعتدي عليك ولا تحاول أن تقابل السيئة بالسيئة بل تحاول أن تقابل السيئة بالحسنة وتعفو , وربما في مثل هذه الأيام يُنقل إليك فلان قال فيك كذا فلان اغتابك وقال كذا وظلمك وفعل وفعل , عليك أن تقول عفا الله عنه وتعفو وتصفح , هذا من مكارم الأخلاق , وتزداد بذلك عند الله عزا , إذا عفوتَ وأنت قادر على الانتقام إما بنفسك أو بواسطة السلطة ومع ذلك عفوت وتجاوزت يرفع الله لك درجة ؛ (لذلك نحن نعفو عن كل من ظلمنا من إخواننا سواء كانوا حاضرين أو غائبين ونسأل الله ألا يأخذ أحداً ولا يؤاخذ ويعاقب أحداً من إخواننا المسلمين بسببنا) فنرجو من الجميع أن يتبادلوا معنى العفو والصفح لنعمل مجتمعين واقفين في صف واحد في السير إلى الله ونصح عباد الله وتعليم الجاهلين من إخواننا المسلمين وتذكير الغافلين .

* « ويأمرون ببر الوالدين .. والرفق بالمملوك » / إن كان لديك مملوك أو أجير , والأجير هو الكثير اليوم , وقد يستغل بعض الناس العمال الذين لديهم يستغل نشاطهم وقوتهم ويظلمهم في حقوقهم ويستغلهم لغربتهم وضعفهم كما يبلغنا كثيراً من أصحاب المؤسسات الذين يظلونهم فيما يستحقون بعد أن تتراكم حقوقهم ومرتباتهم يهدد أخيراً بالتسفير والتسليم للشرطة , هذا ظلم عظيم ينبغي أن يخاف الإنسان ربه رب العالمين في هؤلاء المستضعفين الذين وفدوا إلينا ليطلبوا الرزق , بل الواجب علينا أن نستغل وجودهم بيننا للدعوة والإصلاح والتعليم .

* « وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق .. » / هذه صفات تتنافى مع الإيمان الصحيح , وهذه صفات الفجار والفساق ليست من صفات المؤمنين .

* « ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفسافها » / المسلم دائما يتخلق بمكارم الأخلاق ويترفع عن السفاسف لا يجلس في مجالس اللهو واللغو والنكت المضحكة تاركاً ذكر الله والاشتغال بكتاب الله والتعلم وتعليم العلم النافع ومجالسة أهل الخير , يترفع عن مجالسة السفهاء الذين لا يستفيد من مجالستهم إلا تضييع الأوقات , لا ينبغي أن يكون المؤمن ينزل ويهبط إلى هذا المستوى .

* « وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا وغيره .. » / ليسوا مبتدعين في أفعالهم وأقوالهم , يكونوا متبعين دائما , كيف يكون المرء متبعاً في كل شيء ؟ بالعلم والعلم قبل القول والعمل , إن لم تتعلم كيف تكون متبعاً ؟! لا يتحقق إتباع الكتاب والسنة إلا بالعلم , ثم ليس المراد بالعلم التعليم النظامي بل بحضور مجالس العلم ؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ علماء ولكن ليس تعليمهم كالتعليم النظامي الجاري عندنا اليوم , " يحضرون مجلس

رسول الله ﷺ ويسمعون كلامه ويحفظون وينقلونه إلى من ورائهم , قد يتناوب أهل العوالي وينزل بعضهم الليلة مثلاً فيحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيسمعون ويحفظون وينقلونهم لمن خلفهم وينزل في الليلة المقبلة أناس آخرون أو فرد فيحضر مجلس رسول الله ﷺ هكذا تعلموا " [سبق تخريجه], والتعليم بهذه الطريقة سهل ميسور جداً اليوم وأسهل من أي وقت مضى , بإمكان المرء أن يتعلم من هذه الأشرطة إن لم يتمكن من حضور مجالس العلم يرسل شريطه فيسجل المعلومات فيحفظها , والتعليم واجب وجوباً عينياً في هذا الوقت لكثرة الخلط والخبط والتلبيس والتضليل , إن لم تدرس دراسة واعية في كتب السنة وفي كتب العلماء ولم تحضر لدى المشايخ المعتبرين أصحاب العلم لتأخذ العلم من أفواه الرجال تكون ضائعاً , لا تتخذ الكتاب شيخاً , اتخذ شيخاً تعلّم واجتهد واتعب في التحصيل لتأخذ العلم من فيه (فمه) , ولا تقتصر على طلب العلم في الكتب ما لم تنضج , إذا نضجت وتقدمت بعد ذلك بإمكانك أن تستفيد من الكتب والمطالعة .

* « وطريقتهم هي دين الإسلام .. » / طريقة أهل السنة والجماعة الذين يتبعون الكتاب والسنة ويفسرون الكتاب والسنة ويفهمون الكتاب والسنة بمفهوم السلف الصالح , إذن طريقتهم دين الإسلام .

* « الذي بعث الله به محمداً ﷺ » / لأن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أمناء , والرسول ﷺ نقل العلم إلى أولئك الأمناء , وهم نقلوا إلى التابعين , والتابعون نقلوا إلى تابعي التابعين , فوصلنا هذا العلم بالتواتر ؛ لذلك إتّباعهم هم , هو دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ .

* « لكن لما أخبر النبي ﷺ .. » / فيما أخبر من بعض المغيبات , وإن كان الغيب المطلق لله وحده إلا إن الله اطلع نبيه ﷺ على كثير من المغيبات . من ذلكم :
* « ستفترق أمته على ثلاث وسبعين فرق ..» / أخبر مما نحن فيه اليوم قبل أن يقع .
* « كلها في النار » / لا يلزم من هذا أن الفِرق كلها كافرة , من فَهِمَ هذا فقد أخطا , هذا من نصوص الوعيد , الذين خالفوا الجماعة ليس مخالفتهم كلها كفر . قد تصل المخالفة إلى الكفر وقد لاتصل قد يكون ابتداع وانحراف , والبدع مختلفة بدع مكفرة وبدع غير مكفرة , والفِرق التي ظهرت في المسلمين , وألّف أهل العلم فيهم الكتب لم يحكموا على تلك الفِرق كلها بالكفر البواح إلا على فرقتين اثنتين , ومن درس كتب الفرق كالفرق بين الفِرق للبغدادي ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري والملل لابن حزم يعرف كثرة تلك الفرق , الفرقة الواحدة نفسها تفرعت إلى فرق كثيرة , لكن أصول الفرق هي هذه . وهل كلها كافرة ؟ لا , من الفرق التي كفرها أهل السنة والجماعة بدليل من الكتاب والسنة هم غلاة الروافض الذين رفضوا أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ وكفروا أوليائه من أصحاب رسول الله ﷺ , والجهمية أتباع الجهم بن صفوان الذين أنكروا وجود الله الخارجي , جعلوا وجود الله وجوداً ذهنياً حيث سلبوه الصفات والأسماء معاً لم يثبتوا لله إلا وجوداً ذهنياً . لم يكفروا المعتزلة ولم يكفروا الأشاعرة ولم يكفروا الماتوريدية , غير هاتين الفرقتين من الفرق الكثيرة التي ظهرت في الإسلام لم يكفر أهل السنة والجماعة . إذن قوله ﷺ (كلها في النار) لا يلزم منه الكفر ؛ لأن الذي يدخل النار, منهم من يدخل النار لكونه ارتكب موجبات النار وهو مسلم , ومنهم من يدخل النار خالداً مخلداً وهو الكافر , وجميع العصاة عصاة الموحدين وجميع المنحرفين والمبتدعة والفاسق المليَّ كلهم تحت مشيئة الله لا يُحكم عليهم بالنار إلا من حكم عليه النبي ﷺ , لكن من علمنا بأنه مات على الكفر حكمنا عليه بالنار , والكافر المعين قبل موته لا تحكم عليه بالنار لا تدري قد يؤمن , هذه مسألة خطيرة

جداً , يفهم بعض صغار طلبة العلم من قوله (كلها في النار) أن جميع الفرق كافرة غير الجماعة غير الفرقة الناجية , بل كلهم مهددون بالنار وأصحاب وعيد . لكن الفرقة هذه التي نسأل الله أن يجعلنا منهم وَصَفَ النبي ﷺ أنها هي الجماعة التي بقيت مجتمعة على الكتاب والسنة وإن تأخر بهم الزمن إلى يوم القيامة طالما هم متمسكون بالكتاب والسنة وما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ هم الجماعة وهم الفرقة الناجية , ومن ظن نفسه أنه منهم لا يتخذ ذلك مفخرة بل يتواضع ويخاف من الله أن يُسلَب ويموت على سوء الخاتمة " إنما الأعمال بالخواتيم " [سبق] , كون الإنسان يفتخر ويقول أنا كذا وأنا كذا وأنا التزمت وأنا فعلت , هذا خطر على الإنسان ؛ لأنه يكون مغروراً والمغرور ينسى ربه ويعتو بنفسه ويكون مخدوعاً يخدعه شيطانه ولكن المؤمن يخاف من ذنوبه ويخاف العاقبة , وإذا ظن بأن الله سبحانه وتعالى وفّقه وسلك مسلك الجماعة يحمد الله على ذلك ويشكره كثيراً ؛ لأنها نعمة عظيمة فيطلب المزيد من فضله والثبات على ذلك ويدعو لغيره أن يكون مثله , لا يستحقر غيره فيقول غير ملتزم فيستحقره فلان غير متمسك فيستحقره , اشكر الله على هذا الفضل ولا تتعاظم , إياك والكبرياء إياك والخيلاء إياك والعجب , هذه من الأخلاق التي تضيِّع الإنسان .

* « صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب .. » / الخالص تفسير للمحض , فهذا الإسلام الذي ليس فيه ابتداع في العبادة وابتداع في العقيدة وابتداع في السير إلى الله , من تمسك بهذا هم أهل السنة والجماعة , هذا تفسير آخر لأهل السنة والجماعة نستطيع أن نأخذ من كلام شيخ الإسلام : هم المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب , لو عرَّفت أهل السنة والجماعة بهذا التعريف صار التعريف تعريفاً صحيحاً مانعاً جامعاً .

فتش نفسك بعد ذلك هل أنت معهم أو خارج منهم , إن وجدتَ نفسك أنكَ منهم احمد الله على ذلك واطلب المزيد من فضله والثبات على ذلك حتى تلقاه وإن وجدتَ نفسك خارجاً من هذه الصفات اطلب من الله العافية وتب إلى الله وابكِ على ذنوبك وارجع إلى الله .

* « وفيهم الصديقون » / الصديق الأول هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
* « الشهداء » / الذين ماتوا في المعركة يريدون إعلاء كلمة الله تعالى .
* « والصالحون » / الذين صلحت أعمالهم بالتمسك بالكتاب والسنة .
* « ومنهم أعلام الهدى » / يعني أئمة أهل السنة والجماعة بما فيهم الأئمة الأربعة .
* « وفيهم الأبدال » / الذين يخلف بعضهم بعضاً في تجديد هذا الدين ؛ لأن الله عز وجل جرت سنته كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كلما احتاجت الأمة إلى تجديد الدين بأن ابتعدوا عن الدين وضعف التمسك وجُهِلت الخطة " يقيض الله من يجدد هذا الدين لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة " [أخرجه أبو داوود عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (4282) والحاكم (4 / 522) , صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (599)] , ويختلف أهل العلم في تعيين هؤلاء فيما تقدم , ولكن الذي يكاد أن يُجمعوا عليه على أنه من المجددين الإمام أحمد رحمه الله ؛ لأنه صبر واحتسب وأوذي ورفض كلمة لو قالها (وهي كلمة الكفر) صارت سيئة تُكتب عليه ويُتّبع في ذلك وهي القول بخلق القرآن ونفي الصفات , أثرت المعتزلة كما قال البيهقي في المأمون العباسي حتى اقتنع بمسألة خلق القرآن ونفي الصفات واستغل سلطانه ودعا الناس قسراً وبالقوة إلى اعتقاد هذه العقيدة , ولكن الله العليم الحكيم أخذه قبل أن يتمكن من تنفيذ ما أراد حيث حُمِل إليه الإمام أحمد وهو خارج من بغداد ولكنه هلك قبل أن يصل أليه الإمام فرُدَّ الإمام إلى بغداد , تولى تعذيب الإمام أحمد المعتصم بالله والواثق بالله بعد المأمون , وإن كان بعض الناس

صبروا ومنهم من مات ومنهم من تظاهر بالموافقة وقلبه مطمئن بالإيمان إلا أن الإمام أحمد امتاز بالصراحة والصبر على ذلك كان يقول (لا يُتجاوز الكتاب والسنة) في كل ما يُسأل ؛ لهذا أثبت أنه من المجددين , وكل من جاء بعده من أهل العلم شهدوا له أنه من المجددين إمام أهل السنة والجماعة وقامع البدعة , بعده بسبب هذه المحنة جُهل منج السلف وتفرق المسلمون المتمسكون في أنحاء الدنيا , مضت على المسلمين فترة من أصعب الأيام التي مرت على المسلمين فيما بين الإمام أحمد والإمام أحمد ابن تيمية رحمهما الله إلى أن قيض الله هذا البطل المظلوم فصدع بالحق وانتصر لمنهج السلف في القرن السابع , بعض المؤرخين قال عن ابن تيمية البطل المظلوم , هذا الإمام مهما قام به من خدمة والدفاع عن العقيدة والنصرة لمنهج السلف والجهاد في سبيل الله مظلوم بين كثير من الناس , كثير من المتعصبين أعداء شيخ الإسلام لما عجزوا من مقاومته ومناظرته وغلبهم في العلم وسعة الاطلاع جعلوا يتهمونه بتهمات باطلة كما هو شأن أهل الباطل إلى وقتنا هذا , منهم من يقول شيخ الإسلام خرق الإجماع , الإجماع إذا ذُكِر فهو إجماع السلف إجماع الصحابة ﷺ , أين خرق الإجماع ؟! في أي مسألة ؟ ذكروا منها مسألة الطلاق بالثلاث , ومسألة الطلاق بالثلاث لم تكن محل إجماع قط , هذا مما يكشف جهل هذا العدو الذي يعادي شيخ الإسلام تعصباً منه ,[حياة شيخ الإسلام ابن تيميه , للشيخ محمد بهجت البيطار ص (54 – 55)] , وسبب هذا العداء صراحة الرجل وقوته في نصرة منهج السلف والدفاع عنه ومناظرة ومناقشة من يعادي هذا المنهج الذي ألَّف في كل جماعة , في الروافض في الملاحدة في الجهمية في الأشعرية في المعتزلة وفي المنطقيين والفلاسفة , ناظرهم جميعاً والَّف فيهم مؤلفات فأفحمهم فأسكتهم جميعاً ؛ لذلك نصبوا له العداء واتهموه باتهامات باطلة رحمه الله . ثم جاء مجدد القرن الثاني عشر هذا المجدد قيض الله له من يؤازره ويتبنى دعوته , من دعوته استفدنا من كتب ابن تيمية وكتب أحمد بن حنبل , هذه الكتب العظيمة التي ندرس

فيها وهذه المجموعات العظيمة كلها من آثار التجديد الثالث فقامت على دعوته دولة إسلامية سلفية ذات منعة ومكانة في الجزيرة العربية , أما الإمام أحمد لم يقيض الله من يؤازره فالدولة والسلطة هي العدو الذي يعاديه والإمام ابن تيميه الدولة تجامل علماء السوء وإن كان له مكانة عند السلطان والشعب يحبه ويقدرونه لِما يرون فيه العلم والجهاد والنصح لكن علماء السوء غلبوا السلطة فأوحى إليهم أن يُسجن وينفى ولم يقيض له مؤازراً أيضاً .

* « وهم الطائفة المنصورة .. » / عندما حصل تجديد القرن الثاني عشر سميت الدعوة الوهابية الدين الخامس المذهب الخامس وانتشر في العالم بأنه وُجِدت في الحجاز دولة مخالفة لجميع المسلمين بدين جديد وملة جديدة , فأُلِفت الكتب ضد هذه الدعوة , وقالوا الوهابية تشترط للدخول في دينهم أن يحلق الإنسان شعر رأسه ولو كان امرأة وأن يُعلن أن عَصاه خير من رسول الله ﷺ , بهذه الترهات والأكاذيب نفّروا الناس من هذه الدعوة , فأصبحت الوهابية في العالم تساوي اليهودية أو النصرانية إن لم تكن أفظع . وهل هذه المخالفة وهذا الخذلان هل ضر هذه الدعوة ؟ فإذا العالم كله الذين كانوا يعادونها يأتون إلى مقر الدعوة ومنبع الدعوة فيدينون لهذه الدعوة ويتأكدون من صحة هذه الدعوة وأنها هي الدين الصحيح وأنها تجديد لدين محمد ﷺ ليس بأمر جديد , اقرأ وطبق هذا الحديث على واقع ما ذكرنا الآن .

* « لا تزال طائفة من أمتي .. » / في السبعينات في خارج هذه البلاد لو قيل أو وهابياً دخل مسجد من المساجد لهرعت الناس ليروا ما هذا الوهابي ؟ ما شكله ؟ كيف هو ؟ أصبح كأنه خيال , وهؤلاء هم الوهابية , ليسوا خلقاً آخر إنما هم بشر أمة اتبعت كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ هكذا يصدق كلام رسول الله ﷺ " لا يضرهم من

خالفهم ومن خذلهم حتى تقوم الساعة " [سبق تخريجه] , وفي بعض الروايات " حتى يأتي وعد الله " , إلى قرب قيام الساعة ؛ لأن " قبل قيام الساعة يبعث الله ريحاً تقبض أرواح المؤمنين " [سبق تخريجه] " لا تقوم الساعة إلا على لكع بن لكع " [أخرجه الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه برقم (2305) وغيره , صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (7431)] , " لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مؤمناً فلا يوجد من يقول الله الله " [سبق تخريجه] , إلى ذلك الوقت تبقى هذه الطائفة منصورة قيض الله من ينصرها ويدافع عنها ويقوم هذا الدين ؛ ليبقى إلى تلك اللحظة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين , وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين